

الأخبار المحمدية

من

المواهب اللدنية

تأليف

القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل التبهاني

المتوفى ١٣٥٠هـ

ضبطه وصرّحه وصرّح آياته

الشيخ عبد الوارث محمد علي

مشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تلمنيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٢٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اضْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ وَمِنْهُمْ قُرَيْشًا وَمِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ وَمِنْهُمْ حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَةُ الْمُضْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَنُخْبَةُ الثُّخْبِ وَخِيَارُ الْخِيَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً دَائِمَةً يُشَارِكُ فِيهَا الْأَزَلُ الْأَبَدُ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ، صَلَاةً لَا تُخْبِرُ فَتْحًا، وَلَا تُحْضِرُ فَتْعَةً، صَلَاةً نِهَائِيَّةً أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ لَا تَصِلُ إِلَى بَدَائِتِهَا فِي الْأَزَلِ وَلَا بَدَائِيَّةً، وَلَمْ تَزَلْ دَائِمَةً التَّرْقِي فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَلَنْ تَزَالَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَهَا نِهَائِيَّةً، وَعَلَى آلِهِ الْأَقْرَبِينَ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْمُهْتَدِينَ، وَرُجُومِ الْمُعْتَدِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَا بَعْدُ فَيَقُولُ الْفَقِيرُ الْمَذْنُوبُ يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَائِيُّ غَفَرَ اللَّهُ زَلَلَهُ، وَقَبِلَ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدَّارَيْنِ أَمَلَهُ.

لَا يَخْفَى أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا وَنَبِيَّنَا أَبَا الْقَاسِمِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فِي كُلِّ وَضْفٍ جَمِيلٍ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَجَمِيعِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَكَافَةِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، أَفْرَادًا وَإِجْمَالًا أَيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدْتِهِ وَأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ لَوْ اجْتَمَعُوا بِمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ فَضَائِلِهِمْ لَوْ اجْتَمَعَتْ فِي كَفَّةٍ مِيزَانٍ وَفَضَائِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَتْ فَضَائِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَضَائِلِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ مَا قُلْتُهُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ إِحْدَى الْقَصَائِدِ السَّبْعِ الَّتِي حَتَمْتُ بِهَا كِتَابِي أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ وَكُلِّهَا تَحَامِيْسُ عَلَى نَحْوِ هَذَا الْأَسْلُوبِ الْحَسَنِ.

سَيِّدِ الرُّسُلِ قُدْرُهُ مَعْلُومٌ أَيُّنَ مِنْهُ الْمَسِيحُ أَيُّنَ الْكَلِيمِ
أَيُّنَ نُوحٍ وَأَيُّنَ إِبْرَاهِيمِ كُلُّهُمْ عَنْ مَقَامِهِ مَفْطُومٌ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ جَبْرِيلَ أَيْنَ إِسْرَافِيلَ أَيْنَ مِيكَالَ أَيْنَ عِزْرَائِيلَ
فَعَلَيْهِمْ طُرًّا لَهُ التَّفْضِيلُ وَيَمِغْرَاجِهِ دَلِيلُ قَرِيمِ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ كُلِّ الْعَوَالِمِ الْعُلُوِّةِ أَيْنَ كُلِّ الْعَوَالِمِ السُّفْلِيَّةِ
أَيْنَ كُلِّ الْوَرَى بِكُلِّ مَزِيَّةِ إِنَّمَا فَوْقَهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ تَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَزَايَاهُ،
مَعْرِفَةٌ تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَلَوْ اجْتَمَعَ لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ عَدَاهُ، إِذْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ وَلَا
يُحِيطُ بِفَضَائِلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا زَالَ مَهْرَةُ الْعُلَمَاءِ يَغُوضُونَ فِي لُجَجِ
بُحُورِهَا الزُّوَاحِرِ، فَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا رَوَائِعَ اللَّالِي وَبَدَائِعَ الْجَوَاهِرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ نَظَمَهَا عَشُودًا
زَيْنَ بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَثَرَهَا عَلَى بِسَاطِ الْبَسِيطَةِ فَاسْتَعْنَى بِهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ
وَالْإِيمَانِ، أَلْفُوا فِيهَا الْكُتُبَ وَدَوَّنُوا الدَّوَاوِينَ، وَرَوَوْا أَخْبَارَهَا عَنْ كُلِّ صَادِقِ أَمِينٍ، فَمِنْهُمْ
مَنْ اخْتَصَرَ فِي تَأْلِيْفِهِ فَأَجَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَطَالَ فَأَطَابَ وَأَفَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَسَّطَ وَكَانَ مَذْهَبُهُ
حُسْنَ الْإِقْتِصَادِ، فَمِنْ الْمُخْتَصِرِينَ الْإِمَامَ الْبَارِعَ الْقَاضِي عِيَاضَ وَحَسْبُكَ بِكِتَابِهِ الشِّفَاءَ الَّذِي
سَارَ فِي الْأَفَاقِ، وَوَقَعَ عَلَى قَبُولِهِ الْإِتْفَاقُ، وَمِنْ الْمُطَوَّلِينَ الْإِمَامَ الْهَمَامَ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَى كِتَابِهِ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ فِي آخِرِ نَفْحِ الطَّيْبِ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ مِنْهُ شَيْئًا
مَنْ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَا نَصَّهُ: نَقَلْتُهُ مِنَ الْمُجَلَّدِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كِتَابِ مُنْتَهَى السُّؤْلِ فِي
مَدْحِ الرُّسُولِ لِلْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عُذْرَةَ الْمَغْرِبِيِّ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى وَرَضِي عَنْهُ اهـ، وَمِنْ الْمُتَوَسِّطِينَ الْإِمَامَ الْعَلَامَةَ الشَّيْخَ أَحْمَدَ شِهَابُ الدِّينِ
الْقِسْطَلَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّذَنِيَّةِ بِالْمِنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهُوَ مُجَلَّدَانِ ضَخْمَانِ سَارَتْ بِهِ
الرُّكْبَانُ، فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَلَمْ يَشْتَهَرْ أَجْمَعُ وَأَنْفَعُ مِنْهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ هَذَا الشَّانِ، إِلَّا أَنْ
مُؤَلَّفَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَفَعْنَا بِهِ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِطْرَادِ إِلَى دَلَائِلِ أُصُولِيَّةِ، وَمَسَائِلِ فُرُوعِيَّةِ،
وَمُنَاقَشَاتِ مَذْهَبِيَّةِ، وَمَبَاحِثِ خِلَافِيَّةِ، وَشَحْنَهُ بِفَرَائِدِ بَهِيَّةِ، وَجَدَتْ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا، وَفَوَاكِهِ
شَهِيَّةِ، أَتَتْ فِي غَيْرِ زَمَانِهَا، وَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي الْفَضْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقْصِدِ
السَّابِعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَقَدْ أَطَلْتُ الْمَقَالَ وَإِنَّمَا جَرَّنِي
إِلَى ذَلِكَ ذِكْرُ حَمَلِ الصَّدِيقِ لِلْحَسَنِ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ اسْطِرِّ وَهَذَا وَقَعَ لِي كَثِيرًا فِي

هَذَا الْمَجْمُوعِ بَلْ فِي غَالِيهِ لِكِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَرَائِدِ الْفَوَائِدِ هـ، فَكَانَ كِتَابُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ
كَثِيرَ الْعِلْمِ كَبِيرَ الْحُجْمِ، وَصَارَ عَزِيزَ الْخُصُولِ مَقْصُورَ التَّفْنِجِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَعَ كَثْرَةِ
تَدَاوُلِهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، وَظُهُورِ وَجُوبِ اخْتِصَارِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، لَمْ أَرْ لَهُ
مُخْتَصَرًا، وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبْرًا، مَعَ اِطْلَاعِي مِنْ أَسْمَاءِ الْكُتُبِ عَلَى مَا لَا أَكَادُ أُخْصِيهِ، نَعَمْ
رَأَيْتُ بَعْدَ شُرُوعِي بِاخْتِصَارِهِ فِي خُلَاصَةِ الْأَثَرِ فِي تَرْجَمَةِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوَارِثِيِّ أَنَّهُ
شَرَعَ فِي اخْتِصَارِهِ وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ وَقَفَنِي اللَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ لِاخْتِصَارِهِ
بِحَذْفِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْمَبَاحِثِ الزَّوَائِدِ، مَعَ اسْتِيفَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
الْأَخْبَارِ وَالْفَوَائِدِ، اخْتَصَرْتُهُ أَحْسَنَ اخْتِصَارٍ افْتَصَرْتُ بِهِ مِنْهُ عَلَى لُبَابِهِ، وَجَرَّدْتُ سَيْفَهُ
الصِّقْلِ مِنْ قِرَابِهِ، وَأَمَطْتُ عَنْ وَجْهِهِ الْجَمِيلِ سِتَارَ نِقَابِهِ، وَأَزَلْتُ عَنْ بَدْرِهِ الْمُتَبَرِّجِ حِجَابَ
سَحَابِهِ، فَكَانَ مُسْتَوْفِيًا لِكَافَةِ شُرُوطِ الْحُسْنِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَقْلٌ مِنْ
يَضْفِ حُجْمِهِ، مَعَ بَقَاءِ كُلِّ الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمِهِ، وَصَارَ سَهْلَ الْخُصُولِ مَعَ سُهولةِ فَهْمِهِ، إِذْ
جَمَعْتُ أَشْتَاتَ مَعَانِيهِ وَضَمَمْتُ كُلَّ شَكْلِ إِلَى شَكْلِهِ، وَجَعَلْتُهُ بِحَالَةٍ مَأْلُوفَةٍ لَا عُذْرَ مَعَهَا
لِمُؤْمِنٍ فِي جَهْلِهِ، مَعَ الْجُرْصِ عَلَى بَقَاءِ عِبَارَاتِ مُصَنِّفِهِ الْعَلَامَةِ النَّحْرِيِّ، وَرُبَّمَا تَصَرَّفْتُ بِهَا
فِي النَّزْرِ النَّادِرِ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ، أَوْ إِكْمَالِ حَدِيثٍ أَوْ تَبْدِيلِ يَسِيرٍ، أَوْ زِيَادَةِ تَفْسِيرٍ مِنَ الشَّارِحِ
أَوْ نِهَآيَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ، عَقِبَ بَعْضِ الْأَلْفَافِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَرَكَهَا بِلَا تَفْسِيرٍ، وَلَمَّا تَمَّ اخْتِصَارُهُ،
وَأَشْرَفْتُ أَنْوَارَهُ، سَمَّيْتُهُ «الْأَنْوَارَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنَ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ» فَدُونَكُمْ مُخْتَصَرًا طَابَ
أَصْلُهُ فَطَابَ، وَتَجَلَّتْ شُمُوسُ مَعَانِيهِ مِنْ تَحْتِ سَحَابِ الْإِسْهَابِ، جَمَعَ مِنْ فَضَائِلِهِ وَشُرُونِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَجْمَعُهُ فِي حُجْمِهِ كِتَابٌ، وَاشْتَرَكِ فِي سُهولةِ فَهْمِهِ وَالْإِنْتِفَاعِ
بِعِلْمِهِ الْعَامَّةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالطُّلَّابُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَجْعَلَهُ سَبَبًا
لِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَالْمُسْلِمِينَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ الْأَصِيلِ،
وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي، وَيَعْفُو بِي عَنِّي، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ اقْتِنَاءِ
أَصْلِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ، فَقَدْ جَمَعْتُ أَشْتَاتَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ زِيَادَةً عَلَى الْمِنْحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَلَا
يَسْتَعْنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، فَضِلًّا عَمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ أَفَاضِلِ الْإِسْلَامِ، وَإِنِّي أَرَوِيهَا
بِالْإِجَازَةِ مِنْ جُمْلَةِ طُرُقِ مِنْهَا طَرِيقُ أُسْتَاذِي الْعَلَامَةِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ السَّقَّاءِ الْمِصْرِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ عَنْ عِدَّةِ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ الشَّيْخِ ثَعْلَبِ عَنْ شَيْخِيهِ الْأَحْمَدِيِّ الْمُلَوِّيِّ وَالْجَوْهَرِيِّ
وَهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ الْبَصْرِيِّ عَنِ الشَّيْخِ مَنْصُورِ الطُّوْخِيِّ عَنِ الشَّيْخِ سُلْطَانَ الْمَرْزَاقِيِّ

عَنِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ الزِّيَادِيِّ عَنِ قُطْبِ الوُجُودِ أَبِي الحَسَنِ البَكْرِيِّ عَنِ مُؤَلِّفِهَا الشَّيْخِ شَهَابِ
الدِّينِ القَسْطَلَانِيِّ وَكُلُّهُمْ أئِمَّةٌ شَافِعِيُونَ وَجَمِيعُهُمْ مَضْرُوبُونَ مَا عَدَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَالِمٍ رَحِمَهُمُ
اللَّهُ وَتَفَعَّلْنَا بِهِمْ، وَجَعَلْتُ تَرْتِيبَ هَذَا المُخْتَصَرِ كَأَصْلِهِ المَوَاهِبِ اللَّدِّيَّةِ عَلَى عَشْرَةِ مَقَاصِدَ:

المَقْصِدُ الأوَّلُ: فِي تَشْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَبْقِ نُبوْتِهِ فِي الأَزَلِ
وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ وَأَيَاتِ حَمَلِهِ وَوِلَادَتِهِ وَرِضَاعِهِ وَحَضَانَتِهِ وَأَخْبَارِ بَغْتَتِهِ وَهَجْرَتِهِ وَمَعَارِزِهِ وَسَرَائِهِ
وَبُعُوْتِهِ وَسِيرَتِهِ مُرْتَبًا عَلَى السِّنِينَ مِنْ حِينَ نَشَأَتْهُ إِلَى وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المَقْصِدُ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَوْلَادِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أَمْهَاتِ
المُؤْمِنِينَ وَأَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَجَدَّاتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ وَحَرَسِهِ وَكُتُبِهِ وَكُتُبِهِ
إِلَى المُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ وَمُؤَذِّنِيهِ وَخُطْبَائِهِ وَخُدَائِهِ وَشُعْرَائِهِ وَآلَاتِ حُرُوبِهِ وَدَوَابِّهِ وَالمُؤَافِدِينَ إِلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الثَّلَاثُ: فِيمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ سُحْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ
وَأَخْلَاقِهِ الرُّكِّيَّةِ وَأَوْصَافِهِ المَرَضِيَّةِ وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةَ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا
المَقْصِدُ جَامِعٌ لِسَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الرَّابِعُ: فِي مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ نُبوْتِهِ وَصِدْقِ
رِسَالَتِهِ وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ
فُصُولَانِ:

المَقْصِدُ الخَامِسُ: فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِخَصَائِصِ المِعْرَاجِ وَالمِيزَانِ
وَتَعْجِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التُّكْرِيمِ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالمُكَالَمَةِ وَالمُشَاهَدَةِ الكُبْرَى.

المَقْصِدُ السَّادِسُ: فِيمَا وَرَدَ فِي آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى
لَهُ بِصِدْقِ نُبوْتِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَعَلُوِّ مَنْصِبِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَأَخْذِهِ
تَعَالَى لَهُ المِيثَاقِ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الكُتُبِ
السَّالِفَةِ كَالتَّوْرَةِ وَالمِيزَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ.

المَقْصِدُ السَّابِعُ: فِي وَجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالمِيزَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ
وَأَصْحَابِهِ وَحُكْمِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الثَّامِنُ: فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ وَتَغْيِيرِهِ
الرُّؤْيَا وَإِنْبَائِهِ بِالْأَنْبَاءِ الْمُعَيَّنَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ التَّاسِعُ: فِي لَطِيفَةٍ مِنْ حَقَائِقِ عِبَادَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ.

المَقْصِدُ الْعَاشِرُ: فِي إِتْمَامِ اللَّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُقَاتِيهِ إِلَيْهِ
وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ وَتَفْضِيلِهِ فِي الْأَخِرَةِ بِقَضَائِلِ الْأَوْلِيَّاتِ وَتَشْرِيفِهِ
بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ
الْمَخْمُودِ فِي مَجْمَعِ الْأَوْلِيَّانِ وَالْآخِرِينَ وَتَرْقِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى
الدَّرَجَاتِ.

المقصد الأول

في تشریف اللہ تعالیٰ لہ علیہ الصلاۃ والسلام یسبق نبوتہ فی الأزل وطہارۃ نسبہ وآیات حملہ وولادۃہ ورضاعہ وحضائتہ وأخبار بعثتہ وھجرتہ ومعاریہ وسرایاہ وبعوثہ وسیرتہ مرتباً علی السنین من حین نشأته إلی وقت وفاتہ صلی اللہ علیہ وسلم .

اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ثم أعلمه بنبوته وآدم ثم يكن إلا كما قال صلى الله عليه وسلم بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالی علی جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر وظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكلية جسماً وروحاً ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب إن محمداً خاتم النبيين .

وعن العزباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته أي طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه، وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد، وعن سهيل بن صالح الهمداني قال سألت أبا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث قال إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم «ألسنت بربكم» كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث .

وعن الشيخ تقي الدين السبكي أنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فالإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً إلى روحه الشريفه أو إلى حقيقته والحقائق تفصراً

عَقُولُنَا عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا خَالِقُهَا وَمَنْ أَمَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنُورِ إلهِي فَحَقِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ آتَاهَا اللَّهُ وَصَفَ النُّبُوَّةَ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ إِذْ خَلَقَهَا مُتَهَيِّئَةً لِذَلِكَ وَأَفَاضَهُ عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ فَصَارَ نَبِيًّا وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِالرَّسَالَةِ لِيُعْلِمَ مَلَائِكَتَهُ وَغَيْرَهُمْ كَرَامَتَهُ عِنْدَهُ فَحَقِيقَتُهُ مَوْجُودَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَإِنْ تَأَخَّرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ الْمُتَّصِفُ بِهَا، وَعَنِ الشُّعْبِيِّ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى اسْتُنْبِثْتَ قَالَ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أَخَذَ مِنِّي المِيثَاقَ فَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقًا وَأَخْرَجَهُمْ بَعْنًا.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصَّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَهُوَ عَيْنُهُ وَخُلَاصَتُهُ وَوَاسِطَةُ عَقِيدِهِ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَنْبَغِ لِلَّهِ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُنْ بَعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ وَيَأْخُذَ بِذَلِكَ الْعَهْدِ عَلَى قَوْمِهِ وَهُوَ يُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَقِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ وَرَ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَعَشِيَهُمْ مِنْهُ مَا أَنْطَقَهُمُ اللَّهُ بِهِ فَقَالُوا يَا رَبَّنَا مَنْ عَشِيْنَا نُورُهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا نُورُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلْتُكُمْ أَنْبِيَاءَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَبِنُبُوَّتِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ قَالُوا نَعَمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ وَلَتُنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ التَّنْوِيهِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ مَا لَا يَخْفَى وَفِيهَا مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِ فِي زَمَانِهِمْ يَكُونُ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَّمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضًا وَيَتَّبِعُونَ بِهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

فَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ الْأَنْبِيَاءِ وَلِهَذَا ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأَخْرَجَةِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لُؤَائِهِ وَفِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ وَلَوْ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَّمِهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ وَيَذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ المِيثَاقَ عَلَيْهِمْ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ قَالَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ

تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ جِبْرِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالطَّبِيئَةِ الَّتِي هِيَ قَلْبُ الْأَرْضِ وَبِهَاؤُهَا وَنُورُهَا قَالَ فَهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلَائِكَةِ الْفِرْدَوْسِ وَمَلَائِكَةِ الرَّقِيعِ الْأَعْلَى فَقَبَضَ قَبْضَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَهِيَ بَيْنَاءُ مُنِيرَةٌ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ الثَّنَائِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كَالدَّرَّةِ الْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ ثُمَّ طَافَتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَفِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ فَعَرَفَتْ الْمَلَائِكَةُ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا وَفَضْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَضَلُّ طَبِيئَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُرَّةِ الْأَرْضِ بِمَكَّةَ وَمِنْ مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ دُحَيْتِ الْأَرْضِ فَصَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَضَلُّ فِي التُّكْوِينِ وَالْكَائِنَاتِ تَبَعَ لَهُ .

وَعَنْ صَاحِبِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ أَنَّ الْمَاءَ يَغْنِي فِي الطُّوفَانِ لَمَّا تَمَوَّجَ رَمَى بِالرُّبْدِ إِلَى التَّوَاجِيهِ فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا يُحَازِي تَرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكِّيًّا مَدِينِيًّا، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْهَمَهُ أَنْ قَالَ يَا رَبِّ لِمَ كُنَيْتَنِي أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ ارْزُقْ رَأْسَكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا هَذَا النُّورُ قَالَ هَذَا نُورُ نَبِيِّ مِنْ دُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ وَفِي الْأَرْضِ مُحَمَّدٌ لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ سَمَاءَ وَلَا أَرْضًا .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ قَالَ يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لُوحٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا جِنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا مَلَكٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا جِنِّيٌّ وَلَا إِنْسِيٌّ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ الْقَلَمَ وَمِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ وَمِنَ الثَّلَاثِ الْعَرْشَ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمِنَ الثَّانِي الْكَرْسِيَّ وَمِنَ الثَّلَاثِ بَاقِيَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الثَّانِي الْأَرْضِينَ وَمِنَ الثَّلَاثِ الْجِنَّةَ وَالنَّارَ ثُمَّ الْقِسْمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِمْ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ الثَّلَاثِ نُورَ أَنْسِهِمْ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لِأِلَهِ إِلَّا اللَّهَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، وَفِي الْخَبَرِ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ جَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ فِي ظَهْرِهِ فَكَانَ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فَيَغْلِبُ عَلَى سَائِرِ نُورِهِ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَرِيرٍ مَمْلُوكَتِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى أَكْتَافِ مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَهُمْ فَطَافُوا بِهِ فِي السَّمَوَاتِ لِيَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ خَلْفُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الْعَصْرِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَوَاءَ زَوْجَتَهُ مِنْ ضَلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ الْيُسْرَى وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ وَرَأَاهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَدَّ يَدَهُ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ مَهْ يَا آدَمُ قَالَ وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ لِي فَقَالُوا حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا قَالَ وَمَا مَهْرُهَا قَالُوا تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَفِي رِوَايَةٍ عِشْرِينَ مَرَّةً، وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ رَأَى مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْجَنَّةِ اسْمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْرُونًا بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ يَا رَبُّ هَذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ فَقَالَ هَذَا الَّذِي لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ فَقَالَ يَا رَبُّ بِحُرْمَةِ هَذَا الْوَالِدِ اِرْحَمْ هَذَا الْوَالِدَ فَتُودِي يَا آدَمُ لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبُّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ قَالَ لِأَنَّكَ يَا رَبُّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَتَفَخَّخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ اسْمِكَ إِلَّا أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ دُرِّيَّتِكَ، وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَبَطَ جِبْرِيْلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ إِنَّ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا فَقَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا وَمَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ وَلَقَدْ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا لِأَعْرَفَهُمْ كَرَامَتِكَ وَمَنْزِلَتِكَ عِنْدِي وَلَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَلَدْتُ حَوَاءَ مِنْ آدَمَ أَرْبَعِينَ وَوَلَدًا فِي عِشْرِينَ بَطْنًا وَوَضَعْتُ شَيْئًا وَخَدَهُ كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ نُورَهُ انْتَقَلَ مِنْ آدَمَ إِلَى شَيْبِثٍ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ جَعَلَهُ وَصِيًّا عَلَيَّ وَوَلَدِهِ ثُمَّ أَوْصَى شَيْبِثَ وَوَلَدَهُ بِوَصِيَّةِ آدَمَ أَنْ لَا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إِلَّا فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَارِيَةً تُنْقَلُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ إِلَى أَنْ أَدَى اللَّهُ النُّورَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَظَهَرَ اللَّهُ هَذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سِفْحِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْصُوبَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفْحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الْإِسْلَامِ.

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسِمِائَةَ أُمَّ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَعَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي وَلَمْ يُصِنِّي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًى مُهَدَّبًا لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا، وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» بِفَتْحِ الْفَاءِ وَقَالَ أَنَا أَنْفُسُكُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَلْبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا فَلَمْ أَرِ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرِ بَنِي أَبِي أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْنَا فَقُرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاضْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَعَنْ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَتِهِمْ وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بِيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْنًا أَيْ خَيْرُهُمْ رُوحًا وَدَانَا وَخَيْرُهُمْ أَصْلًا، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنَ الْعَرَبِ فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ آلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمِنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ.

وَاعْلَمْنَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَحَدٌ وَلَا أُخْتُ لِانْتِهَاءِ صِفْوَتَيْهِمَا إِلَيْهِ وَقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ لِيَكُونَ مُخْتَصًّا بِنَسَبِ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنُّبُوَّةِ غَايَةً وَلِتَمَامِ الشَّرَفِ نِهَائَةً وَأَلَّتْ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وَعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آبَاءِ كِرَامٍ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْأَبْطَحِيُّ الْحَرَمِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ نُخْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ

الْمُخْتَارِ الْمُنتَخَبِ مِنْ خَيْرِ بَطُونِ الْعَرَبِ وَأَعَزَّهَا فِي النَّسَبِ وَأَشْرَفَهَا فِي الْحَسَبِ وَأَنْصَرَهَا عُوْدًا وَأَطْوَلَهَا عَمُودًا وَأَطْيَبَهَا أَرْوَمَةً وَأَعَزَّهَا جُرْثُومَةً وَأَفْصَحَهَا لِسَانًا وَأَوْضَحَهَا بَيَانًا وَأَزْجَحَهَا مِيزَانًا وَأَصَحَّهَا إِيمَانًا وَأَعَزَّهَا نَفْرًا وَأَكْرَمَهَا مَعَشْرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَمِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّبِيحِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيِّ وَاسْمُهُ مُجَمِّعُ بْنُ كِلَابٍ وَاسْمُهُ حَكِيمُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ وَكَانَتْ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخَطِّبُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ ابْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ وَاسْمُهُ قُرَيْشُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ كِنَانَةَ بْنِ حُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صُلْبِهِ تَلْيِيبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ ابْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ قِيلَ لِأَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ وَنَظَرَ أَبُوهُ إِلَى نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَطْعَمَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا كُلُّهُ نَزَرَ أَيُّ قَلِيلٍ بِحَقِّ هَذَا الْمَوْلُودِ فَسُمِّيَ نِزَارًا بِنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

قَالَ ابْنُ دِيحِيَّةَ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِثْمًا انْتَسَبَ إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَدِّ بْنَ عَدْنَانَ ثُمَّ يُمَسِّكُ وَيَقُولُ كَذَبَ النَّسَابُونَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ، وَعَنِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ نُورَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَارَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَذْرَكَ نَامَ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ فَانْتَبَهَ مَكْحُولًا مَذْهُونًا قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ فَبَقِيَ مُتَّحِيرًا لَا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَخَذَ أَبُوهُ بِيَدِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَزْوِيجِهِ فَرَوَّجَهُ وَكَانَتْ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَنُورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضِيءُ فِي عُرَّتِهِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا أَصَابَهَا قَحْطٌ شَدِيدًا تَأْخُذُ بِيَدِهِ فَتَخْرُجُ بِهِ إِلَى جَبَلِ ثَبِيرٍ فَيَتَّقِرُّونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمُ الْعَيْثَ فَكَانَ يُغِيثُهُمْ وَيَسْقِيَهُمْ بِبَرَكَتِهِ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمَّا قَدِمَ أَبْرَهَةَ مَلِكُ الْيَمَنِ لِيَهْدِمَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَنَّ لَهُ رَبًّا يَنْحِمِيهِ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ أَبْرَهَةَ إِبِلَ قُرَيْشٍ وَعَعَنَمَهَا وَكَانَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِيهَا أَرْبَعُمِائَةٍ نَاقَةٌ فَرَكِبَ فِي قُرَيْشٍ حَتَّى طَلَعَ جَبَلِ ثَبِيرٍ فَاسْتَدَارَ نُورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبِينِهِ كَالهَالِكِ وَالنَّعْكَسِ شِعَاعُهُ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ

الْمُطَلِّبِ إِلَى ذَلِكَ قَالَ يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ارْجِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ قَوْلَ اللَّهِ مَا اسْتَدَارَ هَذَا الثَّورُ مِنِّي إِلَّا أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَنَا فَرَجَعُوا مُتَفَرِّقِينَ ثُمَّ إِنَّ أْبْرَهَةَ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ وَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ خَضَعَ وَتَلَجَّلَجَ لِسَانُهُ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَكَانَ يَحُورُ كَمَا يَحُورُ الثَّورُ عِنْدَ ذُبْحِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ خَرَّ سَاجِدًا لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا .

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ لَمَّا حَضَرَ عِنْدَ أْبْرَهَةَ نَظَرَ الْفَيْلُ الْأَبْيَضُ الْعَظِيمُ إِلَى وَجْهِهِ فَبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ وَخَرَّ سَاجِدًا وَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَيْلَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَى الثَّورِ الَّذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ وَلَمَّا دَخَلَ جَيْشُ أْبْرَهَةَ لِهَذَا الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بَرَكَ الْفَيْلُ فَضَرَبُوهُ فِي رَأْسِهِ ضَرْبًا شَدِيدًا لِيَقُومَ فَأَتَى فَوْجَهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ حَجَرَ فِي مِثْقَالِهِ وَحَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ كَأَمْثَالِ الْعَدَسِ لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَهْلَكَتُهُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَأُصِيبَ أْبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ بِدَاءٍ فَتَسَاقَطَتْ أَنْامِلُهُ أَنْمَلَةٌ أَنْمَلَةٌ وَسَالَ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ وَالْدَّمُ وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ قَلْبُهُ وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ﴾ [الفيل: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَالَّةً عَلَى شَرَفِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِزْهَاصِ لِنُبُوَّتِهِ أَيْ تَأْسِيسِهَا لَهَا وَإِعْزَازِهَا لِقَوْمِهِ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ حَتَّى دَانَتْ الْعَرَبُ وَاعْتَقَدَتْ شَرَفَهُمْ وَفَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِحِمَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَدَلْعِهِ عَنْهُمْ مَكْرَ أْبْرَهَةَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِسَائِرِ الْعَرَبِ قُدْرَةً عَلَى قِتَالِهِ، وَلَمَّا فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَرَجَعَ أْبْرَهَةُ خَائِبًا قَبِينَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ رَأَى مَنَامًا عَظِيمًا فَانْتَبَهَ فَرِعَا مَرْعُوبًا وَأَتَى كَهَنَةَ قُرَيْشٍ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاهُ فَقَالُوا لَهُ إِنْ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ ظَهْرِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَمًا مُبِينًا فَتَزَوَّجَ فَاطِمَةَ وَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ الدَّبِيحِ وَقِصَّتُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ، وَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ مَعَ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّاهُ بِبَحْرِ مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ لِرُؤْيَا رَأَاهَا مَرَّةً عَلَى امْرَأَةٍ كَاهِنَةٍ مُتَهَوِّدَةٍ قَدْ قَرَأَتِ الْكُتُبَ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ فَقَالَتْ لَهُ حِينَ نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَانَ أَحْسَنَ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ لَكَ مِثْلُ الْإِبِلِ الَّتِي تُجَرِّثُ عَنْكَ وَقَعَ عَلَيَّ الْآنَ لِمَا رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ وَرَجَحْتَ أَنْ تَحْمِلَ بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ:

أَمَا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ يَخْوِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى بِهِ وَهَبَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ
 بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ أَمِيَّةَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا فَوَقَعَ
 عَلَيْهَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مِنْ أَيَّامِ مَنَى فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَمَرَّ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَا عَرَضَتْ فَقَالَ لَهَا مَا لَكَ لَا
 تَعْرِضِينَ عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا عَرَضْتَ بِالْأَمْسِ فَقَالَتْ فَارْقَكَ الثَّورَ الَّذِي كَانَ مَعَكَ بِالْأَمْسِ فَلَيْسَ
 لِي بِكَ الْيَوْمَ حَاجَةٌ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ الثَّورُ فِيَّ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ شَاءَ .

وَلَمَّا حَمَلَتْ أَمِيَّةُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ لِحَمْلِهِ عَجَائِبُ قَالَ سَهْلُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ التُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
 بَطْنِ أُمِّهِ أَمِيَّةَ لَيْلَةً رَجَبٍ وَكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ أَمَرَ رِضْوَانَ خَازِنَ الْجَنَانِ أَنْ يَفْتَحَ الْقَرْدُوسَ
 وَتَأْذَى مُنَادٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَّا إِنَّ الثَّورَ الْمَخْرُوزَ الْمَكْنُونِ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ
 الْهَادِي يَسْتَقِرُّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ الَّذِي فِيهِ يَتِمُّ خَلْقُهُ وَيَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
 وَفِي رِوَايَةٍ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ نُودِيَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي السَّمَاءِ وَصَفَّاحِهَا وَالْأَرْضِ وَبِقَاعِهَا أَنَّ
 الثَّورَ الْمَكْنُونِ الَّذِي مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقِرُّ اللَّيْلَةَ فِي بَطْنِ أَمِيَّةَ فَيَأْتِي طُوبَى
 لَهَا ثُمَّ يَا طُوبَى، وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ أَضْنَامُ الدُّنْيَا مَنكُوسَةً وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِي جَذَبٍ شَدِيدٍ
 وَضَيْقٍ عَظِيمٍ فَاخْضَرَّتِ الْأَرْضُ وَحَمَلَتِ الْأَشْجَارُ وَأَتَاهُمُ الرُّفْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَسُمِّيَتْ تِلْكَ
 السَّنَةُ الَّتِي حُمِلَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةُ الْفَتْحِ وَالْأَبْتِهَاجِ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ أَمِيَّةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُتِيَتْ جِئْنَ حَمَلَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهَا إِنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَالَتْ مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ
 ثِقْلًا وَلَا وَحْمًا كَمَا تَجِدُ النِّسَاءَ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفَعَ حَيْضَتِي وَأَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ
 وَالْيَقْظَانَةِ فَقَالَ هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ أَمَهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنْتُ وَلَا دَتِي أَتَانِي
 فَقَالَ قَوْلِي :

أَعْيَدُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ

ثُمَّ سَمِيَهُ مُحَمَّدًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَادَ : دَلَالَةَ حَمَلِ أَمِيَّةَ
 بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كُلَّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَقَالَتْ حُمِلَ بِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ وَهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وَسِرَاجُ أَهْلِهَا وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ
 مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلَّا أَصْبَحَ مَنكُوسًا وَفَرَّتْ وَحُوشِ الْمَشْرِقِ إِلَى وَحُوشِ الْمَغْرِبِ بِالْبِشَارَاتِ

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمَلِهِ نِدَاءٌ فِي الْأَرْضِ
وِنِدَاءٌ فِي السَّمَاءِ أَنْ أَبْشِرُوا فَقَدْ آتَى أَنْ يَظْهَرَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونًا مُبَارَكًا .

وَعَنْ غَيْرِهِ لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَارٌ إِلَّا أَشْرَقَتْ وَلَا مَكَانٌ إِلَّا دَخَلَهُ الثُّورُ وَلَا ذَابَّةٌ إِلَّا
نَطَقَتْ، وَعَنْ أَبِي زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَائِدٍ بَقِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ
كُمَّلًا لَا تَشْكُو وَجَعًا وَلَا مَغْضًا وَلَا رِيحًا وَلَا مَا يَغْرُضُ لِدَوَابِّ الْحَمَلِ مِنَ النِّسَاءِ وَكَانَتْ
تَقُولُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ هُوَ أَخْفُ وَلَا أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهُ، وَلَمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمَلِهَا شَهْرَانِ
تُوَفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي الثُّجَارِ وَدُفِنَ بِالْأَبْوَاءِ، وَيُذَكَّرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَمَّا تُوَفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ تَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيُّكَ يَتِيمًا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَا لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ قَالَ لَمَّا
حَضَرَتْ وِلَادَةُ أَمِينَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ افْتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّهَا وَأَبْوَابَ الْجَنَانِ
وَأَلْبَسَتِ الشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ نُورًا عَظِيمًا وَكَانَ قَدْ أَدِنَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ السَّنَةَ لِنِسَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَحْمِلْنَ
ذُكُورًا كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَتْ أَمِينَةُ تُحَدِّثُ وَتَقُولُ أَتَانِي آتٍ حِينَ مَرُّ مِنْ حَمَلِي سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي
الْمَنَامِ فَقَالَ لِي يَا أَمِينَةُ إِنَّكَ حَمَلْتِ بِخَيْرِ الْعَالَمِينَ فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَسَمِيهِ مُحَمَّدًا وَاکْتُمِي شَأْنَكَ
قَالَتْ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي أَحَدٌ لَا ذَكَرٌ وَلَا أَتْنَى وَإِنِّي لَوَاحِدَةٌ فِي
الْمَنْزِلِ وَعَبْدُ الْمُطَلِّبِ فِي طَوَافِهِ فَسَمِعْتُ وَجِبَةَ عَظِيمَةً وَأَمْرًا عَظِيمًا هَالِكِي ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ
جَنَاحَ طَيْرٍ أبيضَ قَدْ مَسَحَ عَلَيَّ فُوَادِي فَذَهَبَ عَلَيَّ الرُّغْبُ وَكُلُّ وَجَعٍ أَجِدُهُ ثُمَّ التَفَّتُ فَإِذَا أَنَا
بِشْرَبَةِ بَيْضَاءٍ فَتَنَاوَلْتَهَا فَأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ ثُمَّ رَأَيْتُ نِسْوَةً كَالنُّخْلِ طَوَّالًا كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ
مَنَافٍ يُخَدِقْنَ بِي فَبَيَّنَّا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَقُولُ وَاعْوِثَاهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمَنَ بِي فَقُلْنَ لِي نَحْنُ أَسِيَّةُ امْرَأَةٍ
فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ وَأَنَا أَسْمَعُ الْوَجِبَةَ فِي كُلِّ
سَاعَةٍ أَعْظَمَ وَأَهْوَلَ مِمَّا تَقْدَمُ فَبَيَّنَّا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِدِيْبَاجٍ أبيضَ قَدْ مَدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ خُدُوهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ .

قَالَتْ وَرَأَيْتُ رِجَالًا قَدْ وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا
بِقِطْعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ عَطَّتْ حُجْرَتِي مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرِّدِ وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ فَكَشَفَ اللَّهُ عَن
بَصْرِي فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَرَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَغْلَامٍ مَضْرُوبَاتٍ عَلَمَا بِالْمَشْرِقِ وَعَلَمَا
بِالْمَغْرِبِ وَعَلَمَا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ فَأَخَذَنِي الْمَخَاضُ فَوَضَعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَنظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ قَدْ رَفَعَ اضْبَعِيهِ إِلَى السَّمَاءِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُتَبَهِّلِ ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيْضَاءَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ فَعَيَّبَتْهُ عَنِّي فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَأَدْخِلُوهُ الْبِحَارَ لِيَعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ .

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَنَّ أَمِيَّةَ قَالَتْ لَمَّا وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلَ الْخَيْلِ وَخَفَقَانَ الْأَجْنِحَةِ وَكَلَامَ الرُّجَالِ حَتَّى غَشِيَتْهُ وَغَيَّبَتْ عَنِّي فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ وَاعْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوْحَانِيٍّ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ وَأَعْطُوهُ خَلْقَ آدَمَ وَمَعْرِفَةَ شَيْثٍ وَشَجَاعَةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ وَرِضَا إِسْحَاقَ وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ وَحِكْمَةَ لُوطٍ وَبُشْرَى يَعْقُوبَ وَشِدَّةَ مُوسَى وَضَبَرَ أَيُّوبَ وَطَاعَةَ يُونُسَ وَجِهَادَ يُوشَعَ وَصَوْنَ دَاوُدَ وَحُبَّ دَنِيَّالَ وَوَقَالَ لِلْيَاسِ وَعِضْمَةَ يَحْيَى وَرُهْدَ عِيسَى وَاعْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ قَالَتْ ثُمَّ انْجَلَّتْ عَنْهُ فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبِضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضِرَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيِّبًا شَدِيدًا يَنْبَعُ مِنْهَا مَاءٌ وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ بَخٍ بَخٍ قَبِضْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ قَالَتْ ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَإِذَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيْقٌ مِنْ فِضَّةٍ وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُدٍ وَفِي يَدِ الثَّلَاثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءَ فَتَشْرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارَ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ دُونَهُ فَعَسَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْرِيْقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ بِالْخَاتَمِ وَلَفَّهُ بِالْحَرِيرَةِ ثُمَّ اخْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُذُنِهِ رِضْوَانٌ خَازِنُ الْجَنَانِ أَبْشِرْ يَا مُحَمَّدُ فَمَا بَقِيَ لِنَبِيِّ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ فَأَلَّتْ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا وَأَشْجَعَهُمْ قَلْبًا، وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ أَمِيَّةَ قَالَتْ لَمَّا فَصِلَ مِنِّي تَغْيِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ الثَّرَابِ فَقَبَّضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَعَ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسْبِحِ بِهَا، وَرَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ قَالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ الْبَيْتَ حِينَ وَقَعَ قَدْ امْتَلَأَ نُورًا وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ .

وَعَنِ الْعَزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ وَسَأَخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي
إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةَ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ عَمُّهُ
الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِسُورِكَ الْأَفْقُ
فَتَحَنُّ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي الثُّورِ
وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهَا وَلَدَتْهُ نَظِيفًا مَا بِهِ قَدْرٌ، وَفِي إِضَاءَةِ قُصُورِ الشَّامِ بِذَلِكَ الثُّورِ
إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوَّتِهِ فَإِنَّهَا دَارٌ مُلْكِهِ كَمَا ذَكَرَ كَعْبٌ أَنَّ فِي الْأَكْثَبِ السَّالِفَةِ
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ بِبَيْتْرَبٍ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ وَلِهَذَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا هَاجَرَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الشَّامِ وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ
مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ أَرْضُ الْمَخْشَرِ وَالْمَنْشَرِ.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَنْ أُمِّهِ الشُّفَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ لَمَّا وُلِدْتُ آمِنَةٌ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ عَلَى يَدَيَّ فَاسْتَهَلَّ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ
وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ قَالَتْ ثُمَّ أَلْبَسْتُهُ
وَأَضَجَعْتُهُ فَلَمَّ أَنْشَبَ أَنْ عَشِيَّتِنِي ظُلْمَةٌ وَرُغَبٌ وَقَشَعْرِيرَةٌ ثُمَّ عُيِبَ عَنِّي فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ
أَيْنَ ذَهَبَتْ بِهِ قَالَ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ فَلَمَّ يَزِلُ الْحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعَثَهُ اللَّهُ فَكُنْتُ
فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا.

وَعَنِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنِّي لَعَلَّامٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَغْقَلُ مَا
رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالُوا
وَيْلَكَ مَا لَكَ قَالَ طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَعَنِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ هَلْ وُلِدَ فِيكُمْ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُ قَالَ انظُرُوا
فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كِتْمَانِهِ عِلْمًا فَانصَرَفُوا فَسَأَلُوا فَيَقِيلُ لَهُمْ قَدْ وُلِدَ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُلَامٌ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى
الْيَهُودِيُّ الْعِلْمَةَ خَرَّ مَعْشِيًا عَلَيْهِ وَقَالَ ذَهَبَتِ الثُّبُوءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ أَمَا وَاللَّهِ

لَيْسَطُونَ بِكُمْ سَطْوَةٌ يَخْرُجُ خَبْرُهَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ
كَمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي.

وَمِنْ عَجَائِبِ وَلَاذْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رُوِيَ مِنْ اِزْتِجَاجِ إِيوَانَ كِسْرَى وَسُقُوطِ
أَرْبَعِ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرْفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةٍ وَحُمُودِ نَارِ فَارِسٍ وَكَانَ لَهُ أَلْفُ عَامٍ لَمْ
تَحْمَدْ كَمَا رَوَاهُ كَثِيرُونَ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادَةِ جِرَاسَةِ السَّمَاءِ فِي الشَّهْبِ وَقَطْعِ رِصْدِ
الشَّيَاطِينِ وَمَنْعِهِمْ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وَوُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا أَيْ مَقْطُوعَ
السُّرَّةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَعَظِيمِهِ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ سِوَاتِي.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي عَامِ وَلَاذْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ وَأَنَّهُ
بَعْدَ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا وَأَنَّهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ عِنْدَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ
وَاسْتَنْبِئَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَكَذَا فَتَحَ مَكَّةَ وَتَزَوَّلَ سُورَةَ الْمَائِدَةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ رَاهِبٌ
يُسَمَّى عَيْصًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَكَانَ يَقُولُ يُوْشِكُ أَنْ يُوْلَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَوْلُودٌ تَدِينُ لَهُ
الْعَرَبُ وَيَمْلِكُ الْعَجَمَ هَذَا زَمَانُهُ فَكَانَ لَا يُوْلَدُ بِمَكَّةَ مَوْلُودٌ إِلَّا وَيَسْأَلُ عَنْهُ فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ
الْيَوْمِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى عَيْصَ
فَنَادَاهُ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ عَيْصَ كُنْ أَبَاهُ فَقَدْ وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي كُنْتُ أَحَدْتُكُمْ عَنْهُ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَمُوتُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ قَالَ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبْحِ مَوْلُودٌ قَالَ فَمَا
سَمَّيْتَهُ قَالَ مُحَمَّدًا قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ فِيكُمْ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ
بِثَلَاثَةِ خِصَالٍ أَنَّهُ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ وَأَنَّهُ وُلِدَ الْيَوْمَ وَأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَوَافَقَ ذَلِكَ مِنَ الشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ نَيْسَانَ وَكَانَ لِعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْهُ.

وَقِيلَ وُلِدَ لَيْلًا فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ بِمَكَّةَ يَهُودِيٌّ يَتَّجِرُ فِيهَا فَلَمَّا
كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمْ
اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُهُ قَالَ وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَخِيرَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ فِيهَا
شَعْرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ فَخَرَجُوا بِالْيَهُودِيِّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالُوا أَخْرِجِي

لَنَا ابْنُكَ فَأَخْرَجْتَهُ وَكَشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى تِلْكَ الشَّامَةَ فَوَقَعَ الْيَهُودِيُّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالُوا مَا لَكَ وَيْلَكَ قَالَ ذَهَبَتْ وَاللَّهِ التُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَوُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ فِي الدَّارِ الَّتِي كَانَتْ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، وَأَرْضَعْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُوَيْبَةَ عَيْبَةَ أَبِي لَهَبٍ أَعْتَقَهَا حِينَ بَشَّرْتَهُ بِوِلَادَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ رُوِيَ أَبُو لَهَبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ مَا حَالَكَ فَقَالَ فِي النَّارِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ اثْنَيْنِ وَأَمْصُ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيْ هَاتَيْنِ مَاءً وَأَشَارَ بِرَأْسِ إِصْبَعَيْهِ وَإِنَّ ذَلِكَ بِإِعْتَاقِي لِثُوَيْبَةَ عِنْدَمَا بَشَّرْتَنِي بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِإِضَاعِهَا لَهُ .

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فَإِذَا كَانَ هَذَا أَبُو لَهَبٍ الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِي بِفَرَجِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا حَالَ الْمُسْلِمِ الْمُوَحَّدِ مِنْ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْرُ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْدُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرِي إِتْمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ يَخْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَعْمَلُونَ الْوَلَايِمَ وَيَتَصَدَّقُونَ فِي لَيْلِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ وَيُظْهِرُونَ السُّرُورَ وَيَزِيدُونَ فِي الْمَبْرَاتِ وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلُّ فَضْلِ عَمِيمٍ وَمِمَّا جُرَّبَ مِنْ خَوَاصِهِ أَنَّهُ أَمَانٌ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَبُشْرَى عَاجِلَةٌ بِنَيْلِ الْبُغْيَةِ وَالْمَرَامِ فَرَجِمَ اللَّهُ امْرَأً اتَّخَذَ لَيْلِي شَهْرَ مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكَةَ أَعْيَادًا .

قَالَتْ حَلِيمَةُ قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانِ لِي وَمَعِيَ صَبِيٌّ لَنَا وَشَارِفٌ لَنَا وَاللَّهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا ذَلِكَ أَجْمَعَ مَعَ صَبِيَّتِنَا وَلَا نَجِدُ فِي ثَدْيِي مَا يُعْذِيهِ وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يُعْذِيهِ فَقَدِمْنَا مَكَّةَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَّا امْرَأَةً إِلَّا وَقَدْ عَرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَبَاهُ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ يَتِيمٌ مِنَ الْأَبِ فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةً إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرَهُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قُلْتُ لِزَوْجِي إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبَاتِي وَلَيْسَ مَعِيَ رَضِيعٌ لِأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَاخُذْتُهُ .

قَدِمْتُ فَإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبٍ صَوْفٍ أبيضَ مِنَ اللَّبَنِ يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ رَاقِدًا عَلَى قَفَاهُ يَعْطُ قَاشِفَتْ أَنْ أَوْقِظُهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْدًا فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ نُورٌ حَتَّى

دَخَلَ حِلَالَ السَّمَاءِ وَأَنَا أَنْظَرُ فَقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَعْطَيْتُهُ نُذْيِي الْأَيْمَنِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَحَوَّلْتُهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدُ قَالَتْ فَرَوِي وَرَوِي أَخُوهُ ثُمَّ أَخَذْتُهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِثْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ نُذْيَايَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِي وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوِي فَقَامَ صَاحِبِي تُعْنِي زَوْجَهَا إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا بِهَا لِحَافِلٌ فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِينَا وَبِئْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ فَقَالَ صَاحِبِي يَا حَلِيمَةُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَزَالُ قَدْ أَخَذْتُ نَسَمَةَ مُبَارَكَةً أَلَمْ تَرِي مَا بِئْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ حِينَ أَخَذْنَاهُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا.

قَالَتْ حَلِيمَةُ فَوَدَّعْتُ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخَذْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَسَبَقْتُ دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدِ وَلَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجَدَبَ مِنْهَا وَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعًا لَبْنَا فَتَحْلِبُ وَتَشْرَبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ اسْرْحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةَ لَبَنٍ تَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعًا لَبْنَا، وَعَنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِكَ أَمَارَةً لِنُبُوتِكَ زَأَيْتُكَ فِي الْمَهْدِ تُنَاغِي الْقَمَرَ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِكَ فَحَيْثُ أَشْرْتَ إِلَيْهِ مَالَ قَالَ إِنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ وَيُحَدِّثُنِي وَيُلْهِبُنِي عَنِ الْبُكَاءِ وَأَسْمَعُ وَجِبْتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ.

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فِي أَوَائِلِ مَا وُلِدَ وَذَكَرَ ابْنُ سَبْعٍ أَنَّ مَهْدَهُ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُولَ مَا قَطَمَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا فَلَمَّا تَرَعَرَ كَانَ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ إِلَى الصُّبْيَانِ يَلْعَبُونَ فَيَجْتَنِبُهُمْ.

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْمَاءَ أُخْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّضَاعَةِ رَأَتْ غَمَامَةً تُظَلُّهُ إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ وَإِذَا سَارَ سَارَتْ أَيَّامَ كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشِبُّهُ الْعُلَمَانُ، قَالَتْ حَلِيمَةُ فَلَمَّا فَضَلْتُهُ قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مَكْتَبِهِ فِينَا لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا لَوْ تَرَكَتِيهِ عِنْدَنَا حَتَّى يَغْلُظَ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ وَلَمْ نَزَلْ حَتَّى رَدَّئَهُ مَعَنَا فَرَجَعْنَا بِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدِمَتِنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَعَ أَخِيهِ مِنْ

الرِّضَاعَةِ لَفِي بُوَيْتِنَا جَاءَ أَخُوهُ يَشْتَدُّ فَقَالَ ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ فَأَضْجَعَاهُ وَشَقًّا بَطْنَهُ قَالَتْ حَلِيمَةُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحْوَهُ فَتَجِدُهُ قَائِمًا مُتَتَبِعًا لَوْنُهُ فَاغْتَنَقَهُ أَبُوهُ فَقَالَ لَهُ أَيُّ بَنِي مَا سَأَلْتُكَ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ فَضَجَعَانِي فَشَقًّا بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنِّي شَيْئًا فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فَرَجَعْنَاهُ مَعَنَا فَقَالَ أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ حَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ابْنِي قَدْ أُصِيبَ فَاذْطَلِقِي بِنَا تَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا تَتَخَوَّفُ فَاخْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّهِ .

فَقَالَتْ مَا رَدُّكُمْ بِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ قُلْنَا نَحْشَى عَلَيْهِ الْأَثْلَافَ وَالْأَخْدَاتِ فَقَالَتْ مَا ذَاكَ بِكُمْ فَأَضْجَعَانِي سَأَلْتُمَا فَلَمْ تَدْعُنَا حَتَّى أَخْبَرْتَاهَا خَبْرَهُ قَالَتْ أَحْشَيْتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ كَلًّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ فَدَعَاهُ عَنْكُمْ، وَفِي حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرِ فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنٍ وَإِدْمَعُ أَثْرَابٍ لِي مِنَ الصُّبْيَانِ إِذْ نَأْنَا بَرَهْطٍ ثَلَاثَةَ مَعَهُمْ طَسْتُ مِنْ ذَهَبٍ مُلِيءٍ ثَلَجًا فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي وَأَنْطَلَقَ الصُّبْيَانُ هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ فَعَمِدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِدَلِكِ مَسًّا ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ فَأَتَعَمَّ غَسَلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا .

ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي وَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مِضْعَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمَنَّةٌ وَيَسْرَةٌ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فإِذَا بِحَاتِمِ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُّ النَّاطِرُ دُونَهُ فَحَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا وَذَلِكَ نُورُ الثُّبُوءِ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْحَاتِمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ فَأَمَرَ يَدَهُ بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِهْضَا لَطِيفًا ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ زِنَةُ بَعْسَرَةَ مِنْ أُمَّتِي فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنَةُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِي فَرَجَحْتُهُمْ .

ثُمَّ قَالَ زِنَةُ بِأَلْفٍ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ دَعُوهُ فَلَوْ وَرَثْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلَّهَا لَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ ضَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْي ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ لَمْ تُرْعِ إِنَّكَ لَوْ تَذَرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ . وَالْمُرَادُ بِالْوَزْنِ فِي قَوْلِهِ زِنَةُ بَعْسَرَةَ إِلَى آخِرِهِ الْوَزْنُ الْإِغْتِبَارِيُّ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالرُّجْحَانِ الرُّجْحَانُ فِي الْفَضْلِ ، وَقَدْ وَقَعَ شَقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ مَجِيءِ

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حَرَاءٍ وَمَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الْإِسْرَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ الشَّقُّ أَيْضًا وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ وَالْحِكْمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ فِي حَالِ صِبَاهُ وَاسْتِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ مِنْهُ تَطْهِيرُهُ عَنْ حَالَاتِ الصُّبَا حَتَّى يَتَّصِفَ فِي سِنِّ الصُّبَا بِأَوْصَافِ الرُّجُولِيَّةِ وَلِلذَلِكَ نَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ حُتِمَ بِحَاتِمِ الثُّبُوءِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يَتَمُّ وَمِسْكَ وَإِنَّهُ مِثْلُ زُرِّ الْحَجَلَةِ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ . قَالَ النَّوَوِيُّ الْحَجَلَةُ وَاحِدَةُ الْحَجَالِ وَهِيَ بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ لَهَا أَرْزَاقٌ وَعُرَى هَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ وَزُرُّهَا يَنْصُفُهَا ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ حَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ تَزُورُهُمْ وَمَعَهُ أُمُّ أَيْمَنَ فَنَزَلَتْ بِهِ دَارَ التَّابِعَةِ فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ أُمُورًا كَانَتْ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقَالَ هَا هُنَا نَزَلْتُ بِي أُمِّي وَأَحْسَنْتُ الْعَوْمَ فِي بَيْتِ بَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ هُوَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ فَوَعَيْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتْ بِالْأَبْوَاءِ تُوَفِّيتُ .

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ رَهْمٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ شَهِدْتُ آمِنَةَ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلِّيَّتِهَا الَّتِي مَاتَتْ بِهَا وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ يَقَعُ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَتَنَظَّرْتُ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَتْ أَبْيَاتٌ شِعْرِ ثُمَّ قَالَتْ كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ وَكُلُّ كَثِيرٍ يَفْتَى وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا وَوَلَدْتُ طَهْرًا ثُمَّ مَاتَتْ فَكُنَّا نَسْمَعُ نَوْحَ الْجَنِّ عَلَيْهَا .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ آمِنَةَ آمَنْتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْحِجُونَ كَثِيبًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَخْبَى لِي أُمِّي فَأَمَنْتُ بِي ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا إِخْيَاءُ أَبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَّا بِهِ أَوْرَدَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْحَطِيبُ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ إِنَّ فَضَائِلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى وَتَتَتَابَعُ إِلَى حِينٍ مَمَاتِهِ فَيَكُونُ هَذَا مِمَّا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَكْرَمَهُ قَالَ وَلَيْسَ إِخْيَاؤُهُمَا وَإِيمَانُهُمَا مُتَتَابِعًا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا فَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِخْيَاءَ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ وَكَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَيِّبِي الْمَوْتَى وَكَذَلِكَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَا اللَّهُ

عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَوْتَى ثَبَتَ هَذَا فَمَا يَمْتَنِعُ إِيمَانُهُمَا بَعْدَ إِخْيَابِهِمَا وَيَكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي إِنْ جَمِيعَ آبَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَزَلَّ أَنْقَلُ مِنْ أَضْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ، فَوَجِبَ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَجْدَادِهِ مُشْرِكًا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ بَنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدُّمَشْقِيُّ حَيْثُ قَالَ :

حَبَا اللَّهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَوْفًا
فَأَخِيَّ أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيْمَانٍ بِهِ فَضْلًا لَطِيفًا
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيمُ بِدَا قَدِيرٌ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا
وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ذَائِنَةُ وَحَاضِنَتُهُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا
أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، وَمَاتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَافِلُهُ وَلَهُ ثَمَانُ سِنِينَ عَنْ عَشْرِ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ
عَنْ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَفَلَهُ أَبُو طَالِبٍ وَأَسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَوْصَاهُ
بِذَلِكَ لِكُونِهِ شَقِيقَ عَبْدِ اللَّهِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَلْهَمَةَ بِنِ عُرْفُطَةَ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي قَحْطٍ فَقَالَتْ قُرَيْشُ
يَا أَبَا طَالِبٍ أَقْحَطَ الْوَادِي وَأَجْدَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمُّ فَاسْتَسْقِ فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ غُلَامٌ كَأَلُهُ
شَمْسٌ تَجَلَّتْ عَنْهَا سَحَابَةٌ وَحَوْلَهُ أُغْيَلِيمَةٌ فَأَخَذَهُ أَبُو طَالِبٍ فَالْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ وَلَاذَ الْغُلَامُ
يِيضِبِعِهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَرَعَةٌ فَأَقْبَلَ السَّحَابُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَأَغْدَقَ وَأَغْدَوْدَقَ وَانْفَجَرَ لَهُ
الْوَادِي وَأَخْضَبَ النَّادِي وَالْبَادِي وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
وَالثَّمَالُ بِالْكَسْرِ الْمَلْجَأُ وَعِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الضِّيَاعِ وَالْأَرَامِلُ الْمَسَاكِينُ مِنْ
رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَاسْتِعْمَالُهُ بِالنِّسَاءِ أَكْثَرُ ، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ حَتَّى بَلَغَ بُضْرَى فَرَأَهُ بِحَيْرَا الرَّاهِبُ وَأَسْمُهُ جِرْجِسُ
فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ هَذَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقِيلَ لَهُ وَمَا
عِلْمُكَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا
يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلٍ مِنْ غُضْرُوفِ كَيْفِهِ مِثْلَ الثُّفَاخَةِ وَإِنَّا نَعْبُدُهُ
فِي كُتُبِنَا وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَقْبَلَ سَبْعَةً مِنَ الرُّومِ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ

عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ بِحَيْرَا فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ قَالُوا إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشُّهُرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهَا بِأَنَاسٍ فَقَالَ أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ قَالُوا لَا قَالَ فَبَايَعُوهُ فَأَقَامُوا مَعَهُ وَرَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ بَحِيرَا رَأَى وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرُّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَعَمَامَةٌ بَيْضَاءُ تَظْلُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ فَتَنَظَّرَ إِلَى الْعَمَامَةِ حِينَ أَظْلَتِ الشَّجَرَةُ وَتَهَصَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا وَأَنَّ بَحِيرَا قَامَ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ وَيُخْبِرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ وَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُمْ يُرِيدُونَ الشَّامَ فِي تِجَارَةٍ حَتَّى نَزَلَا مِثْرًا فِيهِ سِدْرَةٌ قَعَدَ فِي ظِلِّهَا وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ هَذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ مَا اسْتَظَلَّ تَحْتِ ظِلِّهَا بَعْدَ عَيْسَى إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ التَّصَدِيقُ فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ عَلَامٌ خَدِيدَةٌ بِنْتُهُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فِي تِجَارَةٍ لَهَا حَتَّى بَلَغَ سُوقَ بُضْرَى وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَتَنَزَّلَ تَحْتِ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبِ مَا نَزَلَ تَحْتِ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ بَعْدَ عَيْسَى إِلَّا نَبِيٌّ وَكَانَ مَيْسِرَةٌ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ مَلَكَئِينَ يُظْلَأْنِهِ مِنَ الشَّمْسِ وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فِي وَقْتِ الظُّهَيْرَةِ وَخَدِيدَةٌ فِي عِلِّيَّةِ لَهَا فَرَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ وَمَلَكَانِ يُظْلَأْنِ عَلَيْهِ وَتَرَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَسَنَةٌ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَقِيلَ ثَلَاثُونَ وَكَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ وَكَانَتْ تَحْتِ أَبِي هَالَةَ بْنِ زَرَّارَةَ التَّمِيمِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدًا وَهَالَةَ وَهَمَّا ذَكَرَانِ ثُمَّ تَرَوَّجَهَا عَتِيقُ بْنُ عَائِدِ الْمَخْزُومِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدًا وَكَانَ لَهَا حِينَ تَرَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى .

وَكَانَتْ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ حَمْرَةٌ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحَضَرَ أَبُو طَالِبٍ وَرُؤَسَاءُ مُضَرَ فَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَرَزَقَ إِسْمَاعِيلَ وَضِئِضِيءٍ مَعَدَّ وَعُنْصُرٍ مُضَرَ وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ وَسُوَاسَ حَرَمِهِ وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا آمِنًا وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَبَدَّلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا وَهُوَ وَاللَّهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرَ جَلِيلٌ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا خُوَيْلِدٌ وَكَانَ الصَّدَاقُ ثِنْتِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشَا وَالْأَوْقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَالتَّشُّ نِصْفُ أَوْقِيَّةٍ وَالضُّضِيءُ الْأَضْلُ وَكَذَا الْعُنْصُرُ.

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَنَتْ قُرَيْشُ الْكَعْبَةَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ وَكَانُوا يَضْعُونَ أَرْزُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَ مِنْ قِيَامٍ وَتُوْدِي عَوْرَتِكَ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تُوْدِي فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ أَوْ الْعَبَّاسُ يَا بَنَ أَخِي اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَأْسِكَ فَقَالَ مَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا مِنَ التَّعْرِي، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَسُولًا إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ أَجْمَعِينَ وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّغْيِيرِ حَدِيثَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلْتِ الصُّبْحِ وَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنُّتُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتَزُوْدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمْلُونِي زَمْلُونِي فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي

وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى تَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيئَةَ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أُخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيِ ابْنِ عَمِّ اسْمَعِ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ .

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُخْرِجِي هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْضُرَكَ نَضْرًا مُؤَزَّرًا .

ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوقِي وَفَتَرَ الْوَحْيَ فَنَزَّ حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلَّمَا أَوْقَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِيَذَلِكَ جَاشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَنَزَّ الْوَحْيَ غَدَا لِيَمِثِلَ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْقَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ أَيُّ أَيُّيَ فَلَأَأَفْرَأُ الْكُتُبَ وَقَوْلُهُ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ هِيَ جَمْعُ بَادِرَةٍ وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْمَنْكَبِ وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا الضَّمِيرُ لِلنُّبُوَّةِ أَيُّ لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًا عِنْدَ ظُهُورِهَا حَتَّى أَبَالِغَ فِي نَضْرَتِهَا .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ فَيَلْتَمِسُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَهِيَ تُحْيِيهِ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ جَاوَزْتُ بِحِجْرَاءِ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيَتْ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَلَمْ أَتُبَّثْ لَهُ فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثْرُونِي دَثْرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا فَتَرَلْتُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ﴾ [المدثر: ١] الْآيَةَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ وَرَقَةَ قَالَ لَهُ أَبَشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْثَمَ وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَادِلٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ وَنَزَلَ عَلَى آدَمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَعَلَى إِدْرِيسَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَعَلَى نُوحٍ خَمْسِينَ مَرَّةً وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً وَعَلَى مُوسَى أَرْبَعِمِائَةَ مَرَّةً وَعَلَى عِيسَى عَشَرَ مَرَّاتٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ تَبَدَّى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رَائِحَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يُفَرِّئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ أَنْتَ رَسُولِي إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ فَادْعُهُمْ إِلَى قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ فَتَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَقَامَ جِبْرِيلُ يُصَلِّي وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ فَعَلِمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا مَدْرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَتَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْبَرَهَا فَعَشِيَتْ عَلَيْهَا مِنْ الْفَرَحِ ثُمَّ أَمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وَصَلَّى بِهَا كَمَا صَلَّى بِهِ جِبْرِيلُ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ فَرَضِهَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَاهَا فِي السَّفَرِ كَذَلِكَ وَأَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الشُّعْبِيِّ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقُرِنَ بِنُبُوتِهِ إِسْرَائِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قُرِنَ بِنُبُوتِهِ جِبْرِيلُ فَتَزَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً رَوَاهُ النَّبْهَقِيُّ وَعَظِيمُهُ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيُّ مِنْ جُمْلَةٍ مَا سَاقَهُ أَنْ نُبُوتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى رِسَالَتِهِ فَكَانَ فِي نُزُولِ سُورَةِ اقْرَأْ نُبُوتُهُ وَفِي نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ إِزْسَالُهُ بِالْعَدَارَةِ وَالْبِشَارَةِ وَالتَّشْرِيحِ وَهَذَا قَطْعًا مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ صَدِيقَةَ النِّسَاءِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَامَتْ بِأَعْبَاءِ الصَّدِيقِيَّةِ قَالَتْ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ أَبَشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا، وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ آمَنَ بِغَدَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَزَرَهُ فِي اللَّهِ، وَأَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَسِنَّهُ عَشْرُ سِنِينَ.

وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَمِنَ الْعَبِيدِ بِلَالٌ، ثُمَّ أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِدُعَاءِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ فَأَسْلَمُوا وَصَلُّوا ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَأَبُو سَلَمَةَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَنْفُسٍ وَالْأَزْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَزْقَمِ الْمَخْزُومِيُّ وَعُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونِ الْجُنْمِي وَأَخَوَاهُ قَدَامَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَأَمْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَطَّابِ، وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجِ الْعَبَّاسِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَ بِهِ أَيْ يُوَاجِهَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا حَتَّى نَزَلَتْ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94] فَجَهَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَالُوا وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مِنَ النَّبُوءَةِ وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي أَخْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ فِيهَا إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِهِ فَتَادَى قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَبْعُدْ قَوْمَهُ وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا فَأَجْمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَحَدِبَ عَلَيْهِ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنَعَهُ مِنْهُمْ وَقَامَ دُونَهُ فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَتَضَارَبَ الْقَوْمُ وَأَظْهَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْعَدَاوَةِ وَتَدَامَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنِ دِينِهِمْ وَمَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ غَيْرِ أَبِي لَهَبٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فِي مَنَازِلِهِمْ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا دِينَ آبَائِكُمْ.

وَرَمَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِالسُّحْرِ وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَذَنَهُ قُرَيْشٌ وَرَمَوْهُ بِالسُّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجُنُونِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَجْعَلُ الدَّمَ عَلَى بَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَطِيءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رَقَبَتِهِ الشَّرِيفَةَ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى كَادَتْ عَيْنَاهُ تَبْرُزَانِ وَخَنَقُوهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ دُونَهُ فَجَذَبُوا رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ حَتَّى سَقَطَ أَكْثَرُ شَعْرِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَّ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ وَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمَعَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمَدُ

إِلَى قَرْيَتِهَا وَدَمِيهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمَهِّلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَأَنْبَعَتْ أَشْفَاهُمْ
فَلَمَّا سَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَتَبَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا
فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُوَيْرِيَّةُ
فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَتَبَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ
فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثُمَّ سَمَى فَقَالَ
اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُقْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ
وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَخَى يَوْمَ
بَدْرٍ ثُمَّ سَجَّوْا إِلَى الْقَلَيْبِ قَلَيْبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَيْعَ أَصْحَابِ
الْقَلَيْبِ لَعْنَةً وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ لَمْ يُصْرَخْ فِي بَدْرٍ وَإِنَّمَا قُتِلَ
صَبْرًا بَعْدَ أَنْ رَحَلُوا عَنْ بَدْرٍ مَرْحَلَةً وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ لَمْ يُطْرَخْ فِي الْقَلَيْبِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ
هَلَكَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

ثُمَّ أَسْلَمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَعَزُّ قَتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدُّهُ شَكِيمَةً سَنَةَ سِتِّ فَعَزُّ
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمُتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ قَلِيلًا، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا فَتَحْنُ نُسُودَكَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلِكْنَاكَ عَلَيْنَا
وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِيًّا أُنِي جِنًّا قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ بَدَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطُّبِّ لَكَ حَتَّى
تُبْرِتَكَ مِنْهُ أَوْ نُعَذِّرَ فِيكَ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بِي مَا تَقُولُونَ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي
رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ
لَكُمْ فَإِنْ تَقَبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ
اللَّهِ حَتَّى يَخُكَّمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ذَهَبَا إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَسَأَلَاهُمْ عَنْهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُمَا سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةِ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَإِنْ لَمْ
يُجِبْ فَهُوَ مُتَقَوْلٌ سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ وَعَنْ رَجُلٍ طَوَافٍ وَعَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا وَهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَذَكَرَ الرَّجُلِ الطَّوَافِ وَهُوَ دُو
الْقُرْتَانِ وَقَالَ فِي الرُّوحِ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
حَقِيقَةِ الرُّوحِ بَلْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ وَقَدْ قَالُوا فِي عِلْمِ السَّاعَةِ نَحْوُ
هَذَا قَالَهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ الْإِيمَانُ أَقْبَلَ كُفَارُ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ آمَنَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيُؤْذُونَهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ حَتَّى أَنَّهُ مَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ بِسَمِيَّةَ أُمَّ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهِيَ تَعْدَبُ فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهَا، وَكَانَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَبِيدِ يُعَذِّبُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ مِنْهُمْ بِلَالٌ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَعَزَّ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَارٌ وَأُمُّهُ سَمِيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ وَإِنَّ بِلَالَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ.

ثُمَّ أُذِنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ النَّبُوءَةِ فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاسٌ ذُرُوعِدٍ مِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعِ نِسْوَةٍ وَأَمِيرُهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مَعَ امْرَأَتِهِ رُقَيْةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبْرُهُمَا فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِيهِ بَعْدَ لُوطٍ، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ اسْتِقْرَارَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ وَأَمْنَهُمْ أَرْسَلُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بِهَدَايَا وَتُحْفٍ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ وَكَانَ مَعَهُمَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيُرِدُّوهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَبَى ذَلِكَ وَرَدَّهُمَا خَائِبِينَ بِهَدْيَيْهِمَا.

وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِيمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ يَدْعُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ بِضِعْفَةِ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ اسْتَبَشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلَامِ عُمَرَ.

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ عِزَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ وَإِسْلَامَ عُمَرَ وَعِزَّةَ أَصْحَابِهِ بِالْحَبَشَةِ وَفُشُوَ الْإِسْلَامُ فِي الْقَبَائِلِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا طَالِبٍ فَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَدْخَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شِعْبَهُمْ وَمَنْعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ وَأَجَابَهُ لِذَلِكَ حَتَّى كُفَّارُهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ حَمِيَّةً فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا وَاتَّخَمُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَنْكِحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا أَبَدًا حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقَتْلِ وَكَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ بِحِطِّ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ فَشَلَّتْ يَدُهُ وَعَلَقَتْ الصَّحِيفَةُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ هِلَالَ الْمُحْرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الثُّبُوءِ فَانْحَارَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ إِلَّا أَبَا لَهَبٍ فَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سِتِّينَ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى جُهِدُوا وَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ سُورَةَ النُّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ مَنْ فِي الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ نَفَرٌ مِنْهُمْ لِيُظَنِّهِمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ وَصَلُّوا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ آمَنَ الْمُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ فَأَقْبَلُوا سِرَاعًا مِنَ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَعِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً وَكَانَ مَعَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ ثُمَّ تُوُفِّيَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ.

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ بِالْحَبَشَةِ، ثُمَّ قَامَ رِجَالٌ فِي نَقِضِ الصَّحِيفَةِ فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ أَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالظُّلْمِ فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ فَلَمَّا أَنْزَلَتْ لِتَمْزُقَ وَجَدَتْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَلَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

وَحُكِّيَ عَنِ هِشَامِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَمَعَ إِلَيْهِ وَجُوهَ قُرَيْشٍ فَأَوْصَاهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى أَنْ قَالَ وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أَوْصِيكُمْ بِهِ وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرِ قَبْلَهُ الْجَنَانُ وَأَنْكَرَهُ اللَّسَادُ مَخَافَةَ الشَّنَانِ وَإِنَّمِ اللَّهُ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْوَبْرِ وَالْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا

كَلِمَتَهُ وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ فَخَاصَ بِهِمْ عَمَرَاتِ الْمَوْتِ فَصَارَتْ رُؤْسَاءَ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا
وَدُورُهَا خَرَابًا وَضَعْفَاؤُهَا أَرْبَابًا وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَخْطَاهُمْ عِنْدَهُ
قَدْ مَحَضَّتْهُ الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ كُونُوا لَهُ وَلاَةَ
وَلِجْزِيهِ حُمَاةَ وَاللَّهِ لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشَدٌ وَلاَ يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ إِلَّا سَعِيدٌ وَلَوْ كَانَ لِتَفْسِي
مُدَّةً وَلاَ جَلِي تَأْخِيرٍ لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ ثُمَّ هَلَكَ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقِيلَ بِخَمْسَةِ فِي رَمَضَانَ بَعْدَ الْبُعْثِ بِعَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ
مَاتَتْ حَدِيدِجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ
الْحُزْنِ وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى الصَّحِيحِ ثُمَّ
بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ مَوْتِ حَدِيدِجَةَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ
خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ مَعَهُ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يَدْعُو أَشْرَافَ ثَقِيفٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَأَعْرَوْا بِهِ
سُفَهَاءَهُمْ وَعَعِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَرَمَوْا عَرَاقِيْبَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اخْتَضَبَتْ نَعْلَاهُ بِالِدَّمَاءِ وَكَانَ إِذَا
أَزْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ قَعَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْخُذُونَ بِعَضُدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقِيْمُونَهُ فَإِذَا مَسَى
رَجَمُوهُ وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقِيَ شُجَّ فِي رَأْسِهِ شِجَاجًا .

وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا
لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ فَلَمْ يُجِيبِي إِلَى مَا
أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا
بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي فَانْظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ
قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا بِهِ عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ
فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ
وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ وَهُمَا جِبَلَانِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَزْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَضْلَابِهِمْ مَنْ يَغْبُدُ اللَّهَ
وَخَدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ . وَلَمَّا
انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَتَيْ رَبِيعَةَ وَهُمَا فِي
حَائِطٍ لَهُمَا فَلَمَّا رَأَى مَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا فَبَعَثَا لَهُ مَعَ عَدَّاسِ النَّضْرَانِيِّ غُلَامِيهِمَا قَطَفَ

عَنبٍ فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الْقَطْفِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ أَكَلَ
فَتَنَظَّرَ عَدَّاسٌ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ قَالَ نَضْرَانِيٌّ مِنْ بَنِي نِيْنَوَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرِيْبَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ قَالَ ذَلِكَ أَخِي وَهُوَ نَبِيٌّ
مِثْلِي فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى يَدَيْهِ وَرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ يُقْبَلُهَا وَأَسْلَمَ، وَلَمَّا نَزَلَ نَحْلَةً وَهُوَ مُوَضِعٌ عَلَى
لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ صُرِفَ إِلَيْهِ سَبْعَةٌ مِنْ جُنِّ نَصِيْبِيْنَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَامَ فِي جَوْفِ
الْأَيْلِ يُصَلِّي فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْجِنِّ وَالَّذِي آذَنَهُ بِهِمْ شَجْرَةٌ.

وَفِي طَرِيقِهِ هَذِهِ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ
قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ رَبُّ
الْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى مَنْ تَكَلِّمُنِي إِلَى عَدُوِّ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى صَدِيقٍ قَرِيبٍ مَلَكَتَهُ أَمْرِي إِنْ لَمْ
تَكُنْ غَضْبَانًا عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ
السَّمَوَاتُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضْبُكَ أَوْ يَجِلَّ
بِي سَخَطُكَ وَلَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ثُمَّ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ.

وَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْظَةً مِنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى فَوْقِ سَبْعِ
سَمَوَاتٍ وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَقَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ثُمَّ
انصَرَفَ فِي لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ فَصَدَّقَهُ الصَّدِيقُ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَكَذَّبَهُ الْكُفَّارُ
وَاسْتَوْصَفُوهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَمَثَلَهُ اللَّهُ لَهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَصِفُهُ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْبُعْثِ بِخَمْسِ
سِنِينَ وَقِيلَ كَانَ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَاخْتَارَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَقْدِسِيُّ وَقِيلَ
لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَقِيلَ لَيْلَةَ السَّبْتِ.

هَذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ الْأَنْصَارَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ
كَمَا كَانَ يُضَعُّ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا
فَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَفَرْنَا مِنَ الْخَزْرَجِ قَالَ أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلْمَكُمْ قَالُوا بَلَى فَجَلَسُوا مَعَهُ
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ يَهْتَدِيَ الْيَهُودَ

كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَكَانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا إِنَّ نَبِيًّا سَيُبْعَثُ فَقَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ تَتَّبِعُهُ فَتَقَاتَلْتُمْ مَعَهُ فَلَمَّا كَلَّمَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفُوا النَّعْتُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا تَسْبِقْنَا الْيَهُودَ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ نَفَرٍ وَهُمْ أَبُو أَمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ وَرَافِعُ ابْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَقُطَيْبَةُ ابْنُ عَامِرِ بْنِ حُدَيْدَةَ وَعَقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِيٍّ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَابٍ .

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْتَعُونَ ظَهْرِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ بُعِثَتْ عَامَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِنَا افْتَتَلْنَا بِهِ فَإِنْ تَقَدَّمَ وَنَحْنُ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ لَنَا عَلَيْكَ اجْتِمَاعٌ فَدَعَانَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى عَشَائِرِنَا لَعَلَّ اللَّهَ يُضْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا وَتَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَيْكَ فَإِنْ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْكَ وَاتَّبَعُوكَ فَلَا أَحَدٌ أَعَزُّ مِنْكَ وَمَوْعِدُكَ الْمَوْسِمُ الْعَامَ الْقَابِلَ وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ لَقِيَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَهِيَ الْعَقْبَةُ الثَّانِيَّةُ فَأَسْلَمُوا فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السُّنَّةِ الْمَذْكُورِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَابٍ وَالسَّبْعَةُ تَتِمَّةُ الْإِثْنِي عَشَرَ هُمْ مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ أَخُو عَوْفِ الْمَذْكُورِ قَبْلًا وَدُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ الزُّرْقِيِّ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْبَلَوِيِّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ نَضَلَةَ وَهُؤُلَاءِ مِنَ الْخَزْرَجِ وَمِنَ الْأَوْسِ رَجُلَانِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَعَوْفِيُّ بْنُ سَاعِدَةَ .

فَأَسْلَمُوا وَبَاتِعُوا عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ أَيُّ وَفِي بَيْعَتِهِنَّ الَّتِي أَنْزَلْتَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهِيَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تُسْرِقَ وَلَا تُزْنِيَ وَلَا تُقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَاتِي بِيُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشِطِ وَالْمَكْرَهِ وَأُثْرَتِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا تُتَارَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ حَيْثُ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَمَنْ عَشِيَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ وَإِنْ شَاءَ عَقَا عَنْهُ وَلَمْ يُفْرَضْ يَوْمَئِذٍ الْقِتَالُ ثُمَّ انصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَجْمَعُ بِالْمَدِينَةِ بِمَنْ أَسْلَمَ وَكَتَبَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْعَثْ إِلَيْنَا مَنْ يُفَرِّئُنَا الْقُرْآنَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ خَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا جَمِيعُ بَنِي

عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي يَوْمِ وَاحِدِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَاشَا الْأَصِيرِمَ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشِ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أَحَدٍ فَأَسْلَمَ وَاسْتَشْهَدَ وَلَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ مُتَافِقٌ وَلَا مُتَافِقَةٌ بَلْ كَانُوا كُلُّهُمْ حَتَفَاءَ مُخْلِصِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّلَاثَةِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْحِجَّةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التُّشْرِيقِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ وَقَالَ الْحَاكِمُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ نَفْسًا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْمُبَايَعَةِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَيُقَالُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ عَلَى أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَعَلَى حَزْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فَتَقَبَّ عَلَيْهِمُ اثْنِي عَشَرَ نَقِيًّا .

وَمَكَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمَنَى وَغَيْرِهَا يَقُولُ مَنْ يُؤْرِيَنِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الْأَنْصَارَ وَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجُوا أَرْسَالًا وَأَقَامَ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا تَبِثْ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَى فِرَاشِكَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اجْتَسَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْضُدُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَبُيِّبُوا عَلَيْهِ فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَنَامَ مَكَانَهُ وَعُطِيَ بِبُرْدٍ أَخْضَرَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ فِي اللَّهِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَنَثَرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كُلِّهِمْ تُرَابًا كَانَ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَنْلُو قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَس﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] ثُمَّ انصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَرَادَ فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ هَهُنَا قَالُوا مُحَمَّدًا قَالَ قَدْ خَيَّبَكُمُ اللَّهُ قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا وَانطَلَقَ لِحَاجَتِهِ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا وَفِي هَذِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُغْشِيوكَ أَوْ يُفْشَلوكَ أَوْ يُخْرِجوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] أَمْ

ثُمَّ إِذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَشَرَّفَ بِهِ الْمَكَانَ كَمَا تَشَرَّفَ بِهِ الزَّمَانُ
وَلَمَّا هَاجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا شَرَفَتْ بِهِ حَتَّى وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ
الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الْكَرِيمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ لِإِهْلَالِ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يَسْتَضْحِبَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيًّا بِمَخْرَجِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَائِعَ الَّتِي
كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ وَأَتَى دَارَ أَبِي بَكْرٍ مُسْتَخْفِيًا فَاسْتَضْحَبَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ فَأَبَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالثَّمَنِ لِيَسْتَكْمِلَ فَضْلَ الْهِجْرَةِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ وَجَهْزَتَاهُمَا أَحَبَّ الْجِهَارِ ثُمَّ لِحِقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارِ
ثَوْرٍ وَهُوَ جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ وَنَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خُرُوجِهِ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ وَاللَّهِ
إِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنْ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ
مَا خَرَجْتُ وَلَمَّا فَقَدْتُ قُرَيْشَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبُوهُ بِمَكَّةَ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا
وَبَعَثُوا الْقَافَةَ أَثْرَهُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ وَجَعَلُوا مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ وَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَى
بَابِ الْغَارِ شَجْرَةَ أُمِّ غَيْلَانَ وَأَمَرَ الْعَنْكَبُوتَ فَتَسَجَّتْ عَلَى وَجْهِ الْغَارِ وَأَرْسَلَ حِمَامَتَيْنِ
وَحَشِيئَتَيْنِ فَوَقَفَتَا عَلَى وَجْهِ الْغَارِ وَحَمَامُ الْحَرَمِ مِنْ نَسْلِ تَيْنِكَ الْحِمَامَتَيْنِ وَأَقْبَلَ فَيْثَانُ قُرَيْشَ
مِنْ كُلِّ بَطْنٍ حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهُمُ الْغَارَ وَصَدَّهُمْ وَجُودُ الْحِمَامَتَيْنِ وَقَالَ أَحَدُهُمْ ادْخُلُوا الْغَارَ
فَقَالَ أُمِيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ إِنَّ فِيهِ لَعَنْكَبُوتًا أَقْدَمَ مِنْ مِيلَادِ مُحَمَّدٍ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْحِمَامَتَيْنِ بَاضَتَا فِي أَسْفَلِ الثَّقَبِ وَتَسَجَّ الْعَنْكَبُوتُ فَقَالُوا لَوْ دَخَلْنَا لَتَكَسَّرَ
الْبَيْضُ وَتَفْسَخَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْإِعْجَازِ مِنْ مُقَاوَمَةِ الْقَوْمِ بِالْجُنُودِ وَرُوِيَ أَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ فَعَمِيَتْ عَنْ دُخُولِ الْغَارِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ
حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ
إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَأَانَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ وَقَدْ
تَقَطَّرَتَا دَمًا فَاسْتَبْكَيْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَ الْحَفَاءَ
وَالجَفْوَةَ وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ الْغَارَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقِيَهُ بِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ رَأَى
جُحْرًا فِيهِ فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ لِثَلَاثٍ يَخْرُجُ مِنْهُ مَا يُؤَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ وَنَامَ فَلَدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ

مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَالِكُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ لِدُعْتِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَقَلَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ، وَرَوِي أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْقَافَةَ اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتِ هَلَكَتِ الْأُمَّةُ فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» يَعْنِي بِالْمَعُونَةِ وَالنُّصْرَةِ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» وَهِيَ أَمَنَةٌ تَسْكُنُ عِنْدَهَا الْقُلُوبُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْزَعِجًا «وَأَيْدُهُ» يَعْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا» يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ لِيَحْرُسُوهُ فِي الْعَارِ وَلِيَنْصُرُوهُ وَأَبْصَارُهُمْ عَنِ رُؤْيِيهِ.

وَمَكَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْعَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَكَانَ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ قَيْدِيحٌ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحْرِ فَيُضْبِحُ بِمَكَّةَ فَجَحِينٌ يَخْتَلِطُ الظُّلَامَ يَأْتِيهِمَا بِخَبْرٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَيَبْرُوحُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْنِمَ فَيَكْتَفِيَانِ مِنْ لَبَنٍهَا وَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَرْيَظِطِ دَلِيلًا وَهُوَ كَافِرٌ وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ إِسْلَامًا فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا هُوَ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ عَلَى طَرِيقِ السَّوَاجِلِ فَمَرُّوا بِقُدَيْدٍ عَلَى أُمِّ مَعْبِدٍ عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدِ الْخُزَاعِيِّهِ فَطَلَبُوا لَبَنًا أَوْ لَحْمًا يَشْتَرُونَهُ مِنْهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا فَتَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ خَلْفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْعَنَمِ فَسَأَلَهَا هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ فَقَالَتْ هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَخْلُبَهَا.

فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاخْلُبَهَا فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاعْتَقَلَهَا وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُشْبِعُ الْجَمَاعَةَ فَحَلَبَ فِيهِ وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى رَوَوْا ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَلًا بَعْدَ نَهْلِ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوا فَمَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ أَعْنَزًا عِجَافًا فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ وَقَالَ مَا هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ قَالَتْ إِنَّهُ مَرٌّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ صَفِيهِ فَوَصَفْتُهُ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ فَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ لَوْ رَأَيْتَهُ لَاتَّبَعْتُهُ وَبَقِيَتْ هَذِهِ الشَّاةُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُحَلَبُ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

ثُمَّ تَعَرَّضَ لِهَمَّا بِقُدَيْدٍ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِجِيِّ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُنِينَا قَالَ كَلَّا وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعَوَاتٍ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ وَطَلَبَ الْأَمَانَ فَقَالَ أَعْلَمُ أَنْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوا لِي وَلَكُمْ مَا أَنْ أَرُدُّ النَّاسَ عَنْكُمْ وَلَا أَضْرُكُمْ قَالَ فَوْقًا لِي فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا خَبَرَ مَا يُرِيدُهُ بِهِمَا النَّاسُ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمَا الزَّادَ

وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَزْرَأِي وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتَاَزَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بَعْدَ يَزْعَى غَنَمًا فَاسْتَسْقِيَاهُ اللَّبَنَ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَاءَةٌ تَحْلُبُ غَيْرَ أَنْ هُهُنَا عَنَّا قَا حَمَلْتِ عَامَ أَوَّلٍ وَمَا بَقِيَ بِهَا لَبَنٌ فَقَالَ ادْعُ بِهَا قَاتِي بِهَا وَحَلَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَأَسْلَمَ الرَّاعِي.

وَلَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أَطْمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبْيَضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ نَفْسَهُ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا بَنِي قَيْلَةَ يَغِيبي الأوسَ وَالخزرجَ هَذَا جَدُّكُمْ أَيُّ حَظِّكُمْ وَمَطْلُوبُكُمْ قَدْ أَقْبَلَ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ سِرَاعًا بِسِلَاحِهِمْ فَتَلَقَّوهُ فَنَزَلَ بِقَبَاءِ عَلَى بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبَاءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَأَذْرَكَتُهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّاهَا بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مِائَةٌ وَرَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ فَيَقُولُ خَلُّوا سَبِيلَهَا يَغِيبي نَاقَتَهُ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَقَدْ أَرَحَى زَمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَوْمئِذٍ مَرِيدٌ تَمْرٍ لِسَهْلٍ وَسَهْلِيلِ ابْنِي رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو وَهُمَا يَتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ثُمَّ سَارَتْ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ وَبَرَكَتْ فِي مَبْرِكِهَا الْأَوَّلِ وَأَلْقَتْ جِرَانِهَا أَيُّ بَاطِنِ عُنُقِهَا بِالْأَرْضِ وَأَرْزَمَتْ أَيُّ صَوْتَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهَا وَنَزَلَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ هَذَا الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَكَانَتْ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ أَوْسَطَ دُورِ الْأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ وَصَعِدَتْ دَوَاتُ الْخُدُورِ عَلَى الْأَجَاجِيرِ عِنْدَ قُدُومِهِ يَقْلُنُ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
 وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا إِلَيْهِ دَاعِي
 وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا لَمَّا بَرَكَتِ الثَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ خَرَجَ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ
 بِالذُّفُوفِ يَقْلَنَ :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبِيبًا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ
 فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَحْبِبُنِي قُلْنَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ، قَالَ الطَّبْرِيُّ وَتَفَرَّقَ الْعِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطَّرِيقِ يُتَادُونَ جَاءَ مُحَمَّدٌ
 جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ
 الْمَسْجِدِ قَالَ يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِثُونِي بِحَائِطِكُمْ قَالُوا لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَأَبَى ذَلِكَ
 وَابْتَاعَهَا بِعَشْرَةِ دَنَانِيرَ أَذَاهَا مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ بِمَالِهِ
 كُلِّهِ، وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّخَاذِ اللَّبَنِ فَاتَّخَذَ وَبُنِيَ الْمَسْجِدُ وَسُقِفَ بِالْجَرِيدِ وَجُعِلَتْ
 عُمْدُهُ خَشَبَ النَّخْلِ وَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي
 بَنَائِهِ وَيَقُولُ وَهَمَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ :

هَذَا الْجِمَالُ لَا جِمَالَ حَيْبَرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرَ
 اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْأَخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ
 وَجُعِلَتْ قِبْلَةُ الْمَسْجِدِ لِلْقُدْسِ وَجُعِلَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ فِي مُؤَخَّرِهِ وَبَابٌ يُقَالُ لَهُ
 بَابُ الرَّحْمَةِ وَالبَابُ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ وَجُعِلَ طُولُهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخَّرِهِ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَفِي
 الْجَانِبَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ وَجُعِلَ أَسَاسُهُ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ أذْرُعٍ وَبُنِيَ بُيُوتًا إِلَى جَنْبِهِ بِاللَّبَنِ
 وَسَقَفَهَا بِجُدُوعِ النَّخْلِ وَالْجَرِيدِ فَلَمَّا فَرِعَ مِنَ الْبِنَاءِ بَنَى لِعَائِشَةَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ شَارِعًا إِلَى
 الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ سُودَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَخْرَ الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ تَحَوَّلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ إِلَى مَسَاكِينِهِ الَّتِي بَنَاهَا وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعَ مَوْلَاهُ فَقَدِمَا
 بِفَاطِمَةَ وَأُمَّ كُلثُومٍ وَسُودَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأُمَّ أَيْمَنَ وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
 مَعَهُمْ بِعِيَالِ أَبِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جِذْعٍ فِي الْمَسْجِدِ قَائِمًا فَقَالَ إِنَّ
 الْقِيَامَ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَصْنِعَ لَهُ الْمِنْبَرَ وَسَتَّأْتِي قِصَّةُ حَيْنِ الْجِذْعِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ
 الْمُعْجَزَاتِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ قُدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُمْسَةِ أَشْهُرٍ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَبَنِي بَعَاثِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي سُؤَالِ عَلِيٍّ رَأْسِ ثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ شَهْرًا، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَنَصَبَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ الْعَدَاوَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْيًا وَحَسَدًا وَانْصَافَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ مُنَافِقُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشُّرْكِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوبِ رَأْسِ الْمُتَافِقِينَ وَقَهَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ.

وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِتَالِ قَالَ الزُّهْرِيُّ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْإِذْنِ بِالْقِتَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُعُوثَ وَالسَّرَايَا وَغَزَا وَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَأَفْوَاجًا وَكَانَ عَدَدُ مَغَازِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ بَدْرَ وَأُحُدَ وَالْمَرْيَسِيَّةَ وَالْحَنْدَقَ وَقَرْيَةَ وَخَيْبَرَ وَفَتْحَ مَكَّةَ وَحُنَيْنَ وَالطَّائِفَ وَسَرِيَّاتِهِ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً أُولَاهَا (سَرِيَّةُ عَمِّهِ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجُوا يَعْتَرِضُونَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فَلَمْ يَفْعَ حَرْبٌ ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ) إِلَى بَطْنِ رَابِعٍ فِي سِتِّينَ رَجُلًا يَلْقَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي مِائَتَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ثُمَّ (سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) إِلَى الْخَزَّارِ وَادٍ بِالْحِجَازِ فِي عِشْرِينَ رَجُلًا يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فَوَجَدُوهَا قَدْ مَرَّتْ بِالْأَنْسِ.

غَزْوَةُ وَدَانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ وَدَانَ وَهِيَ الْأَبْوَاءُ وَهِيَ أَوَّلُ مَغَازِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ يُرِيدُ قُرَيْشًا فِي سِتِّينَ رَجُلًا وَحَمَلَ اللَّوَاءَ حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عَبْدِ الْوَادِعِ أَيَّ الْمُصَالِحَةَ عَلَى أَنْ بَنِي ضَمْرَةَ لَا يَغْزُونَهُ وَلَا يُكَيِّرُونَ عَلَيْهِ جَمْعًا وَلَا يُعِينُونَ عَدُوًّا.

غَزْوَةُ بَوَاطِ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَوَاطِ وَهِيَ الثَّانِيَّةُ غَزَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهِمْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا أَيْ حَرْبًا.

غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ

ثُمَّ غَزَا الْعُشَيْرَةَ وَهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُذَلِجٍ يَتَّبِعُ خَرَجَ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُمَادَى الْأُولَى وَقِيلَ الْأَخِرَةَ عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةً رَجُلٍ وَقِيلَ مِائَتَيْنِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ بَعِيرًا وَحَمَلَ اللُّوَاءَ وَكَانَ أَبْيَضَ حَمْرَةً يُرِيدُ عَيْرَ قُرَيْشِ الْبَيْتِ صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتَّجَارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيَعْتَمَهَا فَوَجَدَهَا قَدْ مَضَتْ وَوَادَعَ بَنِي مُذَلِجٍ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى أَنْ يُنْصِرَهُمْ وَيُنْصِرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى

ثُمَّ غَزَا بَدْرَ الْأُولَى أَعَارَ كُرُزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ بَعَشْرَةَ أَيَّامٍ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى بَلَغَ سَفْوَانَ مَوْضِعَ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرِ فَقَاتَهُ كُرُزُ بْنُ جَابِرٍ وَتَسَمَّى بَدْرًا الْأُولَى وَحَمَلَ اللُّوَاءَ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سَرِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى نَخْلَةٍ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ يَتَرَصَّدُ عَيْرَ قُرَيْشٍ فَمَرَّتْ بِهِ تَحْمِلُ زَيْبًا وَتَمْرًا وَأَدَمًا مِنَ الطَّائِفِ فِيهَا عَمْرُو ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ وَأَسْرُوا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ وَاسْتَأْفُوا الْعَيْرَ فَكَانَتْ أَوْلَ غَنِيمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

ثُمَّ غَزَا بَدْرَ الْكُبْرَى وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَأَذَلَّ فِيهِ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ مَعَ قَلَّةٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ سَوَابِغِ الْحَدِيدِ وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ وَالْخِيُولِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْخِيَلِ الرَّائِدَةِ وَلِذَلِكَ ائْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ أَعْظَمَ غَزَوَاتِ الْإِسْلَامِ إِذْ مِنْهَا كَانَ ظُهُورُهُ وَيَعْدُ وَقُوعُهَا أَشْرَقَ عَلَى الْأَفَاقِ نُورُهُ وَكَانَ خُرُوجُهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا وَخَرَجَ مَعَهُ الْأَنْصَارُ وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةً وَخَمْسَةَ وَثَمَانِيَّةً لَمْ يَخْضَرُوهَا وَإِنَّمَا ضَرَبَ لَهُمْ

بِسَهْمِهِمْ وَأَجْرِهِمْ فَكَانُوا كَمَنْ حَضَرَهَا وَكَانَ مَعَهُمْ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ لِلْمِقْدَادِ وَالزُّبَيْرِ وَمَزِيدِ
الْعَنُويِّ وَكَانَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا أَمَا الْمُشْرِكُونَ فَكَانُوا أَلْفًا وَمَعَهُمْ مِائَةٌ فَرَسٍ وَسَبْعُمِائَةَ بَعِيرٍ
وَكَانَ قِتَالُهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ وَكَانَ خُرُوجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِقَضْدِ التَّعْرُضِ لِعَبْرِ قُرَيْشِ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّامِ فِي قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ وَعَلَيْهَا أَبُو
سُفْيَانَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ الرُّوحَاءَ أَنَاهُ الْخَبْرُ بِمَسِيرِ
قُرَيْشٍ لِيُتَمَنَعُوا عَنْ عَيْرِهِمْ فَاسْتَشَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ
إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْعَيْرُ وَإِمَّا قُرَيْشٌ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَامَ عُمَرُ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ
قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ فَتَحْنُ مَعَكَ وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ
كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ
وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ يَغْنِي مَدِينَةَ
الْحَبَشِ لِجَالِدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ثُمَّ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ
تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَجَلٌ قَالَ سَعْدٌ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ
الْحَقُّ وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَائِقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَاْمُضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا
أَرَدْتَ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَا مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا
رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَإِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَزْبِ صُدُقٌ عِنْدَ اللُّقَاءِ وَلَعَلَّ اللَّهَ
يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُ بِهِ عَيْنُكَ فَمَسَرْنَا عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

فَسُرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَتَسَطُّهُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ سِيرُوا عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ تَعَالَى
وَأَبَشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ وَعَيْنِ
مَصَارِعِهِمْ فَمَا تَعَدُّوْهَا ثُمَّ ازْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ وَتَرَكَ قُرَيْشًا بِالْعُدْوَةِ
الْقُضْوَى وَبُنِي لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ
وَأَبْنَةُ الْوَلِيدِ وَدَعَوْا إِلَى الْمُبَارَزَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَلِبِ
وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ فَقَتَلَهُ وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ فَقَتَلَهُ وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَعُثْبَةَ
ضَرْبَتَانِ فَاتَّخَذَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَةً فَمَالَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى عُثْبَةَ فَقَتَلَاهُ وَاحْتَمَلَ عُبَيْدَةَ
وَاسْتَشْهَدَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْجَرَاحَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ تَرَاحَفَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ

بَعْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَطَّ وَهُوَ يُتَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ .

وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْيَوْمَ فَلَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا وَلَمَّا نَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَقَلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ وَقَالَ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ لَا تَخْذُلْنِي اللَّهُمَّ أَنْشِدْكَ مَا وَعَدْتَنِي وَلَمَّا كَانَ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ الصُّدَيْقُ أَخَذَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مُتَبَسِّمًا فَقَالَ أَبِشْرُ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَائِيهِ التُّنُجُ أَيُّ الْغُبَارِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ الْعَرِيشِ وَهُوَ يَتَلَوُ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وَأَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تُقْتَلُ الْأَدْمِيُونَ فَعَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] أَيُّ كُلِّ مُفْصِلٍ وَكَانُوا يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَتْلَاهُمْ بِأَثَارِ سُودٍ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْبَنَانِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا يَوْمَ بَدْرٍ وَفِيهَا سِوَاهُ كَانَتْ عُدَدًا وَمَدَدًا وَكَانَتْ سِيْمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُ بِيضٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ خُضْرٍ .

وَعَنِ سَهَيْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّا أَحَدَنَا يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَتَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ، وَلَمَّا التَّمَى الْجَمْعَانِ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنَ الْحَضْبَاءِ فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرِيهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَانْهَزُوا وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَأَسْرَ مَنْ أَسْرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ الْأَسَدِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْفَطَعَ فِي يَدِهِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِزْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهِ فَهَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَثْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ عِنْدَهُ وَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو يَحْمِلُ يَدَهُ ضَرْبَةَ عِكْرِمَةَ عَلَيْهَا فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدِهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهَا فَلَصَقَتْ ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ فُطْرِحُوا فِيهِ

وَنَادَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْفَلَيْبِ بِشَسِ الْعَشِيرَةِ كُنْتُمْ كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقْتُمِي النَّاسُ فَقَالَ عَمْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَكَلَّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئًا قَالَ فَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبِيخًا وَتَضْغِيرًا وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً، وَقَالَ ابْنُ مَرْزُوقٍ وَمِنْ آيَاتِ بَدْرِ الْبَاقِيَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْحُجَّاجِ أَنَّهُمْ إِذَا اجْتَاؤُوا بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَسْمَعُونَ كَهَيْئَةِ طَبْلِ مُلُوكِ الْوَقْتِ وَيَزُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِنَضْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَكُنْتُ رُبَّمَا أَنْكِرُ ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَتَاوَلُهُ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْوُضُوءِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ الطَّبْلِ سَمَاعًا مُحَقَّقًا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ يَوْمِي أَجْمَعَ.

وَقَدْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَدْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَتِيلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعُونَ وَأَسِيرٌ سَبْعُونَ وَلَمَّا فَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعَثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِشِيرًا فَوَصَلَ الْمَدِينَةَ ضَحَى وَقَدْ نَقَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ تَرَابِ رُفَيْةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا وَسَلَّمَ وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ لِنَمْرِ بِيضِهَا فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ، (ثُمَّ سَرِيَّةَ عُمَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْخَطِيمِ) إِلَى عَضَمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ وَكَانَتْ تَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُوذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهَا عُمَيْرٌ لَيْلًا فَقَتَلَهَا ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْرَانٍ.

غَزْوَةُ قَرْقَرَةَ الْكُذْرِ

ثُمَّ غَزْوَةُ قَرْقَرَةَ الْكُذْرِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ بَدْرِ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ فَبَلَغَ مَاءً يُقَالُ لَهُ الْكُذْرُ فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَقِيْلَ عَشْرًا فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، (ثُمَّ سَرِيَّةَ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ) إِلَى أَبِي عَفْكَ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُحْرُضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ فِيهِ الشُّعْرَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ سَالِمٌ فَقَتَلَهُ.

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَطْنٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ بِيَضَفَ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ كَانَتْ الْكُفَّارُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

ثَلَاثَةَ أَفْسَامٍ قَسَمَ وَادْعَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَنْ لَا يُحَارِبُوهُ وَلَا يَأْتُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ وَهُمْ طَرَائِفُ الْيَهُودِ الثَّلَاثَةُ قَرِيظَةُ وَالنُّضَيْرُ وَبَنُو قَيْنِقَاعٍ وَقَسَمَ حَارِبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ كَقَرَيْشٍ وَقَسَمَ تَرْكُوهُ وَانْتظَرُوا مَا يَوُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ كَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ ظُهُورَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرًا وَمَعَ عَدُوِّهِ بَاطِنًا وَهُمْ الْمُتَنَافِقُونَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنِقَاعٍ فَحَارَبَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي شَوَالٍ بَعْدَ وَقَعَةٍ بَدْرٍ فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ خُمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَ اللُّوَاءُ بِيَدِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَيْبَضَ فَقَدَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ وَأَمَرَ أَنْ يُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَجِحُوا بِأَذْرِعَاتٍ وَأَخَذَ مِنْ حِصْنِهِمْ سِلَاحًا وَآلَةً كَثِيرَةً.

عَزْوَةُ السَّوِيقِ

ثُمَّ عَزْوَةُ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِخُمْسِ خَلْوَنٍ مِنْهَا عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ زَادِ الْمُشْرِكِينَ السَّوِيقِ وَعَيْنِمَهُ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْعَزْوَةِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ رَجَعَ بِالْعَبِيرِ مِنْ بَدْرٍ إِلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ النِّسَاءَ وَالذَّهْنَ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمَخَّرَجَ فِي مِائَتِي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيُبْرِيَ يَمِينَهُ حَتَّى أَتُوا الْعُرَيْضَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَحَرَقُوا نَخْلًا وَقَتَلُوا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِهِمْ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ يُلْقُونَ جُرْبَ السَّوِيقِ وَهِيَ عَامَّةُ أَرْوَادِهِمْ يَتَحَقَّقُونَ لِلْهَرَبِ فَيَأْخُذُهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ عَيْنِيئُهُ خُمْسَةَ أَيَّامٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عَلِيٌّ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَحَطَبَهَا قَبْلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَاهُمَا وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا حَطَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُطْبَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ ثُمَّ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَبَقٍ مِنْ بُسْرِ وَقَالَ انْتَهَبُوا فَاَنْتَهَبُوا وَدَخَلَ عَلِيٌّ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ أَرْضِيَتْ بِذَلِكَ فَقَالَ قَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْمَا وَأَعَزَّ جَدَّكُمْمَا وَبَارَكَ عَلَيْكُمْمَا وَأَخْرَجَ مِنْكُمْمَا كَثِيرًا طَيِّبًا قَالَ أَنَسُ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ) وَأَزْبَعَهُ مَعَهُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ شَاعِرًا يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحْرُضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَتَلُوهُ.

عَزْوَةُ عَطْفَانَ

ثُمَّ عَزْوَةُ عَطْفَانَ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ عَلَى رَأْسِ خُمْسَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَسَبَبُهَا أَنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ جَمَعَهُمْ دُعُورُ بَنِي الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيِّ وَكَانَ شُجَاعًا فَتَدَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِسًا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَهْبطِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَأَصَابُوا رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ يُقَالُ لَهُ جِبَانٌ فَأَدْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَأَصَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ فَتَزَعَّ ثَوْبِيهِ وَنَشَرَهُمَا عَلَى شَجَرَةٍ لِيَجِفَّ وَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَهُمْ يَنْظُرُونَهُ فَقَالُوا لِدُعُورِهِ قَدِ انْقَرَدَ مُحَمَّدٌ فَعَلَيْكَ بِهِ فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ سَيْفٌ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ فَدَفَعَهُ جَبْرِيلُ فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ فَقَالَ لَا أَحَدٌ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَدَعَاَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً.

عَزْوَةُ بُحْرَانَ

ثُمَّ عَزْوَةُ بُحْرَانَ وَتُسَمَّى عَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ بِهَا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا فِي مِيَاهِهِمْ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَشْرَ لَيَالٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْقَرْدَةِ اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ فِي مِائَةِ رَاكِبٍ يَعْتَرِضُ عَيْرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَمَعَهُمْ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَصَابُوهَا وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَزْوَةُ أَحَدٍ

ثُمَّ عَزْوَةُ أَحَدٍ كَانَتْ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ بِالِاتِّفَاقِ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِخْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَزْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُذْرِكُوا نَارَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كِتَابًا يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبْرِهِمْ وَسَارَ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسْفُوا عَلَى مَا قَاتَهُمْ مِنْ مَشْهَدِ بَدْرٍ وَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا أَحَبَّ لِأَجْلِهَا الْمُسْكُ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ امْكُثُوا فَإِنْ دَخَلَ الْقَوْمُ الْأَزَقَةَ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ فَقَالَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا لَا يَرُونَ أَنَا جَبِينًا عَنْهُمْ فَصَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّءِ لِعَدُوِّهِمْ فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بَيْنَهُ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ لَيْسَ لَأَمْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ فَتَدِيمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا وَقَالُوا مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ فَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لَأَمْتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَيَبَيِّنَ عَدُوَّهُ وَعَقَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ثَلَاثَةَ أَلْوِيَةِ لِيَوَاءَ لِلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَلِيَوَاءَ لِلْخَزْرَجِ بِيَدِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَلِيَوَاءَ لِلْأَوْسِ بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِائَةَ دَارِعٍ.

وَخَرَجَ السَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَغْدَوَانِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دَارِعَيْنِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَعَلَى الْحَرَسِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَأَدْلَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي السَّحْرِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَلْفَ رَجُلٍ وَالْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ فِيهِمْ سَبْعُمِائَةَ دَارِعٍ وَمِائَتَا فَرَسٍ وَثَلَاثَةَ آلَافٍ بَعِيرٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِأَحَدٍ وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِمَّنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقِ.

وَيُقَالُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِالْإِنْصِرَافِ لِكُفْرِهِمْ ثُمَّ صَفَّ الْمُسْلِمُونَ بِأَصْلِ أَحَدٍ صَفَّ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبْحَةِ وَكَانَ عَلَى مِيمَتِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرُّمَاءِ وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَالَ لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَاحْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرِكُونَا، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَمَاعَةٌ وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَسُّوا الْكُفَّارَ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ

وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ قَوْلَى الْكُفَّارِ لَا يَلُونُ عَلَى شَيْءٍ وَنَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ وَوَقَعُوا يَنْهَبُونَ الْعَسْكَرَ وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْعَنَائِمِ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جُبَيْرِ أَيُّ قَوْمِ الْعَنِيمَةِ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ أَنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَاللَّهِ لِنَاتَيْنِ النَّاسَ فَلْنُصِيبَنَّ مِنَ الْعَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وَجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْهُمْ مِينَ وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى خَلَاءِ الْجَبَلِ وَقَلَّةِ أَهْلِهِ فَكَرَّ بِالْخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَحَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ النَّفَرِ الرَّمَاءِ فَقَتَلُوهُمْ وَأَمِيرَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُمْ لَمَّا اضْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ وَكَانَ وَخِشِي كَأَمِنَا نَحْتِ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَاهُ بِحَزْبِيهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرَكَئِهِ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَكَانَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قَاتَلَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَيْمَةَ وَهُوَ يَظُنُّهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَاحَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ وَقَالَ قَائِلٌ أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَخْرَأَكُمْ أَيُّ اخْتَرْتُمْ مِنْ جِهَةِ أَخْرَأَكُمْ فَعَطَفَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى جِهَةِ الْمَدِينَةِ وَتَفَرَّقَ سَائِرُهُمْ وَوَقَعَ فِيهِمْ الْقَتْلُ وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ وَثَبَتَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقُ وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلًا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَيْ الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَتَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَيْ الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَتَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَيْ الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا فَمَا مَلَكَ عَمْرُؤُا نَفْسَهُ فَقَالَ كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لِأَخِيَاءِ كُلِّهِمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ قَالَ يَوْمَ يَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ .

وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ فَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ السُّفْلَى وَشَجَّ فِي جَنْبَيْهِ وَجُرِحَتْ وَجْنَتُهُ وَهَشَمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ أَيُّ كَسَرُوا الْحُوْدُودَ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ لِشِقْفِهِ فِي حُفْرَةٍ فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا وَتَشَبَّثَ حَلْقَتَانِ مِنَ الْمُعْفَرِ بِوَجْهِهِ فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ

الْجِرَاحِ وَعَضَّ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثِيَابُهُ مِنْ شِدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ وَامْتَصَّ مَالِكُ ابْنُ سَيَّانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الدَّمِ مِنْ وَجْتِهِ ثُمَّ اَزْدَرَدَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبهُ النَّارُ.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ رَمَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ قَمِيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ فَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِيَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ أَفْمَاكَ اللَّهُ فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِسْرَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً وَعَنِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّهُ لَمَّا جُرِحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يُشْفُ دَمَهُ وَيَقُولُ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ لَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ ضُرِبَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْتِهِ فَأَتَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالًا فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا وَرُمِيَ أَبُو رَهْمٍ الْغِفَارِيُّ كُلثُومُ بْنُ الْحَصِينِ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَرَأَ وَانْقَطَعَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَأَعْطَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْجُونًا فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا فَقَاتَلَ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعُرْجُونَ وَلَمْ يَزَلْ يُتَوَارَثُ حَتَّى بِيَعَ مِنْ بَعَا الثُّرَيْيِّ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ فِي بَغْدَادَ بِمِائَتِي دِينَارٍ، وَاشْتَعَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ يُقَطِّعُونَ الْأَذَانَ وَالْأَنْوْفَ وَالْفُرُوجَ وَيُنْفِرُونَ الْبَطُونَ.

وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ وَقَتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ، وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الْأَنْصِرَفَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إِنَّ الْحَزْبَ سَجَالٌ يَوْمَ بَيْتِ بَدْرِ اغْلُ هَبْلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ أَجِبْهُ فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْعَمْتَ أَيُّ الْأَزْلَامِ فَقَالَ عُمَرُ لَا سَوَاءَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ فَقَالَ إِنَّ لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَى مَوْعِدُكُمْ بَدْرُ الْعَامِ الْقَابِلِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ، وَنَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَمْرَةَ وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ وَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأَذْنَاهُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ كُنْتُ فَعُولًا لِلْخَيْرِ وَصُولًا لِلرَّجِيمِ.

وَمِمَّنْ مَثَلٌ بِهِ كَمَا مَثَلٌ بِحَمْرَةَ ابْنِ أُخْتِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَذِفِينَ مَعَهُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .
وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ وَمَا مِنْ
جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَاللَّهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحَهُ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ
الْمِسْكِ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُصِيبَتْ
إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا
وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كَلِمَتِهِمْ وَمَشَرِبِهِمْ وَحَسَنَ
مَقِيلِهِمْ قَالُوا يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا لِيَتَلَّأَ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَيَتَكَلَّمُوا عَنِ
الْحَزَبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ هِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] الْآيَاتِ .

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ
خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ لِيَطْلُبَ عَدُوَّهُمْ بِالْأَمْسِ وَنَادَى مُؤَذِّنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ أَيْ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا وَإِنَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مُزْهِبًا لِلْعَدُوِّ وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلِبِهِمْ لِيَطْطُوا بِهِمْ قُوَّةً وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ
لَمْ يُوهِنُهُمْ عَنْ عَدُوَّهُمْ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ
غَابَ خَمْسًا وَظَفَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَخْرَجِهِ ذَلِكَ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْرًا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ) إِلَى قَطْنِ جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ فَيْدٍ وَمَعَهُ مِائَةٌ
وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ لِيَطْلُبَ طَلِيحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَتَيْ حُوَيْلِدٍ فَلَمَّ يَجِدُهُمَا
وَوَجَدَ إِبِلًا وَشَاءَ فَأَغَارَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ) وَخَدَهُ إِلَى سُفْيَانَ
ابْنِ خَالِدِ الْهَذَلِيِّ بِعُرْنَةَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمَعَ الْجُمُوعَ لِحَرْبِهِ فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ
وَأَخَذَ رَأْسَهُ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ) إِلَى الرَّجِيعِ اسْمُ مَاءٍ لِهَذَا بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ قَدِيمَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَحَدٍ رَهْطٍ مِنْ غُضَلٍ وَالْقَارَةَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فِينَا
إِسْلَامًا فَابْعَثْ مَعَنَا نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فَبِعَثَ مَعَهُمْ سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ
عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ فَخَرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى الرَّجِيعِ عَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَضَرَّخُوا عَلَيْهِمْ

هَذَبِلَا فَنَفَرُوا بِقَرِيبٍ مِنْ مَائَتِي رَجُلٌ فَلَمَّ يَرِيعُ الْقَوْمِ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا الرِّجَالَ بِأَيْدِيهِمْ
السُّيُوفُ وَقَدْ عَشَوْهُمْ فَقَاتَلَهُمْ مَرْزُودٌ وَخَالِدٌ وَعَاصِمٌ حَتَّى قُتِلُوا وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى الْعَهْدِ
وَالْمِيثَاقِ حُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدُّثَيْثَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَتَلُوهُ
وَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاغَوْهُمَا لِأَهْلِ مَكَّةَ فَقَتَلُوهُمَا وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِيَزِيدَ أُشِيدُكَ بِاللَّهِ
أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُقْقَهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ
مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصَيِّبُهُ شُرُوكَةُ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي لَجَالِسٌ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ
مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَحْصَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ثُمَّ قَتَلُوهُ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ الْمُتَدْرِ بْنِ عَمْرٍو) إِلَى بَثْرِ مَعُونَةَ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ بَعَثَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْفُرَّاءِ لِيَدْعُوا أَهْلَ تَجْدٍ إِلَى الْإِسْلَامِ بِطَلَبِ أَبِي بَرَاءٍ مُلَاعِبِ
الْأَسِنَّةِ وَجَوَارِيهِ فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبَثْرِ مَعُونَةَ فَاسْتَضَرَّخَ عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ الطَّفَيْلِ قَبَائِلَ بَنِي
سُلَيْمٍ عُصِيَّةَ وَرِعْلًا فَخَرَجُوا حَتَّى عَشَوْا الْقَوْمَ فَأَخَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا
سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا إِلَى آخِرِهِمْ إِلَّا كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَلَمَّا بَلَغَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُمْ قَالَ هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا فَبَلَغَ
ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَمَاتَ أَسْفًا، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ أَيَّ حَزَنٍ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَى أَهْلِ بَثْرِ مَعُونَةَ وَدَعَا عَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ
ثَلَاثِينَ صَبَاحًا.

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَتْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعِ خَرَجَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَحْصَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَعِينُهُمْ فِي
دِيَةِ رَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ نَعِينِكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ثُمَّ هَمُّوا
بِالْقَاءِ صَخْرَةَ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَاهُمْ سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ فَلَمَّ يَنْتَهُوا فَقَالَ لَهُمْ
لَا تَفْعَلُوا وَاللَّهِ لِيُخْبِرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ وَإِنَّهُ لَنَقُضَ لِلْعَهْدِ فَأَتَاهُ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ
فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُظْهِرًا أَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةَ وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ أَحْصَابُهُ
فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَادَتْ يَهُودُ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهْيِئَةِ لِحَزْبِهِمْ وَالْمَسِيرِ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ
فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ ثُمَّ قَدَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنْ يُجْلِبِيَهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ وَيَكْفُفَ عَنْ دِمَائِهِمْ فَأَجْلَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَكَانُوا يُخْرَبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَحَمَلُوا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَتَحَمَّلُوا عَلَى سِتْمَائَةٍ بَعِيرٍ فَلَحِقُوا بِخَيْبَرَ وَقَسَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُمْ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ لِيَرْفَعَ بِذَلِكَ مُؤْتَتَهُمْ عَنِ الْأَنْصَارِ .

غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ

ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَفَعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا نَجْدًا يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي نَعْلَبَةَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقِيلَ سَبْعِمِائَةٍ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ نَحْلًا وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنْ نَجْدٍ مِنْ أَرْضِ عَطْفَانَ فَتَقَارَبَ النَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ وَقَدْ أَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

غَزْوَةُ بَدْرِ الْأَخِيرَةِ

وَهِيَ الصُّغْرَى لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ أَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى إِلَى آخِرِ رَجَبٍ ثُمَّ خَرَجَ فِي شُعْبَانَ إِلَى بَدْرِ لِيَمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشْرَةُ أَفْرَاسٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَأَقَامُوا عَلَى بَدْرِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُونَ أَبَا سُفْيَانَ وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ الرُّجُوعُ فَرَجَعَ بِالنَّاسِ .

غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ

وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ خَمْسُ لَيَالٍ وَبُعْدُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأُولَى عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِهَا جَمْعًا كَثِيرًا يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا النَّعَمَ وَالشَّاءَ فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ فَأَصَابَ مَنْ أَصَابَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةَ فَتَفَرَّقُوا وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَاحَتِهِمْ

فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَبَتَّ السَّرَايَا ثُمَّ رَجَعَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي عِشْرِي رَبِيعِ الْآخِرِ .

غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ

وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي خُزَاعَةَ وَتُسَمَّى غَزْوَةَ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَكَانَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلْيَلْتَنِينِ خَلْتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبِّبَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ رَيْسَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ فَدَعَاَهُمْ إِلَى حَزْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابُوهُ وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ مَعَهُمْ فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بُرَيْدَةَ بْنَ الْمُخَصَّبِ الْأَسْلَمِيَّ يَعْلَمُ عِلْمَ ذَلِكَ فَأَتَاهُمْ وَلَقِيَ الْحَارِثَ وَكَلَّمَهُ وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْرِعًا وَبَلَغَ الْحَارِثَ وَمَنْ مَعَهُ مَسِيرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَيَّئُوا بِذَلِكَ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا وَتَفَرَّقَ عَنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُرَيْسِيعَ وَصَفَّ أَصْحَابَهُ وَدَفَعَ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَرَايَةَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَتَرَامُوا بِالنُّبْلِ سَاعَةً ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصْحَابَهُ فَحَمَلُوا حَمَلَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ وَقَتَلُوا عَشْرَةَ وَأَسْرُوا سَائِرَهُمْ وَسَبُّوا النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَالذَّرِيَّةَ وَالنَّعَمَ وَالشَّيْءَ وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَّةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا .

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

وَهِيَ الْأَحْزَابُ سُمِّيَتْ بِالْخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَمِلَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا تَسْمِيَّتُهَا بِالْأَحْزَابِ فَلِاجْتِمَاعِ طَوَائِفٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَزْبِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ قُرَيْشٌ وَعَطْفَانٌ وَالْيَهُودُ وَمَنْ مَعَهُمْ .

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ هَذِهِ الْعَزْوَةِ أَنَّ نَفَرًا مِنْ يَهُودِ خَرْجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشِ مَكَّةَ وَقَالُوا إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ ثُمَّ خَرَجَ أَوْلِيكَ الْيَهُودِ حَتَّى جَاؤُوا عَطْفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَزْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّ قُرَيْشًا بَايَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ وَخَرَجَتْ عَطْفَانُ وَقَائِدُهَا عُبَيْدَةُ بْنُ جِصْنٍ فِي فِزَارَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي مُرَّةَ وَكَانَ عِدَّتُهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ وَالْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَحْزَابِ وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ صَرَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْخَنْدَقَ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ آيَاتٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا كَانَ جِئِينَ أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ مِنْهَا الْمَعَاوِلُ فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَنَشَرَ ثُلُثَهَا وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَبْصِرُ فُصُوزَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَإِنِّي وَاللَّهُ لِأَبْصِرُ قِصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ فِي مَكَانِي السَّاعَةَ، وَمِنْهَا تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ بِحَدِيثِ جَابِرٍ وَسَيَاتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مُسْتَوْفَى فِي مَقْصِدِ الْمُعْجَزَاتِ، وَلَمَّا فَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ السُّيُورِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيثِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ يَهَامَةَ وَنَزَلَ عَيْنِيَّةُ بْنُ حِصْنٍ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ فَضَرَبَ هُنَاكَ مُعَسْكَرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ وَكَانَ لِيَوَاءِ الْمُهَاجِرِينَ بَيْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَلِيَوَاءِ الْأَنْصَارِ بَيْدَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.

وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى عَهْدِ وَعَقْدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّ يَزَلُ حَيُّيْ ابْنُ أَخْطَبِ بِرَبِيسِهِمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ حَتَّى نَقَضَ هُوَ وَقَوْمُهُ الْعَهْدَ فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ فَعَظَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءَ وَاشْتَدَّ الْخَوْفَ وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنَّ وَنَجَمَ التَّفَاقُ فِي بَعْضِ الْمُتَافِقِينَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١١٢] وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوُّهُمْ يُحَاصِرُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلَّا مَرَامَةً بِالنَّبْلِ لَكِنْ كَانَ عَمْرُو بْنُ وَدِّ الْعَامِرِيِّ افْتَحَمَ هُوَ وَنَفَرُ مَعَهُ خِيُولَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ ضَيْقَةَ مِنَ الْخَنْدَقِ فَبَارَزَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ وَبَرَزَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ وَرَجَعَتْ بَقِيَّةُ الْخِيُولِ مِنْهُمْ وَرَمَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ وَهُوَ عِرْقُ الْحَيَاةِ وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ فَلَمَّ يَزُقُّ الدَّمُ، وَفِي الْبُخَارِيِّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ اللَّهُمَّ مَنَزِلَ الْكِتَابِ سَرِيحِ الْجِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ.

وَفِي يَنْبُوعِ الْحَيَاةِ لِابْنِ ظَفَرٍ قَيْلٍ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فَقَالَ يَا صَرِيحَ
 الْمَكْرُوبِينَ يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ اكشِفْ هَمِّي وَغَمِّي وَكَرْبِي فَإِنَّكَ تَرَى مَا نَزَلَ بِي وَيَأْضِحَابِي
 فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ
 وَرَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا شُكْرًا شُكْرًا وَهَبْتَ رِيحَ الصَّبَا لَيْلًا فَقَلَعْتَ الْأوتَادَ وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِمُ الْأَبْيَةَ
 وَكَفَّاتِ الْقُدُورَ وَسَفَّتْ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ وَرَمَتْهُمْ بِالْحَصْبَاءِ وَسَمِعُوا فِي أَرْجَاءِ مُعَسَّكِرِهِمُ التَّكْبِيرَ
 وَقَعَقَةَ السَّلَاحِ فَارْتَحَلُوا هُرَابًا فِي لَيْلَتِهِمْ وَتَرَكُوا مَا اسْتَنْقَلُوهُ مِنْ مَتَاعِهِمْ قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وَانصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِالْخَنْدَقِ
 خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَنْ تَغْزَوْكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا وَفِي ذَلِكَ
 عَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ فِي السَّنَةِ فَصَدَّتهُ قُرَيْشٌ عَنِ النَّبِيتِ
 وَوَقَعَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ نَقَضُوهَا فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ فَتْحِ مَكَّةَ فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَاعْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ قَدْ
 وَضَعْتَ السَّلَاحَ وَاللَّهُ مَا وَضَعْتَاهُ الْخُرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُرُّوا
 بِهِمْ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَدَّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا
 يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا حَيْلَ اللَّهِ أَزَكْبِي وَبَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ عَلَى الْمُقَدَّمَةِ ثُمَّ سَارَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَالْحَيْلُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا
 وَحَاصِرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى أَجْهَدَهُمُ الْحِصَارُ وَقَذَفَ اللَّهُ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَيْسُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ أَنْ يُؤْمِنُوا فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ
 نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالَ ثَلَاثَاتٍ فَخُذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ قَالُوا وَمَا هِيَ
 قَالَ تُبَايِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَنْبِيٌّ مُرْسَلٌ وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي
 كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ
 وَنِسَائِهِمْ وَالْخُرُوجِ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالْهُجُومِ لَيْلَةً
 السَّبْتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَأَبَوْا ثُمَّ لَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ بِهِمْ أَدْعَتْهُمُ
 أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذِ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ وَتُقَسَمَ الْأَمْوَالُ
 وَتُسَبَى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ حَكَمْتَ الْيَوْمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ قَوْقِ
سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَانصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
وَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْخَلُوا الْمَدِينَةَ وَخَفِرَ لَهُمْ أَخْدُودٌ فِي السُّوقِ وَجَلَسَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ فَضْرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ وَكَانُوا مَا بَيْنَ سَبْعِمِائَةٍ إِلَى
سَبْعِمِائَةٍ وَاضْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ رِيحَانَةً فَتَزَوَّجَهَا وَأَمَرَ بِالْعَنَائِمِ
فَجُمِعَتْ وَأَخْرَجَ الْخُمْسَ وَقَسَمَ الْبَاقِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْفَجَرَ جُرْحُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَمَاتَ
شَهِيدًا وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَاهْتَزَّاهُ تَحَرُّكُهُ قَرْحًا
بِقُدُومِ رُوحِ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ كُنْتُ مِمَّنْ حَفَرَ لِسَعْدِ قَبْرَهُ فَكَانَ
يَفُوحُ عَلَيْنَا الْمِسْكُ كُلَّمَا حَفَرْنَا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ) إِلَى الْفُرْطَاءِ بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ وَهُمْ يَنْزِلُونَ
بِالْبُكَرَاتِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَبْعُ لَيَالٍ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فَلَمَّا أَغَارَ
عَلَيْهِمْ قَتَلَ نَفَرًا مِنْهُمْ وَهَرَبَ سَائِرُهُمْ وَاسْتَأَقَّ نَعْمًا وَشَاءَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ ثَمَامَةُ بِنْتُ أُثَالِ
الْحِمْيَرِيِّ أَسِيرًا قَرِيبًا بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَارِيَّةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ أُطْلِقَ بِأَمْرِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْتَسَلَ وَأَسْلَمَ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهَ أَبْغَضَ
إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ
دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ
بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتُ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهِ تَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

غَزْوَةُ بَنِي لَحِيَانَ

فِي رَبِيعِ الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ قَالُوا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَصْحَابِهِ وَجْدًا شَدِيدًا فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّامَ وَعَسَكَرَ فِي مَائِثِي رَجُلٍ وَمَعَهُمْ
عِشْرُونَ فَرَسًا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ أَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
حَيْثُ كَانَ مُصَابُ أَصْحَابِهِ أَهْلِ الرَّجِيعِ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ فَسَمِعَتْ بِهِ بَنُو لَحِيَانَ فَهَرَبُوا
فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ فَأَقَامَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ يَبْعَثُ السَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى عُسْفَانَ فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسَ لِتَسْمَعَ بِهِمْ فَرِيشَ فَيُدْعَرُهُمْ فَأَتَوْا كُرَاعَ ثُمَّ رَجَعُوا وَلَمْ يَلْقُوا أَحَدًا وَانصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَهُوَ يَقُولُ أَيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبَّنَا حَامِدُونَ وَغَابَ عَنِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

غزوة الغابة

وَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرُونَ لِفَحَةً وَهِيَ ذَوَاتُ اللَّبَنِ الْقَرِيبَةُ الْعَهْدُ بِالْوِلَادَةِ تَرعى بِالْغَابَةِ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ فِيهَا فَأَعَارَ عَلَيْهِمْ عَيْنَتَهُ بَنُ حِضْنِ الْوِزَارِيِّ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا فَاسْتَأْذَنُوا وَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي ذَرٍّ فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ نَادَى يَا خَيْلَ اللَّهِ اذْكَبِي وَرَكِبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَعَقَدَ لِلْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرٍو لَوَاءً فِي رُمَحِهِ وَقَالَ لَهُ امضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخِيُولُ وَأَنَا عَلَى أَثْرِكَ فَأَذْرَكَ أُخْرِيَاتِ الْعَدُوِّ وَقَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسًا وَعُكَّاشَةَ آخَرَ وَأَذْرَكَ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ الْقَوْمَ وَهُوَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَلَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشَاءً وَاسْتَنْقَدُوا عَشَرَ لِقَاحٍ وَأَقَلَّتِ الْقَوْمَ بِمَا بَقِيَ وَهِيَ عَشْرٌ وَرَجَعَ وَقَدْ غَابَ خَمْسَ لَيَالٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِخْصَنِ الْأَسَدِيِّ) إِلَى عَمْرِ مَرْزُوقٍ وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي أَسَدٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَخَرَجَ سَرِيعًا فَتَدَّرَ بِهِ الْقَوْمُ فَهَرَبُوا فَاسْتَأْذَنُوا بِمَا تَنِي بَعِيرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ) إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمَعَهُ عَشْرَةُ فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا فَأَخَذَقَ بِهِمْ الْقَوْمَ وَهُمْ مِائَةٌ رَجُلٍ فَتَرَامَوْا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ حَمَلَتِ الْأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ بِالرَّمَاحِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَوَقَعَ جَرِيحًا وَاحْتَمَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى مَصَارِعِهِمْ فَهَرَبُوا فَاسْتَأْذَنُوا نَعْمًا مِنْ نَعْمِهِمْ وَرِثَةً مِنْ مَتَاعِهِمْ وَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فَخَمَّسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةَ فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءً وَأَسْرَى فَكَانَ فِيهِمْ زَوْجٌ حَلِيمَةَ الْمُزَيْنِيَّةِ فَلَمَّا قَتَلَ زَيْدٌ بِمَا أَصَابَ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُزَيْنِيَّةِ نَفْسَهَا وَزَوْجَهَا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا يَعْتَرِضُ عَيْرًا لِقُرَيْشٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ فَأَخَذُوهَا وَمَا فِيهَا . ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَأَصَابَ نَعْمًا وَشَاءً وَهَرَبَتِ الْأَعْرَابُ . ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) فِي خَمْسِمِائَةٍ رَجُلٍ إِلَى جُدَامٍ لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى دِخْيَةِ الْكَلْبِيِّ فَأَعَارُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الصُّبْحِ فَقَتَلُوا فِيهِمْ فَأَوْجَعُوا وَأَخَذُوا مِنَ النَّعْمِ

أَلْفَ شَاةٍ وَمِائَةَ مِنَ النِّسَاءِ وَالصُّبْيَانِ فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ الْجُدَامِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَسْلَمَ فَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حُرَيْبِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فَفَعَلَ. ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا) إِلَى وَادِ الْقُرَى فُقْتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَى وَحُوَيْلَ زَيْدٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ جَرِيحًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) إِلَى دُومَةَ الْجَنْدَلِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ قَالُوا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فُقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَغْدِرْ وَلَا تُفْتِنِ وَلِيَدَا وَبَعَثَهُ إِلَى كَلْبِ دُومَةَ الْجَنْدَلِ وَقَالَ إِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَتَهُ مَلَكَهُمْ فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَمَكَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو الْكَلْبِيُّ وَكَانَ نَضْرَائِيًّا وَكَانَ رَيْسَهُمْ وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَقَامَ مِنْ أَقَامَ عَلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثَمَاضِرَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ وَقَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ. ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) وَمَعَهُ مِائَةٌ رَجُلٍ إِلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ لَمَّا بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا يَهُودَ خَيْبَرَ فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا خُمْسَ مِائَةِ بَعِيرٍ وَالْقَنَى شَاةٍ وَهَرَبَتْ بَنُو سَعْدِ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) إِلَى أُمِّ قِرْقَةَ الْفَزَارِيَّةِ وَسَبَّبَهَا أَنْ زَيْدًا خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَقِيَ نَاسًا مِنْ فِزَارَةَ فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَصَبَّحَهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ وَأَخَذُوا أُمَّ قِرْقَةَ وَكَانَتْ مَلَكَتْ رَيْسَةَ وَأَخَذُوا ابْنَتَهَا جَارِيَةً بِنْتَ مَالِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيكٍ) لِأَبِي رَافِعِ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ فَوَضَعَهُمْ خَارِجَ الْحِصْنِ وَدَخَلَ هُوَ وَاحْتَالَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ وَفِي انْصِرَافِهِ كُسِرَتْ سَاقُهُ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ ابْسُطْ رِجْلَكَ فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ وَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ) إِلَى أُسَيْرِ بْنِ رِزَامِ الْيَهُودِيِّ بِخَيْبَرَ الَّذِي أَمَرْتَهُ الْيَهُودُ عَلَيْهَا بَعْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعِ فَسَارَ فِي عَطْفَانٍ وَغَيْرِهِمْ يَجْمَعُهُمْ لِحَرْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَرَجَعَهُ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ بِالسِّنْفِ وَمَاتُوا عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَتَلُوهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَلَمْ يُصَبْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ. ثُمَّ (سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ) إِلَى الْمُزَيْنِيِّينَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أُتَيْسٍ أَنَّ نَاسًا

مِنْ عُكْلٍ وَعَرَبِيَّةٍ قَدِيمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ
اللَّهُ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيْفٍ وَاسْتَوَخَّمُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَوْدٍ وَرَاعٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا
كَانُوا نَاحِيَةَ الْحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَقَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأْفُوا
الدَّوْدَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ
وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَتَرَكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالَتِهِمْ قَالَ أَنَسٌ إِنَّمَا سَمَلَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْيُنَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرَّعَاءِ فَيَكُونُ مَا فَعَلَ بِهِمْ قِصَاصًا وَعَنْ
سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِي آثَارِهِمْ خَيْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمِيرُهُمْ
كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ) إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِمَكَّةَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَقْتُلُهُ عَذْرًا فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ وَمَعَهُ خَنْجَرٌ لِيَغْتَالَهُ فَلَمَّا رَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذَا لَيُرِيدُ عَذْرًا فَجَذَبَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فِإِذَا بِالْخَنْجَرِ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضدُقْنِي مَا أَنْتَ قَالَ وَأَنَا آمِنٌ قَالَ نَعَمْ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ فَخَلَى عَنْهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ عَمْرٍو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ إِلَى أَبِي
سُفْيَانَ وَقَالَ إِنَّ أَصْبَحْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَافْتَلَاةً وَمَضَى عَمْرٍو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَيْلًا فَرَأَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَكَانِهِ فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ وَكَانَ فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَحَشَدَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ
وَتَجَمَّعُوا فَهَرَبَ عَمْرٍو وَسَلَمَةُ فَلَقِيَ عَمْرٍو عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ التَّمِيمِيِّ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ آخَرَ وَلَقِيَ
رَسُولَيْنِ لِقُرَيْشٍ بَعَثْتُهُمَا يَتَجَسَّسَانِ الْخَبَرَ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَأَسَرَ الْآخَرَ فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ
عَمْرٍو يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضْحَكُ .

أَمْرُ الْحَدَيْبِيَّةِ

وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ هَلَالَ ذِي
الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ لِلْعُمْرَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِلَا سِلَاحٍ
إِلَّا سِلَاحَ الْمَسَافِرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرْبِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ فَلَمَّا كَانَ بِذِي
الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةٍ وَسَارَ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ
الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ
وَمَا يُعُوكَ فَقَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ أَتَرُونَ أَنَّ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِي هَوْلَاءِ الَّذِينَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُصَدِّدُوا عَنِ الْبَيْتِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهَ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْتَاهُ قَالَ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشُّبَيْيَةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ حُلِّ حُلِّ فَأَلْحَثَ يَعْنِي تَمَادَتْ عَلَى عَدَمِ الْقِيَامِ فَقَالُوا خَلَّاتِ الْقَضْوَاءُ أَيِ حَزَنْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَّاتِ الْقَضْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ أَيِ حَبَسَهَا اللَّهُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفَيْلَ عَنْ دُخُولِهَا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوهَا وَصَدَّتْهُمْ قُرَيْشٌ لَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ وَسَفَكَ الدَّمَاءَ وَلَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَضْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسَلِّمُونَ وَيُجَاهِدُونَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةَ يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثِّبْتُ فَعَدَلْتُ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ أَيِ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ فَتَزَحَّوهُ وَشَكِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَاتْتَرَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ .

قَالَ زَاوِي الْحَدِيثِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَّرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَكَانُوا عَيْنَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُمْ مُقَاتِلُونَكَ وَصَادُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَجِيءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاؤُوا مَا دَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرُوا فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا يَعْنِي اسْتَرَاخُوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّكُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ فَانْطَلَقَ حَتَّى آتَى قُرَيْشًا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ قَاتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَزُمُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرًا ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ

كَادُوا يَفْتِيلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُجِدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةً إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَنِي قَوْمٌ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَقَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِي وَاللَّهِ إِنِّي مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتِيلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُجِدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ فَاقْبَلُوهَا ثُمَّ دَعَتْ قُرَيْشُ سُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو فَقَالُوا اذْهَبْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَصَالِحُهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَرَادَتْ قُرَيْشُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثَتْ هَذَا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَى بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمَا الصُّلْحَ عَلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنْ يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ هَذَا وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ إِلَّا رَدَّهُ إِلَيْهِمْ وَكَتَبَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا.

فَإِنْ قُلْتَ مَا الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَافَقَ سُهَيْلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَيُرَدُّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْمُرْتَبَةَ عَلَى إِنْتِمَاءِ هَذَا الصُّلْحِ مَا ظَهَرَ مِنْ تَمَرَاتِهِ الْبَاهِرَةِ وَقَوَائِدِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَاقِبَتُهَا فَتْحَ مَكَّةَ وَإِسْلَامَ أَهْلِهَا كُلِّهِمْ وَدُخُولَ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَبْلَ الصُّلْحِ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ وَلَا تَظْهَرُ عِنْدَهُمْ أُمُورُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هِيَ وَلَا يَخْلُونَ بِمَنْ يُعْلِمُهُمْ بِهَا مُفْصَلَةً فَلَمَّا حَصَلَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ اخْتَلَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَجَاؤُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَذَهَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ وَخَلُّوا بِأَهْلِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ وَسَمِعُوا مِنْهُمْ أَخْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعْجَزَاتِهِ الظَّاهِرَةَ وَأَعْلَامَ نُبُوَّتِهِ الْمُتَظَاهِرَةَ وَحُسْنَ سِيرَتِهِ وَجَمِيلَ طَرِيقَتِهِ وَعَايَنُوا بِأَنْفُسِهِمْ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ فَمَالَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى بَادَرَ خَلْقٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَسْلَمُوا بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَازْدَادَ الْآخَرُونَ مَيْلًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ لِمَا كَانَ قَدْ تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَيْلِ وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ يَنْتَظِرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ إِسْلَامَ قُرَيْشٍ فَلَمَّا أَسْلَمَتْ أَسْلَمُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمْسَكَ

سَهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو عِنْدَهُ فَأَمْسَكَ الْمُشْرِكُونَ عُثْمَانَ فَعَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوْتِ وَقِيلَ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا وَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِمَالَهُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ وَلَمَّا سَمِعَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الْمُشْرِكُونَ خَافُوا وَبَعَثُوا بِعُثْمَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وَحَلَّقَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحَرُوا هَدَايَاهُمْ بِالْحَدِيثِيَّةِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِالْحَدِيثِيَّةِ بِضِعَةِ عَشْرٍ يَوْمًا وَقِيلَ عِشْرِينَ ثُمَّ قَفَلَ وَفِي نَفْسِ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْفَتْحِ يُسَلِّهِمْ بِهَا وَيَذَكِّرُهُمْ نِعْمَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنْسَ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ الْفَتْحُ هُنَا فَتْحُ الْحَدِيثِيَّةِ وَوُقُوعُ الصُّلْحِ ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَزْوَةُ خَيْبَرَ

وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ حُصُونٍ وَمَزَارِعَ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ فَأَقَامَ يُحَاصِرُهَا بِضِعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ فَتَحَهَا وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ رَاجِلٍ وَمِائَتَا فَارِسٍ وَمَعَهُ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَتُهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يَغْزُهُمْ حَتَّى يُضْبِحَ فَلَمَّا أَضْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ أَيِ الْجَيْشِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرِبَتْ خَيْبَرُ «إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» وَفِي رِوَايَةٍ فَرَّقَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرِّيَابِ وَفِي الْبُخَارِيِّ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَمِدًا فَلَحِقَ قَالَ رَاوِيهِ فَلَمَّا بَشَّرْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ لِأَعْطَيْنِ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يَجِبُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَلَمَّا أَضْبَحَ النَّاسُ عَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّهُمْ يَزْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَحْوِنُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُدْ عَلَى رِسْلِكَ أَيِ هَيْئَتِكَ

حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ
لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنْ عَلِيًّا
قَلَعَ بَابَ خَيْبَرَ وَلَمْ يُحَرِّكْهُ سَبْعُونَ رَجُلًا إِلَّا بَعْدَ الْجُهْدِ، وَقَاتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ
خَيْبَرَ وَقَاتَلُوهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ
وَفَتَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ حِصْنًا حِصْنًا وَأَخَذَ كَنْزَ آلِ أَبِي الْحَقِيقِ الَّذِي كَانَ فِي مَسْكِ الْحِمَارِ
أَي جِلْدِهِ وَكَانُوا قَدْ غَيَّبُوهُ فِي خِزْبَةٍ فَدَلَّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَيْهِ فَاسْتَخْرَجَهُ.

وَتَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ وَكَانَ قَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا كِنَانَةُ
ابْنُ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ عَرُوسًا فَذَكَرَ لَهُ جَمَالَهَا فَاضْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهَا فَصَارَتْ
مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ أَنْ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حَجْرِهَا فَتَوَوَّلَ بِذَلِكَ.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ قَالَ هَذِهِ
ضَرْبَةُ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَفَّتَ فِيهَا ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا
اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ سَمَّيْتُ الْيَهُودِيَّةَ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ شَاةَ مَضْلِيَّةٍ أَيْ مَشْوِيَّةٍ ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسَلْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ سَمَّيْتُ هَذِهِ الشَّاةَ فَقَالَتْ مَنْ
أَخْبَرَكَ قَالَ أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ فِي يَدِي لِلدَّرَاعِ فَقَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
نَبِيًّا اسْتَرْحَنَّا مِنْهُ فَعَفَا عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا وَتَوَفَّى أَصْحَابَهُ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنْ
الشَّاةِ وَفِيهِمْ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ فَدَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ فَقَتَلُوهَا بِهِ قِصَاصًا
وَاحْتَجَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَاهِلِهِ.

غَزْوَةُ وَادِي الْقَرْيِ

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا يُحَاصِرُهُمْ وَصَالَحَهُ أَهْلُ
تَيْمَاءَ عَلَى الْجِزْيَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى تَرْبَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ
وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَخَرَجَ مَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ فَأَتَى الْحَبْرُ
إِلَى هَوَازِنَ فَهَرَبُوا وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مَحَالِهِمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا فَانصَرَفَ رَاجِعًا
إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى فَرَارَةَ نَاجِيَةَ ضَرْبَةٍ فِي شَعْبَانَ
سَنَةِ سَبْعٍ فَسَبَى مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَقَتَلَ آخَرِينَ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ) إِلَى بَنِي مُرَّةٍ بِفَدَكٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَقَاتِلُوا وَقَاتَلَ بَشِيرٌ حَتَّى ارْتُكَّتْ وَاقِدَمَ ابْنُ زَيْدِ الْحَارِثِيِّ بِخَبَرِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ) إِلَى الْمَيْفَعَةِ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ فِي وَسْطِ مَحَالِهِمْ فَقَتَلُوا مَنْ أَشْرَفَ لَهُمْ وَاسْتَأْفُوا نَعَمًا وَشَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالُوا وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ قَتَلَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَهْيَكَ بَنَ مِرْدَاسَ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا شَقَقْتُ عَنْ قَلْبِهِ فَتَعَلَّمَ أَصَادِقُ أَمْ كَذِبٌ فَقَالَ أَسَامَةُ لَا أَقَاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي ظَنِّيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْتَاهُمْ وَلِحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ تَلَمَّا غَشِيَتْهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ وَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّدًا فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ) أَيْضًا إِلَى يَمَنِ وَجَبَارَ وَهِيَ أَرْضٌ لِعَطْفَانَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ لِيَجْمَعَ تَجَمُّعُوا لِلْإِعَارَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ فَسَارُوا اللَّيْلَ وَكَمَّوْا النَّهَارَ فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيرُ بَشِيرٍ هَرَبُوا وَأَصَابَ لَهُمْ نَعَمًا كَثِيرَةً فَغَنِمَهَا وَأَسَرَ رَجُلَيْنِ وَقَدِمَ بِهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمَا.

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

قَالَ الْحَاكِمُ فِي الْإِكْلِيلِ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَلَكَ دُو الْقَعْدَةِ يَغْنِي سَنَةَ سَبْعٍ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَغْتَمِرُوا قَضَاءَ لِعُمْرَتِهِمْ الَّتِي صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ فَلَمْ يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ إِلَّا رَجَالٌ اسْتَشْهَدُوا بِخَيْبَرَ وَرِجَالٌ مَاتُوا وَخَرَجَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ وَاسْتَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا زُهَيْرٍ الْغِفَارِيَّ وَسَاقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ سِتِينَ بَدَنَةً وَحَمَلَ السَّلَاحَ وَالْبَيْضَ وَالذُّرُوعَ وَالرُّمَاحَ وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدِمَ الْخَيْلُ أَمَامَهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَقَدِمَ السَّلَاحَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَأُخْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ يُكْبِتُونَ مَعَهُ وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ فَوَجَدَ نَفْرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلُوهُ.

فَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ هَذَا الْمَنْزِلَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَتَوْا قُرَيْشًا فَأَخْبَرُوهُمْ فَفَزِعُوا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ وَقَدَّمَ السَّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَاجِجٍ مَوْضِعَ بِقَرْبِ مَكَّةَ وَخَلَّفَ عَلَيْهِ أَوْسَ بْنَ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ فِي مَائَتِي رَجُلٍ وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدْيَ أَمَامَهُ فَحَبَسَ بِدِي طَوًى وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَضْوَاءِ وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُخَدِّقُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبُّونَ فَدَخَلَ مِنَ النَّبِيِّ الَّتِي تَطْلِعُهُ عَلَى الْحَجُونَ وَابْنُ رَوَاحَةَ أَخِذَ بِرِمَامِ رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا بَنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ شِعْرًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ فَلَبِيَّ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ الثُّبَلِ وَأَنْ يَزُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمَحْجِيهِ مُضْطَبِعًا بِتَوْبِهِ وَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَالْمُسْلِمُونَ يَطُوفُونَ مَعَهُ وَقَدْ اضْطَبَعُوا بِبِئَابِهِمْ وَالْأَضْطَبَاعُ أَنْ يُدْخَلَ الرُّدَاءَ تَحْتَ إِنْطِهِ الْأَيْمَنِ وَيَزُدَّ طَرَفَهُ عَلَى يَسَارِهِ وَيُبْدِي مَنَكَبَهُ الْأَيْمَنَ وَيُغْطِي الْأَيْسَرَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّهُ قَدِيمَ عَلَيْنُكُمْ وَفَدَّ وَهَنْتَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَزْمَلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ أَزْمَلُوا لِیْرِی الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ ثُمَّ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا كَانَ الطَّوَافُ السَّابِعُ عِنْدَ فَرَاغِهِ وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ قَالَ هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ فَجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ هُنَاكَ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِ بِبَطْنِ يَاجِجٍ فَيُقِيمُوا عَلَى السَّلَاحِ وَيَأْتِي الْآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ فَفَعَلُوا وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا فَلَمَّا مَضَى الْأَجَلُ أَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا قُلْ لِعَدَاؤِنَا إِخْرُجْنَا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ السَّلْمِيِّ) إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا فَأَخَذَقَ بِهِمُ الْكُفَّارَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَقَاتَلَ الْقَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ عَامَتُهُمْ وَأُصِيبَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَرِيحًا مَعَ الْقَتْلَى ثُمَّ تَحَامَلَ حَتَّى بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ) إِلَى بَنِي الْمَلُوحِ بِالْكَدِيدِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ فَعَيْنِمَ
 وَفِي هَذَا الشَّهْرِ قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ
 فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ أَيْضًا) إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ بِفَدَكٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ
 ثَمَانٍ وَمَعَهُ مِائَتَا رَجُلٍ فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ مَعَ الصُّبْحِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ قَتْلَى وَأَصَابُوا نَعْمًا ثُمَّ (سَرِيَّةُ
 شُجَاعِ بْنِ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ) إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ
 رَجُلًا إِلَى جَمْعٍ مِنْ هَوَازِنَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ حَتَّى
 صَبَحَهُمْ فَأَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءَ وَاسْتَأْفُوا ذَلِكَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرِ
 الْغِفَارِيِّ) إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا
 إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ فَوَجَدُوا جَمْعًا كَثِيرًا فَقَاتَلَهُمُ الصُّحَابَةُ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا وَأَفَلَّتْ مِنْهُمْ
 رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلِ قِيلَ هُوَ الْأَمِيرُ فَلَمَّا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ تَحَامَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِالْبُعْثِ إِلَيْهِمْ فَبَلَّغَهُ أَنَّهُمْ سَارُوا إِلَى مَوْضِعٍ
 آخَرَ فَتَرَكَهُمْ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُوتَةَ) وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الْبَلْقَاءِ بِالشَّامِ كَانَتْ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَرْسَلَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرِ الْأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى
 مَلِكِ بَصْرَى فَلَمَّا نَزَلَ مُوتَةَ عَرَضَ لَهُ شَرْحِبِيلُ بْنُ عَمْرِو الْعَسَائِيَّ فَقَتَلَهُ وَلَمْ يَقْتُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ غَيْرِهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ عَلَى
 ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَقَالَ إِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
 فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بِرَجُلٍ مِنْ بَيْنِهِمْ يَجْعَلُونَهُ عَلَيْهِمْ وَعَقَدَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِيَوَاءِ أَبِيضٍ وَدَفَعَهُ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يَأْتُوا مَقْتَلَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرِ وَأَنْ يَدْعُوا
 مَنْ هُنَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا اسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ وَقَاتَلُوهُمْ وَخَرَجَ مُسَيِّعًا لَهُمْ حَتَّى
 بَلَغَ نَيْبَةَ الْوُدَاعِ فَلَمَّا سَارُوا نَادَى الْمُسْلِمُونَ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ صَالِحِينَ غَانِمِينَ فَلَمَّا
 فُصِّلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ سَمِعَ الْعَدُوَّ بِمَسِيرِهِمْ فَجَمَعُوا لَهُمْ وَقَامَ شَرْحِبِيلُ بْنُ عَمْرِو فَجَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ
 مِائَةِ آلَافٍ وَقَدَّمَ الطَّلَاحِ أَمَامَهُ.

وَقَدْ نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَانَ مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَبَلَغَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْعَدُوِّ وَتَجَمُّعُهُمْ
 وَأَنَّ هِرْفَلَ نَزَلَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَقَامُوا لَيْلَتَيْنِ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ
 وَقَالُوا نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخْبِرُهُ الْخَبَرَ فَشَجَّعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
 عَلَى الْمُضِيِّ فَمَضَوْا إِلَى مُوتَةَ وَوَأَفَاهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَجَاءَ مِنْهُمْ مَا لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِ مِنَ الْعَدَدِ

وَالسَّلَاحَ وَالكَرَاعَ وَالذَّبِيحَ وَالْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ وَالتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلَ الْأَمْرَاءَ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَرْجُلِهِمْ فَأَخَذَ اللُّوَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ وَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى قُتِلَ طَعْنًا بِالرَّمَاحِ ثُمَّ أَخَذَ اللُّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَفْرَاءَ فَعَقَرَهَا ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعًا أَخَذَ اللُّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ اخْتَضَّهُ فَقُتِلَ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ أَبَدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ وَوَجَدَ فِيمَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ وَطَعْنَةً بِرُمحٍ ثُمَّ أَخَذَ اللُّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَأَخَذَ اللُّوَاءَ ابْنُ أَقْرَمَ الْعِجْلَانِيُّ إِلَى أَنْ اضْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَخَذَ اللُّوَاءَ وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَصَابَ غَنِيمَةً ثُمَّ انْحَاذَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ وَرَفِعَتْ الْأَرْضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرِكِ الْقَوْمِ وَذَكَرَ مُوسَى ابْنُ عُقْبَةَ فِي الْمَعَاذِيِّ أَنَّ يَعْلى بْنَ أُمَيَّةَ قَدِيمَ بِحَبْرٍ أَهْلٍ مُوتَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ شِثْتَ فَأَخْبِرْنِي وَإِنْ شِثْتَ أَخْبِرْتِكَ قَالَ أَخْبِرْنِي فَأَخْبَرَهُ حَبْرَهُمْ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا تَرَكْتَ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفًا لَمْ تَذْكُرْهُ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ وَكَانَتْ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبِّعِيهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا لِلْإِغَارَةِ فَبَعَثَ عَمْرًا وَعَقَدَ لَهُ لِيَوَاءٍ أَيْبُضَ وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةَ سَوْدَاءَ وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَسًا فَسَارَ اللَّيْلَ وَكَمَنَّ النَّهَارَ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا فَبَعَثَ زَافِعَ بْنَ مَكِيثِ الْجُهَنِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِدُّهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَعَقَدَ لَهُ لِيَوَاءٍ وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرِو وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَخْتَلِفَا فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يُؤَمِّمَ النَّاسَ فَقَالَ عَمْرُو إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدَدًا وَأَنَا الْأَمِيرُ فَأَطَاعَ لَهُ ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ عَمْرُو يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَدُوِّ بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَهَرَبُوا بِالْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ) وَسَمَّاهَا الْبُخَارِيُّ غَزْوَةَ سَيْفِ الْبَحْرِ وَتَسْمَى بِسَرِيَّةِ الْخَبْطِ وَكَانَتْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ بِالْقَبَلِيَّةِ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ الْبَحْرِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ خَمْسُ لِيَالٍ: زَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثِمِائَةٌ نَحْمِلُ

زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَنَبِيَّ زَادَنَا حَتَّى كَانِ الرَّجُلُ يَأْكُلُ تَمْرَةً تَمْرَةً وَابْتِاعَ قَبْسُ بْنُ سَعْدٍ جَزُورًا وَتَحَرَّهَا لَهُمْ وَأَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ دَابَّةً تُسَمَّى الْعَنْبَرُ فَأَكَلُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا وَرَجَعُوا وَلَمْ يَلْقُوا كَيْدًا زَادَ فِي رِوَايَةٍ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْتَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِهِ فَتَطْعِمُونَا قَالَ فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ) إِلَى خَضِرَةَ وَهِيَ أَرْضٌ مُحَارِبٌ بِبَنَجِدٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَبَعَثَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى عَطْفَانَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ مِنْهُمْ وَسَبَى سَبْيًا كَثِيرًا وَاسْتَأَقَ النَّعَمَ فَكَانَتِ الْإِبِلُ مَائَتِي بَعِيرٍ وَالْغَنَمُ أَلْفِي شَاةٍ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ أَيْضًا) إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَمَّ أَنْ يَغْزُوا أَهْلَ مَكَّةَ بَعَثَهُ لِيُظَنَّ ظَانٌّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَلِأَن تَذَهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ فَلَقُوا عَامِرَ بْنَ الْأَضْبَطِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَتَلَهُ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] الْآيَةَ فَجَاءَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ فِي بُرْدَيْنِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ فَقَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دُمُوعَهُ بِبُرْدِيهِ فَمَا مَضَتْ لَهُ سَابِعَةٌ حَتَّى مَاتَ فَلَقَطْنَاهُ الْأَرْضُ ثُمَّ عَادُوا بِهِ فَلَقَطْنَاهُ الْأَرْضُ فَلَمَّا غَلَبَ قَوْمَهُ عَمَدُوا إِلَى صُدْيَيْنِ أَيْ جَبَلَيْنِ فَسَطَّحُوهُ ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ الْأَرْضَ تَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْ صَاحِبِكُمْ وَلَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْظَكُمُ .

فَتْحُ مَكَّةَ الْمُشْرَفَةِ

زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا وَكَرَمًا وَهُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحَرَمَهُ الْأَمِينَ وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ خَرَجَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُتَائِبِ الْإِسْلَامِ، وَجُنُودِ الرَّحْمَنِ لِنَقْضِ قُرَيْشِ الْعَهْدِ الَّذِي وَقَعَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَقَدِيمِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَزْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ أَنْ يُجَدِّدَ الْعَهْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ فَأَبَى عَلَيْهِ فَانْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ أَنْ أَخَذَ فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا وَأَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ فَأَطَاعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى

ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيِّ وَالزُّبَيْرِ وَالْمِقْدَادِ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا قَالَ فَاِنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرُّوضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ قُلْنَا أُخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِيَ كِتَابٌ قُلْنَا لَتُخْرِجِي الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ قَالَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأْتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِأُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ أَيَّ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضَى بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُتُقَ هَذَا الْمُتَنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اغْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ أَنَّ لَفْظَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبٌ أَمَا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَكُمْ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ يَسِيرُ كَالسَّبِيلِ قَوْلَ اللَّهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَحَدَهُ لَنَصَرَهُ اللَّهُ وَأَنْجَزَ لَهُ فَاَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَالسَّلَامُ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْعَرَبِ أَسْلَمَ وَغَفَرَ وَمُرَيْتَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَسَلَيْمَ فَجَلَبَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ وَاقَاهُ بِالْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَهُ بِالطَّرِيقِ وَاسْتَخْلَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَخَرَجَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتِنِ حَلَّتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيلَ لِعَشْرِ وَقِيلَ لِأَكْثَرِ بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عَشْرَةَ آلَافٍ وَقِيلَ الثُّنْيِ عَشَرَ آلَافًا وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ رَاضٍ وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخُوهُ مِنْ رِضَاعِ حَلِيمَةَ السُّعْدِيَّةِ وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرٌ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَأْلُفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَعَثَ عَادَاهُ وَهَجَاهُ وَكَانَ لِقَاؤُهُمَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأَبْوَاءِ وَأَسْلَمَا قَبْلَ دُخُولِ مَكَّةَ ثُمَّ سَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ بِقُدَيْدٍ عَقَدَ الْأَلْوِيَّةَ وَالرَّيَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ ثُمَّ نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ عِشَاءً فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشْرَةَ

آلاف نارٍ ولم يبلغ قرينسا مسيره وهم مُغتمون لما يخافون من عزوه إياهم فبعثوا أبا سُفيانَ ابنَ حَزْبٍ وقالوا إن لقيت مُحَمَّدًا فخذلنا منه أمانًا فخرج أبو سُفيانَ وحَكِيمُ بنُ حِزَامٍ وبُديلُ بنُ وَرْقَاءٍ حتَّى أتوا مرَّ الظهرانِ فلما رأوا العسكرَ أفرغهم فرأهم ناسٌ من حرسِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأذركوهم فأخذوهم فأتوا بهم إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلمَ أبو سُفيانَ فلما سارَ قالَ لِلْعَبَّاسِ اخبِسْ أبا سُفيانَ عندَ حُطيمِ الجبلِ حتَّى ينظرَ إلى المسلمِينَ فحبسه العباسُ فجعلتِ القبائلُ تمرُّ معَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتيبةَ كتيبةَ على أبي سُفيانَ فمرَّت كتيبةَ فقالَ يا عَبَّاسُ مَنْ هذِهِ قَالَ هذِهِ غِفَارٌ قَالَ مَا لِي وَلِغِفَارٍ ثُمَّ جُهِتَهُ قَالَ مِثْلُ ذَلِكَ حتَّى أَقْبَلَت كتيبةَ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ مَنْ هذِهِ قَالَ هؤُلاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمُ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ فقالَ سَعْدُ يَا أبا سُفيانَ اليَوْمَ اليَوْمَ الْمَلْحَمَةِ اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ وَفِي رِوَايَةٍ تُسْتَحَلُّ الحُزْمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهاجِرِينَ فقالَ يَا رسولَ اللهِ مَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ لِسَعْدِ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فقالَ لِعَلِيٍّ أذركهُ فخذِ الرَّايةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بِهَا وَرُويَ أَنَّ أبا سُفيانَ قالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَادَاهُ أَمَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ قَالَ لَا فَذَكَرَ لَهُ مَا قالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ثُمَّ نَاشَدَهُ اللهُ وَالرَّحِمَ فقالَ يَا أبا سُفيانَ اليَوْمَ اليَوْمَ الْمَرْحَمَةِ اليَوْمَ يُعِزُّ اللهُ قُرَيْشًا وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ فَأَخَذَ الرَّايةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

قالَ موسى بنُ عُقْبَةَ بَعَثَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّبَيْرَ بنَ العَوامِ على الْمُهاجِرِينَ وَخَيْلِهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كَدَاءٍ بِأَعلى مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْرِزَ رايَتَهُ بِالْحَجُونِ وَلَا يَبْرَحَ حتَّى يَأْتِيَهُ وَيَعْتَكَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي قبائِلِ قُضَاعَةَ وَسَلِيمٍ وَغَيْرِهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَأَنْ يَغْرِزَ رايَتَهُ عِنْدَ أَدنى اليُبُوتِ وَبَعَثَ سَعْدُ بنَ عُبَادَةَ فِي كتيبةِ الْأَنْصارِ فِي مُقَدِّمَةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ وَانْدَفَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ حتَّى دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَقَدْ تَجَمَّعَ بِهَا بَنُو بَكْرِ وَبَنُو الحَارِثِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ وَنَاسٌ مِنْ هَذيلٍ وَمِنَ الْأَحابِيشِ الَّذِينَ انْتَصَرَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ فَقَاتَلُوا خَالِدًا فَقَاتَلَهُمْ فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْ بَنِي بَكْرِ نَحْوُ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هَذيلٍ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ حتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الحَزْوَرَةِ إِلَى بابِ المَسْجِدِ حتَّى دَخَلُوا الدُّورَ فَارْتَفَعَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ على الجِبَالِ وَصَاحَ أَبُو سُفيانَ مَنْ أَغْلَقَ بابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَنَظَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى البَرِاقَةِ فقالَ مَا هذِهِ وَقَدْ نَهَيْتُ عَنِ الْقِتالِ فقالُوا إِنَّ خَالِدًا قُوتِلَ وَبُدِيَءَ بِالْقِتالِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدْءٌ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ .

وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّ لِخَالِدِ لِمَ قَاتَلْتَ وَقَدْ نَهَيْتَكَ عَنِ

الِقِتَالِ فَقَالَ هُمْ بَدُونَنَا بِالِقِتَالِ وَقَدْ كَفَفْتُ يَدِي مَا اسْتَطَعْتُ فَقَالَ قِضَاءُ اللَّهِ خَيْرٌ وَقَالَ الْعَبَّاسُ
بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ
فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَادَى مُتَنَادِيهِ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ
وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا الْمُسْتَنْتِنِينَ وَهُمْ عَلَى مَا
جَمَعَهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ عَشْرَةَ أَنْفُسٍ سِتَّةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعِ نِسْوَةٍ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَالتَّسَائِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَعَثَ عَلَى إِخْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْأُخْرَى
وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسْرِ أَيِ الدِّينِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ فَقَالَ لِي يَا أَبَا هُرَيْرَةَ اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ
فَهَتَفْتُ بِهِمْ فَجَاؤُوا فَأَطَافُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ أَتْرُونَ إِلَيَّ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ ثُمَّ قَالَ بِإِخْدَى
يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى اخْصِدُواهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُؤَافُونِي بِالصِّفَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَاِنطَلَقْنَا فَمَا نَشَاءُ
أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلْنَاهُ فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبَيِّحُ خَضِرَاءَ قُرَيْشٍ لَا
قُرَيْشٍ بَعْدَ الْيَوْمِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ لَمَّا رَأَى مَا أكرمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَتْحِ حَتَّى إِذَا رَأَسَهُ
لِتَكَادُ تَمَسُّ رِجْلَهُ شُكْرًا وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى أَنْ أَحَلَّ لَهُ بَلَدَهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا
لِأَحَدٍ بَعْدَهُ وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ
الْمِغْفَرُ.

وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ مِثْلُ الْقَلْنَسُورَةِ وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، وَلَمَّا كَانَ الْعُدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَطِيْبًا
فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِيهَا حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِيءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا أَوْ يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ فِيهَا لِِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَجَلْتُ لِي سَاعَةً مِنْ
نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ
مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخِ كَرِيمٍ وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ قَالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ أَيِ الدِّينِ
أُطَلِّقُوا فَلَمْ يُسْتَرْقُوا وَلَمْ يُؤَسَّرُوا.

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَنْصَارُ فِيمَا

بَيْنَهُمْ أَتَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُعِيمُ بِهَا وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَلَى الصُّفَا رَافِعًا يَدَيْهِ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ مَاذَا قُلْتُمْ قَالُوا لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاذَ اللَّهِ الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ .

وَهُمْ فَضَالَةٌ بَنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمَلُوحِ أَنْ يَفْتُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَضَالَةٌ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ قَالَ لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ فَضَحِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فَضَالَةٌ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنِ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، وَفِي تَفْسِيرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ التَّقِيْبِ الْمَفْدِيسِيِّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْلَمَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ أَنْجَزَ لَهُ وَعَدَهُ بِالنُّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتَحَ مَكَّةَ وَإِعْلَاءَ كَلِمَةِ دِينِهِ أَمْرَهُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فَصَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَنُ الْأَضْنَامَ الَّتِي حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِمُخَجَبِهِ وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ فَيَخِرُّ الصَّنَمَ سَاقِطًا مَعَ أَنَّهَا كُلُّهَا كَانَتْ مُبْتَنَّةً بِالْحَدِيدِ وَالرُّصَاصِ وَكَانَتْ ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا بِعَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُضْوَاءِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ حَتَّى أَنَاخَ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ اثْنَيْبِي بِالْمِفْتَاحِ فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ لَتُعْطِيَنَّهُ أَوْ لَيُخْرِجَنَّ هَذَا السَّيْفُ مِنْ صُلْبِي فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الْبَابَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي الطَّبَقَاتِ لِابْنِ سَعْدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْإِنْتِينِ وَالْحَمِيسِ فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ فَأَغْلَظْتُ لَهُ وَنَلْتُ مِنْهُ فَحَلَمَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ فَقُلْتُ لَقَدْ هَلَكْتَ فَرَيْسُ يَوْمِيذٍ وَذَلْتُ فَقَالَ بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتْ يَوْمِيذٍ وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْعَا ظَنَنْتُ يَوْمِيذٍ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَيَّ مَا قَالَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ يَا عُثْمَانُ اثْنَيْبِي بِالْمِفْتَاحِ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنِّي ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ خُذُوهَا خَالِدَةَ تَالِدَةَ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ قَالَ فَلَمَّا وَلَيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتُ لَكَ قَالَ

فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ قُلْتُ بَلَى أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَفِي عَثْمَانَ هَذَا نَزَلَتْ آيَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ هُوَ وَأَسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ وَبِلَالٌ وَعَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْكَعْبَةَ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَلَجَ فَلَقِيْتُ بِبِلَالٍ فَسَأَلْتُهُ هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيِّينَ وَذَهَبَ عَنِّي أَسْأَلُهُ كَمْ صَلَّى.

وَفِي إِخْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ جَعَلَ عَمُودًا عَلَى يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَلَى يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَأَاهُ وَفِي كِتَابِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ فَعَلَى هَذَا يَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ الْإِتِّبَاعَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ فَإِنَّهُ تَقَعُ قَدَمَاهُ فِي مَكَانٍ قَدَمَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَتْ ثَلَاثَةَ سَوَاءً أَوْ تَقَعُ رُكْبَتَاهُ أَوْ يَدَاهُ أَوْ وَجْهَهُ إِنْ كَانَ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُورًا فِدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ قَاتِلِ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقِيلَ أَكْثَرَ وَكَانَ فَتَحَ مَكَّةَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَقِبَ فَتَحَ مَكَّةَ إِلَى الْعُزَّى بِنَخْلَةَ وَكَانَتْ لَقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ بَنِي كِنَانَةَ وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَضْنَامِهِمْ لِخُمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ فَارِسًا لِيَهْدِمَهَا فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا هَدَمَهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا قَالَ لَا قَالَ فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمَهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمَهَا فَارْجِعَ فَجَرَدَ سَيْفَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عُزْبَانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرَّأْسِ فَجَعَلَ السَّادُونَ يَصِيحُ فِيهَا فَضْرَبَهَا خَالِدٌ فَجَنَدَلَهَا بِاثْنَتَيْنِ فَارْجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ نَعَمْ تِلْكَ الْعُزَّى وَقَدْ يَبْسُتُ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلَادِكُمْ أَبَدًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ صَمْرُو بْنِ الْعَاصِ) إِلَى سُوَاعِ صَنَمٍ هُدَيْلٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ جِئْنَا فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ عَمْرُو فَأَتَيْتُهُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ السَّادُونَ فَقَالَ مَا تُرِيدُ فَقُلْتُ أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَهْدِمَهُ قَالَ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ لِمَ قَالَ تُنْمَعُ

فَقُلْتُ وَيْحَكَ وَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَكَسَّرْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ كَيْفَ رَأَيْتَ قَالَ
 أَسَلِمْتُ لِلَّهِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ) إِلَى مَنَاءَ صَنَمٍ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بِالمُسَلَّلِ فِي
 شَهْرِ رَمَضَانَ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا قَالَ السَّادِنُ مَا تُرِيدُ قَالَ
 هَذِمَ مَنَاءَ قَالَ أَنْتَ وَذَلِكَ فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَائِرَةٌ الرَّأْسِ
 تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا فَضَرَبَهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّوْمِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ
 فَهَدَمُوهُ وَانصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ ذَلِكَ لَيْسَتْ بِقِيَمِينَ مِنْ
 رَمَضَانَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ قَبِيلَةَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ
 أَسْفَلَ مَكَّةَ عَلَى لَيْلَةٍ بِنَاحِيَةِ يَلْمَلَمَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَهُوَ يَوْمُ العُمَيْصَاءِ بَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ هَذِمِ العُزَّى وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقِيمٌ بِمَكَّةَ وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةَ
 وَخَمْسِينَ رَجُلًا دَاعِيًا إِلَى الإِسْلَامِ لَا مُقَاتِلًا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ مَا أَنْتُمْ قَالُوا مُسْلِمُونَ قَدْ
 صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبَنَيْنَا المَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا وَفِي البُخَارِيِّ لَمْ يُخَسِّنُوا أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ
 فَقَالُوا صَبَأْنَا فَقَالَ لَهُمْ اسْتَأْسِرُوا فَاسْتَأْسَرُوا فَأَمَرَ بِعُضُوبِهِمْ فَكَتَفَ بَعْضًا وَفَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ
 فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ نَادَى مُنَادِي خَالِدٍ مَنْ كَانَ مَعَهُ أُسِيرٌ فَلْيَقْتُلْهُ فَقَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كَانَ بِأَيْدِيهِمْ
 وَأَمَّا الهَاهِجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَأَرْسَلُوا أَسْرَاهُمْ فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ خَالِدٍ وَبَعَثَ عَلِيًّا فَوَدَى لَهُمْ قَتْلَهُمْ قَالَ الخَطَّابِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَالِدٌ
 نَقِمَ عَلَيْهِمُ العُدُولَ عَنِ لَفْظِ الإِسْلَامِ وَلَمْ يَنْقَادُوا لِلدِّينِ فَقَتَلَهُمْ مَتَأُولًا وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامَ العَجَلَةَ وَتَرَكَ التَّثْبُتَ فِي أَمْرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ المُرَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَأْنَا.

عَزْوَةُ حُنَيْنٍ

وَهُوَ وَادٍ قُرْبَ الطَّائِفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَتُسَمَّى عَزْوَةَ هَوَازِنَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ وَتَمَهَّيْدِهَا وَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِهَا مَشَتْ أَشْرَافُ هَوَازِنَ
 وَتَقَيَّبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَحَشِدُوا وَقَصَدُوا مُحَارَبَةَ المُسْلِمِينَ وَكَانَ رَئِيسَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفِ
 النَّضْرِيِّ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ لَيْسَتْ لَيَالٍ مِنْ
 شَوَالٍ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنَ المُسْلِمِينَ عَشْرَةَ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ وَالْفَنَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ
 أَهْلِ مَكَّةَ وَاسْتَعْمَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ فَوَصَلَ إِلَى حُنَيْنٍ لَيْلَةَ
 الثَّلَاثَاءِ لِعَاشِرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي انطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ حَتَّى
 طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةَ أَبِيهِمْ بِظَعْنِهِمْ وَنَعْمِهِمْ وَشِيَاهِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى

حُثَيْنٍ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تِلْكَ غَيِّمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ رَجُلٌ لَنْ نُغَلِّبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ ذُلْدَلٌ وَلَيْسَ دِرْعَيْنِ وَالْمِغْفَرُ وَالْبَيْضَةُ فَاسْتَقْبَلَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُ مِنَ السَّوَادِ وَالكَثْرَةَ وَذَلِكَ فِي غَبَشِ الصُّبْحِ وَخَرَجَتِ الْكُتَائِبُ مِنَ مَضِيقِ الْوَادِي فَحَمَلُوا حَمَلَةً وَاحِدَةً فَانْكَشَفَتْ خَيْلُ بَنِي سُلَيْمٍ مُوَلِيَّةً وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَالنَّاسُ وَلَمْ يَنْبُثْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمئِذٍ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

قَالَ الْعَبَّاسُ وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَتِي أَكْفُمَا مَخَافَةَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَّقِدُمْ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِكَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ نَادِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ يَعْنِي شَجَرَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي بَايَعُوهُ تَحْتَهَا أَنْ لَا يَفِرُوا عَنْهُ فَجَعَلَ تَارَةً يُنَادِي يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ وَتَارَةً يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا صَيِّتًا فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ نِدَاءَ الْعَبَّاسِ أَقْبَلُوا كَأَنَّهُمْ الْإِبِلُ إِذَا حَثَّتْ إِلَى أَوْلَادِهَا وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ قَالَ الْعَبَّاسُ قَوْلًا لَكَأَنَّ عَطْفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا يَقُولُونَ يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ فَتَرَا جَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يُطَاوِعْهُ بَعِيرُهُ عَلَى الرَّجُوعِ انْحَدَرَ عَنْهُ وَأَرْسَلَهُ وَرَجَعَ بِنَفْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَنْ يَضُدُّوا الْحَمَلَةَ فَافْتَتَلُوا مَعَ الْكُفَّارِ فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَظَّرَ إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ الْآنَ حَيِّي الْوَطِيسُ وَهُوَ التُّنُورُ ضَرْبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الْحَرْبِ وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُثَيْنٍ فَقَالَ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ كَمَا هُوَ زَمَانٌ وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَيْتَنَا عَلَى الْمَغَانِمِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسَّهَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِمَامِهَا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

وَتَنَاقَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيَّاتٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ أَيْ قُبِحَتْ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَاعِيْنِيَه مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ وَفِي رِوَايَةٍ أَحْمَدَ وَعَظِيْرَه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَكَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ وَضَرَبَ وَجُوْهَهُمْ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوْهُ فَهَزَمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ حَادَثَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتُهُ فَمَالَ السَّرْجُ فَقُلْتُ ازْتَفِعْ رَفَعَكَ اللهُ فَقَالَ نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَضَرَبَ وَجُوْهَهُمْ وَامْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا وَجَاءَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ سِيُوْفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهُبُ فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ الْأَذْبَارَ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَهْرِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ إِلَّا اِمْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمَهُ تُرَابًا وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَا مَرَّ الْحَدِيدُ عَلَى الطُّسْتِ الْجَدِيدِ. ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَى رَسُوْلِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَأَنْزَلَ جُنُوْدًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦] وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَفِي سِيْرَةِ الدَّمِيَّاطِيِّ كَانَ سِيْمَا الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ حُمْرٍ أَرْخُوْهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ، وَأَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ وَأَفْضَى الْمُسْلِمُونَ فِي الْقِتْلِ إِلَى الذَّرِيَّةِ فَتَهَاهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ قَتِيْلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ وَاسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ وَخَدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِشْرِينَ رَجُلًا، وَأَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلْبِ الْعَدُوِّ فَانْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى الطَّائِفِ وَبَعْضُهُمْ لَحَوْ نَخْلَةَ وَقَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَوْطَاسٍ وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ أَيْمَنُ الْحَبَشِيِّ وَقِيْلَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِيْنَ قَتِيْلًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي عَامِرِ الْأَشْعَرِيِّ) وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بَعَثَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيْنَ فَرَعٍ مِنْ حُنَيْنٍ فِي طَلْبِ الْفَارِيْنَ مِنْ هَوَازِنَ وَكَانَ مَعَهُ سَلْمَةُ بِنُ الْأَكْوَعِ فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ فَأَذَاهُمْ مُجْتَمِعُونَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ تِسْعَةَ إِخْوَةٍ مُبَارَزَةً بَعْدَ أَنْ يَدْعُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُوْلُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ لَا تَشْهَدْ عَلَيَّ فَكَفَّ عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ فَأَقْلَتِ ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ فَحْسَنَ إِسْلَامُهُ وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَاهُ قَالَ هَذَا شَرِيْدُ أَبِي عَامِرٍ وَرَمَى أَبَا عَامِرٍ ابْنَا الْحَارِثِ الْعَلَاءِ وَأَوْفَى فَقَتَلَاهُ فَخَلَفَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِي عَامِرٍ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ وَاجْعَلْهُ مِنْ أَعْلَى أُمَّتِي فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ فِي السَّبِيِّ الشَّيْمَاءِ أُخْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرِّضَاعَةِ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ) إِلَى ذِي الكُفَيْنِ صَنَّمٌ مِنْ خَشَبٍ فِي شَوَالٍ لَمَّا
أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ لِيَهْدِمَهُ وَيُؤَافِيَهُ بِالطَّائِفِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَهَدَمَهُ
وَجَعَلَ يَحُشُّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ أَيْ يُلْقِيهَا عَلَيْهِ وَيُحْرِقُهُ وَيَقُولُ:

يَا ذَا الكُفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَادِكَ مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ

إِنِّي حَسَبْتُ النَّارَ فِي قُؤَادِكَ

وَانْحَدَرَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ رَجُلٍ سِرَاعًا فَوَافُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ
بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

وَهِيَ بَلَدٌ كَبِيرٌ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاجِلٍ مِنْ مَكَّةَ سَارَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
شَوَالٍ سَنَةِ ثَمَانٍ حِينَ خَرَجَ مِنْ حُنَيْنٍ وَحَبَسَ الْعُنَائِمَ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى
مُقَدَّمِيهِ وَكَانَتْ ثَقِيفٌ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ بِالطَّائِفِ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ
أَدْخَلُوا فِيهِ مَا يُضِلُّهُمْ سَنَةً وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ فَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ
الْحِصْنِ وَعَسَكَرَ هُنَاكَ فَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَميًا شَدِيدًا كَأَنَّهُ رَجُلٌ جَرَادٍ حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَارْتَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَوْضِعٍ مَسْجِدِ
الطَّائِفِ الْيَوْمَ وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَرَزِينَةُ فَضْرَبَ لهُمَا قُبَّتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَنَصَبَ عَلَيْهِمْ
الْمَشَجِينِيْقَ وَهُوَ أَوْلَى مَشَجِينِيْقٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَرَ بِقَطْعِ أَعْيَابِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا فَقَطَعَ
الْمُسْلِمُونَ قِطْعًا ذَرِيعًا ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّجِمِ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَدْعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّجِمِ ثُمَّ نَادَى مُنَادِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
أَيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ فَخَرَجَ ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ عَبْدًا مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ وَلَمْ
يُؤْذَنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَتْحِ الطَّائِفِ وَأَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَذَّنَ
بِالنَّاسِ فِي الرَّجِيلِ فَضَعَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا نَزَحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ فَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَأَعْدُوا عَلَى الْقِتَالِ فَغَدُوا فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَسَرُوا بِذَلِكَ وَأَدْعُوا وَجَعَلُوا يَزْحَلُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَفَقِئْتُ عَيْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرٍ بِنِ حَرْبٍ يَوْمَئِذٍ.

فَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ وَهِيَ فِي يَدِهِ أَيَّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ أَوْ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ بَلْ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَمَى بِهَا وَشَهِدَ الْيَزْمُوكَ فَقَاتَلَ وَفَقِئَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدِّهُ صَدَقَ وَعَدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَدَّهُ فَلَمَّا ازْتَحَلُوا قَالَ قُولُوا آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ عَلَيَّ ثَقِيفَ قَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَائْتِ بِهِمْ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ السُّبْيُ وَالْغَنَائِمُ مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى الْجِعْرَانَةِ فَكَانَ بِهَا إِلَى أَنْ انصَرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَكَانَ السُّبْيُ سِتَّةَ آلَافٍ رَأْسٍ وَالْإِبِلُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أَوْقِيَّةَ فِضَّةٍ وَانْتَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَوَازِنَ أَنْ يَفْتَدُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ بِضَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ ثُمَّ بَدَأَ يَقْسِمُ الْأَمْوَالَ وَفِي الْبُخَارِيِّ وَطَفِيقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي رِجَالًا الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسَيُوفُنَا تُفْطِرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

قَالَ أَنَسٌ فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَتِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ آدَمَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا وَالْعِضَاءُ شَجَرٌ دُو شَوْكٍ.

وَأَحْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُمْرَةٍ وَدَخَلَ مَكَّةَ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَقَدْ غَابَ عَنْهَا شَهْرَيْنِ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِلَى نَاحِيَةِ الْيَمَنِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ قَبِيلَةَ صُدَاءَ حِينَ مَرُورِهِ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ فَقَدِمَ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَائِيُّ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْبَعْثِ فَأَخْبَرَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَإِفْدَهُمْ فَأَرَدَدِ الْجَيْشَ وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي فَرَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِمَ الصُّدَائِيُّونَ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا

فَأَسْلَمُوا، وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ الْقَزَارِيِّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ بِالسُّفْيَا وَهِيَ أَرْضُ بَنِي تَمِيمٍ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَ تِسْعٍ فِي حَمَيْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ قَدْ حَلُّوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَوْا فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا فَقَدِمَ عَشْرَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَسَارَى وَالسَّبْيَ.

ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي الْمُضَطَّلِقِ مِنْ خُرَاعَةَ لِصَدَقَتِهِمْ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَتَنَوُّوا الْمَسَاجِدَ فَلَمَّا سَمِعُوا بِدُئُورِ الْوَلِيدِ قَدِمَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ رَجُلًا يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْجُزْرِ وَالْعَنَمِ فَرَحَا بِهِ وَتَعْظِيمًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ لَقَوْهُ بِالسَّلَاحِ يَحْوِلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ فَهَمَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَغْزُوهُمْ وَيَبْلُغَ ذَلِكَ الْقَوْمِ فَقَدِمَ مِنْهُمْ الرُّكْبُ الَّذِينَ لَقُوا الْوَلِيدَ فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَخْبَرَ عَلَى وَجْهِهِ فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَةَ وَبَعَثَ مَعَهُمْ عَبَادَ بْنَ بِشْرِ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَوْسَجَةَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ فِي مُسْتَهْلٍ صَفَّرَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا وَاسْتَحَفُّوا بِالصُّعَيْبَةِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَهَابِ الْعَقْلِ قَالَ زَاوِي الْحَدِيثِ فَهَمَّ إِلَى الْيَوْمِ أَهْلُ رَغْدَةَ وَعَجَلَةَ وَكَلَامٍ مُخْتَلِطٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى حَنْعَمَ قَرِيبًا مِنْ تَرْبَةَ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ مَعَهُ عِشْرِينَ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ فَافْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى كَثُرَ الْجَرْحَى فِي الضَّرْبَتَيْنِ جَمِيعًا وَقَتَلَ قُطْبَةُ مَنْ قَتَلَ وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ الضُّحَاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ) إِلَى بَنِي كِلَابٍ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ إِلَى الْقُرْطَاءِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ وَعَظَمُوا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلَقَمَةَ بْنِ مُجَرِّزِ الْمُدَلِجِيِّ) إِلَى نَاسٍ مِنَ الْحَبَشَةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ فَلَمَّا خَاضَ إِلَيْهِمْ هَرَبُوا فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ فَتَنَزَّلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَائِبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ فَلَمَّا هَمَّ

بَغْضُهُمْ بِذَلِكَ قَالَ اجْلِسُوا إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزُحُ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَ لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى الْفُلَسِ وَهُوَ صَتَمٌ طَيِّ لِهَذِمِهِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَةَ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا فَهَدَمَهُ وَعَنِمَ سَبِيًّا وَنَعَمًا وَشَاءَ وَكَانَ فِي السَّبْيِ سَفَانَةٌ بِنْتُ حَاتِمٍ فَأُطْلِقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِسْلَامِ أُخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى الْجَبَابِ مَوْضِعٍ بِالْحِجَازِ وَهُوَ أَرْضُ عُدْرَةَ وَبِلْيِ اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ وَقِيلَ أَرْضُ فَرَازَةَ وَكَلْبِ.

قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ رُجُوعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَغَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ وَأَخِيهِ بُجَيْرٌ أَنْ بُجَيْرًا قَالَ لِكَعْبِ اثْبُتْ حَتَّى آتِي هَذَا الرَّجُلَ يَغِيبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَعْرِفَ مَا عِنْدَهُ فَأَقَامَ كَعْبٌ وَمَضَى بُجَيْرٌ حَتَّى آتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَمَنَ بِهِ وَذَلِكَ أَنْ زُهَيْرًا كَانَ يُجَالِسُ أَهْلَ الْكِتَابِ فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ آتَى مَبْعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَى زُهَيْرٌ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ قَدْ مَدَّ سَبَبَ مِنَ السَّمَاءِ وَأَنَّهُ قَدْ مَدَّ يَدَهُ لِيَتَنَاوَلَهُ فَفَاتَهُ فَنَأْوَلَهُ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ وَأَخْبَرَ بَيْنَهُ بِذَلِكَ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ أَدْرِكُوهُ أَنْ يُسَلِّمُوا وَكَتَبَ بُجَيْرٌ إِلَى كَعْبِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَأَنْ مَنْ بَقِيَ مِنْ شَعْرَاءِ قُرَيْشٍ هَرَبُوا فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجِ إِلَى نَجَاتِكَ فَكَتَبَ لَهُ أَبْيَاتًا لَأَمَّهُ فِيهَا عَلَى إِسْلَامِهِ فَأَنْشَدَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ لَيْفِي مِنْكُمْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ فَوُتِّبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدِّ اللَّهُ أَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَهُ عَنْكَ فَقَدْ جَاءَ تَائِبًا ثُمَّ قَالَ قَصِيدَتَهُ «بَانَثُ سَعَادُ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ لَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْتَدٍ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
رَمَى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَيْهِ بُرْدَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ مُعَاوِيَةَ بَدَلَ لَهُ فِيهَا عَشْرَةَ آلَافٍ
فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِتُوبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ بَعَثَ
مُعَاوِيَةَ إِلَى وَرَثَتِهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ قَالَ وَهِيَ الْبُرْدَةُ الَّتِي عِنْدَ السَّلَاطِينِ إِلَى الْيَوْمِ.

غَزْوَةُ تَبُوكَ

مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إِلَى دِمَشْقَ وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ وَكَانَتْ يَوْمَ
الْخَمِيسِ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ حَرًّا شَدِيدًا وَجَدْبًا كَثِيرًا فَلِذَلِكَ لَمْ يُورَّ عَنْهَا
كَعَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ الْغَزَوَاتِ.

خَرَجُوا فِي قَلَّةٍ مِنَ الظَّهِيرِ وَفِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِي
كَرْسِهِ مِنَ الْمَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَفِي الظَّهِيرِ وَفِي التَّفَقُّةِ فَسُمِّيَتْ «غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ»
وَسَبَّبَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْبَاطِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَنَّ الرُّومَ تَجَمَّعَتْ بِالشَّامِ مَعَ هِرْقَلٍ فَتَدَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ وَأَعْلَمَهُمْ
بِالْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ وَقَالَ عُثْمَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَخْلَاسِهَا
وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا وَرُويَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ
قَالَ حَمَلُ عُثْمَانَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ وَسَبْعِينَ فَرَسًا.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْفِ دِينَارٍ فِي
كُمِهِ حِينَ جُهِزَ جَيْشُ الْعُسْرَةِ فَتَنَّتْهَا فِي حِجْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ حُدَيْفَةَ أَنَّ عُثْمَانَ بَعَثَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِيَدِهِ وَيُقَلِّبُهَا
ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَيَقُولُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَزْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا وَلَمَّا تَأَهَّبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُتَنَافِقِينَ لَا
تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَى مَكَّةَ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ وَجَاءَ
الْبُكَائُونَ يَسْتَحْمِلُونَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ «تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْتُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» وَجَاءَ

الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخْلُفِ فَأَذِنَ لَهُمْ وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَقَعَدَ
 آخَرُونَ مِنَ الْمُتَأَفِّفِينَ بِغَيْرِ عُدْرٍ وَإِظْهَارِ عِلَّةٍ جَزَاءً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَعَدَ
 الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٩].

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى عِيَالِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ يَوْمَئِذٍ
 أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَتَخَلَّفَ تَقَرُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ
 شَكٍّ وَلَا اِزْتِيَابٍ مِنْهُمْ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهِيَ لَاحِقَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَفِيهِمْ نَزَلُ: ﴿وَعَلَى
 الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] وَأَبُو ذَرٍّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ ثُمَّ لِحِقَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِيَوَاءٍ وَرَايَةً وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَكَانَتِ الْخَيْلُ عَشْرَةَ آلافٍ فَلَمَّا قَدِمُوا تَبُّوكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَهَبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ أَحَدٌ
 مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدُّ عِقَالَهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلٍ طَيِّبٍ رَوَاهُ
 مُسْلِمٌ وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ سَجَى ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَحَثَّ
 رَاحِلَتَهُ ثُمَّ قَالَ لَا تَدْخُلُوا بِيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا
 أَصَابَهُمْ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، وَالْحِجْرُ دِيَارُ ثُمُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْغِضُ الطَّرِيقَ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْنِ وَكَانَ
 مُتَأَفِّفًا أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيُخْبِرُكُمْ بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ كَذَا وَذَكَرَ مَقَالَتهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي
 اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِغْبِ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ
 حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا فَانْطَلِقُوا فَجَاؤُوا بِهَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَيْنَ تَبُوكَ وَهِيَ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ وَأَنَّهُمْ
 عَرَفُوا مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَنْ ثُمَّ غَسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ
 أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ وَلَمَّا انْتَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ
 صَاحِبُ أَيْلَةَ فَصَالِحَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلُ جَزْبَاءَ وَأَذْرَحَ وَهُمَا بِلَدَانِ بِالشَّامِ فَأَعْطَوْهُ
 الْجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا وَوَجَدَ هِرْقُلَ بِحِمَصَ فَأَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ
 إِلَى أَكْبِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّضْرَانِيِّ بِدُومَةَ الْجَنْدَلِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارْسًا فِي رَجَبِ
 سَرِيَّةٍ وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ لَيْلًا يَصِيدُ الْبُقَرَّ فَانْتَهَى إِلَيْهِ خَالِدُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ حِضْنِهِ فِي لَيْلَةٍ مُفْجِرَةٍ إِلَى بَقْرٍ يُطَارِدُهَا هُوَ وَأَخُوهُ حَسَّانُ فَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ خَيْلُ خَالِدٍ فَاسْتَأْسَرَا كَيْدِرٌ وَقُتَيْلٌ أَخُوهُ حَسَّانُ وَهَرَبَ مَنْ كَانَ مَعَهُمَا فَدَخَلَ الْحِضْنَ ثُمَّ أَجَارَ خَالِدٌ أُكَيْدِرًا مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ دُورَةَ الْجَنْدَلِ فَفَعَلَ وَصَالِحَهُ عَلَى أَلْفِي بَعِيرٍ وَثَمَانِمِائَةِ فَرَسٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ دِرْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ رُمْحٍ .

وَفِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ كَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِي تَبُوكَ إِلَى هِرْقَلٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَارَبَ الْإِجَابَةَ وَلَمْ تُجِبْ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ هِرْقَلَ كَتَبَ مِنْ تَبُوكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّي مُسْلِمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَبَ هُوَ عَلَى نَضْرَائِيَّتِهِ، ثُمَّ انصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقِيلَ عَشْرِينَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَبَنَى فِي طَرِيقِهِ مَسَاجِدَ وَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِدِي أَوَّانٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةً جَاءَهُ خَبَرُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ مِنَ السَّمَاءِ فَأَرْسَلَ مَنْ هَدَمَهُ وَحَرَقَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧] الْآيَةَ وَكَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا يُضَارُونَ بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ نَبِيَّ مَسْجِدًا فَتَقَبَّلُوا فِيهِ فَلَا تَحْضُرُ خَلْفَ مُحَمَّدٍ . وَلَمَّا دَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلْقَائِهِ وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْوَالِيَدُ يَقْلَنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ نَيْيَاتِ الْوَدَاعِ
وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا إِلَيْهِ دَاعِي

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَقْرَامًا مَا سِزْتُمْ سَيْرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْعُدْرُ وَلَمَّا أَشْرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُلِيهِ طَابَةٌ وَهَذَا أَحَدُ جَبَلٍ يُجِبُّنَا وَنُجِبُهُ، وَلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْتَانِي أَمْتِيحُكَ قَالَ قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَأَكَ فَقَالَ قَصِيدَةٌ مِنْهَا :

وَأَلَّتْ لَمَّا وُلِدَتْ أَشْرَقَتِ الْأَرْقُ ضُ وَضَاءَتْ بِثُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضُّيَاءِ وَفِي الثُّورِ رِ وَسُبُلِ الرُّشَادِ نَخْرَقُ

وَجَاءَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَحَلَفُوا لَهُ فَعَدَّرَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ أَمْرَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبِيهِ هِلَالِ بْنِ أُمِيَّةَ وَمَرَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾

[التوبة: ١٠٢] قَالَ كَانُوا عَشْرَةَ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْثَقَ سَبْعَةَ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ مَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالُوا هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابُ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تُطَلِّقَهُمْ وَتَعَدَّرَهُمْ فَقَالَ أَفْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطَلِّقُهُمْ وَلَا أَعَدِّرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطَلِّقُهُمْ رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُوزَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَلَمَّا نَزَلَتْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُطْلِقَهُمْ وَعَدَّرَهُمْ.

ثُمَّ (حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعِشْرُونَ بَدَنَةً بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَدِّنُ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ شُرْكَ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا ثُمَّ أَرَدَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِبِرَاءَةِ فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فَلَمْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مُشْرِكًا.

ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافِ أَبِي إِفْلِيمٍ وَالْيَمَنِ مِخْلَافَانِ ثُمَّ قَالَ يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا وَيَسْرًا وَلَا تُنْفِرَا وَقَالَ لِمُعَاذِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَيْلَةَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وَكَانَتْ جِهَةٌ مُعَاذِ الْعُلْيَا إِلَى صَوْبِ عَدْنٍ وَكَانَتْ جِهَةٌ أَبِي مُوسَى السُّفْلَى.

ثُمَّ أُرْسِلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ قَبِيلَةَ بَنَجِرَانَ فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ أُرْسِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرِ وَعَقَدَ لَهُ لِيَوَاءٍ وَعَمَّمَهُ بِبَيْدِهِ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبِعْنِي إِلَى قَوْمِ أَسْنٍ مِنِّي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لَا أَبْصِرُ الْقَضَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَضَمَانِ فَلَا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فَأَتَوْا بِنَهْبٍ وَعَنَائِمٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَنَعَمٍ وَشَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَرَمَوْا بِالثُّبُلِ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا فَكَفَّ عَنْ طَلِبِهِمْ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْرَعُوا وَأَجَابُوا ثُمَّ قَفَلَ فَوَافَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَدْ قَدِمَهَا لِلْحَجِّ سَنَةَ عَشْرٍ، ثُمَّ حَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَتُسَمَّى حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَحَجَّةَ الْبَلَاغِ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِخُمْسِ لَيْلٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ تِسْعُونَ أَلْفًا وَيُقَالُ مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفًا وَيُقَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي مَقْصِدِ الْعِبَادَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) إِلَى أَهْلِ أُبْنَى بِالشَّرَاءِ نَاحِيَّةً بِالْبَلْقَاءِ وَكَانَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ لَيْلٍ بَقِيْنَ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَهِيَ آخِرُ سَرِيَّةٍ جَهَّزَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ شَيْءٍ جَهَّزَهُ أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَزْوِ الرُّومِ مَكَانَ قَتْلِ أَبِيهِ زَيْدٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بُدِيَءَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَهُ فَحْمٌ وَصُدِيعٌ فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ عَقَدَ لِأُسَامَةَ لِيَوَاءِ بِيَدِهِ فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَعْقُودًا فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ فَعَسَكَرَ بِالْجُرْفِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا انْتَدَبَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أَجْمَعِينَ وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُودِّعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ بِالْجُرْفِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مَعْسِكَرِهِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْمُورٌ فَطَاطَأَ أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَكَلَّمُ فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ قَالَ أُسَامَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي فَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مَعْسِكَرِهِ ثُمَّ دَخَلَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفِيقًا فَوَدَّعَهُ أُسَامَةُ وَخَرَجَ إِلَى مَعْسِكَرِهِ فَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ فَبَيْنَا هُوَ يُرِيدُ الرُّكُوبَ إِذَا رَسُولُ أُمِّهِ أَمْ أَيْمَنَ قَدْ جَاءَهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُوتُ فَأَقْبَلَ هُوَ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ لِإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَاعْتَمَدَ الْحَافِظُ بْنُ حَجْرٍ أَنَّهَا فِي ثَانِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

وَلَمَّا تُوْفِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ عَسَكَرُوا بِالْجُرْفِ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَدَخَلَ بُرَيْدَةُ بِلَوَاءِ أُسَامَةَ مَعْقُودًا حَتَّى أَتَى بِهِ بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَّزَهُ
عِنْدَ بَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَمَّا بُوِيَحَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بُرَيْدَةَ أَنْ يَذْهَبَ
بِاللُّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أُسَامَةَ لِيَمُضِيَ بِهِ إِلَى وَجْهَتِهِ فَمَضَى إِلَى مُعَسَكَرِهِمُ الْأَوَّلِ وَخَرَجَ أُسَامَةُ
هِلَالَ رَبِيعِ الْأَخْرِ سَنَةَ إِخْدَى عَشْرَةَ إِلَى أَهْلِ أُبْنَى فَسَنَّ عَلَيْهِمُ الْعَارَةَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ لَهُ
وَسَبَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَحَرَقَ مَنَازِلَهُمْ وَتَخَلَّهْمُ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْعَارَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَلَمْ يُصَبَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلِي الْمَدِينَةِ يَتَلَقَّوْنَهُ سُرُورًا،
فَجَمِيعُ سَرَايَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ السُّتَيْنِ وَمَعَازِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَبْعَ
وَعِشْرُونَ.

المقصد الثاني

في أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم وذكر أولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وأمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى الملوك وغيرهم ومؤذنيه وخطبائه وخدامه وشعرائه آيات حروبه ودوابه والوافدين إليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول.

الفصل الأول

في ذكر أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم

اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وقد سمي الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين كعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما وقال ابن دحية إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وقت الثلاثمائة.

وقال أبو بكر بن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى ألف اسم وللبني صلى الله عليه وسلم ألف اسم. وذكر منها صاحب المواهب التي هي أضل لهذا الكتاب ما يزيد على الأربعمائة اسم، فمنها: اسمه «محمد» صلى الله عليه وسلم وهو أشهر أسمائه عليه الصلاة والسلام سماه الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق بالقي عام كما ورد من حديث أنس وبه سماه جده عبد المطلب وقد قيل له ما سميت ولدك قال محمدا فقيل له كيف سميتك باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال لأنني أزجو أن يحمده أهل الأرض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب فقد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها

نورٍ وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها فعبّرت له بمولود يكون من صلّبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمّده أهل السّماء وأهل الأرض فلذلك سمّاه محمّداً مع ما حدّثته به أمه آمنة حين قال لها الملك إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعتيه فسمّيه محمّداً .

ومن خصائص هذا الاسم كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى وأنه على شكل صورة آدمي فالميم الأول رأسه والحاء جناحاه والميم الثاني سرّته والدال رجلاه ويظهر ذلك في الخط القديم الكوفي . قيل ولا يدخل الناز من يستحق دخولها أعادنا الله منها إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة لفظ محمّد وأنه مشتق من اسم الله تعالى محمود كما قال حسان :

أغرّ عليّهُ للنبوة خاتمٌ من الله من نور يلوخ ويشهد
وضمّ الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمّد
وروى ابن عسّاك عن كعب الأخبّار أنّ آدم قال لأبيه شيث عليهما السلام أي بُني أنت خليفتي من بعدي فحذّتها بعمارة الثفوى والعزوة الوثقى وكلّما ذكرت الله فاذكُرْ إلى جنبه اسم محمّد فإنّي رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وطفت السموات فلم أر فيها موضعاً إلا ورأيت اسم محمّد مكتوباً عليه ولقد رأيت اسم محمّد مكتوباً على نُحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكّره في كلّ ساعاتها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال لما عرج بي إلى السّماء ما مررت بسّماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً محمّد رسول الله وأبو بكر من خلفي . ووجد على الحجارة القديمة مكتوباً محمّد تقيّ مصلح أمين ذكره في الشفاء . ووجد على حجر بالخط العبراني باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا إله إلا الله محمّد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر الزهري .

وذكر العلامة ابن مزروق عن عبد الله بن صوحان قال عصفت بنا ريح وتحنّ في لجج بحر الهند فأرسينا في جزيرة قرأينا فيها وزدا أحمر ذكي الرائحة طيب السّم وفيه مكتوب بالأبيض لا إله إلا الله محمّد رسول الله ووزدا أبيض مكتوباً عليه بالأصفر براءة من الرّحمن الرّحيم إلى جنّات النعيم لا إله إلا الله محمّد رسول الله . وذكّر في الشفاء أنه

شُوهِدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَّاسَانَ مَوْلُودٌ وُلِدَ عَلَيَّ أَحَدِ جَنَّتِيهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَلَى الْآخِرِ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَشُوهِدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَرَدَّ أَحْمَرَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ.

وَفِي كِتَابِ رَوْضِ الرِّيَاحِينَ لِلْيَافِعِيِّ عَنِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ وَجَدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ شَجْرَةَ تَحْمِيلٍ ثَمَرًا
كَاللُّوزِ لَهُ قِشْرٌ إِذْ كُسِرَ خَرَجَتْ مِنْهُ وَرَقَةٌ خَضِرَاءُ مَطْوِيَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْحُمْرَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابَةٌ جَلِيَّةٌ وَهُمْ يَتَّبِرُكُونَ بِهَا قَالَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا يَعْقُوبَ الصَّيَّادَ فَقَالَ مَا
أَسْتَغْظِمُ هَذَا كُنْتُ أَضْطَاطُ عَلَى نَهْرِ الْأَبْلَةِ فَاضْطَدْتُ سَمَكَةً عَلَى جَنْبِهَا الْأَيْمَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَعَلَى جَنْبِهَا الْأَيْسَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قَدَفْتُهَا بِالْمَاءِ اخْتِزَامًا لَهَا وَرَوَى خَبَرَ هَذِهِ
الشَّجْرَةَ الَّتِي تَحْمِيلُ ثَمَرًا كَاللُّوزِ الْقَاضِي أَبُو الْبَقَاءِ بْنُ الضَّيَّاءِ فِي مَنْسِكِهِ نَقْلًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَالِكٍ أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الشَّجْرَةَ وَثَمَرَتُهَا مَكْتُوبٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَوُجِدَ
فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ حَبَّةٌ عِنَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِحُطِّ بَارِعٍ بِلُونٍ أَسْوَدَ مُحَمَّدٌ.

وَفِي كِتَابِ التُّنْطِقِ الْمَفْهُومِ لِابْنِ طُغْرَيْكٍ عَنِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ رَأَى فِي جَزِيرَةِ شَجْرَةِ عَظِيمَةٍ
لَهَا وَرَقٌ كَثِيرٌ طَيِّبٌ الرَّائِحَةِ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالْحُمْرَةِ كِتَابَةٌ بَيِّنَةٌ وَاصِحَةٌ فِي الْوَرَقَةِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ
الْأَوَّلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالثَّانِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالثَّلَاثُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. قَالَ ابْنُ
قُتَيْبَةَ وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِاسْمِهِ مُحَمَّدٍ صِيَانَةً مِنَ اللَّهِ
لِهَذَا الْأَسْمِ الشَّرِيفِ كَمَا فُعِلَ بِبَيْحَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِيًّا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا
قَرَّبَ زَمَنَهُ وَبَشَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِقُرْبِهِ سَمَّى قَوْمَ أَوْلَادِهِمْ كَذَلِكَ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ هُوَ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَدْ بَلَّغُوا حَمْسَةَ عَشْرَ نَفْسًا، وَمِنْهَا
اسْمُهُ «أَحْمَدُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ اسْمُهُ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى وَمُوسَى
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنِ اسْمِ التَّفْضِيلِ فَمَعْنَاهُ أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ وَكَذَلِكَ هُوَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بِمَحَامِدٍ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ
فَيَحْمَدُ رَبَّهُ بِهَا وَيُعْقَدُ لَهُ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدًا حَتَّى كَانَ أَحْمَدَ حَمِيدَ رَبِّهِ فَتَبَّأَهُ
وَشَرَّفَهُ فَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ اسْمُهُ أَحْمَدُ عَلَى اسْمِهِ مُحَمَّدٍ فَذَكَرَهُ عِيسَى فَقَالَ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَذَكَرَهُ
مُوسَى حِينَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ فَيَأْخُذُ دُكْرًا قَبْلَ أَنْ
يُذَكَّرَ بِمُحَمَّدٍ لِأَنَّ حَمْدَهُ لِرَبِّهِ كَانَ قَبْلَ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ فَلَمَّا وَجِدَ وَبُعِثَ كَانَ مُحَمَّدًا بِالْفِعْلِ
ذَكَرَ ذَلِكَ السُّهَيْلِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَيْضًا أَحْمَدُ بِمَعْنَى أَكْبَرَ مَنْ حَمِدَ

وَأَجَلٌ مِّنْ حُمِدٍ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «مَحْمُودٌ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ شَبِيهُ بِاسْمِهِ تَعَالَى الْحَمِيدُ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ وَهَذَا الْأَسْمُ الشَّرِيفُ وَقَعَ فِي زُبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمَاجِي» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَى الْكُفْرِ وَلَمْ يُنَمَّحِ الْكُفْرُ بِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ مِثْلَ مَا مَجِي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يُعِثُّ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ مَا بَيْنَ عِبَادِ أَوْثَانٍ وَيَهُودٍ وَنَصَارَى وَصَابِئَةٍ وَدَهْرِيَّةٍ وَعِبَادِ كَوَاكِبٍ وَعِبَادِ نَارٍ فَمَحَاها اللَّهُ تَعَالَى بِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى أَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ وَبَلَغَ دِينَهُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْفَاتِحُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابَ الْهُدَى إِذْ كَانَ مُرْتَجِبًا وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيَّا وَأَدَانَا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا وَفَتَحَ أَمْصَارَ الْكُفَّارِ وَفَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَفَتَحَ بِهِ طُرُقَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَاشِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ أَيْ يَفْتَدِمُهُمْ وَهُمْ خَلْفَهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْبِهِ وَإِلَيْهِ يَلْجِئُونَ فِي مَحْشَرِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْعَاقِبُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ عَقِبَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ لِأَنَّ الْعَاقِبَ هُوَ الْآخِرُ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُقَمِّي» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ كَالْعَاقِبِ أَيْ قَفَا آثارَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَكَانَ خَاتِمَهُمْ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْأَوَّلُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَكَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ فِي الْبَدءِ هُوَ أَوَّلُ فِي الْعَوْدِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِيَّاتِ الْبَدءِ فِي عَالَمِ الدُّرِّ أَوَّلُ مُجِيبٍ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى إِذْ أَخَذَ رَبُّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الدُّرِّيَّةِ الْأَدَمِيَّةِ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْآخِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْبَعْثِ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْخَاتِمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُهُمْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ وَمِنْهَا اسْمُهُ «الظَّاهِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى جَمِيعِ الظَّاهِرَاتِ ظُهُورُهُ وَظَهَرَ عَلَى الْأَدْيَانِ دِينَهُ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْبَاطِنُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ الْمُطَّلِعُ عَلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ بِوَاسِطَةِ مَا يُوجِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ، وَمِنْهَا اسْمَاهُ «الرُّؤُوفُ الرَّحِيمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» [التوبة: ١٢٨]
 وَالرَّؤُوفُ مِنَ الرَّأْفَةِ وَهِيَ أَرْقٌ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالرَّحِيمُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقِيلَ رَؤُوفٌ
 بِالْمُطِيعِينَ رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَقُّ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ ضِدُّ الْبَاطِلِ
 وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الزخرف: ٢٩] وَقَالَ: ﴿قَدْ
 جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] قِيلَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْقُرْآنُ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُبِينُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ وَالْمُبِينُ عَنِ اللَّهِ
 مَا بُعِثَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْجَبَّارُ»
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُمِّيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ فِي
 الْمَزْمُورِ الرَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ تَقَلَّدَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ
 فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَرَ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْكُفْرِ
 جَبْرًا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكْبِيرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ
 فَقَالَ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وَمِنْهَا «الْمُزْمَلُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْمُتَلَفُّفُ فِي ثِيَابِهِ قَالَ السُّدِّيُّ مَعْنَاهُ يَا
 أَيُّهَا النَّائِمُ وَكَانَ مُتَلَفِّفًا فِي ثِيَابِ نَوْمِهِ، وَمِنْهَا «الْمُدْتَرُّ» وَهُوَ الْمُتَلَفُّفُ بِالذَّنَارِ وَهُوَ مَا يُلْقِيهِ
 عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ كُنْتُ بِحِجْرَاءَ فَتَوَدِدْتُ
 فَتَنْظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا وَتَنْظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ يَغْنِي الْمَلَكَ الَّذِي تَادَاهُ فَرَعِبْتُ فَرَجَعْتُ إِلَى حَدِيحَةَ فَقُلْتُ دَثْرُونِي دَثْرُونِي فَتَزَلَّ
 جَبْرِيْلُ فَقَالَ «يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ» وَمِنْهَا اسْمُهُ «التَّقِيْبُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ شَاهِدُ الْقَوْمِ
 وَنَاطِرُهُمْ وَضَمِيئُهُمْ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْعَظِيمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سَفَرٍ مِنْ
 التَّوْرَةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَسَيِّدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمِنْهَا «طه» قِيلَ مَعْنَاهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي.

وَمِنْهَا «يس» عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ مَعْنَاهُ يَا سَيِّدُ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ يَا سَيِّدَ الْبَشَرِ،
 وَمِنْهَا «النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ» وَاخْتَلَفَ هَلْ هُمَا بِمَعْنَى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ فَقَالَ بِالْأَوَّلِ قَوْمٌ وَقَالَ آخَرُونَ
 بِالثَّانِي فَقَالَى هَذَا النَّبِيُّ كُلَّفَ بِمَا يَخْصُهُ وَالرَّسُولُ بِذَلِكَ وَبِتَبْلِيغِ غَيْرِهِ فَالرَّسُولُ أَخْصُ مُطْلَقًا،
 وَمِنْهَا «نَبِيُّ الْمَلَاحِمِ» وَهِيَ الْحُرُوبُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
 الْقِتَالِ وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، وَمِنْهَا «مُقِيمُ السُّنَّةِ»
 فَفِي كِتَابِ الشِّفَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفِتْرَةِ.

وَمِنْهَا «عَبْدُ اللَّهِ» سَمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١] وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَمَّا خُيِّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى عِيسَى وَلَكِنْ قُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمِنْهَا «مَاذُ مَاذُ» وَنَقَلَ الْعَلَامَةُ الْحِجَازِيُّ فِي حَاشِيَّتِهِ عَلَى الشِّفَاءِ عَنِ السَّهَيْلِيِّ ضَمَّ الْمِيمَ وَإِسْمَامَ الْهَمْزَةَ ضَمَّةً بَيْنَ الْوَاوِ وَالْأَلِفِ مَمْدُودَةً وَقَالَ نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ مَعْنَاهُ طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَلَا زَيْبٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِينَ، وَمِنْهَا «الْبَارِئُ» بِالْبَاءِ وَيُقَالُ الْفَارْقَلِيطُ وَوَقَعَ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا وَمَعْنَاهُ رُوحُ الْحَقِّ وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَائَةِ مَعْنَاهُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَضَدِّيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

وَمِنْهَا «حَمَطَايَا» قَالَ أَبُو عَمْرٍو سَأَلْتُ بَعْضَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ عَنْهُ فَقَالَ مَعْنَاهُ يَحْمِي الْحُرْمَ مِنَ الْحَرَامِ وَيُوطِيءُ الْحَلَالَ، وَ «أَحِيدٌ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمِي فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدٌ وَفِي الْإِنْجِيلِ أَحْمَدُ وَفِي التَّوْرَةِ أَحِيدٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ أَحِيدٌ لِأَنِّي أَحِيدٌ عَنْ أُمَّتِي نَارَ جَهَنَّمَ، وَمِنْهَا «الْمُحْمِنَا» بِالشَّرِّيَايَةِ مُحَمَّدٌ وَمِثْلُهُ «الْمُشْفَحُ» فِي كِتَابِ شُعْبَا فِي الْبَشَارَةِ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَفْتَحُ الْعُيُونَ الْعُورَ وَالْأَذَانَ الصُّمَّ وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْعُلْفَ وَمَا أُعْطِيَهُ لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مُشْفَحٌ يَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا جَدِيدًا، وَمِنْهَا «قُتْمٌ» وَمَعْنَاهُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: السَّرَاجُ، الثُّورُ، الْمُنِيرُ، الْمِضْبَاحُ، النُّجْمُ، الْقَمَرُ، الشَّمْسُ، السَّيِّدُ السَّعِيدُ، الْمَسْعُودُ، الرَّشِيدُ الْخَبِيرُ، الْمَذْكُرُ، الْمُبْلَغُ، الْمَيْسَرُ، الْمُبَشِّرُ، الْمُنْدِرُ، الْعَزِيزُ، الْبَصِيرُ، الْبَرُّ، الْبَشِيرُ، النَّذِيرُ، الْأُمِّيُّ، الْمَكِّيُّ الْمَدَنِيُّ، الْعَرَبِيُّ، الْحِجَازِيُّ، التَّهَامِيُّ، النَّقِيُّ، التَّقِيُّ، الْوَفِيُّ، الصَّفِيُّ، الْوَلِيُّ، الْمَوْلَى، الْأَمِينُ، الْمَأْمُونُ، الْمُؤْتَمَنُ الْحَبِيبُ، الْحَسِيبُ، الطَّيِّبُ، الطَّاهِرُ، الْمُطَهَّرُ، الشَّاكِرُ، الشُّكُورُ، الشَّارِعُ، الشَّافِعُ، النَّاصِحُ، الصَّالِحُ، الْمُضْلِحُ، الضَّحَّاكُ، الْمُبَارَكُ، الْحَامِدُ، الْحَمَادُ، الْجَوَادُ، الْكَرِيمُ، الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ، الْحَلِيمُ، الْمُؤَيَّدُ، الْمُخْتَارُ، الْمُضْطَفَى، الْمُخْلَصُ، الْهُدَى، الْمَعْصُومُ، الْوَجِيهُ، الْوَسِيلَةُ، الْعَفْوُ، الصَّفُوحُ، الْعَطُوفُ، الْهَادِي، الْمُقَدَّسُ، الْبُرْهَانُ، الْحَنِيفُ، الْحَلِيلُ، الْحَلِيفَةُ، الْمَكِينُ، الصَّفْوَةُ، الصَّادِقُ، الْمَضْدُوقُ، صَاحِبُ الْحَوْضِ

الْمَوْزُودِ، صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، صَاحِبِ اللّوَاءِ، صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ، مِفْتَاحِ الْجَنَّةِ، رَسُولِ الرَّحْمَةِ، نَبِيِّ التَّوْبَةِ، إِمَامِ الْخَيْرِ، إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، إِمَامِ النَّبِيِّينَ، أَكْرَمِ النَّاسِ، حَاطِبِ الْأَنْبِيَاءِ، خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، خَيْرَةَ اللَّهِ، دَارِ الْحِكْمَةِ، دَلِيلِ الْخَيْرَاتِ، رَحْمَةِ الْعَالَمِينَ، رُوحِ الْقُدْسِ، عِلْمِ الْيَقِينِ، الْعِزَّةِ الْوُثْقَى، مَدِينَةِ الْعِلْمِ، هَدْيَةِ اللَّهِ، عَبْدُ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَبْدُ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ أَهْلِ النَّارِ عَبْدُ الْجَبَّارِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعَرْشِ عَبْدُ الْحَمِيدِ، وَعِنْدَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ عَبْدُ الْمَجِيدِ، وَعِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَعِنْدَ الشَّيَاطِينِ عَبْدُ الْفَهَّارِ، وَعِنْدَ الْجِنِّ عَبْدُ الرَّحِيمِ، وَفِي الْجِبَالِ عَبْدُ الْخَالِقِ، وَفِي الْبَرِّ عَبْدُ الْقَادِرِ، وَفِي الْبَحْرِ عَبْدُ الْمُهَيِّمِ، وَعِنْدَ الْحَيَاتَانِ عَبْدُ الْقُدُوسِ، وَعِنْدَ الْهَوَامِّ عَبْدُ الْغِيَاثِ، وَعِنْدَ الْوُحُوشِ عَبْدُ الرَّزَاقِ، وَعِنْدَ السَّبَاعِ عَبْدُ السَّلَامِ، وَعِنْدَ الْبَهَائِمِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، وَعِنْدَ الطُّيُورِ عَبْدُ الْغَفَّارِ، وَفِي التَّوْرَةِ مُؤَدُّ مُؤَدِّ، وَفِي الْإِنْجِيلِ طَابُ طَابُ، وَفِي الصُّحُفِ عَاقِبُ، وَفِي الزُّبُورِ قَارُوقُ، وَعِنْدَ اللَّهِ طَهُ وَيسُ، وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ لِأَنَّهُ يُقْسَمُ الْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثاني

في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

أَمَّا بَنَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِنَّ وَسَلَّمَ فَأَرْبَعٌ زَيْنَبُ وَرَقِيَّةُ وَأُمُّ كُلثُومٌ وَفَاطِمَةُ. وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَثَلَاثَةٌ الْقَاسِمُ وَإِبْرَاهِيمُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَزَادَ بَعْضُهُمُ الطَّيِّبُ وَالْمُطَيِّبُ وَالطَّاهِرُ وَالْمُطَهَّرُ، أَمَّا الْقَاسِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ أَوْلَادُهُ وَلِدٌ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَعَاشَ حَتَّى مَشَى وَقِيلَ عَاشَ سَتَيْنِ.

وَأَمَّا زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ أَكْبَرُ بَنَاتِهِ وَوُلِدَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُذِرَكَتِ الْإِسْلَامَ وَهَاجَرَتْ وَمَاتَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَابْنِ خَالَتِهَا أَبِي الْعَاصِ لَقِيَطِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ هَاجَرَتْ قَبْلَهُ وَتَرَكَتُهُ عَلَى شِرْكِهِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَرَدَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَقِيلَ بِنِكَاحِ جَدِيدٍ وَوُلِدَتْ لَهُ عَلِيًّا مَاتَ صَغِيرًا وَكَانَ زَيْدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَوُلِدَتْ لَهُ أَيْضًا أَمَامَةُ الَّتِي حَمَلَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ عَلَى عَائِشَةَ وَكَانَ إِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا وَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ، وَأَمَّا رُقِيَّةُ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهَا فَوُلِدَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَاجَرَ بِهَا الْهَجْرَتَيْنِ وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ رَائِعٍ وَتُوْفِيَتْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدُرُ وَلَمَّا تُوْفِيَتْ رَفِئَةُ خَطَبَ عُثْمَانُ ابْنَةَ عُمَرَ حَفْصَةَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا عُمَرُ أَذَلِكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ تَزَوَّجِي ابْنَتَكَ وَأَزْوَجِ ابْنَتِي فَزَوَّجَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ كُلثُومٍ وَرُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِعُثْمَانَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةَ بِنْتٍ يَمْتَنُّ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ زَوَّجْتُكَ أُخْرَى هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَزْوَجَكُمَا وَكَانَ تَزْوُجُ عُثْمَانَ بِأُمَّ كُلثُومٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَمَاتَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَجَلَسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْقَبْرِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، وَأُمَّا فَاطِمَةُ الزُّهْرَاءُ الْبَثُولُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَوُلِدَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وُلِدَتْ قَبْلَ النَّبُوَّةِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَرُوي مَرْفُوعًا.

إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَطَمَهَا وَدُرِّيَتْهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَتْ بِتَوْلَا لِأَنَّهُ قَطَعَ عَنِ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلًا وَدِينًا وَحَسَبًا وَقِيلَ لِأَنَّهُ قَطَعَ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ وَتَزَوَّجَتْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْيِهِ وَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٌ وَلِعَلِّي إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَالَ أَبُو عَمْرِو وَفَاطِمَةُ وَأُمَّ كُلثُومٍ أَفْضَلُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَحَبَّ أَهْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَ يَقْبَلُهَا فِي فِيهَا وَيُصِصُّهَا لِسَانَهُ وَإِذَا أَرَادَ سَفَرًا يَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا وَإِذَا قَدِمَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَالَ لَهَا أَوْ مَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ أَحْمَدُ أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُوْفِيَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَيْلَةَ الثَّلَاثِ لِثَلَاثِ خَلْوَنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَوُلِدَتْ لِعَلِيِّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَمُحْسِنًا فَمَاتَ مُحْسِنٌ صَغِيرًا وَأُمَّ كُلثُومٍ وَزَيْنَبُ وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقِبٌ إِلَّا مِنْ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ فَانْتَشَرَ نَسْلُهُ الشَّرِيفُ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ السُّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَطَّ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ مَاتَ صَغِيرًا بِمَكَّةَ وَاخْتَلَفَ هَلْ وُلِدَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ أَوْ بَعْدَهَا وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ الرَّصِيحُ أَتُهُمَا لَقَبَانِ لَهُ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ فَمِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَتْ سَلَمَى زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِلَتُهُ فَبَشَّرَ أَبُو رَافِعٍ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا وَعَقَّ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ أَبُو هِنْدٍ وَسَمَّاهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ وَتَصَدَّقَ بِرِنْتِهِ شَعْرَهُ وَرَقًا أَيْ فِضَّةً عَلَى الْمَسَاكِينِ وَدَفَنُوا شَعْرَهُ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَوُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَتَنَافَسَتِ الْأَنْصَارُ فِي مَنْ يُرْضِعُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يُفْرِغُوا مَارِيَةَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ لِأُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُنْدِرِ زَوْجَةِ الْبَرَاءِ بْنِ أَوْسٍ فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ بِلَبَنِ ابْنَتِهَا فِي بَنِي مَارِزِ بْنِ النَّجَّارِ وَتَرْجِعُ بِهِ إِلَى أُمِّهِ وَأَعْطَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ بُرْدَةَ قِطْعَةً نَخْلٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَرْضِعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ النَّبِيَّتَ وَكَانَ ظُهُرُهُ قَيْنَا فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ زَادَ الْبُخَارِيُّ وَيَسْمُهُ وَتُوفِّيَ وَلَهُ سَبْعُونَ يَوْمًا وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْعِ وَقَالَ نَذْفُهُ عِنْدَ فَرِطَانَا عَثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ وَرَشَّ وَعُلِمَ بِعِلْمِهِ وَهُوَ أَوَّلُ قَبْرِ رُشٍّ .

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَتَى بِهِ النَّخْلَ فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي جَنْبِهِ ثُمَّ دَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَعَزُوتُونَ تَبْكِي الْعَيْنُ وَيَنْحَرُونَ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ وَالنَّكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ فَقَالَ النَّاسُ إِنَّمَا كُتِبَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَلَوْ عَاشَ لَأَعْتَقْتُ أَخْوَالَهُ مِنَ الْقِبْطِ وَمَا اسْتُرِقَ قِبْطِي .

الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ وَسَرَائِرِهِ الْمُطَهَّرَاتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»

[الأحزاب: ٦] وَذَلِكَ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِمْ وَوُجُوبِ اخْتِرَامِهِمْ لَا فِي نَظَرِ وَخَلْوَةٍ وَفَضْلِنِ عَلَى النِّسَاءِ وَتَوَابُهُنَّ وَعِقَابُهُنَّ مُضَاعَفَانِ وَلَا يَجِلُّ سُؤَالُهُنَّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي أَفْضَلِيهِمَا خِلَافٌ. وَاخْتَلَفَ فِي عِدَّةِ زَوْجَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً سِتَّةً مِنْ قُرَيْشٍ خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَأَزْبَعُ عَرَبِيَّاتٍ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ، وَوَأَحَدَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيِّ بْنِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَاتَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ خَدِيجَةُ وَزَيْنَبُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ وَمَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تِسْعٍ.

فَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ ثَيِّبٌ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَكَانَ سِنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً وَقِيلَ اثْنَتِي عَشْرَةَ أَوْ قِيَّةً ذَهَبًا وَهِيَ أَوْلَى مَنْ آمَنَ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ وَالْقَصَبُ اللَّوْلُؤُ الْمَجُوفُ وَالصَّخَبُ الْمُتَارَعَةُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَالنُّصَبُ التَّعَبُ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَدِيجَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تُثَبِّتُهُ وَتُخَفِّفُ عَنْهُ وَتُصَدِّقُهُ وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ حَتَّى مَاتَتْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي شَرْحِ الْبَهْجَةِ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ وَفِي أَفْضَلِيهِمَا خِلَافٌ صَحَّحَ ابْنُ الْعِمَادِ تَفْضِيلَ خَدِيجَةَ لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا لَا وَاللَّهِ مَا رَزَقَنِي خَيْرًا مِنْهَا آمَنْتُ بِبِي حِينَ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَأَعْطَتْنِي مَا لَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ وَسُئِلَ ابْنُ دَاوُدَ فَأَجَابَ بِأَفْضَلِيَّةِ خَدِيجَةَ عَلَى عَائِشَةَ وَبِأَنَّ ابْنَتَهَا فَاطِمَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَلَا أَعْدِلُ بِبَضْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ.

وَسُئِلَ السُّبُكِيُّ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ الَّذِي نَحْنَارُهُ وَنَدِينُ اللَّهُ بِهِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ ثُمَّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ ثُمَّ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ بْنُ النَّقَّاشِ إِنَّ سَبَقَ خَدِيجَةَ وَتَأْتِيهَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمَوَازِرَتَهَا وَنُضِرَتَهَا وَقِيَامَهَا فِي الدِّينِ لِلَّهِ بِمَالِهَا وَنَفْسِهَا لَمْ يَشْرِكْهَا فِيهِ أَحَدٌ لَّا عَائِشَةُ وَلَا أَحَدٌ غَيْرُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْتِي عَائِشَةُ فِي حَمْلِ الدِّينِ وَتَبْلِيغِهِ إِلَى الْأُمَّةِ مَا لَمْ تَشْرِكْهَا فِيهِ خَدِيجَةُ وَلَا غَيْرُهَا مِمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ غَيْرِهَا .

وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَدُفِنَتْ فِي الْحَجُونَ وَهِيَ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يُصَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَكَانَتْ مُدَّةَ مُقَامِهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَبَايَعَتْ وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا السُّكْرَانَ بْنِ عَمْرِو أَسْلَمَ مَعَهَا قَدِيمًا وَهَاجَرَ جَمِيعًا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْثَانِيَةَ فَلَمَّا قَدِمَا مَكَّةَ مَاتَ زَوْجُهَا وَتَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ قَبْلَ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى عَائِشَةَ وَقِيلَ بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا وَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ عَائِشَةَ وَلَمَّا كَبُرَتْ سَوْدَةُ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَاقَهَا فَسَأَلَتْهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَجَعَلَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ فَأَمْسَكَهَا وَتُوُفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَحَطَبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْدَقَهَا فِيهَا ابْنُ إِسْحَاقَ أَرْبَعِمِائَةَ دِرْهَمٍ وَتَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي شَوَالِ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ النَّبُوَّةِ وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَلَهَا سِتُّ سِنِينَ وَأَعْرَسَ بِهَا بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَلَهَا تِسْعُ سِنِينَ . قَالَ أَبُو عَمْرِو كَانَ نِكَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا فِي شَوَالِ وَابْتَنَى بِهَا فِي شَوَالِ وَكَانَتْ تُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ النِّسَاءَ مِنْ أَهْلِهَا وَأَحْبَبَتْهَا فِي شَوَالِ . وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَتْ إِذَا هَوَيْتَ شَيْئًا تَابَعَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ لَهَا رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ يَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَأَقُولُ إِنَّ يَكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ . وَالسَّرَقَةُ بَوْرُنِ قَصَبَةٍ شُقَّةٌ حَرِيرٍ بَيْضَاءُ .

وَكَانَتْ مُدَّةَ مُقَامِهَا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِسْعَ سِنِينَ وَمَاتَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكُرًا غَيْرَهَا وَكَانَتْ فَقِيهَةً عَالِمَةً فَصِيحَةً كَثِيرَةً الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّ وَسِتِّينَ سَنَةً وَكَانَتْ تُكَلِّمِي أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بِابْنِ أُخْتِهَا

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَا وَلَدَتْ قَطُ . وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ حُنَيْسِ بْنِ حُدَافَةَ السُّهْمِيِّ هَاجَرَتْ مَعَهُ وَمَاتَ عَنْهَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ رَاجَعَهَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ رَاجِعَ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ حَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّينَ سَنَةً .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاسْمُهَا هِنْدٌ فَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهِيَ أَوَّلُ ظَعِينَةٍ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً وَمَاتَ أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فَحَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَبَتْ وَحَطَبَهَا عُمَرُ فَأَبَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ لِابْنِهَا زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَوَّجَهُ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَمَاتَتْ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً سَنَةَ تِسْعِ وَخَمْسِينَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاسْمُهَا رَمْلَةٌ فَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْثَانِيَةَ ثُمَّ تَنَصَّرَ وَازْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَاتَ هُنَاكَ وَتَبَّتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ أُمَيَّةَ الضُّمَيْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُحْطَبَهَا عَلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ وَبَعَثَهَا إِلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا فَحَطَبَ النَّجَاشِيُّ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيَّبِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوَّجْتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفَعَ الدَّانِيَةَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا فَقَالَ اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤَكَّلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيجِ فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا ثُمَّ تَفَرَّقُوا وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأُمُّهَا أُمَيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّجَهَا زَيْنَدَ بْنَ حَارِثَةَ فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ

طَلَّقَهَا فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدٍ أَذْهَبْ فَأَذْكَرْنِي لَهَا قَالَ فَذَهَبَتْ
إِلَيْهَا فَجَعَلَتْ ظَهْرِي إِلَى الْبَابِ فَقُلْتُ يَا زَيْنَبُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكَرُكَ
فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُحَدِّثَ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِ لَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ زَوَّجَكُنْ أَبَاؤُكُنْ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَكَانَ
تَزْوِجُهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي شَأْنِهَا وَلَمْ تَكُنْ
امْرَأَةً خَيْرًا مِنْهَا فِي الدِّينِ وَأَتَقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّجِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ
ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَتَصَدَّقُ بِهِ وَيُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهِيَ أَوْلُ مَنْ مَاتَ
مِنْ أَزْوَاجِهِ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً
وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ جَنَحٍ قُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَلَمْ
تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَتُوُفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ وَهِيَ
أَخْتُ مَيْمُونَةَ لِأُمِّهَا، وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ
كَانَتْ قَبْلَ عِنْدِ أَبِي رَهْمِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ
مُعْتَمِرًا سَنَةَ سَبْعٍ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ فَأَنْكَحَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَلَمَّا رَجَعَ بَنَى بِهَا بِسَرِفٍ حَلَالًا وَسَرِفٍ اسْمُ مَكَانٍ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ
مَكَّةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَيُقَالُ أَنَّهَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ أَنَّ خِطْبَتَهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا فَقَالَتْ الْبَعِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَتُوُفِّيَتْ بِسَرِفٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَى بِهَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ إِحْدَى
وَخَمْسِينَ وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَدَخَلَ قَبْرَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَتْ تَحْتَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ
الْمُضَلِّقِيِّ وَكَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيِّ وَهِيَ
غَزْوَةُ بَنِي الْمُضْطَلِقِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَقِيلَ سِتٌّ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا
يَخْفَى عَلَيْكَ وَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَإِنِّي كَاتَبْتُ نَفْسِي فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ

فِي كِتَابِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُوْدِي عَنْكَ كِتَابَتِكَ وَأَتَزَوَّجُكَ قَالَتْ قَدْ فَعَلْتُ فَتَسَامَعِ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبِيِّ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا رَأَيْتَا امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَتَهُ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَكَانَتْ ابْنَةَ عَشْرِينَ سَنَةً وَتُوْفِيَتْ وَعُمُرُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيْيٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ قُبِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ أَنَسٌ لَمَّا افْتَتَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ وَجَمَعَ السَّبِيَّ جَاءَهُ دِخِيَةٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً فَقَالَ أَذْهَبُ فَخُذْ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حَيْيٍ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتِ دِخِيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حَيْيٍ سَيِّدَةَ فُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ قَالَ ادْعُوهُ بِهَا فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبِيِّ غَيْرَهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزْتَهَا لَهُ أُمُّ سَلِيمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَضْبَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَرُوسًا فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِيءْ بِهِ وَيَسْطِ نَطْعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْأَقِطِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالنَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ فَحَاسُوا حَيْسًا فَكَانَتْ وَلِيْمَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ فَهَؤُلَاءِ أَزْوَاجُهُ اللَّائِي دَخَلَ بِهِنَّ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ نِسْوَةَ غَبَرَ مِنْ ذُكَيْرٍ وَجُمَلْتُهُنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ امْرَأَةً الْأُولَى أُمُّ شَرِيكَ الْوَاهِبَةَ نَفْسَهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى مَاتَتْ وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ كَانَتْ حَوْلَهُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الثَّانِيَةُ حَوْلَهُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بْنِ هُبَيْرَةَ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ . الثَّلَاثَةُ عَمْرَةَ بِنْتُ يَزِيدَ الْكِلَابِيَّةُ طَلَّقَهَا وَأَمَرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَمَتَّعَهَا ثَلَاثَةَ أَثْوَابٍ . الرَّابِعَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ النَّعْمَانِ الْكِنْدِيَّةُ تَزَوَّجَهَا فَلَمَّا دَعَاهَا قَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ عُدْتِ بِمَعَاذِ ثُمَّ سَرَّحَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَكَانَتْ تُسَمَّى نَفْسَهَا الشَّقِيَّةَ .

الْخَامِسَةُ مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَكِّرُ تَزَوَّجَهَا . السَّادِسَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الضُّحَاكِ تَزَوَّجَهَا ثُمَّ فَارَقَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهَا قَالَ إِنَّهَا لَمْ تُصَدِّعْ قَطُّ فَقَالَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا. السَّابِعَةُ عَالِيَةُ بِنْتُ ظَبْيَانَ بْنِ عَمْرٍو تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا. الثَّامِنَةُ قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسِ أُخْتِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ زَوْجَهُ إِيَّاهَا أَخُوهَا فِي سَنَةِ عَشْرٍ ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ فَحَمَلَهَا فَقُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ. الثَّاسِعَةُ سَنَا بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السُّلَمِيَّةُ تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا.

العَاشِرَةُ شَرَّافُ بِنْتُ خَلِيفَةَ أُخْتِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَتْ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا. الْحَادِيَةُ عَشْرٌ لَيْلَى بِنْتُ الْحَخِيمِ أُخْتُ قَيْسِ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ غَيُورًا فَاسْتَقَالَتْهُ فَأَقَالَهَا فَأَكَلَهَا الدُّنْبُ. الثَّانِيَةُ عَشْرٌ امْرَأَةٌ مِنْ غِفَارٍ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا فَتَزَعَتْ فَيَابَهَا فَرَأَى بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَقَالَ الْحَقِي بِأَهْلِكَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِمَّا آتَاهَا شَيْئًا فَهَوَّلَاءِ جُمْلَةٌ مَنْ ذُكِرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَارَقَهُنَّ فِي حَيَاتِهِ بَعْضُهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْضُهُنَّ بَعْدَهُ.

وَرُوي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عِدَّةَ نِسْوَةٍ الْأُولَى مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ حَظَبَتْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ إِنَّ بِهَا بَرَصًا وَهُوَ كَاذِبٌ فَرَجَعَ فَوَجَدَ الْبَرَصَ بِهَا. الثَّانِيَةُ امْرَأَةٌ قُرَشِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا سَوْدَةٌ حَظَبَتْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مُضْطَبَّةً فَقَالَتْ أَخَافُ أَنْ يَضْعُوا أَيْ يَضْجُوا وَيَبْكُوا عِنْدَ رَأْسِكَ فَدَعَا لَهَا وَتَرَكَهَا. الثَّلَاثَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ بَشَامَةَ وَكَانَ أَصَابَتْهَا فِي سِنِي فَخَيْرَهَا بَيْنَ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَبَيْنَ زَوْجِهَا فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا. الرَّابِعَةُ وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهَا حَظَبَتْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أَسْتَأْمِرُ أَبِي فَلَقِيَتْ أَبَاهَا فَأَذِنَ لَهَا فَعَادَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ التَّحَفْنَا لِحَافَا غَيْرِكَ.

الْحَامِسَةُ أُمُّ هَانِيَةَ فَاخْتَهُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ أُخْتُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَظَبَتْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي مُضْطَبَّةٌ وَاعْتَدَرْتُ إِلَيْهِ فَعَدَّرَهَا. السَّادِسَةُ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْظٍ حَظَبَتْهَا إِلَى ابْنِهَا سَلَمَةَ بْنِ هَاشِمٍ فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَهَا فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا قَدْ كَبُرَتْ فَلَمَّا عَادَ ابْنُهَا وَقَدْ أَذِنَتْ لَهُ سَكَتَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْكِحْهَا. السَّابِعَةُ أَمَامَةُ بِنْتُ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عُرِضَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هِيَ ابْنَةُ أُخِي مِنْ الرِّضَاعَةِ.

الثَّامِنَةُ عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ عَرَضَتْهَا أُخْتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي لِمَكَانِ أُخْتِهَا. وَقِيلَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امْرَأَةً مِنْ جُنْدَعٍ وَهِيَ بِنْتُ

جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَأَنْكَرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَهَذَا لِأَنَّ السُّنُوَةَ اللَّائِيَّةَ ذُكِرَ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهُنَّ أَوْ حَظَبَهُنَّ أَوْ دَخَلَ بِهِنَّ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ أَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا سَرَارِيهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ إِنَّهُنَّ أَرْبَعَةٌ: مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقْرِقِسُ صَاحِبُ الإسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَاتَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ. وَرَيْحَانَةُ الْقُرْظِيَّةُ وَمَاتَتْ قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَنَةَ عَشْرِ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ. وَأُخْرَى وَهَبَتْهَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ. وَالرَّابِعَةُ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّنِيهِ.

الفصل الرابع

في أعمامه وعماته وإخوته من الرضاة وجداته صلى الله عليه وسلم

قَالَ صَاحِبُ دُخَايِرِ الْعُقَبِيِّ فِي مَنَاقِبِ ذَوِي الْقُرْبَى وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثْنَا عَشَرَ عَمًّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ تَالِثَ عَشْرِهِمُ الْحَارِثُ، وَأَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَالزَّيْبِيُّ وَيُكْنَى أَبُو الْحَارِثِ، وَحَمْرَةُ، وَأَبُو لَهَبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى، وَالْعَيْدَاقُ، وَالْمَقُومُ، وَضِرَّازُ. وَالْعَبَّاسُ، وَقُثْمٌ، وَعَبْدُ الْكَعْبَةِ، وَحَجَلٌ وَيُسَمَّى الْمُغْيِرَةَ.

أَمَّا حَمْرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُكْنَى أَبُو عَمْرَةَ وَأَبَا يَغْلَى فَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَبْعُوثِ وَقِيلَ فِي السَّادِسَةِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمْرَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرُ أَعْمَامِي حَمْرَةُ وَأَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ لِحَمْرَةَ وَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا كَانَتْ لَهُ وَشَهِدَ بَدْرًا وَاسْتَشْهَدَ فِي وَفْعَةِ أُحُدٍ قَتَلَهُ وَخَشِيَّ وَلَمَّا رَأَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتِيلًا بَكَى فَلَمَّا رَأَى مَا مُثِّلَ بِهِ شَهِقَ وَقَالَ لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيظُ لِي مِنْ هَذَا وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِيًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ عَلَى حَمْرَةَ وَضَعَهُ فِي الْقَبِيلَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَانْتَحَبَ حَتَّى نَشَعَ مِنَ الْبُكَاءِ يَقُولُ يَا حَمْرَةُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ يَا حَمْرَةُ يَا فَاعِلَ الْخَيْرَاتِ يَا حَمْرَةُ يَا كَاشِفَةَ الْكُرْبَاتِ يَا حَمْرَةَ يَا ذَابًّا عَنِ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ. وَالنَّشْعُ الشَّهِيقُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ كَبَّرَ أَرْبَعًا وَكَبَّرَ عَلَى حَمْرَةَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَكَانَ سِنُّ حَمْرَةَ يَوْمَ قُتِلَ تِسْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَدُفِنَ هُوَ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي قَبْرِ

وَاحِدٍ . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَانَ يَقُولُ كُنْتُ أُعْجِبُ لِقَاتِلِ حُمَزَةَ كَيْفَ يَنْجُو حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيقًا فِي الْخَمْرِ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ بَلَّغَنِي أَنَّ وَخَشِيًا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ فَكَانَ عَمَرُ يَقُولُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حُمَزَةَ .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ فَقَدْ كَانَ أَسَنُّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتِّينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَكَانَ رَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ وَإِلَيْهِ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ خَيْبَرَ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ وَأَظْهَرَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَيُعْظِمُهُ وَقَالَ الْعَبَّاسُ عَمِّي وَصِنُو أَبِي مَنْ آذَاهُ آذَانِي وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا عَمَّ لَا تَرِمَ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَتَبْثُوكَ عَدَا حَتَّى آتَيْتُكُمْ فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً فَلَمَّا أَنَاهُمْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمَلَأَةٍ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَمِّي وَصِنُو أَبِي وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتَرْهَمُ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ بِمَلَأَةٍ تِي هَلِيهِ فَأَمَنْتَ أُسْكِفُهُ الْبَابَ وَحَوَائِطَ الْبَيْتِ فَقَالَتْ آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَوَاهُ ابْنُ عِيْلَانَ وَعَيزُهُ .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظٍ فَأَلْبَسْنَا كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَوَلَدِهِ . وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانَ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ . وَتَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وَلِبَنِيهِ وَمُحْبِبِيهِ وَتُوفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَكَانَ أَصْغَرَ أَعْمَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا هُوَ وَحُمَزَةُ وَأَسْتُهُمُ الْحَارِثُ .

وَأَمَّا عَمَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجُمُلَتُهُنَّ سِتُّ عَاتِكَةٌ ، وَأَمِيمَةٌ ، وَالْبَيْضَاءُ وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ ، وَبَرَّةٌ ، وَصَفِيَّةٌ ، وَأَرْوَى ، فَأَمَّا صَفِيَّةُ أُمُّ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ بِاتِّفَاقٍ وَشَهِدَتْ الْخَنْدَقَ وَقَتَلَتْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَضَرَبَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَهْمٍ وَتُوفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثُ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ .

وَأَمَّا عَاتِكَةٌ وَأَرْوَى فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِمَا . وَأَمَّا جَدَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَبِيهِ : فَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْمُخْزُومِيَّةِ ، وَأُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو النَّجَّارِيَّةِ ، وَأُمُّ هَاشِمٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةِ السُّلَيْمِيَّةِ ، وَأُمُّ عَبْدِ مَنَافٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ فَالِجِ السُّلَيْمِيَّةِ أَيْضًا ، وَأُمُّ فَصِي فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْأَزْدِيَّةِ ، وَأُمُّ كِلَابٍ نَعَمٌ بِنْتُ سُرَيْرِ الْكِنَانِيَّةِ ، وَأُمُّ مُرَّةِ

وَخَشِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَانَ الْفَهْمِيَّةُ، وَأُمُّ كَعْبِ سَلَمَى بِنْتُ مُحَارِبِ الْفَهْمِيَّةِ أَيْضًا، وَأُمُّ لُؤْيِ وَخَشِيَّةُ بِنْتُ مُذَلِّجِ الْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ غَالِبِ سَلَمَى بِنْتُ سَعْدِ الْهَذَلِيَّةُ، وَأُمُّ فَهْرِ جَنْدَلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْجَرْهَمِيَّةُ، وَأُمُّ مَالِكِ هِنْدُ بِنْتُ عَدْوَانَ الْقَيْسِيَّةُ، وَأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بِنْتُ مُرَّةِ الْمُرِّيَّةُ، وَأَمَّا جَدَّاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أُمِّهِ أَمِيَّةُ بِنْتُ وَهْبِ الزُّهْرِيَّةِ: فَأُمُّ أَمِيَّةُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزَى، وَأُمُّ أَبِيهَا وَهْبِ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْأَوْقَصِ السُّلَيْمِيَّةُ وَيَعْرِفُ أَبُوهَا بِأَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ الَّذِي كَانُوا يَعْتُونُهُ بِقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ الشَّغْزَى وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْبُدُهَا وَقِيلَ ذَلِكَ أَبُوهُ مِنَ الرِّضَاعِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى زَوْجُ حَلِيمَةَ، وَأُمُّ بَرَّةُ هَذِهِ قِلَابَةُ بِنْتُ هَيَّ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَسَدٍ وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ عَوْفٍ وَالثَّلَاثَةُ قُرَشِيَّاتٌ، وَأُمُّ بَرَّةُ هَذِهِ قِلَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَذَلِيَّةُ، وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ يَزْبُوعِ الثَّقَفِيَّةِ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُقْلَةٌ نَسَبَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَعَظِيمُهُ فَرَسُودُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمُّهُ.

وَأَمَّا إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَحَمْرَةُ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ أَرْضَعَتْهُمَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبِيَّةُ جَارِيَّةُ أَبِي لَهَبٍ بَلْبِنِ ابْنِهَا مَسْرُوحِ بْنِ ثَوْبِيَّةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرْضَعَتْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيمَةَ السُّعْدِيَّةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَسِيَّةُ، وَحَدَافَةُ وَتُعْرَفُ بِالسُّيَمَاءِ، الثَّلَاثَةُ أَوْلَادُ حَلِيمَةَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَيْلًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَتْ عَلَى هَوَازِنَ فَأَخَذُوها فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ فَقَالَتْ أَنَا أُخْتُكَ صَاحِبِكُمْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَهُ يَا مُحَمَّدُ أَنَا أُخْتُكَ فَرَحَّبَ بِهَا وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنْ أَحْبَبْتَ فَأَقِيمِي عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّبَةً وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ وَصَلْتِكِ قَالَتْ بَلْ أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي فَأَسَلَمْتُ وَأَعْطَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَعْبُدِ وَجَارِيَّةَ وَنَعَمًا وَشَاءَ، وَأَمَّا أُمُّهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَحَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي دُؤَيْبٍ مِنْ هَوَازِنَ وَهِيَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ حَتَّى أَكْمَلَتْ رِضَاعَهُ وَجَاءَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَامَ إِلَيْهَا وَبَسَطَ رِدَاءَهُ لَهَا فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ وَكَذَا ثَوْبِيَّةُ جَارِيَّةُ أَبِي لَهَبٍ أَيْضًا وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا كَمَا اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ حَلِيمَةَ وَزَوْجَهَا وَكَانَتْ ثَوْبِيَّةُ تَدْخُلُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ حَدِيجَةَ فَكَانَتْ تُكْرِمُهَا وَأَعْتَقَهَا أَبُو لَهَبٍ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَّبَعُهَا مِنْ الْمَدِينَةِ بِكِسْوَةٍ وَصِلَةٍ حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ فَتْحِ حَنْبَرٍ.

وَكَانَتْ حَاضِرَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ أُمُّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدِ مَوْلَاةً

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَتِ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ لِأَبِيهِ وَقِيلَ لِأُمِّهِ فَوَرَّثَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي وَكَانَتْ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ حَلِيمَةَ السُّعْدِيَّةِ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا.

الفصل الخامس

فِي خَدَمِهِ وَحَرَسِهِ وَمَوَالِيهِ وَمَنْ كَانَ عَلَى نَفَقَاتِهِ وَخَاتِمِهِ وَنَعْلِهِ وَسِوَاكِهِ وَمَنْ

يَأْذُنُ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ يَضْرِبُ الْأَعْتَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَدَمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيُّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ، وَأَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودِ الْهَذَلِيِّ، وَأَسْلَعُ بْنُ شَرِيكٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ، وَسَعْدُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، وَمُهَاجِرُ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَحُنَيْنُ وَالِدُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْعَبَّاسِ، وَنُعَيْمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَأَبُو الْحَمْرَاءِ هِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو السَّمْحِ وَأَسْمُهُ إِيَادُ، وَمِنْ النِّسَاءِ بَرَكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ وَهِيَ وَالِدَةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَوْلَةُ جَدَّةُ حَفْصِ، وَسَلَمَى أُمُّ رَافِعِ زَوْجِ أَبِي رَافِعٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَأُمُّ عِيَّاشِ مَوْلَاةُ رُقَيْيَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ يَضْرِبُ الْأَعْتَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسَلَمَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالضُّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَكَانَ بِلَالٌ عَلَى نَفَقَاتِهِ، وَمُعَيْقِبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدُّوسِيِّ عَلَى خَاتِمِهِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سِوَاكِهِ وَنَعْلِهِ، وَأَبُو رَافِعٍ وَأَسْمُهُ أَسْلَمُ عَلَى ثِقْلِهِ، وَأَمَّا حُرَّاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ سَيِّدِ الْأَوْسِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسَلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَبِلَالٌ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ، وَحَرَسُهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فِي الْعَرِيشِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَأَمَّا مَوَالِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ: أُسَامَةُ، وَأَبُوهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُؤْبَانُ، وَأَبُو كَبْشَةَ أَوْسٍ، وَشُقْرَانُ وَأَسْمُهُ صَالِحُ الْحَبَشِيِّ، وَرَبَاحُ الْأَسْوَدِ الثُّوبِيِّ وَكَانَ يَأْذُنُ عَلَيْهِ أحيانًا إِذَا انْفَرَدَ، وَيَسَارُ الرَّاعِي، وَزَيْدُ أَبُو يَسَارٍ، وَمِذْعَمُ عَبْدِ أَسْوَدٍ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ الْجُدَامِيِّ، وَسَفِينَةُ، وَمَأْبُورُ الْقُبَيْطِيِّ، وَوَاقِدٌ، وَأَبُو وَاقِدٍ، وَأَنْجَشَةُ الْحَادِي، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَشَمْعُونُ بْنُ زَيْدِ أَبُو رِيحَانَةَ، وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ

الْحَارِثُ، وَمِنْ النِّسَاءِ: أُمُّ أَيَمَنَ الْحَبَشِيَّةُ وَسَلِمَى أُمُّ رَافِعِ زَوْجِ أَبِي رَافِعٍ، وَمَارِيَّةُ، وَرَيْحَانَةُ، وَقَيْصَرُ أُخْتُ مَارِيَّةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مَوَالِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ وَإِمَاؤُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الفصل السادس

فِي أَمْرَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتَابِهِ وَكُتُبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ

أَمَّا كُتَابُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَابْنَاهُ أَبَانُ وَخَالِدٌ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَزْقَمِ، وَأَبِي بَنُ كَعْبٍ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَخَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَأَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَزْبٍ، وَابْنَاهُ مُعَاوِيَةُ، وَيَزِيدُ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَشُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَمُعَيْقِبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدُّوسِيِّ، وَخُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَخُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى الْعَامِرِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَلْزَمَهُمْ بِذَلِكَ وَأَخْصَهُمْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَتَبَ إِلَى الرُّومِ فَقِيلَ إِنَّهُمْ لَا يَفْرَوْنَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولٌ سَطْرٌ وَاللَّهُ سَطْرٌ وَخَتَمَ بِهِ الْكِتَابَ وَكَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَرْسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ إِلَى هِرَقْلَ مَعَ دِيحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ فَلَمَّا قَرَأَهُ غَضِبَ ابْنُ أُخِي قَيْصَرَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ أَرِنِي الْكِتَابَ فَقَالَ وَمَا تَضَعُ بِهِ فَقَالَ إِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ وَسَمَّاكَ صَاحِبَ الرُّومِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيفُ الرَّأْيِ تُرِيدُ أَنْ أَرْمِيَ كِتَابَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ الثَّامُوسُ الْأَكْبَرُ لَئِنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَأَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ صَدَّقَ أَنَا صَاحِبُ

الرُّومِ ثُمَّ أَمَرَ بِإِنزَالِ دِخْيَةِ وَإِكْرَامِهِ، وَقَوْلُهُ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ أَيُّ فَإِنَّ عَلَيْكَ مَعَ إِثْمِكَ
إِثْمَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَرِيسِيِّ الْفَلَّاحِ.

وَقَدْ كَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ أَسْلِمَ تَسَلَّمَ فَإِن
تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ» وَبَعَثَ الْكِتَابَ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ فَلَمَّا
قُرِئَ عَلَيْهِ مَرْقَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مُزِقْ مَلِكُهُ. وَفِي كِتَابِ
الْأَمْوَالِ لِأَبِي عُبَيْدٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
كِسْرَى وَقِيصَرَ فَأَمَّا كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ مَرْقَهُ وَأَمَّا قِيصَرُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَّاهُ ثُمَّ رَفَعَهُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هُوَ لَأَيُّ فَيُؤْمَرُونَ وَأَمَّا هُوَ لَأَيُّ فَسَيَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّةٌ
وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ كِسْرَى قَالَ مُزِقْ مَلِكُهُ وَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ هِرْقَلٍ قَالَ ثَبَّتْ مَلِكُهُ.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ
اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَحَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَإِنِّي
أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُؤَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي
فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَأَقْبَلُوا نَصِيحَتِي
وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى»
وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي
يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَإِنَّ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْجَمَارِ كِبْشَارَةَ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ ثُمَّ كَتَبَ
النَّجَاشِيُّ جَوَابَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغَنِي كِتَابَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى فَوَزَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا
ذَكَرْتَ تُفْرُو قَا إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا

وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِابْنِي وَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ بِنَفْسِي فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» .

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي سِتِّينَ نَفْسًا فِي أَثَرِ مَنْ أَرْسَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَرَقَ ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ وَوَأَى جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَثَمَانِيَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْآنًا سُورَةَ يسَ إِلَى آخِرِهَا فَبَكَوْا جِيبَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَآمَنُوا وَقَالُوا مَا أَشَبَّهُ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَضَارِي﴾ [المائدة: ٨٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ الصُّوَامِعِ وَالثُّفُرُوقِ عِلَاقَةً مَا بَيْنَ النَّوَاةِ وَالْقُمُحِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ مِصْرٍ وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسَلَّمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِنَّهُمُ الْقِبْطُ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَدَفَعَهُ لِجَارِيَةٍ لَهُ ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَخْرُجَ بِالشَّامِ وَقَدْ أَكْرَمْتَ رَسُولَكَ وَبَعَثْتَ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ مِنَ الْقِبْطِ عَظِيمٍ وَيَكْسُوهُ وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسَّلَامُ» وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُسَلِّمْ .

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْمُنْدِرِ بْنِ سَاوِي كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِهِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَكَتَبَ الْمُنْدِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَمَا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي يَهُودٌ وَمَجُوسٌ فَأُحْدِثُ إِلَيْ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ» فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْدِرِ بْنِ سَاوِي سَلَامٌ

عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدُكُّرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحُ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعُ رُسُلِي وَيَتَّبِعُ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي وَإِنْ رُسُلِي قَدْ أَتَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَعَقُوتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحُ فَلَنْ نَعْرِزَكَ عَنْ عَمَلِكَ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ» .

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَى مَلِكِنِي عُمَانَ بِالْيَمَنِ وَبَعَثَهُ مَعَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَا تَسَلَّمَا فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْ النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَزْتُمَا بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتَكُمَا وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تَقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا وَخَيْلِي تَحُلُ بِسَاحَتِكُمَا وَتُظْهِرُ نُبُوتِي عَلَى مُلْكِكُمَا» وَكَتَبَ أَبِي بَنُ كَعْبٍ وَخَتَمَ الْكِتَابَ فَأَجَابَا إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ عَمْرٍو وَخَلِيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي .

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَأَرْسَلَ بِهِ مَعَ سَلِيطِ ابْنِ عَمْرٍو الْعَامِرِيِّ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاعْلَمَ أَنَّ دِينِي سَيُظْهِرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ فَأَسْلِمِ تَسَلَّمْ وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ» فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَلِيطٌ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُومًا أَنْزَلَهُ وَحَيَّاهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَرَدَّ رَدًّا دُونَ رَدِّ وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلُهُ وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الْأَمْرِ أَنْبِغِكَ وَأَجَازَ سَلِيطًا بِجَائِزَةٍ وَكَسَاهُ أَتْوَابًا مِنْ نَسِجٍ هَجَرَ فَقَدِمَ بِذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ كِتَابَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ سَأَلْتَنِي سَيَابَةَ أَيِّ قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتُ بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدِهِ فَلَمَّا انصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَتْحِ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ هُوْدَةَ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنْ الْيَمَامَةَ سَيُظْهِرُ بِهَا كَذَابٌ يَتَّبِعُ يُقْتَلُ بَعْدِي فَكَانَ كَذَلِكَ .

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شُرِّ الْعَسَائِيِّ وَكَانَ بِدِمَشْقَ بِعُوطَتِهَا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَنْقَى لَكَ

مُلْكُكَ» وَأَرْسَلَهُ مَعَ شُجَاعِ بْنِ وَهَبٍ فَلَمَّ يُسَلِّمُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَادَ وَبَادَ مُلْكُكَ، وَقَدِيمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ الدَّارِيُّ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ مِنَ الدَّارِيِّينَ فَأَسْلَمُوا وَسَأَلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا وَكَتَبَ لَهُمْ فِيهَا كِتَابًا نُسخَتُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ ذَكَرَ فِيهِ مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدَّارِيِّينَ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَهَبَ لَهُمْ بَيْنَ عَيْنُونِ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ فِيهِمْ إِلَى أَبِدِ الْأَبَدِ شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَشُرَيْمَةُ بْنُ قَيْسٍ وَشُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَكَتَبَ».

ثُمَّ قَالَ انصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَنِّي قَدْ هَاجَرْتُ أَيَّ رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّ قُدُومَهُمْ كَانَ عِنْدَ انصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ فَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَدِمُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُمْ كِتَابًا آخَرَ فَكَتَبَ كِتَابًا نُسخَتُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَأَصْحَابِهِ إِنِّي قَدْ أَنْطَيْتُهُمْ بَيْنَ عَيْنِ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ وَجَمِيعِ مَا فِيهِمْ نَطِيَّةَ بَتٍّ وَنَفْذَتْ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلِأَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا الْأَبَدِ فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهِ آذَاهُ اللَّهُ شَهِدَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَتَبَ» فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَجَدَّ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ كَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُوحَا بْنَ رُوْبَةَ صَاحِبِ أَيْلَةَ لَمَّا أَنَاهُ بِتَبُوكَ وَصَالِحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْطَاهُ الْجَزِيَّةَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ أُمَّتٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللَّهِ لِيُوحَا بْنَ رُوْبَةَ وَأَهْلَ أَيْلَةَ أَسَافَتِيهِمْ وَسَائِرِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ».

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ جَزَبَاءَ وَأَذْرَحَ لَمَّا أَتَوْهُ بِتَبُوكَ أَيْضًا وَأَعْطَاهُ الْجَزِيَّةَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنَ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِأَهْلِ جَزَبَاءَ وَأَذْرَحَ إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَاقِيَّةً طَيِّبَةً وَاللَّهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَخَافَةِ»، وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِجَدِّهِ «بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِأَبِي ضَمَيْرَةَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَهُمْ وَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ إِنْ أَحْبَبُوا أَقَامُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ أَحْبَبُوا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَلَا يُعْرَضُ لَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ وَمَنْ لَقِيَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا وَكَتَبَ أَبُو بِنُ كَعْبٍ «وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتِبَ غَيْرُ هَذِهِ فِي بَيَانَ الزَّكَاةِ وَالْأَحْكَامِ».

وَأَمَّا أَمْرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمِنْهُمْ بَادَانُ بْنُ سَامَانَ مِنْ وَلَدِ بَهْرَامِ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَمَنِ وَأَمْرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَنْعَاءَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ وَوَلِيُّ زِيَادُ بْنُ لَيْبِدِ الْأَنْصَارِيِّ حَضْرَمَوْتِ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ زَيْدٌ وَعَدَنٌ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْجَنْدِ بِالْيَمَنِ وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبِ نَجْرَانَ وَابْنُهُ يَزِيدُ تَيْمَاءَ وَعَتَابُ بْنُ أَسِيدِ مَكَّةَ وَإِقَامَةُ الْمَوْسِمِ وَالْحَجِّ بِالْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ الْقَضَاءِ بِالْيَمَنِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عُمَانَ وَأَعْمَالَهَا وَأَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقِ إِقَامَةَ الْحَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ فِي آثِرِهِ عَلِيًّا فَقَرَأَ عَلَى النَّاسِ سُورَةَ بَرَاءةٍ وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّدَقَاتِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً.

وَأَمَّا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَنَةَ سَبْعٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ السَّهْمِيِّ إِلَى كِسْرَى وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُفَوَّقِسِ وَشَجَاعَ بْنَ وَهَبٍ إِلَى مَلِكِ الْبَلْقَاءِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمِرِ الْغَسَّانِيِّ وَسَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوْدَةَ وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُنَالِ الْحَنْفِيِّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ابْنِي الْجَلَنْدِيِّ بِعُمَانَ وَالْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ وَالْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالِ الْحِمَيْرِيِّ بِالْيَمَنِ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ إِلَى ذِي الْكَلَاعِ وَذِي عَمْرٍو وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكُذَّابِ وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُدَامِيِّ وَكَانَ عَامِلًا لِقَيْصَرَ فِي مَعَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ مَعَ مَسْعُودِ ابْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ يُقَالُ لَهَا فِضَّةٌ وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا الظَّرْبُ وَجِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْغُورُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَثْوَابًا وَقَبَاءَ سُندُسِيًّا مُذْهَبًا فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودٍ نِثْنِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً وَبَعَثَ لِأَخِي

الصَّدَقَاتِ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعِ عِشْرِينَ بَنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى تَمِيمٍ وَبُرَيْدَةَ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارَ
وَعَبَادَ بْنَ بِشْرِ إِلَى سُلَيْمٍ وَمُزَيْنَةَ وَرَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ إِلَى فَزَارَةَ
وَالضُّحَاكَ بْنَ سُفْيَانَ إِلَى بَنِي كِلَابٍ وَبُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْكَعْبِيِّ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ
اللُّثَيْبِ إِلَى ذُبْيَانَ وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ سَعْدِ هُدَيْمٍ إِلَى قَوْمِهِ .

الفصل السابع

فِي مُؤَذِّنِيهِ وَحُدَاتِهِ وَشُعْرَائِهِ وَخَطِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا مُؤَذِّنُوهُ فَأَرْبَعَةٌ اثْنَانِ بِالْمَدِينَةِ وَهُمَا بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ وَعَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْقُرَشِيِّ
الْأَعْمَى وَأَذَنُ لَهُ بِقُبَاءِ سَعْدِ الْقُرَظِ مَوْلَى عَمَارٍ وَأَذَنُ لَهُ بِمَكَّةَ أَبُو مَخْدُورَةَ أَوْسِ الْجُمَحِيِّ
الْمَكِّيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَمَّا شُعْرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُبُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ
فَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَحَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ
خَطِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ يَحْدُوثُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي السَّفَرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَغَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَأَنْجَشَةُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ وَالْبَرَاءُ
ابْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

الفصل الثامن

فِي آلَاتِ حُرُوبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَدُرُوعِهِ وَأَقْوَاسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ وَأَنْزَاسِهِ

أَمَّا أَسْيَافُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتِسْعَةٌ: مَأْثُورٌ وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفِ مَلَكَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، وَالْعَضْبُ، وَذُو الْفَقَارِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي وَسْطِهِ مِثْلُ فَقَرَاتِ الظَّهْرِ، وَالْقَلْعِيُّ أَصَابَهُ، مِنْ
قَلْعٍ مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ، وَالْبِتَّارُ أَيِ الْقَاطِعِ، وَالْحَنْفُ وَهُوَ الْمَوْتُ، وَالْمِخْدَمُ وَهُوَ الْقَاطِعُ،
وَالرُّسُوبُ أَيِ يَمْضِي فِي الضَّرْبَةِ، وَالْقَضِيبُ وَهُوَ اللَّطِيفُ مِنَ السُّيُوفِ .

وَأَمَّا أَذْرَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَبْعَةٌ: ذَاتُ الْفُضُولِ وَذَاتُ، الْوِشَاحِ، وَذَاتُ
الْحَوَاشِي، وَالسُّغْدِيَّةُ نِسْبَةً لِمَوْضِعِ، وَفِضَّةٌ وَالْبِتْرَاءُ لِقِصَرِهَا، وَالْخَزْنِقُ بِاسْمِ وَلَدِ الْأَزْنَبِ،
وَأَمَّا أَقْوَاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسِتَّةٌ: الزُّورَاءُ، وَالرُّوْحَاءُ، وَالصُّفْرَاءُ، وَشَوْحَطُ،
وَالكُتُومُ، وَالسَّدَادُ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْبَةٌ تُدْعَى الْكَافُورَ وَمِنْطَقَةٌ مِنْ أَدِيمٍ
فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ وَالْإِنْبِزِيمُ مِنْ فِضَّةٍ وَالطَّرْفُ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَمَّا أَنْزَاسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: فَكَانَ لَهُ تُرْسٌ اسْمُهُ الرُّلُوقُ يَزَلُّ عَنْهُ السِّلَاحُ، وَتُرْسٌ يُقَالُ لَهُ الْفَتَقُ، وَتُرْسٌ أَهْدِي
لَيْهِ فِيهِ صُورَةٌ تَمْتَالِ عِقَابٍ أَوْ كَبْشٍ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ ذَلِكَ التَّمْتَالَ، وَأَمَّا أَرْمَاحُهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَالْمُثَوِّي لِأَنَّهُ يُنْبِتُ الْمَطْعُونَ بِهِ، وَالْمُتَشْنِي، وَرُمَحَانِ آخَرَانِ، وَكَانَتْ
لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزْبَةٌ كَبِيرَةٌ اسْمُهَا الْبَيْضَاءُ، وَحَزْبَةٌ صَغِيرَةٌ دُونَ الرُّمَحِ يُقَالُ لَهَا
الْعَنْزَةُ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِغْفَرٌ مِنْ حَدِيدٍ يُسَمَّى السَّبُوعُ، وَآخَرُ يُسَمَّى الْمَوْشَحَ.

وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسْطَاطٌ يُسَمَّى الْكِنُّ وَكَانَ لَهُ مِخْجَنٌ قَدْرُ ذِرَاعٍ يَمْشِي
وَيَرْكَبُ بِهِ وَيُعَلِّقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَعِيرِهِ، وَكَانَ لَهُ مِخْصَرَةٌ تُسَمَّى الْعُرْجُونُ، وَقَضِيبٌ مِنَ
السُّوْحَطِ يُسَمَّى الْمَمَشُوقُ، وَكَانَ لَهُ قَدْحٌ يُسَمَّى الرِّيَّانُ، وَآخَرُ يُسَمَّى مُغِيثًا، وَقَدْحٌ مُضَبَّبٌ
بِسِلْسِلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، وَآخَرُ مِنْ عَيْدَانِ وَالْعَيْدَانَةُ التُّخْلَةُ السَّحُوقُ، وَآخَرُ مِنْ
رُجَاجٍ، وَتَوْرٌ أَيْ إِنَاءٌ مِنْ جِجَارَةٍ يُسَمَّى الْمِخْضَبُ، وَرَكْوَةٌ تُسَمَّى الصَّادِرَةُ، وَمِخْضَبٌ مِنْ
نَحَاسٍ وَمُعْتَسَلٌ مِنْ صُفْرِ، وَمُدْهُنٌ مِنْ عَاجٍ، وَرَبْعَةٌ إِسْكَندَرَانِيَّةٌ يَجْعَلُ فِيهَا الْمِرَاةَ وَمِشْطًا مِنْ
عَاجٍ وَالْمُكْحَلَةَ يَكْتَحِلُ مِنْهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلَاثًا، وَالْمِفْرَاضُ، وَالسُّوَالِكُ، وَكَانَتْ لَهُ قِضْعَةٌ تُسَمَّى
الْعُرَاءُ بِأَرْبَعِ حِلَقٍ، وَصَاعٌ، وَمُدٌّ، وَقَطِيفَةٌ، وَسَرِيرٌ قَوَائِمُهُ مِنْ سَاجٍ، وَفِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ
لَيْفٌ، وَخَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ مَلُوبٍ بِفِضَّةٍ، وَخَاتَمٌ فِضَّةٌ فَضُهُ مِنْهُ يَجْعَلُهُ فِي يَمِينِهِ وَقِيلَ كَانَ أَوْلَى
فِي يَمِينِهِ ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى يَسَارِهِ مَنَقُوشٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَهْدَى لَهُ النَّجَاشِيُّ خُفَيْنِ
سَادَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا. وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةٌ سُنْدُسٍ أَخْضَرَ وَجُبَّةٌ طَبَالِسِيَّةٌ وَجُبَّةٌ
ثَالِثَةٌ يَلْبَسُهُنَّ فِي الْحَرْبِ. وَعِمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّحَابُ وَأُخْرَى سَوْدَاءُ وَرِدَاءُ.

الفصل التاسع

فِي ذِكْرِ خَيْلِهِ وَلِقَاحِهِ وَدَوَابِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَيْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَالْسُّكْبُ أَيْ كَثِيرُ الْجَزْيِ، وَالْمُرْتَجِزُ سُمِّيَ بِهِ لِحُسْنِ
صَهِيلِهِ، وَالطَّرْبُ سُمِّيَ بِهِ لِقُوَّتِهِ وَصَلَابَةِ رِجْلَيْهِ، وَاللَّحِيفُ سُمِّيَ بِهِ لِسَمِيهِ وَكِبَرِهِ، وَاللُّرَّازُ
سُمِّيَ بِهِ لِشِدَّةِ تَلْرُزِهِ وَاجْتِمَاعِ خَلْقِهِ، وَاللُّوزْدُ، وَسَبْحَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ قَرَسَ سَابِخٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ
مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَزْيِ، وَالتَّبَحْرُ وَكَانَ كَمَيْتًا، وَالسُّجْلُ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ سَجَلْتُ الْمَاءَ
فَانسَجَلَ أَيْ صَبَبْتُهُ فَانصَبَّ، وَدُو اللَّمَّةِ، وَدُو الْعُقَالِ، وَالسَّرْحَانُ، وَالطَّرْفُ، وَالْمُرْتَجِلُ،
وَالْمِرْوَاخُ مِنَ الرِّيحِ لِسُرْعَتِهِ، وَمَلَاوِخُ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالنَّجِيبُ، وَالْيَعْبُوبُ، وَالْيَعْسُوبُ،

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْبِغَالِ: دُلْدُلٌ وَكَانَتْ شَهْبَاءَ، وَفِضَّةٌ، وَأُخْرَى أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، وَأُخْرَى مِنْ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأُخْرَى مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْحَمِيرِ: عُفَيْرٌ، وَيَعْفُورٌ، وَأَعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ جِمَارًا فَرَكِبَهُ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ اللَّفَاحِ. الْقَضْوَاءُ وَهِيَ الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا، وَالْعَضْبَاءُ، وَالْجَدْعَاءُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِمَا عَضْبٌ وَلَا جَدْعٌ وَإِنَّمَا سُمِّيْنَا بِذَلِكَ. وَعَنِمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ بَدْرٍ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَأَهْدَاهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ لِيَغِيظَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ لِفَحَّةً أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْهَا: أَطْلَالٌ، وَأَطْرَافٌ، وَبُرُودَةٌ، وَبَرْكَةٌ، وَالْبُغُومُ، وَالْحِجَاءُ، وَزَمْرَمٌ، وَالرِّيَاءُ، وَالسَّعْدِيَّةُ، وَالسُّفْيَا، وَالسُّمْرَاءُ، وَالشُّفْرَاءُ، وَعَجْرَةٌ، وَالْعُرَيْسُ، وَعَوْنَةٌ وَقَيْلٌ عَيْثَةٌ، وَقَمْرٌ، وَمَرْوَةٌ، وَمُهْرَةٌ، وَوَرَشَةٌ، وَالْيَسِيرَةُ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةٌ شَاةً، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةٌ أَعَزُّ تَرْعَاهُنَّ أُمَّ أَيْمَنَ.

الفصل العاشر

فِي ذِكْرِ مَنْ وَقَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ الثَّوْرِيُّ الْوَفْدُ الْجَمَاعَةُ الْمُخْتَارَةُ لِلتَّقْدِيمِ فِي لُقْيَا الْعُظَمَاءِ وَاجِدُهُمْ وَإِدْ ١ هـ وَكَانَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ تَسْمَى سَنَةُ الْوُفُودِ وَلَمَّا انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ فِي سُؤَالِ إِلَى الْجِغْرَانَةِ وَفِيهَا سَبِيُّ هَوَازِنَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَوُودُهُمْ مُسْلِمِينَ فِيهِمْ تِسْعَةٌ نَفَرٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا ثُمَّ كَلَّمُوهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِي مَنْ أَصْبَحْنَا الْأُمَمَاتِ وَالْأَخْوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ فَقَالَ سَأَطْلُبُ لَكُمْ وَقَدَّ وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ السَّبِيُّ أَوْ الْمَالُ فَقَالُوا خَيْرٌ تَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ الْحَسَبِ وَالْمَالِ فَالْحَسَبُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَلَا تَكُمُ فِي شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَانَ لِي وَلِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكُمْ وَقَالَتْ قُرَيْشٌ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَّ ثَقِيفَ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغِ عَلَيَّ ثَقِيفَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَائْتِ بِهِمْ وَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ فَفَعَلَ فَتَقَاتَلُوا ثُمَّ

بَعَثُوا سِتَّةَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ
وَيَبِينُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْلَمُوا وَكَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِغِيَّةَ وَهِيَ الْأَلَاثُ لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ فَأَبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَغْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَنْ لَا يُكْسَرُوا أَوْثَانَهُمْ إِلَّا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ كَسَرُوا أَوْثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا
وَكَتَبَ لَهُمُ الْكِتَابَ أَمَرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ الْعَاصِ وَكَانَ أَحَدَهُمْ سِنًا لِكَيْفِهِ كَانَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ
عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ
وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِيَهْدِمَ الطَّاعِغِيَّةَ فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ عَلَيْهَا عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ وَخَرَجَ نِسَاءُ
ثَقِيفٍ حُسْرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ أَنْ كَسَرَهَا مَالَهَا وَحُلِيِّهَا وَكَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِضَاءَ وَجْهِ وَصَيْدَهُ حَرَامٌ لَا يُعْضَدُ مِنْ وَجْدٍ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُجْلَدُ وَتَنْزَعُ ثِيَابُهُ
فَإِنْ تَعَدَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُنَلِّغُ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَسُولِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهُ أَحَدٌ
فَيُظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَّ وَادٍ بِالطَّائِفِ .

وَقَدِيمٌ وَفَدُ بَنِي عَامِرٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ ضَرَبَتْ أَيَّ سَارَتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ
فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَوَفَدَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَنُو عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ
وَأَزْبُدُ بْنُ قَيْسٍ وَجَبَّارُ بْنُ سَلَمَى وَكَانَ هُوَ لِأَيِّ الثَّلَاثَةِ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشِيَاظِيَتُهُمْ فَقَدِمَ عَدُوُّ اللَّهِ
عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَغْدَرَ بِهِ فَقَالَ لِأَزْبُدٍ إِذَا قَدِمْنَا
عَلَى الرَّجُلِ فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاغْلُهُ بِالسَّيْفِ فَكَلَّمَ عَامِرُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا فَلَمَّا وُلَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرُ لِأَزْبُدٍ وَنَحَكَ أَيْنَ مَا كُنْتُ
أَمْرُتُكَ بِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ وَلَمَّا
كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فِي عُتْقِهِ فَقَتَلَهُ اللَّهُ .

وَقَدِيمٌ وَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ يَسْكُنُونَ الْبَحْرَيْنِ

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِمَّنِ الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ رِبِيعَةَ قَالَ مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرِ
 خَزَايَا وَلَا نَدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْحَيَّ مِنْ كُفَارٍ مُضَرٍّ وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ
 إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَأَمَرْنَا بِأَمْرِ فَضْلِ نَأْخُذُ بِهِ وَنَأْمُرُ بِهِ مِنْ وَرَاءِنَا وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرُكُمْ بِأَزْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَدَهُ أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ
 بِاللَّهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ
 رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَعْنَمِ الْخُمْسَ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الدُّبَاءِ وَالْحَنْثَمِ وَالتَّقْيِيرِ وَالْمَرْفَتِ
 فَاحْفَظُوهُنَّ وَادْعُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ وَرَاءِكُمْ.

وَإِنَّمَا تَهَاوَمَ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ أَيَّ عَنِ الْإِنْتِبَازِ بِهَا لِأَنَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْإِسْكَارُ. وَالدُّبَاءُ
 الْقَرْعُ وَالْحَنْثَمُ نَوْعٌ مِنَ الْجِزَارِ وَالتَّقْيِيرُ أَضْلُ النَّخْلِ الْمَنْقُورُ وَالْمَرْفَتُ الْمَطْلِيُّ بِالرُّفْتِ. قَالَ
 الْقُرْطُبِيُّ قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ الْأَرْبَعَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الشَّهَادَتَيْنِ تَبَرُّكًا لِأَنَّ الْقَوْمَ
 كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقَرَّرِينَ بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بَنِي حَنِيفَةَ وَفِيهِمْ
 مُسَيِّلِمَةُ الْكُذَّابِ فَأَتَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَرُّ بِالثِّيَابِ وَرَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَضْحَابِهِ فِي يَدِهِ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَسْتَرُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْأَمْرَ مِنْ
 بَعْدِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ الَّذِي فِي يَدِي مَا
 أُعْطَيْتُكَ ثُمَّ انصَرَفُوا فَلَمَّا قَدِمُوا الْيَمَامَةَ ازْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ وَتَنَبَّأَ وَقَالَ إِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ
 ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ وَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّ فِي بَثْرِ فَكَثُرَ مَاؤُهَا
 وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَكَانَ أَرْمَدَ فَبَرَأَ فَتَقَلَّ اللَّعِينُ فِي بَثْرِ فَعَارَ مَاؤُهَا وَفِي عَيْنِ
 بَصِيرٍ فَعَمِيَ وَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَ شَاةٍ حَلُوبٍ فَارْتَفَعَ دُرُّهَا وَيَسَّ ضَرْعُهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّعِينَ وَضَعَ عَنْ
 قَوْمِهِ الصَّلَاةَ وَأَحْلَى لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزُّنَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَدْ كَانَ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ مُسَيِّلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ
 رَسُولِ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ مَعَكَ فِي الْأَمْرِ إِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَمْرِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ
 الْأَمْرِ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ بِهَذَا الْكِتَابِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيِّلِمَةَ الْكُذَّابِ سَلَامٌ عَلَى
 مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». وَقَدِمَ

عَلَيْهِ وَفَدُ طِيءٌ وَفِيهِ زَيْدُ الْخَيْلِ وَهُوَ سَيِّدُهُمْ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا وَحَسَنَ إِسْلَامَهُمْ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلِ نَمِّ جَاءَنِي إِلَّا رَأَيْتُهُ
دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كُلُّ مَا فِيهِ ثُمَّ سَمَّاهُ زَيْدًا الْخَيْرَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ كِنْدَةَ فِي ثَمَانِينَ أَوْ سِتِينَ رَاكِبًا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ قَدْ رَجَلُوا جَمْعَهُمْ وَتَسَلَّحُوا وَلَبَسُوا جُبَاتِ الْجَبَرَاتِ مُكَفَّفَةً
بِالْحَرِيرِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتُمْ تَسَلَّمُوا قَالُوا بَلَى قَالَ فَمَا هَذَا الْحَرِيرُ فِي أَعْنَاقِكُمْ
فَشَقُّوهُ وَنَزَعُوهُ وَالْقَوَّةُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَشْعَرِيُّونَ وَأَهْلُ الْيَمَنِ قَالَ الْحَافِظُ
ابْنُ حَجَرَ الْمُرَادُ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَهُمْ وَفَدُ حِمَيْرٌ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمْ أَرْقُ مِنْكُمْ قُلُوبًا فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ فَجَعَلُوا
يَزْتَجِرُونَ:

عَدَا نَلَقَى الْأَحْبَةَ مَحْمَدًا وَجَزِيَهُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْيِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا
الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةُ السُّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْعَنَمِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِيِّينَ أَهْلُ الْوَبْرِ
قَبْلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا لِنَتَّفِقَ فِي الدِّينِ وَنَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ
كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذُّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ . وَالْفَدَّادُونَ جَمْعُ فَدَادٍ وَهُوَ مَنْ يَغْلُو صَوْتَهُ فِي إِيْلِهِ وَخَيْلِهِ وَحَزْبِهِ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ فِي وَفَدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَأَسْلَمُوا
وَحَسَنَ إِسْلَامَهُمْ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بَيْنَ
أَسْلَمَ أَهْلَ الشُّرْكِ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ فَفَعَلَ وَقَاتَلَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ جُرَشٍ فَكَتَلَهُمْ قَتْلًا
شَدِيدًا وَكَانُوا بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَهُمَا إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتُنَحْرُ عِنْدَ شُكْرِ أَيِّ الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ قَتْلُ قَوْمِهِمْ
فَخَرَجَا إِلَى قَوْمِهِمَا فَوَجَدَاهُمْ قَدْ أُصِيبُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَا قَالَ وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ فَخَرَجَ وَفَدُ جُرَشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا وَحَمَى لَهُمْ حِمَى حَوْلَ قَرَبَتِهِمْ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِبَنَجْرَانَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَخَرَجَ

خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ
 أَيُّهَا النَّاسُ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا فَأَسْلَمَ النَّاسُ ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَمَعَهُ وَفْدُهُمْ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ قَالُوا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا
 نَتَفَرَّقُ وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ قَالَ صَدَقْتُمْ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ الْحَضَيْنِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ،
 وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ هَمْدَانَ وَعَلَيْهِمْ مَقْطَعَاتُ الْجَبَرَاتِ وَالْعَمَائِمُ الْعَدَنِيَّةُ
 عَلَى الرَّوَاحِلِ الْمَهْرِيَّةِ الْأَرْحَبِيَّةِ وَمَالِكُ بْنُ النَّمِطِ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ
 لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كِتَابًا أَقْطَعَهُمْ فِيهِ مَا سَأَلُوهُ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ النَّمِطِ وَاسْتَعْمَلَهُ
 عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ مُزَيْنَةَ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الثُّغَمَانِ بْنِ مَقْرِنٍ قَالَ
 قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ
 قَالَ يَا عُمَرُ زُودِ الْقَوْمَ قَالَ مَا عِنْدِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ تَمْرٍ مَا أَظُنُّهُ يَقَعُ مِنَ الْقَوْمِ مَوْقِعًا قَالَ انْطَلِقْ
 فَرُودُهُمْ فَاَنْطَلَقَ بِهِمْ عُمَرُ فَأَدْخَلَهُمْ مَنْزِلَهُ ثُمَّ أَصْعَدَهُمْ إِلَى عَلِيَّةٍ قَالَ فَلَمَّا دَخَلْنَا إِذَا فِيهَا مِنَ
 التَّمْرِ مِثْلُ الْجَمَلِ الْأَوْزُقِ فَأَخَذَ الْقَوْمُ مِنْهُ حَاجَتَهُمْ وَكُنْتُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ فَتَنَزَّرْتُ وَمَا أَفْقِدُ
 مَوْضِعَ تَمْرَةٍ مِنْ مَكَانِهَا . وَالْأَوْزُقُ مَا فِي تَوْنِهِ بَيَاضٌ إِلَى سَوَادٍ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ دَوْسٍ وَكَانَ قُدُومُهُمْ عَلَيْهِ بِخَيْبَرَ وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ
 عَمْرِو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا فَخَوْفَهُ رِجَالٌ مِنْ
 قُرَيْشٍ أَمَرَهُ وَقَالُوا لَهُ لَا تُكَلِّمُهُ وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ ثُمَّ رَأَاهُ قَائِمًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَسَمِعَ مِنْهُ كَلَامًا
 حَسَنًا قَالَ فَمَكَثْتُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى بَيْتِهِ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ قُلْتُ يَا
 مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي
 بِكَرْسُفٍ أَنْ لَا أَسْمَعَ قَوْلِكَ ثُمَّ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا فَأَعْرَضَ عَلَيَّ
 أَمْرَكَ فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ فَلَا وَاللَّهِ مَا
 سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَقُلْتُ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَادَعُ اللَّهُ أَنْ
 يَجْعَلَ لِي آيَةً قَالَ فَخَرَجْتُ إِلَيَّ قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَيْتِي تَطْلُعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ
 عَيْنَيْ مِثْلِ الْمِضْبَاحِ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي
 لِفِرَاقِ دِينِهِمْ قَالَ فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سُوَيْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُتَعَلِّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثُّبَيَّةِ

حَتَّى جِئْتُهُمْ وَأَضْبَحْتُ فِيهِمْ قَالَ فَدَعَوْتُ أَبِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي فَأَسْلَمَتْ
ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَوْا عَلَيَّ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا
نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ عَلَّبَنِي عَلَى دَوْسِ الزَّنَا فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ثُمَّ قَالَ ازْجِعْ
إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَارْزُقْ بِهِمْ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ أَزَلْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ قَدِمْتُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ فَنَزَلَتْ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ
ثُمَّ لِحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفُذُ نَصَارَى نَجْرَانَ وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا وَأَمِيرُهُمُ
الْعَاقِبُ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ عَبْدُ الْمَسِيحِ وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمِعِهِمُ السَّيِّدُ وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ
وَيُقَالُ شَرْحِبِيلُ وَأَبُو حَارِثَةَ أَخُو بَكْرِ بْنِ وَايِلٍ قَدْ شَرَفَ فِيهِمْ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ وَكَانَتْ مُلُوكُ
الرُّومِ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَفُوهُ وَمَوْلُوهُ وَكَانَ يَعْرِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَأْنَهُ
وَصِفَتَهُ مِمَّا عَلَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَكِنْ حَمَلَهُ الْجَهْلُ عَلَى الْأَسْتِمْرَارِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ لِمَا
يَرَى مِنْ تَعْظِيمِهِ وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَلَا
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَامْتَنَعُوا فَقَالَ إِنْ أَنْكَرْتُمْ مَا أَقُولُ فَهَلُمَّ أَبَاهِلْكُمْ فَقَالَ شَرْحِبِيلُ قَوْلَهُ لَيْنَ كَانَ
نَبِيًّا فَلَا عَنَاءَ يَغْنِي بَاهِلْنَاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبْنَا مِنْ بَعْدِنَا أَبَدًا وَصَالِحَهُمْ عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ
أَلْفٌ فِي رَجَبٍ وَأَلْفٌ فِي صَفَرٍ مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٌ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ
فِرْوَةَ بْنِ عَمْرِو الْجَذَامِيِّ بِإِسْلَامِهِ وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بَعَثَهُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ رَوَى الْبُخَارِيُّ
مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ بِالْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِيُّ فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ إِبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَبْتِكَ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُسَدَّدٌ
عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ
مَنْ قَبْلَكَ أَلَلَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصُومَ هَذَا
الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا
فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ آمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ ثُمَّ

أَتَى قَوْمَهُ فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمِ أَفْضَلٍ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثُعَلْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَوَقَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيُّ وَقَوْمُهُ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَمْتَارُونَ تَمْرًا فَلَقِيَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَنَوْا مِنْ حِيْطَانِهَا وَتَخْلِيهَا وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَاشْتَرَى مِنْهُمْ جَمَلًا أَحْمَرَ بَتَّمَرٍ وَأَنْطَلَقَ بِهِ قَالَ طَارِقٌ فَلَمَّا تَوَارَى عَنَّا بِحِيْطَانِ الْمَدِينَةِ وَتَخْلِيهَا قُلْنَا مَا صَنَعْنَا وَاللَّهِ مَا يَغْنَا جَمَلْنَا مِمَّنْ نَعْرِفُهُ وَلَا أَخَذْنَا لَهُ ثَمَنًا فَقَالَتْ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَعَنَا لَا تَلَاوَمُوا لَقَدْ رَأَيْتُ وَجَهَ رَجُلٍ لَا يَغْدُرُكُمْ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ هَذَا تَمْرُكُمْ فَكُلُوا وَاشْبَعُوا وَاكْتَالُوا وَاسْتَوْفُوا فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا وَاكْتَلْنَا وَاسْتَوْفَيْنَا ثُمَّ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ إِذَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ فَأَذْرَكْنَا مِنْ خَطْبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ تَجِيبَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدْ سَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتٍ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَسُرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِمْ وَأَكْرَمَ مَنْزِلَتَهُمْ وَأَمَرَ بِالْأَنْ يُخْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ ثُمَّ جَاؤُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِعُونَهُ فَأَمَرَ بِالْأَنْ فَأَجَارَهُمْ بِأَرْزَاقٍ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوُفُودَ قَالَ هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَالُوا غُلَامٌ خَلَّفَنَاهُ عَلَى رِحَالِنَا هُوَ أَحَدُنَا سِنًا قَالَ أَرْسَلُوهُ إِلَيْنَا فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَخْرَجْتُ مِنْ بِلَادِي إِلَّا أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَأَنْ يَرْحَمَنِي وَأَنْ يَجْعَلَ غِنَايَ فِي قَلْبِي فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمَهُ وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ انْطَلَقُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَهْلِهِمْ ثُمَّ وَاوُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَتَى سَنَةَ عَشْرٍ فَقَالَ مَا فَعَلَ الْغُلَامُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ وَلَا حُدُوثًا بِأَقْنَعٍ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ لَوْ أَنَّ النَّاسَ اقْتَسَمُوا الدُّنْيَا مَا نَظَرَ نَحْوَهَا وَلَا التَّمَّتْ إِلَيْهَا .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمِ رَوَى الْوَأْقِدِيُّ عَنِ ابْنِ النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ مِنْ سَعْدِ هُدَيْمِ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدًا فِي تَمْرِ مِنْ قَوْمِي فَبَايَعَنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا وَقَدْ خَلَّفْنَا أَصْغَرَنَا فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِنَا فَأَتَيْ بِنَا إِلَيْهِ فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَصْغَرُنَا وَخَادِمُنَا فَقَالَ أَصْغَرُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ فَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَنَا

وَأَقْرَأْنَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَمَرَهُ عَلَيْنَا فَكَانَ يُؤْمِنَا فَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بِنَبِيِّ قَزَارَةَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ بِضِعَّةٍ عَشْرَ رَجُلًا وَهُمْ مُسْتَبِثُونَ عَلَى رِكَابِ عِجَافٍ فَسَأَلَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ بِلَادِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَتُّ بِبِلَادِنَا وَهَلَكْتُ مَوَاشِينَا وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا وَغَرِبَتْ عِيَالُنَا فَادْعُ رَبَّنَا يَغِيثُنَا فَصَعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ وَدَعَا لَهُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بِنَبِيِّ أَسَدٍ عَشْرَةَ رَهْطٍ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَتَكَلَّمَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا شَهِدْنَا أَنَّ اللَّهَ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَجِئْنَاكَ وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْتًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَمُوتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بَهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشْرَ رَجُلًا فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْمُقَدَّادِ رَحَّبَ بِهِمْ وَقَدَّمَ لَهُمْ جَفْنَةً مِنْ حَيْسٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى نَهَلُوا وَرَدَّتِ الْقِضْعَةُ وَفِيهَا شَيْءٌ فَجُمِعَ فِي قِضْعَةٍ صَغِيرَةٍ وَأُرْسِلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَأَصَابَ مِنْهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى نَهَلُوا ثُمَّ أَكَلُوا مِنْهَا هُمْ وَالضُّيْفُ مَا أَقَامُوا يُرَدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَمَا تَغِيضُ حَتَّى جَعَلُوا يَقُولُونَ يَا أَبَا مَعْبُدٍ إِنَّكَ تَنْهَلُنَا مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْنَا وَمَا كُنَّا تَقْدِيرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِلَّا فِي الْحِينِ فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبُدٍ بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَرَدَّهَا وَأَنَّ هَذِهِ بَرَكَتُهُ أَصَابِعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَازْدَادُوا يَقِينًا وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزٍ وَانصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى عُذْرَةَ وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا فَرَحَّبَ بِهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَسْلَمُوا وَبَشَّرَهُمْ بِفَتْحِ الشَّامِ وَهَرَبَ هِرَاقِلُ ثُمَّ انصَرَفُوا وَقَدْ أُجِيزُوا، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بِلْيَ فَاَسْلَمُوا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ فَكُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ فِي النَّارِ ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَجَارَهُمْ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بِنَبِيِّ مُرَّةٍ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشْرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَيْفَ الْبِلَادُ فَقَالُوا وَاللَّهِ إِنَّا لَمُسْتَبِثُونَ فَادْعُ اللَّهُ لَنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اسْقِهِمُ الْغَيْثَ ثُمَّ أَقَامُوا أَيَّامًا وَرَجَعُوا بِالْجَائِزَةِ فَوَجَدُوا بِلَادَهُمْ قَدْ أَمْطَرَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ حَوْلَانٌ وَكَانُوا عَشْرَةَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الْإِبِلِ وَرَكِبْنَا حُرُونَ الْأَرْضِ وَسَهَوَلَهَا وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَقَدِمْنَا زَائِرِينَ لَكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مَسِيرِكُمْ إِلَيَّ فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ خَطَاهَا بَعِيرٌ أَحَدِكُمْ حَسَنَةٌ وَأَمَا قَوْلَكُمْ زَائِرِينَ لَكَ فَإِنَّهُ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ كَانَ فِي جَوَارِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ عَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَائِضَ الدِّينِ وَأَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَذَاءِ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَأَنْ لَا يَظْلِمُوا أَحَدًا ثُمَّ أَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَهَدَمُوا الصَّنَمَ الَّذِي كَانُوا يَعْْبُدُونَهُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ مُحَارِبٍ وَكَانُوا أَغْلَظَ الْعَرَبِ وَأَقْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَيَّامَ عَرْضِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ عَشْرَةَ فَأَسْلَمُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ صُدَاءٌ وَكَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَفَشَا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ عَسَانٌ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا فَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِجَوَائِزٍ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ سَلَامَانٌ سَبْعَةٌ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا وَشَكَّوْا إِلَيْهِ جَذَبَ بِلَادِهِمْ فَدَعَا لَهُمْ ثُمَّ وَدَعُوهُ وَأَمَرَ لَهُمْ بِالْجَوَائِزِ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَوَجَدُوهَا قَدْ أُمِطِرَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي عَبَسٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِيمَ عَلَيْنَا قُرَاؤُنَا وَأَخْبَرُونَا أَنْ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ وَلَنَا أَمْوَالٌ وَمَوَاشٍ فَإِنْ كَانَ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ بَعْنَاهَا وَهَاجَرْنَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَلَنْ يَلْتَكُمُ مِنْ عَمَلِكُمْ شَيْئًا وَمَعْنَى يَلْتَكُمُ يَنْقُصُكُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ غَامِدٌ عَشْرَةَ فَأَقْرُوا بِالْإِسْلَامِ وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فِيهِ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَأَمَرَ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ فَعَلَّمَهُمْ قُرْآنًا وَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَانْصَرَفُوا، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ الْأَزْدِ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ سُوَيْدِ الْأَزْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ وَفَدْتُ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمِينَتِنَا وَزِينَتِنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ قُلْنَا مُؤْمِنُونَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ قُلْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ خُضَلَةٌ خَمْسٌ مِنْهَا أَمَرْتَنَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَخَمْسٌ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا وَخَمْسٌ تَخَلَّفْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهُ مِنْهَا شَيْئًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْخَمْسُ الَّتِي

أَمَرْتَكُمْ بِهَا رَسُولِي قُلْنَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ
وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا قُلْنَا أَمَرْتَنَا أَنْ نَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ
وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَنُصُومَ رَمَضَانَ وَنُحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي
تَخْلُقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُلْنَا الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ
وَالصَّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللَّقَاءِ وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالْأَعْدَاءِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ
كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَرِيدُكُمْ خَمْسًا فَتَيْتُمْ لَكُمْ
عِشْرُونَ خِصْلَةً إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ وَلَا
تَتَأَفَّسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ عَدَا زَائِلُونَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ وَارْغَبُوا
فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدُمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ فَانصَرَفُوا وَقَدْ حَفِظُوا وَصِيَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَمِلُوا
بِهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي الْمُتَنَفِّقِ قَالَ عَاصِمُ بْنُ لَقِيظٍ إِنْ لَقِيظُ بْنُ
عَامِرٍ خَرَجَ وَإِذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَهْيُكُ بْنُ
عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ قَالَ فَوَافَيْنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْعِدَاةِ
فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
لِتَسْمَعُوا الْيَوْمَ أَلَا فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا لَهُ اأَعْلَمَ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ أَلَا ثُمَّ لَعَلَّهُ
يُلْهِمُهُ حَدِيثُ نَفْسِهِ أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ أَلَا وَإِنِّي مَسْئُولٌ هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا الْحَدِيثَ
وَفِيهِ ذِكْرُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِجَّةِ وَالنَّارِ وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامٌ أَبَايَعُكَ فَبَسَطَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا
الْحَدِيثَ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ النَّخَعِ وَهُمْ آخِرُ الْوُفُودِ فِي مَائَتِي رَجُلٍ فَنَزَلُوا
دَارَ الْأَضْيَافِ ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ وَقَدْ كَانُوا
بَايَعُوا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ زُرَّارَةُ بْنُ عَمْرٍو يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي
سَفَرِي هَذَا عَجَبًا قَالَ وَمَا رَأَيْتَ قَالَ رَأَيْتُ أَنَا تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا وَلَدْتُ جَدِيًا أَسْفَعَ أَخْوَى فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَرَكْتِ لَكَ مُصِرَّةً عَلَى حَمَلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا قَدْ
وَلَدَتْ غُلَامًا وَهُوَ ابْنُكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَخْوَى قَالَ إِذْ مِنْ مِي فِدْنَا مِنْهُ قَالَ هَلْ
بِكَ مِنْ بَرَصٍ تَكْتُمُهُ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ غَيْرُكَ قَالَ

فَهُوَ ذَلِكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدِرِ عَلَيْهِ قُرْطَانٍ وَدُمَلَجَانَ وَمَسَكَتَانَ قَالَ
ذَلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيهِ وَبَهَجَتِيهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ
خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا قَالَ وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي
وَبَيْنَ ابْنِ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ
الرَّمَانِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفِتْنَةُ قَالَ يَفْتُلُ النَّاسَ إِمَامَهُمْ وَخَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَخْسِبُ الْمُسِيءُ فِيهَا أَنَّهُ مُحْسِنٌ وَيَكُونُ دَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَخْلَى
مِنَ شُرْبِ الْمَاءِ إِنْ مَاتَ ابْنُكَ أَذْرَكَتْكَ الْفِتْنَةُ وَإِنْ مِتُّ أَنْتَ أَذْرِكَهَا ابْنُكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغِ
اللَّهُ أَنْ لَا أَذْرِكَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ لَا يُذْرِكُهَا فَمَاتَ فَبَقِيَ ابْنُهُ
فَكَانَ مِمَّنْ خَلَعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

المقصد الثالث

فِيمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خَلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ الزَّكِيَّةِ
وَأَوْصَافِهِ الْمَرْضِيَّةِ وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةَ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى شَمَائِلِهِ
الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي كَمَالِ خَلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمْنَا أَنَّ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ
خَلْقَ بَدَنِهِ الشَّرِيفِ عَلَى وَجْهِ لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ خَلْقُ آدَمِيِّ مِثْلُهُ قَالَ الْأَبُوصَيْرِيُّ:

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءَ النَّسَمِ
مُنَزَّةً عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ
لَمَا أَطَاقَتْ أَعْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (فَأَمَّا وَجْهَهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ رَوَى الشُّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا
وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَسُئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السِّيفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ
الْقَمَرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَكَانَ وَجْهُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السِّيفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا.
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ أَيْ مُقَمَّرَةٍ
وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ فَلَهَرْتُ فِي عَيْنِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ. وَرَوَى
التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ

وَلَا الْمُكَلِّمُ وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ وَالْمُطَهَّمُ الْكَثِيرُ السَّمَنِ وَالْمُكَلِّمُ الْمُدَوَّرُ الْوَجْهِ أَي لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ تَذْوِيرِ الْوَجْهِ بَلْ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ قَلِيلٌ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسِيلَ الْخَدَّيْنِ . وَالْخَدُّ الْأَسِيلُ هُوَ مَا فِيهِ اسْتِطَالَةٌ غَيْرُ مُرْتَفِعِ الْوَجْتَةِ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ . وَفِي حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ التَّفْتُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ مِثْلَ شِقَاقِ الْقَمَرِ فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى صِفَتِهِ عِنْدَ الْأَلْتِفَاتِ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ دَارَةٌ قَمَرٍ . وَرَوَى النَّبَيْهِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ الْهَمْدَانِيِّ عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ هَمْدَانَ قَالَتْ حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهَا شَبِيهِهِ قَالَتْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَرَوَى الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قُلْتُ لِلرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِذِ صِيفِي لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتُ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ صِيفٌ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا سُرَّ فَكَأَنَّ وَجْهَهُ الْمِرْمَاةُ وَكَأَنَّ الْجُدْرَ تُرَى فِي وَجْهِهِ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ يَتَلَأَلُ وَجْهُهُ تَلَأَلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، (وَأَمَّا بَصْرُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالنَّبَيْهِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى بِاللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ فِي الضُّوءِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ قِبَلَتِي هَهُنَا فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَايِي وَمِنْ خَلْفِي .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ جِئِن تَقُومُ وَتَقْلِبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الصُّفُوفِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الشُّفَاءِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا وَعِنْدَ السُّهَيْلِيِّ اثْنَيْ عَشَرَ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ إِذَا التَّفْتُ التَّفْتُ

جَمِيعًا خَافِضَ الطَّرْفِ نَظَرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ جُلُّ نَظَرِهِ الْمَلَاخِظَةُ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ اللَّحْظِ وَهُوَ النَّظَرُ بِشِقِّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصُّدْعَ، وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ النَّصِمِ أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ مَلْهُوسَ الْقَدَمَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَالشُّكْلَةُ الْحُمْرَةُ تَكُونُ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ وَهُوَ مَخْمُودٌ مَحْبُوبٌ وَأَمَّا الشُّهْلَةُ فَإِنَّهَا حُمْرَةٌ فِي سَوَادِهَا. وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ أَبْيَضٌ مُشْرَبٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ وَهِيَ شَعْرُ الْعَيْنِ.

وَعِنْدَهُ أَيْضًا عَنْ عَلِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ. وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَرَأَيْتُ حَبْرًا مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ فَقَالَ لِي صِفْ أَبَا الْقَاسِمِ فَقُلْتُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْحَدِيثِ وَفِيهِ قَالَ عَلِيُّ ثُمَّ سَكَتُ فَقَالَ الْحَبْرَ وَمَاذَا قُلْتُ هَذَا مَا يَخْضُرُنِي قَالَ الْحَبْرُ فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ حَسَنُ اللَّحْيَةِ ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَتُهُ قَالَ الْحَبْرُ فَإِنِّي أَجِدُ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَمَا فَتَى. (وَأَمَّا سَمْعَةُ الشَّرِيفُ) فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي دَرٍّ. وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ قَالُوا مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ قَالَ إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطُ السَّمَاءَ وَمَا ثَلَامٌ أَنْ تَبْطُ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ. (وَأَمَّا جَبِينَةُ الْكَرِيمِ) فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِحَ الْجَبِينِ مَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ بِهَذَا وَصَفَهُ عَلِيٌّ فَقَالَ مَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ صَلَّتْ الْجَبِينِ أَيْ وَاضِحُهُ وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ عَظِيمُ الْجَبْهَةِ دَقِيقُ الْحَاجِبِينَ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَرَجَّ الْحَوَاجِبِ وَقُسِّرَ بِالْمُقَوَّسِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ الشَّعْرِ ثُمَّ قَالَ سَوَابِعٌ مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ بَيْنَهُمَا عِزْقٌ يُدْرَهُ الْعَضْبُ.

وَعَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمَعْ وَأَطِعْ يَا بَنَ

الطَاهِرَةَ الْبِكْرَ الْبَثُولِ إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فُحْلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ فَاغْبُدْ وَعَلَيَّ
 فَتَوَكَّلْ فَسِرْ لِأَهْلِ سُورَانَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا أَزُولُ صَدَقُوا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ صَاحِبَ
 الْجَمَلِ وَالْمِذْرَعَةِ وَالْعِمَامَةِ وَالنُّعْلَيْنِ وَالْهَرَاوَةَ الْجَعْدَ الرَّأْسِ الصَّلْتَ الْجَبِينِ الْمَقْرُونَ الْحَاجِبِينَ
 الْأَهْدَبَ الْأَشْفَارِ الْأَدْعَجَ الْعَيْنِينَ الْأَنْجَلَ الْعَيْنِينَ الْأَقْنَى الْأَنْفِ الْوَاضِحَ الْحَدِيدِ الْكَثَّ اللَّحِيَّةَ
 عَرَقَهُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ وَرِيحُ الْمِسْكِ يَنْفُخُ مِنْهُ كَأَنَّ عُنُقَهُ يُبْرِيقُ فِضَّةَ الْحَدِيدِ. وَالْأَنْجَلُ
 الْوَاسِعُ شِقُّ الْعَيْنِ وَالْقَرْنُ بِالتَّخْرِيكِ الْبِقَاءُ الْحَاجِبِينَ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَالصَّحِيحُ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَوَاجِبَهُ سَوَابِغٌ مِنْ غَيْرِ
 قَرْنٍ كَمَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ابْنُ أَبِي هَالَةَ. وَالْقَتَى فِي الْأَنْفِ طَوْلُهُ وَرِقَّةُ أَرْتَبِيهِ
 مَعَ حَدَبٍ قَلِيلٍ فِي وَسْطِهِ، وَقَدْ وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ كَانَ
 عَظِيمَ الْهَامَةِ أَيِ الرَّأْسِ. وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ضَخْمَ الرَّأْسِ. وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَخْمَ الْكَرَادِيْسِ وَهِيَ رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَقَالَ فِي رِوَايَةِ الثَّرْمِذِيِّ جَلِيلَ الْمُسَاشِ
 وَالْكَتْدِ وَفُسْرَ بَرُؤُوسِ الْعِظَامِ كَالرُّكْبَتَيْنِ وَالْمِرْفَقَيْنِ وَالْمُنْكَبَيْنِ أَيِ عَظِيمَهَا. وَالْكَتْدُ مُجْتَمِعُ
 الْكَتْفَيْنِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَقِيقَ الْعِرْزَيْنِ أَيِ أَعْلَى الْأَنْفِ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ وَوَصَفَهُ أَيْضًا بِأَقْنَى الْأَنْفِ وَفُسْرَ بِالسَّائِلِ الْمُرْتَفِعِ الْوَسْطِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَقْنَى
 الْعِرْزَيْنِ لَهُ نُورٌ يَعْלוهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمًا. وَالْأَشْمُ الطَّوِيلُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ. (وَأَمَّا فَمُهُ
 الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ضَلِيعَ الْقَمِ. وَقَالَ
 ابْنُ أَبِي هَالَةَ يَنْفَتِيحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِيْمُهُ بِأَشْدَاقِهِ يَغْنِي لِسَعَةً فَمِهِ وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ وَتَذْمُ بِصِغَرِ
 الْقَمِ. وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ فَقَالَ أَشْتَبُ مُفْلَجَ الْأَسْنَانِ. وَالشُّتْبُ رَوْتُقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا
 وَمُفْلَجُ الْأَسْنَانِ أَيِ مُتَفَرِّقُهَا. وَقَالَ عَلِيُّ مُبْلَجُ الثَّنَائِيَا وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا. وَعَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَجَ الثَّنَائِيَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ
 بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ رَوَاهُ الثَّرْمِذِيُّ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ
 عِبَادِ اللَّهِ شَفَتَيْنِ وَالْطَّفَهْمُ خَتَمٌ فَمِ. وَعَنْ أَبِي قِزْصَافَةَ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَتْ لِي أُمِّي وَخَالَتِي يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ
 أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَقْنَى ثُوبًا وَلَا أَلْيَنَ كَلَامًا وَرَأَيْنَا كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ. (وَأَمَّا رِيقُهُ الشَّرِيفُ)
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ يَوْمَ خَيْرَ لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ
وَرَسُولَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ
يُعْطَاهَا قَالَ ابْنُ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ قَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَى
بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

وَمَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بئرِ فَفَاحٍ مِنْهَا رايحةُ الْمِسْكِ وَبَصَقَ فِي بئرِ فِي دَارِ أَنَسِ
فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ بِئْرٌ أَعْدَبَ مِنْهَا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَدْعُو بِرُضْعَائِهِ
وَرُضْعَاءِ ابْنَتَيْهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَنْفِلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيَقُولُ لِلْأُمَّهَاتِ لَا تُرَضِعْنَهُمْ إِلَى
اللَّيْلِ فَكَانَ رِيقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْزِيهِمْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عُمَيْرَةُ بِنْتُ
مَسْعُودٍ هِيَ وَأَخْوَاتُهَا يُتَابِعُنَهُ وَهُنَّ خَمْسٌ فَوَجَدْنَهُ يَأْكُلُ قَدِيدًا فَمَضَغَ لَهُنَّ قَدِيدَةً فَمَضَعْنَهَا كُلَّ
وَاحِدَةٍ قُطْعَةً فَلَقِيَنَّ اللَّهُ وَمَا وَجَدَ لِأَفْوَاهِهِنَّ خُلُوفَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْخُلُوفُ تَغْيِيرُ رايحةِ النَّفْسِ .
وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ بَعْدَ أَنْ نَفَثَ فِيهَا مِنْ رِيقِهِ عَلَى ظَهْرِ عُتْبَةَ وَبَطْنِهِ
وَكَانَ بِهِ شَرِيٌّ فَمَا كَانَ يُشَمُّ أَطْيَبُ مِنْهُ رايحةً . وَأَعْطَى الْحَسَنَ لِسَانَهُ وَكَانَ قَدِ اشْتَدَّ ظَمْؤُهُ
فَمَضَّ حَتَّى رَوَى . (وَأَمَّا فَصاحَةُ لِسَانِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللَّهِ
وَأَعْدَبَهُمْ كَلَامًا حَتَّى كَانَ كَلَامَهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَحْصَاهُ وَكَانَ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا
لِنَفْسِهِ عَنهُ وَكَانَ يَقُولُ أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ أَفْصَحَنَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أظهَرْنَا قَالَ
كَانَتْ لُغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دُرِسَتْ فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفَظْنِيهَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ . وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَحْنُ بَنُو أَبِي وَاحِدٍ وَنَشَأْنَا فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ تُكَلِّمُ الْعَرَبَ
بِلِسَانٍ مَا نَفْهَمُ أَكْثَرَهُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذْبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ
بَكْرِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ طُفْتُ فِي الْعَرَبِ وَسَمِعْتُ فَصَحَاءَهُمْ
فَمَا سَمِعْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ قَالَ أَذْبَنِي رَبِّي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ . وَأَمَّا مَا يُرَوَى أَنَا أَفْصَحُ مَنْ
نَطَقَ بِالضَّادِ فَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ لَا أَضِلُّ لَهُ لَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ .

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُوَجَّزِ الْبَدِيعِ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ
إِلَيْهِ دَوَائِرَ فِي كِتَابِ الشُّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي الْعَلِيلَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ، وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، لَيْسَ لِلْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَا نَوَاهُ، نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. يَا خَيْلَ اللَّهِ اذْكَبِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالْعَاهِرُ الزَّانِي، كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا رَوَاهُ الرَّامَهُزْمِيُّ وَالْفَرَا حِمَارُ الْوَحْشِ، الْحَرْبُ خَذَعَةٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ رَوَاهُ الرَّامَهُزْمِيُّ وَالِدَّمَنِ جَمْعُ دِمْنَةٍ وَهِيَ الْبَعْرُ، الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْ إِنَّهُمْ بِطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ، لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ، لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمَعَايِنَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ رَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ، الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.

تَرَكَ الشَّرَّ صَدَقَةٌ، أَيُّ ذَا أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، لَا يَنْتَطِجُ فِيهَا عَنزَانِ أَيُّ لَا يَجْرِي فِيهَا خِلَافٌ وَلَا يَزَاعُ، الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَا قِيَمٍ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ، سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَفِي لَفْظِ مَعْقُودٍ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، أَعْجَلُ الْأَشْيَاءِ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، إِنَّ مِنَ النَّبَاتِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، الصُّحَّةُ وَالْفِرَاعُ نِعْمَتَانِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَاجَاتِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ رَوَاهُ الدِّيْلَمِيُّ، مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، النَّدَمُ تَوْبَةٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلِهِ رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ، حُبُّكَ الشَّيْءَ يُغْمِي وَيُصَيِّمُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، الْعَارِيَّةُ مُؤَدَاةٌ وَالْمِنْحَةُ مَزْدُودَةٌ وَالذُّيْنُ مَقْضِيٌّ وَالزُّعِيمُ غَارِمٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ كَذَا رُوِيَ فِي عِدَّةِ رَوَايَاتٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ عَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَكَبُرَ لَدَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ رَضِيَ وَأَثَابَ، قُتِلَ صَبْرًا رَوَاهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ، لَيْسَ الْمَسْئُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، لَا تَرْفَعِ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ أَدَبًا رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيُّ لَا تَدْعُ تَأْدِيبَهُمْ وَجَمْعُهُمْ عَلَى طَاعَةٍ

اللَّهُ يُقَالُ شَقَّ الْعَصَا إِذْ قَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الضَّرْبَ بِالْعَصَا وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ مَثَلًا، إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِيمُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَبَطُ انْتِفَاحُ الْبَطْنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ حَتَّى يَنْتَفِخَ فَيَمُوتَ أَوْ يُلِيمُ أَي يَقْرُبُ مِنَ الْهَلَاكِ وَهُوَ مَثَلٌ لِلْمُنْهَمِكِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا الْمَانِعِ مِنْ إِخْرَاجِهَا فِي وَجْهِهَا، خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ وَمَعْنَاهُ عَيْنٌ مَاءٌ تَجْرِي لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَاحِبُهَا نَائِمٌ، خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَمَعْنَى مَأْمُورَةٌ كَثِيرَةٌ التَّنَاجِ وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ أَي طَرِيقَةٌ مُصْطَفَاةٌ مِنَ النَّخْلِ، مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، زُرْغَبًا تَزْدَدُ حُبًّا رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَغَيْرُهُ، إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ، الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ وَلَا تَبْغُضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَغَيْرُهُ وَالْمُنْبِتُ الْمُنْقَطِعُ وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يَعْسِفُ الرِّكَابَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَا لَا تُطِيقُ رَجَاءَ الْإِسْرَاعِ فَيَنْقَطِعُ ظَهْرُهُ فَلَا هُوَ قَطَعَ الْأَرْضَ الَّتِي أَرَادَ وَلَا أَبْقَى ظَهْرَهُ سَالِمًا.

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَّتْ عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيُّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَدَعُهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِحَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَرَبَّتْ لَصِقَتْ بِالثَّرَابِ أَي افْتَقَرْتَ إِذَا خَالَفْتَ، الشِّتَاءُ رِبِيعُ الْمُؤْمِنِ قَصْرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَكَثْرٌ لَا يَفْتَى رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، مَا خَابَ مِنْ اسْتِخَارَ وَلَا تَدِمَ مِنْ اسْتِشَارَ وَلَا عَالَ مِنْ اقْتَصَدَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْإِقْتِصَادُ فِي الثَّقَفَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، لَا عَقْلَ كَالْتَّذْبِيرِ وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخَلْقِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

الْمُسْلِمُ مِنَ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، التَّذْبِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ وَالْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ وَقَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ، أَدْ الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، الرِّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ، لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ، حُسْنُ الْعَهْدِ مَنْ

الإيمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت عَجُوزٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ جَثَامَةُ الْمُزَيْنَةُ قَالَ أَنْتِ حَسَانَةُ كَيْفَ أَنْتُمْ كَيْفَ حَالِكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ قَالَتْ بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُقْبَلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِفْتَالِ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، جَمَالَ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ رَوَاهُ الْقُضَاعِيُّ، مِنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، لَا فَفَرَّ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ وَلَا مَالٌ أَغْرَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَخَشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، الدُّنْبُ لَا يُنْسَى وَالْبِرُّ لَا يَبْلَى وَالِدِّيَانُ لَا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ .

مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ جِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ، التَّمِسُوا الرُّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَرِيحٍ وَالْمُرَادُ الرُّزْعُ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعَدُّ نَفْسِكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَصَدَقَةُ السُّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَصِلَّةُ الرَّجْمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْعَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا وَالتَّوَاضُعُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا رِفْعَةً وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِالْفَاطِمِ مُخْتَلَفَةٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى رَوَاهُ الْأَزْبَعَةُ عَنْ عَائِشَةَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيَّتِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالحَاكِمُ عَنْ شَكْلِ .

الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْآخِرَةُ وَعَدُّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ فَكُونُوا أَبْنَاءَ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ أُمَّ يَنْبَعُهَا وَلَدَهَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةٌ مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ وَرَوَاهُ ابْنُ النُّجَارِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةٌ رَجُلٌ أَخْلَقَ يَدَيْهِ فِي أَمَالِهِ وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْأَيَّامُ عَلَى أُمِّيَّتِهِ فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ وَقَدِيمٍ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، إِنَّ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كَثْمَانَ الْمَصَائِبِ، الْيَمِينُ جِنْتُ أَوْ نَدْمٌ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ .

لَا تُظْهِرِ السَّمَاتُةَ بِأَخِيكَ يُعَافِيهِ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقِي قَالَهُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ، الْيَوْمَ الرَّهَانُ وَعَدَا السَّبَاقُ وَالْعَايَةُ الْجَنَّةُ وَالْهَالِكُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ، مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، فَهَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِمَّا يَعْسُرُ اسْتِقْصَاؤُهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَقِيَ مِنَ الْفَصَاحَةِ

وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ دَرَجَةً لَا يُقَاسُ بِهَا غَيْرُهُ وَحَازَ مَرْتَبَةً لَا يُقَدَّرُ فِيهَا قَدْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِمَّا عُدَّ مِنْ وَجُوهِ بَلَغَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمَعَ مُتَفَرِّقَاتِ الشَّرَائِعِ وَقَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْبَعَةِ أَحَادِيثٍ وَهِيَ حَدِيثُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، وَحَدِيثُ الْحَلَالِ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَحَدِيثُ النَّبِيِّ عَلَى الْمُدْعَى وَالْيَمِينِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، وَحَدِيثُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْمَرْءِ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْعِبَادَاتِ وَالْحَدِيثُ الثَّانِي يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحَدِيثُ الثَّلَاثُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْحُكُومَاتِ وَقَضْلِ الْخُصُومَاتِ وَالْحَدِيثُ الرَّابِعُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْأَدَابِ وَالْمُنَاصَفَاتِ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ التَّخْدِيرُ مِنَ الْجَنَائِثِ قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بِلُغَتِهِ عَلَيْهِ عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظِهَا وَأَسَالِيبِ كَلِمَتِهَا وَكَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَتَجَاوَزُ لُغَتَهُ وَإِنْ سَمِعَ لُغَةً غَيْرَهُ فَكَالْعَجْمِيَّةِ يَسْمَعُهَا الْعَرَبِيُّ وَمَا ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ وَمَوْهَبَةٍ رَبَّانِيَّةٍ لِأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْكَافَّةِ طُرًّا وَإِلَى الْخَلِيقَةِ سُودًا وَحُمْرًا وَلَا يُوجَدُ غَالِبًا مُتَكَلِّمٌ بِغَيْرِ لُغَتِهِ إِلَّا قَاصِرًا نَازِلًا عَنْ صَاحِبِ الْأَصَالَةِ بِتِلْكَ اللُّغَةِ إِلَّا نَسِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَفْصَحَ مِنْهَا بِلُغَةٍ نَفْسِهَا وَجَدِيرٌ بِهِ ذَلِكَ فَقَدْ أُوتِيَ فِي سَائِرِ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ زِيَادَةً عَلَى سَائِرِ النَّاسِ مَا لَا يُضْبِطُهُ قِيَاسٌ . (وَأَمَّا صَوْتُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ . وَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْلُغُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ فَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِي حُدُورِهِنَّ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ اجْلِسُوا فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي عَنَمٍ فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذِ التَّمِيمِيِّ خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْى فَفَتَحَ اللَّهُ أَسْمَاعَنَا حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا . وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي ، (وَأَمَّا ضِحْكُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِثْمًا كَانَ يَتَّبَسُّمُ . وَاللَّهَوَاتُ جَمْعُ لَهَاءٍ وَهِيَ
اللَّحْمَةُ الَّتِي بِأَعْلَى الْحَنْجَرَةِ مِنْ أَفْصَى الْقَمِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمَوَاقِعِ أَهْلُهُ فِي رَمَضَانَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالتَّوَاجِذُ الْأَضْرَاسُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي
هَالَةَ جُلُّ ضِحْكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ
حَجْرٍ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ لَا
يَزِيدُ عَلَى التَّبَسُّمِ وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَضَحِكَ ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَالَّذِي يَتَّبِعِي أَنْ يُفْتَدَى بِهِ مِنْ
أَفْعَالِهِ مَا وَاطَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِذَا ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَلَأَلُ فِي الْجُدْرِ أَيْ يُشْرِقُ نُورُهُ عَلَيْهِ إِشْرَاقًا كِإِشْرَاقِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَبْرِيلَ لَمْ يَتَّبَسَّمْ ضَاحِكًا حَتَّى يَرْتَفِعَ
عَنْهُ بَلْ كَانَ إِذَا حَطَبَ أَوْ ذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلَا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مِنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ
وَمَسَاكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ بُكَاءُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ جِنْسِ ضِحْكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ
وَرَفَعَ صَوْتٍ كَمَا لَمْ يَكُنْ ضِحْكُهُ بِفَهْقَهَةٍ وَلَكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمَلَانَ وَيُسْمَعُ لِصْدْرِهِ أَرْزُ
يَبْكِي رَحْمَةً لِمَيِّتٍ وَخَوْفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً وَمِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَأَخْيَانًا فِي
صَلَاةِ اللَّيْلِ .

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّثَاؤُبِ وَمَا تَتَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ ، (وَأَمَّا يَدُهُ الشَّرِيفَةُ) صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَتْنِ الْكُفَّينِ أَيْ عَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا وَبَأَنَّهُ عَبْلُ
الدَّرَاعِينَ رَحْبُ الْكُفَّينِ وَقَدْ مَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ فَوَجَدْتُ
لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودِي عَطَارٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ لَقَدْ كُنْتُ
أَصَافِحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ فَأَتَعَرَّفُهُ بَعْدَ فِي يَدِي وَإِنَّهُ
لِأَطْيَبُ رَائِحَةٍ مِنَ الْمِسْكِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ نَاوَلَنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَدَهُ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْتِينَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ
كَانَتْ كَفُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَلِئَةً لَحْمًا غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ ضَحَامَتِهَا كَانَتْ لَيْتَةً .

وَعَنْ مُعَاذٍ قَالَ رَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ فَمَا مَسِسْتُ شَيْئًا
قَطُّ أَلْتِينَ مِنْ جِلْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَصِيبَ عَائِدُ بْنُ عَمْرٍو فِي وَجْهِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَسَالَ

الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَسَلَّتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّمُ بِيَدِهِ عَنِ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ ثُمَّ دَعَا لَهُ فَكَانَ أَثَرُ يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مُنْتَهَى مَا مَسَحَ مِنْ صَدْرِهِ غُرَّةً سَائِلَةً كَغُرَّةِ الْفَرَسِ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ. وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ مَذْلُوكِ أَبِي سُفْيَانَ فَكَانَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ أَسْوَدَ وَشَابَ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ. وَعَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ مَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِي وَلِحْيَتِي ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلُهُ قَالَ الرَّاوي عَنْهُ فَبَلَغَ بَعْضًا وَمِائَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ رَوَاهُ النَّبَهَيْيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأْسَ حَنْظَلَةَ بْنِ جَذِيمٍ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ بُورِكَ فَيْكَ فَكَانَ يُؤْتَى بِالشَّاةِ الْوَارِمِ فَزَرَعَهَا وَالْبَعِيرِ وَالْإِنْسَانَ بِهِ الْوَرَمُ فَيَتَفَلُّ فِي يَدِهِ وَيَمَسُّحُ بِصَلْعَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عَلَى أَثَرِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمْسَحُهُ ثُمَّ يَمْسَحُ مَوْضِعَ الْوَرَمِ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَقَدْ جَاءَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَيَاضٌ إِبْطِيهِ فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدَّعَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ. قَالَ الطَّبْرِيُّ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِبْطَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مُتَغَيَّرُ اللَّوْنِ غَيْرُهُ. وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَرِيشٍ قَالَ ضَمِنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَالَ عَلِيٌّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلَ رِيحِ الْمِسْكِ رَوَاهُ الْبَزَّازُ.

وَوَصَفَهُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ ذُو مَسْرَبِيَّةٍ وَفُسِّرَ بِخَيْطِ الشُّعْرِ بَيْنَ الصُّدْرِ وَالسُّرَّةِ وَعِنْدَ النَّبَهَيْيِّ لَهُ شَعْرَاتٌ مِنْ لَبَّتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ تَجْرِي كَالْقَضِيبِ لَيْسَ عَلَى صَدْرِهِ وَلَا عَلَى بَطْنِهِ غَيْرُهَا. وَوَصَفَتْ بَطْنَهُ أُمُّ هَانِيَةَ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا دَكَرْتُ الْقَرَّاطِيْسَ الْمُثْنَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ كَأَنَّما صَبِغَ مِنْ فِضَّةِ رَجُلٍ الشُّعْرِ مِقْضُ الْبَطْنِ عَظِيمَ مُشَاشِ الْمُنْكَبِيِّنِ وَمِقْضُ الْبَطْنِ وَاسِعُهُ وَالْمُشَاشُ رُؤُوسُ الْعِظَامِ، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَرِّشِ الْكَعْبِيِّ قَالَ اغْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجِغْرَانَةِ لَيْلًا فَتَنْظَرْتُ إِلَى ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَيْكَةٌ فِضَّةٌ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبِيِّنِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَحِبَ الصُّدْرِ، (وَأَمَّا قَلْبُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَفَّهُ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ لَهُ هَذَا حَطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طِسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ ثُمَّ لَامَهُ فَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ قَالَ أَنَسٌ فَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي

صَدْرِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهَذَا الشُّقُّ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَاتٍ ، (وَأَمَّا جَمَاعُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ الرَّاوِي قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوْ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْ مُعَاذِ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي الْجَمَاعِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ .

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَخْتِلَامِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَا اخْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ وَإِنَّمَا الْإِخْتِلَامُ مِنَ الشَّيْطَانِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، (وَأَمَّا قَدَمُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَتْنُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ عَلِيظٌ أَصَابِعُهُمَا . وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَزْدَمٍ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قَدَمَيْهِ السَّبَابَةِ عَلَى سَائِرِ أَصَابِعِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ حُمْصَانُ الْأَخْمَصِيِّنِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ . وَالْأَخْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَلْصُقُ بِالْأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الْوَطْءِ وَالْحُمْصَانُ الْبَالِغُ مِنْهُ وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ مَلْسَاوَتَانِ لِيَتَنَانِ لَيْسَ فِيهِمَا تَكْسُرٌ وَلَا شَقَاقٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَمًا ، (وَأَمَّا طَوْلُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا قَصِيرَ وَلَا طَوِيلَ وَهُوَ إِلَى الطُّوْلِ أَقْرَبُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَوَصَفَهُ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِالطُّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَالْمُرَادُ بِالطُّوِيلِ الْبَائِنِ الْمَفْرُطُ فِي الطُّوْلِ مَعَ اضْطِرَابِ الْقَامَةِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُسْدَبِ وَالْمُسْدَبُ الْبَائِنُ الطُّوْلِ فِي نَحَاقَةٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ لَمْ يَكُنْ بِالطُّوِيلِ الْمَمْعُطِ أَيْ الْمَتَّاهِي الطُّوْلِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطُّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمْتَرَدِّدِ وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَخَدَهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى حَالِ يَمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّوْلِ إِلَّا طَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَرَبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلَانِ الطُّوِيلَانِ فَيَطْوُلُهُمَا فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّبْعَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ وَزَادَا ابْنُ سَنَعٍ فِي الْحَصَائِصِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَنَفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ بِأَنَّهُ بَادِنٌ مَتَمَاسِكٌ أَيْ مُعْتَدِلٌ الْخَلْقِي كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمَسِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، (وَأَمَّا شَعْرُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا

عَنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ شَعْرُ بَيْنَ شَعْرَيْنِ لَا رَجُلٌ وَلَا سَبْطٌ وَلَا جَعْدٌ وَلَا قَطِطٌ كَانَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ وَفِي رِوَايَةٍ كَانَ رَجُلًا لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الْجَعْدِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ وَفِي أُخْرَى إِلَى أَنْصَابِ أُذُنَيْهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ وَدُونَ الْوُفْرَةِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ كَانَ إِلَى أُذُنَيْهِ وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ يَضْرِبُ إِلَى مَنْكَبَيْهِ وَفِي حَدِيثِ أَبِي رَمْثَةَ يَبْلُغُ إِلَى كَتِفَيْهِ وَفِي رِوَايَةٍ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ أَحْسَنَ مِنْهُ وَالْجُمَّةُ هِيَ الشَّعْرُ الَّذِي نَزَلَ إِلَى الْمَنْكَبَيْنِ وَالْوُفْرَةُ مَا نَزَلَ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنَيْنِ وَاللِّمَّةُ الَّتِي آلَمَتْ بِالْمَنْكَبَيْنِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ مَا يَلِي الْأُذُنَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ مَنْكَبَيْهِ قَالَ وَقِيلَ بَلْ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ فَإِذَا عَقَلَ عَنْ تَقْصِيرِهَا بَلَغَتِ الْمَنْكَبَ وَإِذَا قَصَرَهَا كَانَتْ إِلَى أَنْصَابِ الْأُذُنَيْنِ فَكَانَتْ تَطُولُ وَتَقْصُرُ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤُوسَهُمْ وَكَانَ يُجِبُ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ فَرَّقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ نَحْوُهُ وَسَدَلُ الشَّعْرِ إِزْسَالُهُ وَالْمُرَادُ دُهْنَا إِزْسَالُهُ عَلَى الْجَبِينِ وَاتِّخَاذُهُ كَالْفُصَّةِ وَأَمَّا الْفَرْقُ فَهُوَ فَرْقُ الشَّعْرِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْفَرْقُ سُنَّةٌ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحِيحُ جَوَازُ الْفَرْقِ وَالسَّدَلُ لِكِنَّ الْفَرْقِ أَفْضَلُ . وَالْفُصَّةُ شَعْرٌ النَّاصِيَةِ يُفْصُ حَوْلَ الْجَبْهَةِ . وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَلَهُ أَرْبَعُ عَدَائِرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَالْعَدَائِرُ هِيَ الدُّوَابُّ وَاجِدَتْهَا عَدِيرَةً .

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ كَانَ فِي لِحْيَتَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرَاتٌ بِيضٌ وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا قَلِيلًا وَفِي أُخْرَى لَهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ وَلَمْ يَخْضِبْ وَعِنْدَهُ أَيْضًا لَمْ يَخْضِبْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا كَانَ الْبِيَاضُ فِي عُنُقَتَيْهِ وَفِي الصُّدْعَيْنِ وَفِي الرَّأْسِ نُبْدًا أَيْ شَعْرَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَعَنْ أَنَسٍ مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتَيْهِ إِلَّا سَبْعُ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ نَحْوُ عَشْرِينَ . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْبَعُ بِالصُّفْرَةِ قَالَ التَّوَوُّيُّ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَّغَ فِي وَقْتِ وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَاتِ فَأَخْبَرَ كُلُّ بِمَا رَأَى وَهُوَ صَادِقٌ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ رَوَاهُ الْبَعَوِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَلَاقُ يُحْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَضْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُرَوْ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَلَقَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ فِي غَيْرِ نُسْكِ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَتَكُونُ تَبْقِيَةُ الشَّعْرِ فِي الرَّأْسِ سُنَّةً وَمُنْكَرُهَا مَعَ عِلْمِهِ يَجِبُ تَأْدِيبُهُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّبْقِيَةَ يَبَاحُ لَهُ إِزَالَتُهُ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَنَسٍ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي شَارِبَهُ ، وَأَمَّا الْعَانَةُ فَبِئْسَ حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَنَوَّرُ وَكَانَ إِذَا كَثُرَ شَعْرُهُ حَلَقَهُ . وَفِي حَدِيثٍ أَمَّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا طَلَى بَدَأَ بِعَانِيَتِهِ وَطَلَاهَا بِالثُّورَةِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ أَهْلُهُ . وَحَدِيثُ دُخُولِهِ الْحَمَامَ مَوْضُوعٌ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ مُزْسَلِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَظْفَارِهِ وَشَارِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفَارِقُ سِوَاكَهُ وَمِشْطَهُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ مَكْحَلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ثَلَاثَةَ فِي هَذِهِ وَثَلَاثَةَ فِي هَذِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ يَكْتَحِلُ بِالْإِئْمِدِ وَالْإِئْمِدُ حَجَرُ الْكُحْلِ أَسْوَدٌ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَضِبُ قَالَتْ نَعَمْ بِذِكَارَةِ الطَّيِّبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالذُّكَاةِ جَمْعُ ذَكَرٍ مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ وَهُوَ مَا لَا لَوْنَ لَهُ (وَأَمَّا مَشْيُهُ الشَّرِيفِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَكْفَأُ تَكْفَأُ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ وَالتَّكْفَأُ الْمَيْلُ إِلَى سَتَنِ الْمَشْيِ وَالصَّبَبُ الْمَكَانُ الْمُنْحَدِرُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمَيْهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا . وَعَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا أَي قَوِي الْأَعْضَاءِ غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي الْمَشْيِ .

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ إِذَا زَالَ تَقَلَّعًا يَخْطُو تَكْفِيًا وَيَمْشِي هَوْنًا ذَرِيْعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ التَّقْلُعُ الْإِرْتِفَاعُ مِنَ الْأَرْضِ بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ الْمُنْحَطِّ فِي الصَّبَبِ وَهِيَ مِشْيَةٌ أُولَى الْعِزْمِ وَالْهِمَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ وَأَرْوَحُهَا لِلْأَعْضَاءِ . وَأَمَّا مِشْيَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ فَكَأَنُوا يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ وَيَقُولُ خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ وَمَشَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ عَزَوَاتِهِ مَرَّةً فَجَرِحَتْ إِضْبَعُهُ وَسَالَ مِنْهَا الدَّمُ فَقَالَ هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيَّتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ . قَالَ ابْنُ سَبْعٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورًا فَكَانَ إِذَا مَشَى بِالشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ لَا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ ، (وَأَمَّا لَوْنُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمُورًا أَصْحَابِهِ بِالْبَيَاضِ فَمِنْ عِبَارَاتِهِمْ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ ، مَا أَنْسَى شِدَّةَ بَيَاضِ وَجْهِهِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ شَعْرِهِ ، رَوَى هَذَا الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ وَفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِالْأَرَامِلِ

وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَبْيَضَ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَزْهَرُ اللَّوْنِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَهَقًا . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ بَيَاضُهُ إِلَى السُّمْرَةِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ يُقَالُ إِنَّ الْمُشْرَبَ مِنْهُ بِحُمْرَةٍ وَإِلَى السُّمْرَةِ مَا ضَحَى لِلشَّمْسِ وَالرِّيْحِ أَيْ كَالْوَجْهِ وَالْعُنُقِ وَأَمَّا مَا تَحْتَ الثِّيَابِ فَهُوَ الْأَزْهَرُ الْأَبْيَضُ ، (وَأَمَّا طَيْبُ رِيحِهِ وَعَرْقِهِ وَفَضْلَاتِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَتْ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طَيِّبًا قَالَ أَنَسٌ مَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا عُنْبُرًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ امْرَأَةِ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدِ السَّلْمِيِّ قَالَتْ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطَّيِّبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتَيْهَا وَلَا يَمَسُّ عُتْبَةَ الطَّيِّبَ إِلَّا أَنْ يَمَسَّ دُهْنًا يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ قَالُوا مَا شَمِمْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا إِنَّا لَتَجْتَهِدُ فِي الطَّيِّبِ وَلَاأَنْتِ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا فَمِمَّ ذَلِكَ فَقَالَ أَخَذَنِي الشَّرِيُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَأَمْرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ فَتَجَرَّدْتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي فَنَفَثَ فِي يَدِي ثُمَّ مَسَحَ

ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ فَعَبَقَ بِي هَذَا الطَّيْبُ مِنْ يَوْمِئِذٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قِصَّةَ الَّذِي اسْتَعَانَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَجْهِيزِ ابْنَتِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَاسْتَدْعَى بِقَارُورَةَ فَسَلَّتْ لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ وَقَالَ مُرَّهَا فَلَتَطَّيَّبَ بِهِ فَكَانَتْ إِذَا تَطَّيَّبَتْ بِهِ شَمُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الطَّيْبَ فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَجَدُوا مِنْهُ رَائِحَةَ الطَّيْبِ وَقَالُوا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَنْوَرَهُمْ لُونًا لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ قَطُّ إِلَّا شَبَّهُ وَجْهَهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَكَانَ عَرْقُهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرَقٌ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا فَاسْتَيْقِظَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمِ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ قَالَتْ هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طَيْبِنَا وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيْبِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ كَانَتْ مَحْرَمًا لَهُ مِنْ قِبَلِ الرِّضَاعِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عَطَارٍ قَالَ غَيْرُهُ مَسَّهَا بِطَيْبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بِرِيحِهَا .

وَقَدْ وَرَدَ مِمَّا عَزَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ لِلْأَخْبَارِيِّينَ وَمَنْ أَلْفَ فِي السَّمَائِلِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّعَوِّطَ انْشَمَّتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ بَوْلَهُ وَغَائِطَهُ وَفَاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةُ طَيْبَةٍ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ حَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا لِبَعْضِ قُرَيْشٍ فَلَمَّا فَرَعَهُ مِنْ حِجَامَتِهِ أَخَذَ الدَّمَ فَذَهَبَ بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمَّ يَرِ أَحَدًا فَحَسَى دَمَهُ حَتَّى فَرَعَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ قَالَ قُلْتُ عَيَّبْتُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ قَالَ أَيْنَ عَيَّبْتُهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِسْتُ عَلَى دَمِكَ أَنْ أَهْرِيقَهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ فِي بَطْنِي فَقَالَ أَذْهَبَ فَقَدْ أَخْرَزْتَ نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ .

وَلَمَّا جَرِحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصَّ جُرْحَهُ مَالِكٌ وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ حَتَّى أَتَقَاءَ وَلَاحَ أبيضَ فَقَالَ مُجِبٌ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَمْجُهُ أَبَدًا ثُمَّ ازْدَرَدَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا فَاسْتَشْهَدَهُ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اخْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَغَطَانِي الدَّمُ فَقَالَ أَذْهَبَ فَعَيْتُهُ فَذَهَبَتْ فَشَرِبْتُهُ فَأَتَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ غَيْبْتُهُ قَالَ لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ قُلْتُ شَرِبْتُهُ فَقَالَ وَنِلَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ وَلَا تَمْسُكَ النَّارَ . وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ قَالَتْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةَ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ فَبَالَ فِيهَا فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا وَأَنَا لَا أَشْعُرُ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أُمَّ أَيْمَنَ قَوْمِي فَأَهْرَيْقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ فَقُلْتُ قَدْ وَاللَّهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا قَالَتْ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَا يَبْجَعَنَّ بَطْنُكَ أَبَدًا .

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى طَهَارَةِ بَوْلِهِ وَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ قَدْ تَكَاثَرَتْ الْأَدِلَّةُ عَلَى طَهَارَةِ فَضْلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَّ الْأَيْمَةُ ذَلِكَ فِي خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَلَّ التَّوْبِيُّ عَنِ الْقَاضِي حُسَيْنٍ أَنَّ الْأَصْحَاقَ الْقَطْعُ بِطَهَارَةِ الْجَمِيعِ وَيَهَذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا قَالَ الْعَنْبِيُّ ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَوْلُ عَنْ قُعُودٍ وَبَالَ قَائِمًا لِبَيَانِ الْجَوَازِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ . وَالْخُبْثُ ذُكْرَانُ الشَّيَاطِينِ وَالْخَبَائِثُ إِنَائِهَا . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْخُلَ مِنَ الْأَرْضِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانُكَ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَسٍ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْعَائِطُ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُؤَلِّهَا ظَهْرَهُ وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرَّبُوا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ .

الفصل الثاني

فِيمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَعَازِزُهُ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثٍ دُعَاءُ الْإِفْتِتَاحِ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا

أنت، ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد أننى الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه الكريم فقال: «وإنك لعلى خلق عظيم» وحسن الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصيف بها الإتيان بالأفعال الجميلة وإنما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال رواه الطبراني وفي رواية مالك رضي الله عنه في الموطأ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن فكما أن معاني القرآن لا تتناهى كذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى إذ في كل حالة من أحواله صلى الله عليه وسلم يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلا الله تعالى فإذا تعرض لخصر جزئيات أخلاقه الجميلة تعرض لما ليس من مقدور الإنسان وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولاً على الأخلاق الكريمة في أصل خلقه الزكية النقية لم يحصل له ذلك بريضة نفس بل بوجود إلهي ولهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف في قلبه حتى وصل إلى الغاية العليا والمقام الأسنى وأصل هذه الخصال الحميدة كمال العقل لأن به تفتبس الفضائل وتجتنب الرذائل وهو أمر روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية.

وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه. قال وهب بن مثنبه قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أزعج الناس عقلاً وأفضلهم رأياً رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساکر، وفي عوارف المعارف عن بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين. ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوخش الشارد مع الطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأجباءهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق أنه أعقل العالمين صلى الله عليه وسلم.

ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه

الْكُرِيمَةِ اتَّسَاعًا لَا يَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ. فَمِنْ ذَلِكَ اتَّسَاعُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجِلْمِ وَالْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَا يَكْرَهُ وَحَسْبُكَ صَبْرُهُ وَعَفْوُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ الْمُقَاتِلِينَ لَهُ الْمُحَارِبِينَ لَهُ فِي أَشَدِّ مَا نَالُوهُ مِنْهُ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْجُهْدِ بِحَيْثُ كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وَشَجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى صَارَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا وَقَالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعَانًا وَلَكِنْ بَعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَفِي رِوَايَةٍ أُهْدِيَ قَوْمِي.

وَقَدْ وَقَعَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَضِبَ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ مَرْجِعُهَا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَصَبْرُهُ وَعَفْوُهُ إِنَّمَا كَانَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ. وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَعَيْرُهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ وَهُوَ أَجَلُ أَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ يَسْبِقُ حِلْمَهُ جَهْلُهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا جِلْمًا فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنَّ أَخَالَطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ فَابْتَعْتُ مِنْهُ تَمْرًا إِلَى أَجَلٍ فَأَعْطَيْتُهُ التَّمْرَ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَجَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ مُطَّلٌ فَقَالَ عُمَرُ أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتَوَعُّدَةٍ وَتَبَسُّمٍ.

ثُمَّ قَالَ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِيِ أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ وَرَدَّهُ عِشْرِينَ صَاعًا مَكَانَ مَا رُغِنْتَ فَفَعَلَ فَقُلْتُ يَا عُمَرُ كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتَهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِهِ وَقَدْ أَثْرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُزِي لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا يَجْزِي بِالسُّيْتَةِ السُّيْتَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَضْفَحُ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّفْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدِي بِبَنِي فَحَاشَا إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِضْنِ الْفَزَارِيِّ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَخْمَقُ الْمُطَاعُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَعَ مَخْرَمَةَ بِنْتِ نَوْفَلٍ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ لَمْ يَكُنْ عُيَيْنَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَسْلَمَ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ أُمُورٌ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ وَمَا لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا بِذِكْرِ اسْمِهِ أَيْ بِصَرِيحِهِ وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا سُئِلَ شَيْئًا قَطُّ فَمَتَّعَهُ إِلَّا أَنْ يُسْأَلَ مَأْتَمًا وَمَا اتَّقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَكُونُ لِلَّهِ يَنْتَقِمُ رَوَاهُ الْعَاكِمُ.

وَمِمَّا رُوِيَ مِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ وَجِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتِّسَاعُ خُلُقِهِ لِلْمُتَأَفِّقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِذَا غَابَ وَيَتَمَلَّقُونَ لَهُ إِذَا حَضَرَ وَذَلِكَ مِمَّا تَنْفِرُ مِنْهُ النَّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ حَتَّى تُؤَيِّدَهَا الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. كُلَّمَا أُذِنَ لَهُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فَتَحَ لَهُمْ بَابًا مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ إِذْ سَحَرَهُ وَعَفَا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّيْتُهُ فِي الشَّاعَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَمِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاضَعُهُ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ وَخَدَمِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ تَوَاضَعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ خَيْرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا فَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِتَوَاضَعِهِ أَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشْفَعٍ فَلَمْ يَأْكُلْ مِثْكَيًا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَمِنْ تَوَاضَعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْهَرُ خَادِمًا قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَوْ قَطُّ وَلَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتُهُ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكَتُهُ لِمَ تَرَكَتُهُ وَكَذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عِبِيدِهِ وَإِمَائِهِ مَا ضَرَبَ مِنْهُمْ أَحَدًا قَطُّ وَهَذَا أَمْرٌ لَا تَتَّبَعُ لَهُ الطَّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ لَوْلَا التَّأْيِيدَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ. وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا ضَرَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُنْتَقِمَ لِلَّهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ أَلَيْنَ النَّاسِ بَسَامًا ضَحَاكًا لَمْ يُرَ قَطُّ مَاذَا رَجَلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ . وَعَنْهَا مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ إِلَّا قَالَ لَيْتَكَ . وَرَوَى عَنْهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيُخَصِّفُ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ وَيَقْلِبُ ثَوْبَهُ وَيَخْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ وَهَذَا يَتَّعِينُ حَمَلُهُ عَلَى أَوْقَاتٍ فَإِنَّهُ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَدَمٌ فَتَارَةً يَكُونُ بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِغَيْرِهِ وَتَارَةً بِالْمُشَارَكَةِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْجِمَارَ وَيُزِدُ خَلْفَهُ وَرَكِبَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى جِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَرَادَ الْأَنْصِرَافَ قَرَّبَ إِلَيْهِ سَعْدُ جِمَارًا وَطَأَّ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ وَرَكِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ثُمَّ قَالَ سَعْدُ يَا قَيْسُ اضْحَبْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازْكَبْ فَأَبَيْتُ فَقَالَ إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ وَفِي رِوَايَةٍ ازْكَبْ أَمَامِي فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدِّمِهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَأَرْدَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ نِسَائِهِ وَأَرْدَفَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَرْدَفَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَلَمَّا قَدِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أَغْلَمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَحَمَلُوا وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ .

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي مُخْتَصَرِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ جِمَارًا عُزْبًا إِلَى قُبَاءَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ مَعَهُ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمَلُكَ فَقَالَ مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ازْكَبْ فَوَثَبَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِيَرْكَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَاسْتَمْسَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَا مَعًا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمَلُكَ فَقَالَ مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ ازْكَبْ فَلَمْ يَقْدِرْ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى ذَلِكَ فَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَا جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمَلُكَ فَقَالَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا رَمَيْتُكَ نَالِيًا . وَذَكَرَ الْمُجِيبُ الطَّبْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِضْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ذُبْحُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

عَلِيٍّ طَبَخُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٌّ جَمْعُ الْحَطَبِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَمَيِّزَ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَقَدْ وَفَدَ النَّجَاشِيُّ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكَاثِبَهُمْ . وَجَاءَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ اجْلِسِي فِي أَبِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ شِثْتِ اجْلِسِي إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي الْحَمَسَاءِ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُنْعَتَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَتَسَيِّتُ فَذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ لَقَدْ شَقَقْتُ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَأْتِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَزْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ فَيَقْضِي لَهُ الْحَاجَةَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ فِي حَاجَتِهَا . وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَدْ سَجَدَ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ حَتَّى نَزَلَ الْحَسَنُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَطَلَّتْ سُجُودُكَ قَالَ إِنَّ ابْنِي ازْتَحَلَّنِي فَكْرَهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ أَنِّي جَعَلْنِي كَالرَّاحِلَةِ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِي ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعُودُ الْمَرَضَى وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ وَحَجَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَحْلِ رَثٍ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً .

وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعِدَّةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِأَيْدِيهِمْ فِيهَا الْمَاءَ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ فَرُبَّمَا جَاوَرَهُ بِالْعِدَّةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ الْعِشْرَةِ مَعَ أَزْوَاجِهِ وَكَانَ يَتَنَاَمُ مَعَهُنَّ قَالَ النَّوَوِيُّ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِعْلِهِ الَّذِي وَاطَبَ عَلَيْهِ مَعَ مُوَاطَبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ فَيَتَنَاَمُ مَعَ إِخْدَاهُنَّ فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِيُوَظِّفَتِهَا قَامَ وَتَرَكَهَا فَيَجْمَعُ بَيْنَ وَظِيفَتِهِ وَأَدَاءِ حَقِّهَا الْمُنْدُوبِ وَعِشْرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ .

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْرُبُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَنَاتِ الْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَإِذَا شَرِبَتْ مِنَ الْإِنَاءِ أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا وَشَرِبَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَإِذَا تَعَرَّقَتْ عَرَفًا وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا

رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا وَكَانَ يَتَّكِيهِ فِي حَجْرِهَا وَيُقْبَلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَكَانَ يُرِيهَا
 الْحَبَشَةَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ مُتَّكِنَةٌ عَلَى مَنْكِبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَسَبَقَهَا وَقَالَ هَذِهِ بَيْتُكَ .
 وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ أَتَى بِصُحْفَةٍ خُبْزٍ وَلَحْمٍ مِنْ بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَوَضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَوَضَعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعْنَا
 أَيْدِيَنَا فَأَكَلْنَا وَعَائِشَةُ تَصْنَعُ طَعَامًا عَجَلْتُهُ وَقَدْ رَأَتْ الصُّحْفَةَ الَّتِي أَتَى بِهَا فَلَمَّا فَرَعَتْ مِنْ
 طَعَامِهَا جَاءَتْ بِهِ فَوَضَعَتْهُ وَرَفَعَتْ صُحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ فَكَسَرَتْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ أُعْطِيَ صُحْفَتَهَا أُمُّ سَلَمَةَ وَقَالَ طَعَامٌ مَكَانَ طَعَامٍ وَإِنَاءٌ
 مَكَانَ إِنَاءٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَوَقَعَ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنْهَا مَعَ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهَا أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لَهُ وَقُلْتُ لِسُودَةَ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كُلِّي فَأَبَتْ فَأَبَتْ لَهَا كُلِّي فَأَبَتْ لَهَا لَتَأْكُلِينَ أَوْ لَا تُطَخْنَ بِهَا
 وَجْهَكَ فَأَبَتْ فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ فِخْذَهُ لَهَا وَقَالَ لِسُودَةَ الْطَخِي وَجْهَهَا فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهِي فَضَحِكَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْخَزِيرَةُ لَحْمٌ يُقَطَّعُ صَغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضِجَ دُرٌّ عَلَيْهِ
 الدَّقِيقُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ
 وَالْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَضْيَافِ وَالْمَسَاكِينِ عَلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ الْقَلْبِ
 وَلِينِهِ الْعَايَةَ الَّتِي لَا مَدَى وَرَاءَهَا لِمَخْلُوقٍ وَأَنَّهُ كَانَ يُشَدُّ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَحُقُوقِهِ وَدِينِهِ حَتَّى
 قَطَعَ يَدَ السَّارِقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتَابَسِطُ أَصْحَابَهُ وَكَانَ رَجُلٌ
 يُسَمَّى زُهَيْرًا يُهَادِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْجُودِ الْبَادِيَةِ بِمَا يُسْتَطَرَفُ مِنْهَا وَكَانَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَادِيهِ وَيُكَافِيهِ بِمَوْجُودِ الْحَاضِرَةِ وَبِمَا يُسْتَطَرَفُ مِنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَقُولُ زُهَيْرٌ بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ فَمَشَى صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى السُّوقِ فَوَجَدَهُ قَائِمًا فَجَاءَهُ مِنْ قِبَلِ ظَهْرِهِ وَضَمَّهُ بِيَدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ فَأَحْسَ
 زُهَيْرٌ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَجَعَلْتُ أَنْسَحُ ظَهْرِي فِي صَدْرِهِ رَجَاءً بِرُكْتِهِ

فَجَعَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ قَالَ لَهُ زُهَيْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا تَجِدُنِي كَاسِدًا فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَتَفَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطِ هَذَا حَقَّ مَتَاعِهِ فَمَا يَزِيدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَتَبَسَّمَ وَيَأْمُرُ بِهِ فَيُعْطَى ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْرُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ فِيهِ بَلَّةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْمِلْنِي فَقَالَ اخْمِلْكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَسَى يُغْنِي عَنِّي ابْنُ النَّاقَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحْكُ وَهَلْ يَلِدُ الْجَمَلَ إِلَّا النَّاقَةُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ قَالَ قَوْلَتْ تَبْكِي فَقَالَ أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [الواقعة : ٣٦] .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمَارِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُؤْنِسُهُمْ وَيَأْخُذُ مَعَهُمْ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا قَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا . وَقَالَ أَنَسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نَعْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَهُ حَزِينًا فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالُوا مَاتَ نَعْرُهُ فَقَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّعْرُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَالنُّعَيْرُ تَضْغِيرُ نَعْرِ طَائِرٍ صَغِيرٍ كَالْعُضْفُورِ . وَمَجَّ مَجَّةٌ مِنْ مَاءٍ فِي وَجْهِ مَخْمُودٍ بِنِ الرُّبَيْعِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ يَمَارِحُهُ بِهَا . وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ رَبِيبَتُهُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي مَغْتَسِلِهِ فَنَفَخَ الْمَاءَ فِي وَجْهِهَا فَكَانَ مَاءُ الشُّبَابِ ثَابِتًا فِي وَجْهِهَا ظَاهِرًا فِي رَوْتِقِهَا وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، وَكَانَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الدُّعَابَةِ الْمَهَابَةَ وَلَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَتْهُ رِغْدَةٌ شَدِيدَةٌ وَمَهَابَةٌ فَقَالَ لَهُ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَمَّا لَسْتُ بِمَلِكٍ وَلَا جَبَّارٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ فَتَطَّقَ الرَّجُلُ بِحَاجَتِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُوحِي إِلَيْي أَنْ تَوَاضَعُوا لِأَلَا فَتَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَقْبَحَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَمَّا

رَأْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ قَلِيلَةً بِنْتُ مَخْرَمَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدُ الْقُرْفُصَاءِ أَرْعَدَتْ مِنْ
الْفَرْقِ أَيِ الْخَوْفِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَا مَلَكَتْ عَيْنِي مِنْهُ قَطُّ حَيَاءً مِنْهُ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلَوْ قِيلَ لِي صِفْهُ لَمَا قَدَرْتُ، وَقَدْ كَانَتْ
مَجَالِسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَجَالِسَ تَذْكِيرٍ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ إِمَّا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَوْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَتَعْلِيمٍ مَا يَنْفَعُ فِي الدِّينِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُذَكَّرَ وَيَعْطَى وَيَقْصُ وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَأَنْ يُبَشِّرَ وَيُنذِرَ فَلِذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهِ
رِقَّةَ الْقُلُوبِ وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالرُّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ رَوَى أَحْمَدُ وَعَبْدُ اللَّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَزَهَدْنَا فِي الدُّنْيَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ
الْآخِرَةِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا أَهْلَنَا وَشِمِمْنَا أَوْلَادَنَا وَأَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ.
وَقَوْلُهُ عَافَسْنَا أَيِ عَالَجْنَا أَهْلَنَا وَلَا عَبْتَاهُمْ، وَمِنْ تَوَاضَعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا عَبَّ
ذَوَاقًا قَطُّ وَلَا عَبَّ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ هَذَا إِنْ كَانَ الطَّعَامُ
مُبَاحًا أَمَا الْحَرَامُ فَكَانَ يَعْيبُهُ وَيَذْمُهُ وَيَنْهَى عَنْهُ.

وَمِنْ تَوَاضَعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَابٌ رَاتِبٌ. وَمَا خَيْرَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ،
(وَأَمَّا حَيَاوُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَسْبُكَ مَا فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَقَالَ
الْقَاضِي عِيَاضُ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ
أَحَدٍ. وَالْحَيَاءُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ، (وَأَمَّا حَوْفُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَا أَنْفَاكُمُ لِلَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ
لَهُ خَشْيَةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ
قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَلِجُوفِهِ أَرِيذُ كَأَزِيذِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ

وَعَيْرُهُ. وَالْمِرْجَلُ الْقِدْرُ وَأَزِيْرُهَا عَلَيَانَهَا، (وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَتَجَدَّتِهِ) صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ
 وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ لَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَاسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ
 لِأَبِي طَلْحَةَ عُرَيْبٍ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تَرَاعُوا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَيْرُهُ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ
 أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَعُوا مَرَّةً فَرَكَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَطْلِفُ أَوْ
 فِيهِ قَطَافٌ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هَذَا بَحْرًا فَكَانَ بَعْدُ لَا يُجَارَى. يُقَالُ قَطَفَ الْفَرَسُ
 فِي مَشِيهِ إِذَا تَضَاقَقَ حُطُوهُ وَالْبَحْرُ الْوَاسِعُ الْجَزِي.

وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَكَرَ
 ابْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِهِ وَعَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شَدِيدُ الْقُوَّةِ يُحْسِنُ الصَّرَاعَ وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ
 مِنَ الْبِلَادِ لِلْمُصَارَعَةِ فَيَضْرَعُهُمْ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شُعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ لَقِيَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ يَا رُكَّانَةُ أَلَا تَتَّبِعِي اللَّهَ وَتَقْبَلِي مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رُكَّانَةُ يَا
 مُحَمَّدُ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِكَ قَالَ أَرَأَيْتِ إِنْ صَرَغْتَكَ أَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ نَعَمْ
 يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ لَهُ تَهَيَّأِ لِلْمُصَارَعَةِ قَالَ تَهَيَّأْتُ قَدْ نَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ ثُمَّ
 صَرَغَهُ فَتَعَجَّبَ رُكَّانَةُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ سَأَلَهُ الْإِقَالََةَ وَالْعَوْدَ فَفَعَلَ بِهِ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَوَقَفَ رُكَّانَةُ مُتَعَجِّبًا
 وَقَالَ إِنْ شَأْنُكَ لَعَجِيبٌ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ رُكَّانَةَ الْمُصَارِعِ.

وَقَدْ صَارَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَّانَةَ مِنْهُمْ أَبُو الْأَسْوَدِ الْجَمْعِيُّ كَمَا قَالَهُ
 السَّهْلِيُّ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَكَانَ شَدِيدًا بَلَّغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقْرَةِ وَيُجَادِبُ
 أَطْرَافَهُ عَشْرَةَ لَيِّنِزَعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ فَيَتَفَرَّى الْجِلْدُ وَلَمْ يَتَرَحَّرْخُ عَنْهُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُصَارَعَةِ وَقَالَ إِنْ صَرَغْتِنِي آمَنْتُ بِكَ فَصَرَغَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَلَمْ يُؤْمِنْ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ أَفْرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ كَانَ
 هَوَازِنُ رُمَاءَ وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْمَعَانِمِ فَاسْتَقْبَلْنَا بِالسُّهَامِ وَفَرَّتْ
 الْأَعْرَابُ وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنَ النَّاسِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْلَتَيْهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنْ
 أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ أَخَذَ بِزِمَامِهَا وَالنَّبِيُّ يَقُولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَاعَةِ الثَّامَّةِ لِأَنَّهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فِي حَوْمَةِ الرَّغْمِ وَقَدْ انْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ وَهُوَ مَعَ هَذَا عَلَى بَغْلَةٍ لَيْسَتْ بِسَرِيعَةِ الْجَزْيِ وَلَا تَصْلُحُ لِكُرٍّ وَلَا قُرٍّ وَلَا هَرْبٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْكُضُهَا إِلَى وَجُوهِهِمْ وَيَتَوَّه بِاسْمِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيثٍ كُنَّا إِذَا احْمَرَّ النَّاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَأَمَّا سَخَاؤُهُ وَجُودُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَيَمُنُّ أَبْعَضِ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لِأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَعْطَاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةَ مِنَ الْغَنَمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ وَفِي مَعَارِجِ الْوَأَقِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِيًا مَمْلُوءًا إِبِلًا وَنَعَمًا فَقَالَ صَفْوَانُ أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهِذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيِّ وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيمٌ أَنَّ ذَاةَهُ لَا يَزُولُ إِلَّا بِهَذَا الدَّوَاءِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ فَعَالَجَهُ بِهِ حَتَّى بَرَأَ مِنْ ذَاءِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمَ. وَكَانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَمَا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً. وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا رَيْبٍ أَجْوَدَ النَّاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَمَا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشْجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ.

قَالَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيُّ مَا طَلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَمَنَعَهُ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجْرٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ أَعْطَاهُ إِنْ كَانَ الْعَطَاءُ سَائِعًا وَإِلَّا سَكَتَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ نَعَمْ وَإِذَا لَمْ يَرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوَضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا يَفْسِمُهَا فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلَكِنْ ابْتِغَ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَ نَاشِيَةٌ فَضَيَّنَاهُ فَقَالَ لَهُ عَمْرُ مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْتُكَ وَلَا تَتَخَفُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَالًا فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهِذَا أَمِزْتُ.

وَدَكَرَ ابْنُ قَارِسٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ وَأَنْشَدَتْ شِعْرًا تُذَكِّرُهُ أَيَّامَ رَضَاعَتِهِ فِي هَوَازِنَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيرًا حَتَّى قَوْمَ مَا أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَكَانَ خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ قَالَ ابْنُ دُحْيَةَ وَهَذَا نِهَآيَةُ الْجُودِ وَالَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ أُتِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ انْثَرُوهُ يَغْنِي صُبوهُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَمَجَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ أَعْطِنِي فَأَعْطَاهُ مَا اسْتَطَاعَ حَمَلَهُ فَمَا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَتَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْسَلَ بِهِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ خَرَجِ الْبَحْرَيْنِ قَالَ وَهُوَ أَوَّلُ مَالٍ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَايَرَهُ جَابِرٌ عَلَى جَمَلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ يَغْنِي جَمَلُكَ فَقَالَ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ بَلْ يَغْنِيهِ فَبَاعَهُ إِيَّاهُ وَأَمَرَ بِبِلَالٍ أَنْ يَنْقُدَهُ ثَمَنَهُ فَنَقَدَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ بِالثَّمَنِ وَالْجَمَلِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِمَا مُكَافَأَةً لِقَوْلِهِ بَلْ هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ الثَّمَنَ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلُ وَزَادَهُ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ فِيهِمَا وَحَدِيثُهُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ كَانَ جُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ كَانَ يَبْدُلُ الْمَالَ نَارَةً لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ وَنَارَةً يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَارَةً يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ يَقْوَى الْإِسْلَامَ بِإِسْلَامِهِ وَكَانَ يُؤْتِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ مِثْلُ كِسْرَى وَفَيْصَرَ وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ وَرُبَّمَا رَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفَةَ مِنَ الْجُوعِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ آتَاهُ سَبِيٌّ فَشَكَتَ إِلَيْهِ فَاطِمَةُ مَا تَلَقَى مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِمًا يَكْفِيهَا مَوْوَنَةً بَيْتَهَا فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينِ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَقَالَ لَا أَعْطِيكَ وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بِطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَأَتْنَهُ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ فَأَخَذَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَيْسَهَا فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَأَكْسُنِيهَا فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَأَمَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا مَا أَحْسَنَتْ جِئِنَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَمِنَعَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

الفصل الثالث

فِيمَا تَدْعُو ضَرُورَتَهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غِذَائِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَنْكَحِهِ

وَمَا يَلْحَقُ بِذَلِكَ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الأول

فِي عَيْشِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ

اعْلَمَنَّ أَنَّ الشَّبْعَ بِدَعَا ظَهَرَتْ بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِيهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقَيْمَاتٍ يَقْمَنَ صَلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتْ الْأَدْمِيَّ نَفْسُهُ قُتِلَتْ لِلطَّعَامِ وَتُتِلَّتْ لِلشَّرَابِ وَتُتِلَّتْ لِلنَّفْسِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرَ قَالَ الْفَرُطِيُّ لَوْ سَمِعَ بُقْرَاطُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ لَعَجِبَ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا لَمْ يَمْتَلِيءْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْعًا قَطُّ وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَتَشَهَّاهُ إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبْلَ وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ وَأَهْلُهُ طَاوِيًا لَا يَجِدُونَ عِشَاءً وَإِنَّمَا كَانَ حُبْرُهُمُ الشَّعِيرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ حُبْرِ الْبُرِّ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمَّرٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجَ تَغْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَمَلَأْ بَطْنَهُ فِي يَوْمٍ مِنْ طَعَامَيْنِ كَانَ إِذَا شَبِعَ مِنَ الثَّمْرِ لَمْ يَشْبَعِ مِنَ الشَّعِيرِ وَإِذَا شَبِعَ مِنَ الشَّعِيرِ لَمْ يَشْبَعِ مِنَ الثَّمْرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ وَإِنَّهَا لَتَسَعَةُ أَبْيَاتٍ وَاللَّهِ مَا قَالَهَا اسْتِقْلَالًا لِرِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَى بِهِ أُمَّتُهُ رَوَاهُ الدُّمَيْاطِيُّ فِي السَّيْرَةِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يُعْجَبُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَةَ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَالطَّعَامِ فَأَصَابَ اثْنَيْنِ وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدَةً أَصَابَ النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ وَلَمْ يُصِبِ الطَّعَامَ ذَكَرَهُ الدُّمَيْاطِيُّ أَيْضًا. وَفِي السُّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ وَالدَّقْلُ رَدِيءُ الثَّمْرِ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمُكُّ شَهْرًا مَا نَسْتَوِقُدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلَّا الْمَاءُ وَالْتَّمُرُ. وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ السَّمْرِ حَتَّى تَفْرَحَ أَشْدَاقُنَا وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ لِعُزْوَةَ وَاللَّهِ يَا بَنَ أَخِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلِي فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أَوْقَدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ قَالَ قُلْتُ يَا خَالَةَ فَمَا كَانَ يُعَيْشُكُمْ قَالَتْ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَنَاتِهَا فَيَسْقِيْنَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ أَنَسٌ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيْفًا مَرْقَقًا حَتَّى لَجِقَ بِاللَّهِ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيْطًا بِعَيْنِهِ حَتَّى لَجِقَ بِاللَّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْمَرْقُقُ الْمَلِينُ كَخُبْزِ الْحَوَارِي وَهُوَ الْخَالِصُ الَّذِي يُنْخَلُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَالسَّمِيْطُ هُوَ الَّذِي أُزِيلَ شَعْرُهُ بِالْمَاءِ السُّخْنِ وَشَوِيَّ بِجِلْدِهِ وَهُوَ مِنْ فِعْلِ الْمُتَرَفِّهِينَ. وَعَنْ أَبِي حَارِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَهْلًا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّقِيَّ قَالَ لَا فَقُلْتُ كُنْتُمْ تَنْخُلُونَ الشَّعِيرَ قَالَ لَا وَلَكِنْ كُنَّا نَنْفُخُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاجِلُ فَقَالَ مَا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخَلًا مِنْ جِبِنٍ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ تُؤْفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ دُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِّ لِي فَأَكُلُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَانَتْهُ فَنَبِيَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ تُؤْفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ قَالَا الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا فَأَتَى بِهِمَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ فُلَانٌ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمُ أَضْيَافًا مِنِّي قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعَذِقٍ فِيهِ بُسْرٌ

وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ فَقَالَ كُلُوا وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ وَالْحَلُوبُ قَدْ بَخَّ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعَ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعِيزَةُ. وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فِلَقًا مِنْ خُبْزٍ فَقَالَ مَا مِنْ أَدَمٍ فَقَالُوا لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ قَالَ نِعْمَ الْأُذْمُ الْخَلُّ قَالَ جَابِرٌ فَمَا زِلْتُ أَحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ طَلْحَةُ فَمَا زِلْتُ أَحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ بُجَيْرٍ قَالَ أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوعٌ يَوْمًا فَعَمَدَ إِلَى حَجْرٍ فَوَضَعَهُ عَلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا رُبُّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٌ عَارِيَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا رُبُّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجْرٍ حَجْرٍ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجْرَيْنِ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَالِي وَلِبْلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِنْطُ بِلَالٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ كَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَطْوُونَ الْأَيَّامَ جُوعًا مَعَ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ سَاقَ فِي عُمُرَتِهِ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَتَحَرَّهَا وَأَطْعَمَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَنَّهُ أَمَرَ لِأَعْرَابِيٍّ بِقَطِيعٍ مِنَ الْعَنَمِ وَعَظِيمٍ ذَلِكَ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَعَظِيمَهُمْ مَعَ بَدَلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَعُمَرُ بِنِصْفِهِ وَحَتَّى عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزَهُمْ عُثْمَانُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَأَجَابَ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ كَمَا حَكَاهُ فِي فِتْحِ الْبَارِي بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ لَا لِعَوْرِ وَضَيْقٍ بَلْ تَارَةً لِلْإِيثَارِ وَتَارَةً لِكِرَاهِيَةِ الشَّبَعِ وَكَثْرَةِ الْأَكْلِ نَعَمَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَارُ ذَلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ التَّوَسُّعِ وَالتَّسْبِطِ فِي الدُّنْيَا لَهُ كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا

قُلْتُ لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجَبْرِيلُ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَبْرِيلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى لِأَلِ مُحَمَّدٍ سُفَّةٌ مِنْ دَقِيقٍ وَلَا كَفٌّ مِنْ سَوِيقٍ فَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَذِهِ مِنَ السَّمَاءِ أَفْرَعَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ اللَّهُ الْفِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَمَرَ إِسْرَافِيلَ فَنَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلَامَكَ فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ مَا ذَكَرْتَ فَبَعَثَنِي إِلَيْكَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرْدًا وَيَاقُوتًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً فَعَلْتُ فَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلَكًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعَ فَقَالَ بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا ثَلَاثًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ .

وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبْسُ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالطَّبِيعَةِ جِدًّا وَلَوْ أَنَّهُ أَفْضَلَ الْأَغْذِيَةِ بَلْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْلِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْخُبْزِ وَالثَّمَرِ وَغَيْرِهِ فَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلْوَى وَالْعَسَلَ وَكَانَ يُحِبُّهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ وَفِي فَهْمِ اللَّغَةِ لِلتَّعَالِيهِ أَنَّ حَلْوَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا هِيَ الْمَجِيعُ وَهِيَ تَمْرٌ يُعْجَنُ بِلَبَنِ حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي .

وَلَمْ يَصِحَّ وُرُودُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأَى السُّكَّرَ . وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ قَدِمْتُ عِيرٌ فِيهَا جَمَلٌ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَيْهِ دَقِيقٌ حُوَارَى وَسَمْنٌ وَعَسَلٌ فَأَتَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَاتِ ثُمَّ دَعَا بِبُرْمَةٍ فَتُصِبَتْ عَلَى النَّارِ وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الْعَسَلِ وَالذَّقِيقِ وَالسَّمْنِ ثُمَّ عَصَدَ حَتَّى نَضِجَ أَوْكَادَ يَنْضِجُ ثُمَّ أَنْزَلَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا هَذَا شَيْءٌ تُسَمِّيهِ فَارِسُ الْخَبِيصِ . وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَحْمَ الضَّأْنِ وَعَنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّهُ أَهْدَيْتَ لَهُ شَاةً فَجَعَلَهَا فِي قَدْرِ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ قَالَ شَاةٌ أَهْدَيْتَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَطَبَخْتُهَا فِي الْقَدْرِ قَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ يَا أَبَا رَافِعٍ فَتَنَاوَلْتُهُ الدَّرَاعَ ثُمَّ قَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ فَتَنَاوَلْتُهُ الدَّرَاعَ فَقَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ الْأَخْرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَكَّتْ لَنَاوَلْتَنِي ذِرَاعًا فِدْرَاعًا

مَا سَكَتُ ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضَمَضَ فَاهُ وَعَسَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
وَعَيْرُهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا كَانَتْ الدَّرَاعُ أَحَبَّ اللَّحْمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ
كَانَ لَا يَجِدُ اللَّحْمَ إِلَّا غَبًا وَكَانَ يَعْجَلُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا أَعْجَلَهَا نَضْجًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَكَذَلِكَ كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ لَحْمَ الرُّقْبَةِ فَعَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ أَنَّهَا ذَبَحَتْ فِي بَيْتِهَا شَاةً
فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَاتِكُمْ فَقَالَتْ مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلَّا
الرُّقْبَةُ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أُرْسِلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ الرَّسُولُ
فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا أُرْسِلِي بِهَا فَإِنَّهَا هَادِيَةٌ الشَّاةِ وَأَقْرَبُ الشَّاةِ إِلَى الْخَيْرِ وَأَبْعَدُهَا
مِنَ الْأَدَى. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنْهَسُ اللَّحْمَ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
اِحْتَزَّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فِي يَدِهِ فَدَعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَلْقَاهَا وَالسُّكَيْنَ الَّتِي يَخْتَزُّ بِهَا ثُمَّ قَامَ إِلَى
الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّوِيَّ.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَرَّبَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنْبًا مَشْوِيًّا
فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَا تَوَضَّأَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْقَدِيدَ كَمَا
فِي حَدِيثٍ فِي السُّنَنِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ ذَبَحْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً وَنَحْنُ
مُسَافِرُونَ فَقَالَ أَصْلِحْ لَحْمَهَا فَلَمْ أَزَلْ أَطْعِمُهُ مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْكَبِدِ الْمَشْوِيَّةِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ
الدُّجَاجِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَعَيْرُهُمَا. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ جِمَارِ الْوَحْشِ رَوَاهُ
الشُّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ الْجَمَلِ سَفَرًا وَحَضْرًا. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَحْمَ الْأَزْتَبِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّرِيدَ وَهُوَ أَنْ يُثْرَدَ الْخُبْزُ بِمَرَقِ اللَّحْمِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ اللَّحْمُ
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الثَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ وَالثَّرِيدُ مِنَ الْحَنِيسِ وَأَكَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّمَنِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُبْزَ بِالزَّيْتِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدُّبَاءَ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ وَكَانَ يَتَّبَعُهَا مِنْ
جِوَالِي الْقَضْعَةِ قَالَ أَنَسٌ فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَاءَ مِنْ يَوْمَئِذٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ النَّوَوِيُّ فِيهِ إِنَّهُ
يُسْتَحَبُّ أَنْ تُحَبَّ الدُّبَاءُ وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُحِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَذَلِكَ أَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السُّلُقَ مَطْبُوعًا بِالشَّعِيرِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَكَانُوا يَصُبُّونَ

لَهُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَشَيْئًا مِنَ الْفُلْفُلِ وَالتَّوَابِلِ وَهِيَ أَبْزَارُ الطَّعَامِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْخَزِيرَةَ وَهِيَ مَا يُتَّخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى هَيْئَةِ الْعَصِيدَةِ لِكَيْتَهُ أَرْقُ مِنْهَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَقِطَ وَهُوَ جُبْنُ اللَّبَنِ الْمُسْتَخْرَجِ زُبْدُهُ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الرُّطَبَ وَالتَّمْرَ وَالبُسْرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَأَكَلَ الْكَبَاثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهُوَ النَّضِيجُ مِنْ تَمْرِ الْأَرَاكِ. وَأَمَّا الْجُبْنُ فَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبْنَةٍ فِي تَبُوكَ فَدَعَا بِسِكِّينٍ فَسَمَّى وَقَطَعَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ البَطِيخَ بالرُّطَبِ وَيَقُولُ يَكْسِرُ حَرْهُ هَذَا بَزْدَ هَذَا وَيَزْدُ هَذَا حَرْهُ هَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِثَاءً وَفِي شِمَالِهِ رُطَبًا وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ ذَا مَرَّةٍ وَمِنْ ذَا مَرَّةٍ. وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرُّطَبِ وَالْخَزِيرِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ البَطِيخِ الْأَضْفَرِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ التَّمْرَ بِالزُّبْدِ وَيُجْبَهُ.

وَسَمَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّبْنَ بِالتَّمْرِ الْأَطْيَبِينَ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الخُبْزَ مَادُومًا مَا وَجَدَ لَهُ إِذَا مَا فَتَارَةَ يَأْدُمُهُ بِاللَّحْمِ وَيَقُولُ هُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَارَةَ بِالبَطِيخِ وَتَارَةَ بِالتَّمْرِ فَإِنَّهُ وَضَعَ تَمْرَةً عَلَى كِسْرَةٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ وَقَالَ هَلِيهِ إِذَا مَا هَذِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَتَارَةَ بِالْحَلِّ وَيَقُولُ نِعْمَ الْأُدْمُ الْحَلُّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةٍ بَلَدِيهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا وَلَا يَخْتَمِي عَنْهَا وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الصُّحَّةِ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ العِنَبَ حَرْطًا. أَمَّا البَصَلُ فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنِ البَصَلِ فَقَالَتْ إِنَّ آخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ بَصَلٌ أَيْ مَطْبُوحٌ.

وَوُثِّبَتْ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ مَنَعَ أَكْلَهُ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْرُكُ الثُّومَ دَائِمًا لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مَجِيءَ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ كُلِّ سَاعَةٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ إِذَا فَرَّغَ ثَلَاثًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا. وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَ بِالإِبْهَامِ وَالتِّي تَلِيهَا وَالتُّوْ كَى ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا الْوُسْطَى ثُمَّ التِّي تَلِيهَا ثُمَّ

الإبهام. وأكل أيضا صلى الله عليه وسلم بخمس. وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل مُتَكَبِّتًا كَمَا صَحَّ أَنَّهُ قَالَ لَا أَكُلُ مُتَكَبِّتًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَأَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ. وَأَهْدَيْتَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً فَجَبْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ فَقَالَ أَعْرَابِي مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَنِي كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَيْنِدَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجْرٍ الْمُسْتَحَبُّ فِي صِفَةِ الْجُلُوسِ لِلْأَكْلِ أَنْ يَكُونَ جَائِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهِ أَوْ يَنْصِبَ الرَّجْلَ الْيُمْنَى وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَى. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَى وَكَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مُودَّعٍ وَلَا مُسْتَعْتَى عَنْهُ رَبُّنَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التِّيَامَنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلْ بِيَمِينِكَ مِمَّا يَلِيكَ. وَقُرَّبَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامٌ فَقَالُوا أَلَا نَأْتِيكَ بِوَضُوءٍ فَقَالَ إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوَضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوَضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوَضُوءُ بَعْدَهُ فَيَحْمَلُ الْوَضُوءَ الْأَوَّلُ عَلَى الشَّرْعِيِّ وَالثَّانِي عَلَى اللَّغَوِيِّ.

وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا حَارًّا فَقَدْ أَتَى بِصُخْفَةٍ تَفُورُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَارًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الْكَيَّ وَالطَّعَامَ الْحَارَّ وَيَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ فَإِنَّهُ ذُو بَرَكَةٍ أَلَا وَإِنَّ الْحَارَّ لَا بَرَكَةَ فِيهِ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ. وَلَمْ يَأْكُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ وَلَا أَكَلَ حُبْرًا مُرَقًّا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَالْخِوَانُ الْمَائِدَةُ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا طَعَامٌ وَأَمَّا السُّفْرَةُ فَاسْتَهْرَثَ لِمَا يُوَضَعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مُضَبَّبٍ بِحَدِيدٍ قَالَ أَنَسٌ لَقَدْ سَقَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَذَا الْقَدَحِ الشَّرَابَ كُلَّهُ الْمَاءَ وَاللَّبَيْدَ وَالْعَسَلَ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ قَدِ انْصَدَعَ فَسَلَسَلَهُ أَنَسٌ بِفِضَّةٍ وَهَذَا اللَّبَيْدُ هُوَ مَاءٌ يُطْرَحُ فِيهِ التَّمْرُ يُحْلِيهِ وَلَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ الْقُوَّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُهُ بَعْدَ ثَلَاثِ خَوْفًا مِنْ تَغْيِيرِهِ إِلَى الْإِسْكَارِ، (وَأَمَّا شَرْبُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يُسْتَعْدَبُ لَهُ الْمَاءُ أَيْ يُطَلَّبُ لَهُ الْمَاءُ الْحُلُو. قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يُسْتَعْدَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بَيْوتِ السُّفْيَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ الْعَسَلَ الْمَمْرُوجَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُلُو الْبَارِدُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تُرِيدَ بِهِ الْمَاءَ الْمَمْرُوجَ بِالْعَسَلِ أَوْ الَّذِي نُقِعَ فِيهِ التَّمْرُ وَالزَّرْبُوبُ . وَكَانَ يُنْبَذُ لَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَشْرَبُ إِذَا أَضْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي تَعْبِيءُ وَالغَدَّ إِلَى الْعَصْرِ فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمُ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصَبَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ اللَّبَنَ خَالِصًا تَارَةً وَتَارَةً مَشُوبًا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ .

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ فَسَلَّمَ فَرَدَّهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يُحَوِّلُ الْمَاءَ فِي حَائِطِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَيْءٍ وَإِلَّا كَرَعْنَا فَقَالَ عِنْدِي مَاءٌ بَاتَ فِي شَيْءٍ فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَرِيشِ فَسَكَبَ فِي قَدَحٍ مَاءً ثُمَّ حَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ دَاجِنٍ فَشَرِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَلَى طَعَامِهِ لِئَلَّا يُفْسِدَهُ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَاءُ حَارًّا أَوْ بَارِدًا فَإِنَّهُ رَدِيءٌ جِدًّا وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ قَاعِدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَادَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا وَفِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ شَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ قَالَ إِنْ نَاسًا يَكْرَهُونَ الشُّرْبَ قَائِمًا وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ فَالْتَهَمِي مَحْمُولٌ عَلَى كَرَاهَةِ التَّنْزِيهِ وَشُرْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا لِيَبَانَ الْجَوَازُ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرَوَى وَأَمْرًا وَأَبْرَأُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَمَعْنَى تَنَفُّسِهِ إِبَانَةُ الْقَدَحِ عَنْ فِيهِ وَتَنَفُّسُهُ خَارِجُهُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الشَّرَابِ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ إِذَا أَدْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا أَخْرَهُ حَمِدَ اللَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ لَطْعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ رَبِّ الْمَنْزِلِ قَالَ فَيَقُولُ إِنْ هَدَيْهِ اتَّبَعْنَا فَإِنْ شِئْتَ رَجَعْ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُكْرَهُ عَلَى أَضْيَافِهِ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْأَكْلَ مِرَازًا . وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَدْعُو لَهُمْ فَدَعَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُسْرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَدَعَا فِي مَنْزِلِ سَعْدِ فَقَالَ أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَسَقَاهُ آخَرُ لَبْنَا فَقَالَ اللَّهُمَّ مَتَّعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ .

النوع الثاني

في لباسه وفراشه صلى الله عليه وسلم

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَوَّزُ مِنَ اللَّبَاسِ يَعْنِي يَتَوَسَّعُ فَلَا يُضَيِّقُ بِالْأَقْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ بَعْينِهِ وَلَا يَطْلُبُ النَّفِيسَ الْعَالِي بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيْسَّرَ. وَكَانَتْ سَيْرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ وَأَخْفَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِالْكَبِيرَةِ الَّتِي يُؤْذِي حَمْلَهَا وَلَا بِالصُّغِيرَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنِ رِقَايَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْحَرِّ وَالتَّبَرِّدِ وَكَذَلِكَ الْأُرْدِيَّةُ وَالْأَزْرُ أَخْفَ عَلَى الْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا. وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُ أَكِمَامَهُ وَيُوسِّعُهَا بَلْ كَانَ كُمُهُ إِلَى الرَّسْغِ وَهُوَ مُنْتَهَى الْكَفِّ عِنْدَ الْمُفْصِلِ. وَكَانَ ذَيْلُ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْكَعْبَيْنِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَمَّتِي تُحَدِّثُ عَنْ عَمَّهَا قَالَ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ ازْفَعُ ازْفَعُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنْتَقَى وَأَبْقَى فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ بُزْدَةٌ قَالَ أَمَا لَكَ فِي أَسْوَةِ فَنظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِمَامَةٌ تُسَمَّى السَّحَابَ وَيَلْبَسُ تَحْتَهَا الْقَلَائِسَ اللَّاطِقَةَ. وَالْقَلَائِسُ جَمْعُ قَلَنْسُوَةٍ وَهِيَ غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يَسْتُرُ الرَّأْسَ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءَ. وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدَّنَجِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْعِمَامَةَ كَانَتْ فَوْقَ الْمِغْفَرِ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَمُّ يُدِيرُ كُورَ عِمَامَتِهِ وَيَغْرِسُهَا مِنْ وَرَائِهِ وَيُرْخِي لَهَا ذَوَابَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَبَّانَ فِي بَابِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَةٍ سَدَلَتْ طَرْفَهَا عَلَى مَنْكِبِي رَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَدَنِي يَوْمَ نَسِرَ وَيَوْمَ حُتَيْنِ بِمَلَائِكَةِ مُعَمِّمِينَ هَذِهِ الْعِمَّةُ وَقَالَ إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجَزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ كُمَّةٌ بَيْضَاءَ رَوَاهُ الدُّمَيْنِيُّ. وَالْكُمَّةُ الْقَلَنْسُوَةُ. وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ كَانَتْ كِمَامٌ وَفِي رِوَايَةِ أَكِمَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْحًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَهِيَ جَمْعُ كُمَّةِ الْقَلَنْسُوَةِ يَعْنِي أَنَّهَا

كَانَتْ مُمِطِحَةً غَيْرَ مُتَّصِبَةٍ . وَكَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَمِيصُ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ
مُزَيْنَةَ لِنَبَايَعِهِ وَإِنْ قَمِيصُهُ لَمْ يَطْلُقْ الْأَزْرَارِ أَوْ قَالَ زِرُّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ قَالَ فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جَيْبِ
قَمِيصِهِ فَمَسِسْتُ الْخَاتَمَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهُ الْجَبْرَةَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَالْجَبْرَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ فِيهِ حُمْرَةٌ ،
وَعَنْ أَبِي رِمَّةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُزْدَانٍ أَخْضَرَانِ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ أَبِي يَغْلَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالنَّبِيِّ مُضْطَبِعًا
بِبُرْدٍ أَخْضَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَبَسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضَيْقَةً الْكُمَيْنِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَكَانَ لَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ رَوَاهُ
السُّنَيْخَانِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ
إِضْحِيَّانٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ
أَحْسَنُ عِنْدِي مِنَ الْقَمَرِ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَرِيْقِ سَاقِيهِ . وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مَا
رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُمَا
التِّرْمِذِيُّ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لَمْ أَرِ شَيْئًا
قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وَفِي رِوَايَةِ لِأَبِي دَاوُدَ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لَيْمَةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَاللَّيْمَةُ شَعْرُ الرَّأْسِ دُونَ الْجُمَّةِ ، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ
فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُلَّةُ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ وَلَا تَكُونُ حُلَّةً إِلَّا
مِنْ ثَوْبَيْنِ أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بَطَانَةٌ . (وَأَمَّا صِفَةُ إِزَارِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي
مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةِ كِسَاءٍ مُلَبَّدًا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَيُّ مُرَقَعًا وَقِيلَ
الْمُلَبَّدُ الَّذِي تُحْنُ وَسَطُهُ وَصَفَقَ حَتَّى صَارَ يُشْبِهُ اللَّبَدَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْمِرْطُ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَزَّرُ بِهِ. قَالَ النَّوَوِيُّ وَالصَّوَابُ الَّذِي رَوَاهُ الْجَمْهُورُ وَضَبَطَهُ الْمُتَقِنُونَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ عَلَيْهِ صُورٌ رِحَالِ الْإِبِلِ وَلَا بَأْسَ بِهِ فِيهِ الصُّورَةُ وَإِنَّمَا يَحْرُمُ تَصْوِيرُ الْحَيَوَانِ. وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ طُولَ رِدَائِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَى الْوَفْدِ رِدَاءٌ أَخْضَرُ فِي طُولِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ رَأَيْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بُرْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَبْرَةٍ لَهُ حَاشِيَتَانِ. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ يَتَّقَعُ.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرْجِي الْإِزَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِزُّرُ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَتَبْدُو سُرَّتُهُ وَرَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتِزُّرُ فَوْقَ سُرَّتِهِ رَوَاهَا كُلُّهَا الدَّمِطَاطِيُّ. وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةَ كِسْرَوَانِيَّةَ لَهَا لِبِنْتِ دَيْبَاجٍ وَفَرَجَاهَا مَكْفُوفَانِ بِالْدَيْبَاجِ وَقَالَتْ هَدِيَهُ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبِضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى وَنَسْتَشْفِي بِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ جُبَّةُ طَيَالِسَةَ بِإِضَافَةِ جُبَّةٍ إِلَى طَيَالِسَةَ وَكِسْرَوَانِيَّةَ نِسْبَةٌ إِلَى كِسْرَى وَلِبْنَةُ رُقْعَةٌ مِنْ جَبِيبِ الْقَمِيصِ.

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَبْدُو مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ كَانَ آيَةُ ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لَا يَتَسَبَّخُ لَهُ ثَوْبٌ قِيلَ وَلَمْ يَفْمَلْ ثَوْبُهُ. وَنَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ أَنَّ الدُّبَابَ لَا يَقَعُ عَلَى بُيَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْبِرُ الْقِنَاعَ وَفِي رِوَايَةٍ يُكْبِرُ التَّقْنَعُ. قَالَ الْعِرَاقِيُّ التَّقْنَعُ تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِطَرْفِ الْعِمَامَةِ أَوْ بِرِدَائِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. (وَأَمَّا الْحَاتِمُ) فَمِنِ الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حَاتِمًا مِنْ وَرَقٍ فَكَانَ فِي يَدِهِ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُمَرَ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى وَقَعَ فِي بئرِ أَرَيْسٍ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَسَ

خَاتَمَ فِضَّةٍ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ وَكَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا بِخَتَمِ فَصَاعٍ خَاتَمًا وَنَقَشَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّمَا لَيْسَهُ أَبُو بَكْرٍ لِأَجْلِ وَلَا يَتِيهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي بَاطِنَ كَفِّهِ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الذَّهَبِ قَالَ فَصَّيْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنْبَرَّ فَأَلْقَاهُ وَنَهَى عَنِ التُّخْتَمِ بِالذَّهَبِ، وَأَمَّا فَصٌّ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ فَصَّهُ مِنْهُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ خَاتَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فَصَّهُ حَبَشِيًّا أَيْ مِنْ جَزِغٍ أَوْ عَقِيقٍ وَمَعْدِنُهُمَا بِالْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ.

وَأَمَّا نَقْشُ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَبِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ نَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلنَّاسِ إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا يَنْقُشُ أَحَدٌ عَلَيَّ نَقْشِهِ. وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَالثَّرَمِذِيِّ وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولٌ سَطْرٌ وَاللَّهُ سَطْرٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى.

وَعَنْ حَمَادِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي رَافِعٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَخَتَّمُ وَرُبَّمَا خَرَجَ وَفِي خَاتِمِهِ خَيْطٌ مَرْبُوطٌ يَسْتَذَكِرُ بِهِ الشَّيْءَ رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَغَيْرُهُ. (وَأَمَّا السَّرَاوِيلُ) فَقَدْ جَزَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْبَسْهَا لَكِنْ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي يَغْلَى الْمَوْصِلِيِّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلْتُ السُّوقَ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَى الْبَزَازِينَ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ وَرَأَى يَزْنَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّرْنَ وَأَرْجِعْ فَقَالَ الْوَرَّانُ إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ كَفَى بِكَ مِنَ الْوَهْنِ وَالْجَفَاءِ فِي دِينِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ فَطَرَحَ الْمِيزَانَ وَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَقْبَلَهَا فَجَذَبَ يَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَقَالَ يَا هَذَا إِثْمًا تَفْعَلُ هَذَا الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا

وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِذَا أَنَا رَجُلٌ مِثْكُمْ فَوَزَنَ فَأَرْجَحَ وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
السَّرَاوِيلَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَذَهَبَتْ لِأُخْمِلُهُ عَنْهُ فَقَالَ صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا يَعْجِزُ عَنْهُ فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّكَ لَتَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ
فَقَالَ أَجَلٌ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسُّتْرِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أُسْتَرُ مِنْهُ وَقَدْ
صَحَّ شِرَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْسَّرَاوِيلِ . (وَأَمَّا الْخُفُّ) فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ بَرِيدَةَ أَنَّ
النَّجَاشِيَّ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَادَجَيْنِ فَلَبَسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ
عَلَيْهِمَا .

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ أَهْدَى دِخْيَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ فَلَبَسَهُمَا .
(وَأَمَّا نَعْلُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُمَا
قَبْلَانِ . وَالْقَبْلَانِ تَثْنِيَةُ قِبَالٍ وَهُوَ زِمَامُ النَّعْلِ وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْإِضْبَعَيْنِ . وَعَنْ
عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبْنِ عُمَرَ رَأَيْتَكَ تَلْبَسُ النَّعَالَ السُّبِّيَّةَ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ النَّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا . وَعَنْ عَمْرِو
بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيْمُنَ مَا
اسْتَطَاعَ فِي تَرَجُلِهِ وَتَنَعُلِهِ وَطُهُورِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَأَفْرَدَ تِمْنَالَ نَعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالتَّأْلِيفِ غَيْرُ وَاحِدٍ وَمِنْ بَعْضِ مَا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهَا وَجَرَّبَ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو
جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا قَالَ حَدَّثْتُ هَذَا الْمِثَالَ لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ
فَجَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ لِي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هَذَا النَّعْلِ عَجَبًا أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ
يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ النَّعْلَ عَلَى مَوْضِعِ الرَّجْلِ وَقُلْتُ اللَّهُمَّ أَرِنِي بَرَكَةَ صَاحِبِ هَذَا النَّعْلِ فَشَفَاها
اللَّهُ لِلْحَيِّ . وَمِمَّنْ أَفْرَدَ التَّمْنَالَ الشَّرِيفَ بِالتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ الأَنْدَلِسِيُّ المَشْهُورُ بِابْنِ
الْحَاجِّ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمِمَّا جَرَّبَ مِنْ بَرَكَتِهِ أَنَّهُ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكًا بِهِ كَانَ
لَهُ أَمَانًا مِنْ بَعْثِ الْبُعَاةِ وَعَلَبَةِ الْعِدَاةِ وَجِرْزَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ وَعَيْنٍ كُلِّ حَاسِدٍ وَإِنْ أَمْسَكَتَهُ
الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الطَّلُقُ تَبَسَّرَ أَمْرُهَا بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ . وَلِأَبِي بَكْرٍ
الْقُرْظِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةَ لِبَهَائِهَا وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعُ لَهَا أَبَدًا نَعْلُ
فَضَعْنَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا حَقِيقَتُهَا تَأْجُ وَصُورَتُهَا نَعْلُ

بِأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَازَتْ مَزِيَّةً
طَرِيقُ الْهُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمُبْصِرٍ
سَلَوْنَا وَلَكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا
فَمَا شَاقْنَا مُذْرَاقْنَا رَسْمُ عِزِّهَا
شِفَاءٌ لِيذِي سُقْمٍ رَجَاءٌ لِبَائِسٍ

(وَأَمَّا فِرَاشُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا
تَدْعُو ضُرُورَتُهُ إِلَيْهِ فَعَنَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ
دَخَلْتُ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً
فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِفِرَاشِ حَشْوُهُ الصُّوفِ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا يَا
عَائِشَةُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانَتْهُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلْتُ قَرَأْتُ فِرَاشَكَ فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِهَذَا فَقَالَ رُدِّيهِ يَا
عَائِشَةُ فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جِبَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتٌ حَمَامٍ
وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَرَ بِجَنْبِهِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
كِسْرِي وَقَيْصَرُ يَطْوُونَ عَلَى الْخَزْ وَالِدِيَّاجِ وَالْحَرِيرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى هَذَا الْحَصِيرِ قَدْ أَثَرَ فِي
جَنْبِكَ فَقَالَ لَا تَبْكِي يَا عَبْدَ اللَّهِ فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَالَ فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي
جَنْبِهِ وَإِذَا بِقَبْضَةٍ مِنَ الشَّعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ فَأَبْتَدَرْتُ عَيْنَايَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا بَنَ
الْخَطَّابِ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خَزَائِنُكَ لَا
أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَلِكَ كِسْرِي وَقَيْصَرُ فِي الثُّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ
خَزَائِنُهُ قَالَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ
صَحِيحٍ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَأْذَنْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرَبَةٍ وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصْفَةٍ وَإِنَّ
بَعْضَهُ لَعَلَى الثَّرَابِ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لَيْفًا وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لِإِهَابٍ عَطِيبِينَ وَفِي نَاحِيَةِ
الْمَشْرَبَةِ قَرُطٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ فَقُلْتُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَكِسْرِي وَقَيْصَرُ عَلَى سُرِّ
الذَّهَبِ وَفُرْشِ الدِّيَبَاجِ وَالْحَرِيرِ فَقَالَ أَوْلِيكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ وَشَيْكَةٌ

الْأَنْقِطَاعِ وَإِنَّا قَوْمٌ أُخْرِتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا. وَالْمَشْرَبَةُ الْعُرْقَةُ يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَجَةٍ وَالْحَصْفَةُ
وِعَاءٌ مِنْ حُوصٍ لِلتَّمْرِ وَالْإِهَابُ الْجِلْدُ وَالْعَطِينُ الْمُثْنُ وَالْقَرْطُ وَرَقُّ السَّلْمِ الَّذِي يُذْبَعُ بِهِ
وَرِوَايَةُ الْإِهَابِ وَالْعَطِينُ بِدُونِ أَلِفٍ مَعَ كَوْنِهِمَا مَنْصُوبَيْنِ عَلَى لُغَةٍ رَبِيعَةٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيرٌ مُرْمَلٌ بِالْبَزْدِيِّ
عَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدٌ وَقَدْ حَشُونَاهُ بِالْبَزْدِيِّ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرَ عَلَيْهِ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهُمَا اسْتَوَى جَالِسًا فَنَظَرَ فَإِذَا أَثَرُ السَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُؤْذِيكَ حُشُونَةُ مَا نَرَى مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ وَهَذَا
كِسْرَى وَقَيْصَرٌ عَلَى فُرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تَقُولَا هَذَا فَإِنَّ فِرَاشَ
كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِي النَّارِ وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي عَاقِبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.
وَالْمُرْمَلُ الْمَنْسُوجُ وَالْبَزْدِيُّ نَبَاتٌ. وَمَا عَابَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُضْطَجَعًا قَطُّ إِنْ فُرِشَ لَهُ
اضْطَجَعَ وَإِلَّا اضْطَجَعَ عَلَى الْأَرْضِ. وَتَعَطَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللِّحَافِ قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا أَتَانِي جَبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافٍ امْرَأَةٌ مِنْكُمْ غَيْرِ عَائِشَةَ.

النوع الثالث

فِي سَيْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي نِكَاحِهِ

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي
الصَّلَاةِ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَضَلْتُ عَلَى
النَّاسِ بِأَرْبَعِ بِالسَّمَاخَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَكَثْرَةِ الْجِمَاعِ وَشِدَّةِ الْبَطْنِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَهُنَّ إِخْدَى عَشْرَةَ قَالَ
قَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوْ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ أُعْطِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجِمَاعِ رَوَاهُ
ابْنُ سَعِيدٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قُوَّةَ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ
الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَفَعَهُ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ لِيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ. وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَرْفُوعًا
أَتَانِي جَبْرِيلُ بِقَدْرِ فَأَكَلْتُ مِنْهَا فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجِمَاعِ رَوَاهُ ابْنُ سَعِيدٍ. وَلَمَّا
كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِمَّنْ أُفْدِرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي الْجِمَاعِ وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ أُبِيحَ لَهُ مِنْ

عَدِدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَيِّحْ لِغَيْرِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَزَوَّجُوا فَإِنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً يُشِيرُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع الرابع

في نومه صلى الله عليه وسلم

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النَّصْفِ الثَّانِي فَيَقْرُمُ فَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَامُ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ غَيْرَ مُمْتَلِيءٍ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَامُ عَلَى الْفِرَاشِ تَارَةً وَعَلَى النَّطْعِ تَارَةً وَعَلَى الْحَصِيرِ تَارَةً وَعَلَى الْأَرْضِ تَارَةً وَالنَّطْعُ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ فِرَاشُهُ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفٌ وَكَانَ لَهُ مِسْحٌ يَتَامُ عَلَيْهِ وَالْمِسْحُ فِرَاشٌ حَشِينٌ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَضَعَ كَفَّهُ تَحْتَ حَذْوِ الْأَيْمَنِ وَقَالَ رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ وَفِي رِوَايَةٍ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ. وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا نَامَ نَفَّخَ. وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ كَفِّهِ فَيَنْفِثُ فِيهِمَا وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ وَيَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤَيِّدِي رَوَى ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَتَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَهُ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا قَالَتْ لَهُ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ.

المقصد الرابع

فِي مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّالَّةِ
عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَمَا خُصَّ
بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ وَفِيهِ فَضْلَانِ

الفصل الأول

فِي مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمْ أَنَّ دَلَالَاتِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ بِظُهُورِ مُعْجَزَاتِهِ شَهِيرَةٌ
فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَجَدَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَسَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُتَنَزِّلَةِ
مِنْ ذِكْرِهِ وَتَنْعِيهِ وَخُرُوجِهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ وَمَا خَرَجَ بَيْنَ يَدَيْ أَيَّامِ مَوْلِدِهِ وَمَتَّبَعْتِهِ مِنَ الْأُمُورِ
الْعَرَبِيَّةِ الْقَادِحَةِ فِي سُلْطَانِ الْكُفْرِ الْمُوهِنَةِ لِكَلِمَتِهِمْ الْمُؤَيَّدَةِ لِشَأْنِ الْعَرَبِ الْمُتَوَهِّةِ بِذِكْرِهِمْ
كَقِصَّةِ الْفِيلِ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْعُقُوبِ وَالنَّكَالِ، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسِ،
وَسُقُوطِ شُرَفَاتِ إِيْوَانَ كِسْرَى، وَغَيْضِ مَاءِ بُحَيْرَةِ سَاوَهَ، وَرُؤْيَا الْمُؤَيَّدَانِ، وَمَا سَمِعَ مِنْ
الْهَوَاتِفِ الصَّارِخَةِ بِنُبُوَّتِهِ وَأَوْصَافِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتِكَاسِ الْأَضْنَامِ الْمَغْبُودَةِ
وَخُرُورِهَا لِوَجْهِهَا مِنْ غَيْرِ دَافِعٍ لَهَا مِنْ أَمْكِنَتِهَا، إِلَى سَائِرِ مَا رُوِيَ وَنُقِلَ فِي الْأَخْبَارِ
الْمَشْهُورَةِ مِنْ ظُهُورِ الْعَجَائِبِ فِي وِلَادَتِهِ وَأَيَّامِ حِضَانَتِهِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ مَالٍ قَيْطَمَعٍ فِيهِ وَلَا قُوَّةَ فَيَقْهَرُ بِهَا
الرُّحَالَ وَلَا أَعْوَانٍ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَالَّذِينَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى عِبَادَةِ
الْأَضْنَامِ وَتَعْظِيمِ الْأَزْلَامِ مُقِيمِينَ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْعُضْبَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالتَّعَادِيِ وَالتَّبَاغِيِ
وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَشَنْنِ الْعَارَاتِ لَا تَجْمَعُهُمْ أَلْفَةٌ دِينَ وَلَا يَمْتَنِعُهُمْ مِنْ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ نَظْرٌ فِي عَاقِبَةِ
وَلَا خَوْفٌ عُقُوبَةٍ وَلَا يَمَّةٌ قَالَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَجَمَعَ كَلِمَتَهُمْ حَتَّى اتَّفَقَتْ
الْأَرْءَاءُ وَتَنَاصَرَتِ الْقُلُوبُ وَتَرَادَفَتْ الْأَيْدِي فَصَارُوا إِلْبًا وَاحِدًا فِي نُصْرَتِهِ وَعُنُقًا وَاحِدًا إِلَى

طَلَعْتِهِ وَهَجَرُوا بِلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَجَفُّوا قَوْمَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَبَدَّلُوا مَهَجَهُمْ وَأَزْوَاحَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ وَنَصَبُوا وُجُوهُهُمْ لَوُجَعِ السُّيُوفِ فِي إِعْزَازِ كَلِمَتِهِ بِلَا دُنْيَا بَسَطَهَا لَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ أَفَاضَهَا عَلَيْهِمْ وَلَا عَرَضٍ فِي الْعَاجِلِ أُلْطَمَعَهُمْ فِي نَيْلِهِ يَرْجُوهُ أَوْ أَمْرٍ مِنْ مُهِمَّاتِ الدُّنْيَا يَحُورُ وَنَهْ بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ الْعَنِيَّ فَقِيرًا وَالشَّرِيفَ أَسْوَةً الْوَضِيعِ فَهَلْ يَلْتَمِمْ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْ يَتَّفِقُ مَجْمُوعَهَا لِأَحَدٍ هَذِهِ سَبِيلُهُ مِنْ قَبْلِ الْأَخْتِيَارِ الْعَقْلِيِّ وَالتَّنْذِيرِ الْفِكْرِيِّ لَا وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَسَخَّرَ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورَ مَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ وَشَيْءٌ غَالِبٌ سَمَاوِيٌّ نَاقِضٌ لِلْعَادَاتِ تَعْجِزُ عَنْ بُلُوغِهِ قُوَى النَّبَشْرِ وَلَا يَفْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، (فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمِنًا لَا يَخْطُ كِتَابًا بِيَدِهِ وَلَا يَقْرَأُهُ وَوَلَدَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ وَنَشَأَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِهَا عَالِمٌ يَعْرِفُ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ ضَارِبًا إِلَى عَالِمٍ فَيَعْكُفُ عَلَيْهِ فَجَاءَهُمْ بِأَخْبَارِ الثُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ وَقَدْ كَانَ ذَهَبَتْ مَعَالِمُ تِلْكَ الْكُتُبِ وَدُرِسَتْ وَحُرِّفَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِمَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ.

ثُمَّ حَاجَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ بِمَا لَوْ اخْتَشَدَ لَهُ حُدُاقُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَابِدَةُ الثَّقَادِ الْمُتَمَنِّينَ لَمْ يَتَّهَيَّأْ لَهُمْ نَقِضُ ذَلِكَ وَهَذَا أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (وَمِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) فَقَدْ تَحَدَّى بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَدَعَاهُمْ إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَتَكَلَّمُوا عَنْهُ وَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِنْهُ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الَّذِي أَوْزَدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْعَرَبِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي أَعْجَزَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَعْجَبَ فِي الْآيَةِ وَأَوْضَحَ فِي الدَّلَالَةِ مِنْ إِخْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ لِأَنَّهُ أَتَى أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَأَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ وَرُؤَسَاءَ النَّبِيَّانِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي اللَّسَنِ بِكَلَامٍ مَفْهُومٍ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ فَكَانَ عَجَزَهُمْ عَنْهُ أَعْجَبَ مِنْ عَجَزِ مَنْ شَاهَدَ الْمَسِيحَ عِنْدَ إِخْيَاءِ الْمَوْتَى لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهِ وَلَا فِي إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَلَا يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَهُ وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَتَعَاطَى الْكَلَامَ الْفَصِيحَ وَالْبَلَاغَةَ وَالْخَطَابَةَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَجَزَ عَنْهُ إِثْمًا كَانَ لِيَصِيرَ عَلَمًا عَلَى رِسَالَتِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَهَذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُقْلَاءِ الرُّجَالِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ بَلْ هُوَ أَعْقَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ قَطَعَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فَلَوْلَا عِلْمُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ الْعُيُوبِ وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِيهَا أَحَبْرٌ عَنْهُ خُلْفٌ وَإِلَّا لَمْ يَأْذُنْ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَقْطَعَ الْقَوْلَ فِي شَيْءٍ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ وَهُوَ يَكُونُ انْتَهَى وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَأَبْدَعِهِ وَأَكْمَلِهِ وَأَبْيَنِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَى عَلَيْهِمْ بِالْعَجْزِ قَبْلَ الْمَعَارِضَةِ وَبِالتَّقْصِيرِ عَنْ بُلُوغِ الْعَرَضِ فِي الْمُنَاقِضَةِ صَارِحًا بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَلَمْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْإِلْمَامَ بِهِ مَعَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي وَتَظَاهِرِ الْأَجْتِهَادِ فَقَالَ وَكَانَ بِمَا أَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ عَلِيمًا حَبِيرًا (قُلْ لَعِنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨] فَرَضِيَتْ هِمَمُهُمُ السَّرِيَّةُ وَأَنْفُسُهُمُ الشَّرِيفَةُ الْأَبِيَّةُ يَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَهَتَاكَ الْحَرَمَ لِعَجْزِهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَغَةِ وَإِقْرَارِهِمْ بِإِعْجَازِهِ جُمْلَةً كَثِيرَةً مِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ حَدَّثْتُ أَنَّ عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى هَذَا فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضَهَا وَيَكْفُفَ عَنَّا قَالُوا بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَقَامَ عُثْبَةُ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيمَا قَالَهُ عُثْبَةُ وَفِيمَا عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاسْمَعْ مِنِّي قَالَ أَفَعَلُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٣] فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُثْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَى بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ سَمِعْتُ فَأَنْتَ وَذَلِكَ فَقَامَ عُثْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَخَلَّفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسُّعْرِ وَلَا بِالسُّحْرِ وَلَا الْكُهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَوَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا قَالَ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسُّعْرِ وَلَا سِحْرِ وَلَا كُهَانَةٍ قَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٣] حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقُلْ

أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿ فَاْمَسَكَتُ فَمَهُ وَنَاشَدْتُهُ الرِّجِمَ أَنْ يَكْفَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخِضْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَعَنْ عِكْرِمَةَ فِي قِصَّةِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَانَ زَعِيمَ فُرَيْشٍ فِي الْفَصَاحَةِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ [النحل: ٩٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ أَعِدْ فَأَعَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنْ لَهَ لِحَلَاوَةٌ وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ وَإِنْ أَغْلَاةٌ لَمْثُمِرٌ وَإِنْ أَسْفَلَةٌ لَمْعْدِيقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَغْلَمَ بِالشُّعْرِ مِنِّي وَلَا أَغْلَمَ بِرَجْزِهِ وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَاللَّهِ إِنْ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لِحَلَاوَةٌ وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ وَإِنَّهُ لَمْثُمِرٌ أَغْلَاةٌ مُعْدِيقٌ أَسْفَلَةٌ وَإِنَّهُ لَيَغْلُو وَلَا يُغْلَى . وَفِي خَبَرِهِ الْآخَرَ جِئْنَا بِجَمْعِ فُرَيْشًا عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ إِنْ وَفُودَ الْعَرَبِ تَرِدُ فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيَا لَا يَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَقَالُوا نَقُولُ كَاهِنٌ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ مَا هُوَ بِزَمْرَمَتِيهِ وَلَا سَجْعِيهِ قَالُوا مَجْنُونٌ قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَا بِخَنَقِيهِ وَلَا بِسُوسَتِيهِ قَالُوا فَتَقُولُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ عَرَفْنَا الشُّعْرَ كُلَّهُ رَجْزُهُ وَهَجْرُهُ وَقَرِيضُهُ وَمَنْبُوطُهُ وَمَقْبُوضُهُ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَالُوا فَتَقُولُ سَاجِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِسَاجِرٍ وَلَا نَفْثِيهِ وَلَا عَقْدِيهِ قَالُوا فَمَا نَقُولُ قَالَ فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْبَيْهَقِيُّ .

وَلَمَّا أَسْلَمَ فَيْثَانُ بَنِي سَلَمَةَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ لِأَبِيهِ أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى أَنْ بَلَغَ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ١ - ٦] فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ أَوْ كُلُّ كَلَامِيهِ مِثْلُ هَذَا قَالَ يَا أَبَتِ وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا . قَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ لَوْ وُجِدَ مَكْتُوبًا فِي مِصْحَفٍ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَمْ يُعْلَمَ مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ لَشَهِدَتِ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَأْلِيفِ مِثْلِ ذَلِكَ فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ عَلَى يَدِ أَصْدَقِ الْخَلْقِ وَأَبْرَهَمَ وَأَنْقَاهُمْ وَقَالَ إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَحَدَّى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا فَكَيْفَ يَبْقَى مَعَ هَذَا شَكٌّ وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَبْغِضَ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] .

فَلَمْ يَفِيضْ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا بَعْدَهُ عَلَى نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَعُدُوبَةِ مَنْطِقِهِ وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي دَلَّتْ

عَلَى الْبَعْثِ وَآيَاتِهِ وَالْإِنْبَاءِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْأَمْتِنَاعِ مِنْ إِزَاقَةِ الدَّمَاءِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ الْفُصْحَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالْبُلْغَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْفُهَمَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُدَّةٍ مَا عَرَفُوهُ قَبْلَ نُبُوتِهِ وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يُحْسِنُ نَظْمَ كِتَابٍ وَلَا عَقْدَ حِسَابٍ وَلَا يُنْشِدُ شِعْرًا وَلَا يَحْفَظُ خَبْرًا وَلَا يَزِي وَيُؤَيِّثُ أَثْرًا حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ وَالْكِتَابِ الْمُفْصَّلِ فَدَعَاَهُمْ إِلَيْهِ وَحَاجَّهُمْ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] وَشَهِدَ لَهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطُونَ﴾.

وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَنْبَعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ بِرَكَتِهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَنُطْقِ الْجَمَادِ، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحْدِي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَقٍ تَحْدِيدٍ وَمَجْمُوعٌ ذَلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَدْ اشْتَهَرَ وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْعَفِيرُ.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مُعْجَزَاتِهِ وَبَاهَرَ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَدْتَهَا شَامِلَةً لِلْعُلُوبِ وَالسُّفُلِيِّ وَالصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ وَالسَّاكِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالْمَائِعِ وَالْجَامِدِ وَالسَّابِقِ وَاللَّاحِقِ وَالْغَائِبِ وَالْحَاضِرِ وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ وَالْعَاجِلِ وَالْأَجَلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَوْ عُدَّ لَطَالَ كَالرَّمِي بِالشُّهُبِ الثَّوَابِ، وَمَنَعَ الشَّيَاطِينَ مِنْ اسْتِزَاقِ السَّمْعِ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالرِّسَالَةِ وَمُخَاطَبَتِهَا لَهُ بِالسِّيَادَةِ، وَحَيْنِ الْجُدْعِ، وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَرَدِّ الْعَيْنِ بَعْدَ الْعَوْرِ، وَنُطْقِ الْبَعِيرِ وَالذُّئْبِ، وَكَالْثُورِ الْمُتَوَارِثِ مِنْ آدَمَ إِلَى جَبْهَةِ أَبِيهِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَدَاوَلَتْهَا الرِّوَاةُ مِمَّا لَوْ أَعْمَلْنَا أَنْفُسَنَا فِي حَضْرَتِهَا لَفَنِي الْمَدَى فِي ذِكْرِهَا وَلَوْ بَالَعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي إِحْصَاءِ مَتَابِعِهِ لَعَجَزُوا عَنْ اسْتِخْصَاءِ مَا حَبَّاهُ الْكَرِيمُ مِنْ مَوَاهِبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَابُ فَسِيحِ الْمَجَالِ مَنِيعِ الْمَنَالِ لِكِنِّي أَنَبُّهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى نُبْذَةِ يَسِيرَةٍ فَأَقُولُ: (أَمَّا مُعْجَزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ) فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وَالْمَرَادُ وَقُوعُ انْشِقَاقِهِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ ﴿وَإِنْ بَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَنْشَقْ لِأَحَدٍ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مِنْ أُمَّهَاتِ مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وَفْوَعِهِ لِأَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ كُفَّارَ
قُرَيْشٍ لَمَّا كَذَّبُوهُ وَلَمْ يَصَدِّقُوهُ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ
الآيَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لِبَشَرٍ عَلَى إِيجَادِهَا دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي
دَعْوَاهُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ الْخَطَّابِيُّ انشِقَاقُ الْقَمَرِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكَادُ يَغْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ
آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ خَارِجًا عَنِ جُمْلَةِ طِبَاعِ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ
الْمُرَكَّبِ مِنَ الطَّبَائِعِ فَلَيْسَ مِمَّا يُطْمَعُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ بِحِيلَةٍ فَلِذَلِكَ صَارَ الْبُرْهَانُ بِهِ أَظْهَرَ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ انشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ فَقَالُوا انظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ
السُّفَّاءُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ فَجَاءَ السُّفَّارُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ رَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ
بْنُ الْمُطَّلِبِ وَالنُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَنَظَرُواوَهُمْ فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا
فَسُقِّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ فَسَأَلَ رَبَّهُ فَأَنْشَقَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصِرًا مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظٍ إِنَّ الْقَمَرَ انشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ
مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ
آيَةً فَأَرَاهُمْ انشِقَاقَ الْقَمَرِ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا جِرَاءَ بَيْنَهُمَا. وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ انشَقَّ
الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ دُونَهُ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾
[القمر: ١] قَالَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انشَقَّ فِلْقَتَيْنِ فَلَقَّةٌ
دُونَ الْجَبَلِ وَفَلَقَةٌ خَلْفَ الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا. وَعِنْدَ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ انشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ فَقَالُوا إِنْ كَانَ
سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ يَعْنِي حَدِيثَ

انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجهم الغفيير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة اهـ.

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مزوي في الصحيحين وغيرهما وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره. (وأما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم) فروي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يضل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك طاعتك وطاعة رسولك فازد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر حكاه القاضي عياض في الشفاء عن الطحاوي ورواه عنها الطبراني في معجمه الكبير وأخرجه عنها ابن منده وابن شاهين وأخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد حسن عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار.

وذكر القاضي عياض عن ابن إسحق أنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت فريش ينتظرون وقد ولت النهار ولم تجيء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبت عليه الشمس.

وكذا روي حبس الشمس لبينا صلى الله عليه وسلم أيضا يوم الخندق وحين شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا ببينا ويوشع عليهما الصلاة والسلام كما ذكره القاضي عياض في الإكمال ونقله عنه النووي والحافظ بن حجر ومغلطاني وأقروه. (وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له صلى الله عليه وسلم) بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي حديث أبي ذر قال تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حينا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن رواه البزار والطبراني وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَانٌ وَعِنَبٌ فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّحَ رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الشُّفَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَسْلِيمُ الْحَجَرِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي هَذَا الْحَجَرِ فَقِيلَ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَقِيلَ حَجَرٌ غَيْرُهُ بِزُقَاقٍ يُعْرَفُ بِهِ بِمَكَّةَ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَ بِلَمْسِهِ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُسَلَّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا اجْتَاَزَ بِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَمْسِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ بِالرِّسَالَةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَأَبُو نَعِيمٍ، وَمِنْ ذَلِكَ تَأْمِينُ أَسْكُفَةِ الْبَابِ وَحَوَائِطِ الْبَيْتِ عَلَى دُعَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ أَبِي أُسَيْدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَرِمَ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَدًا حَتَّى آتِيَكُمْ فَإِنْ لِي فِيكُمْ حَاجَةٌ فَانْتَظِرُوهُ حَتَّى جَاءَ بَعْدَمَا أَضْحَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ قَالَ كَيْفَ أَضْبَحْتُمْ قَالُوا أَضْبَحْنَا بِخَيْرِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمْ تَقَارَبُوا فَتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا أَمَكْتُوهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمَلَأَعْتِهِ فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَمِّي وَصِنُو أَبِي وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتُرِي إِيَّاهُمْ بِمَلَأَعْتِي هَذِهِ فَأَمَنْتُ أَسْكُفَةَ الْبَابِ وَحَوَائِطِ الْبَيْتِ فَقَالَتْ آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ كَلَامُهُ لِلْجَبَلِ وَكَلَامَ الْجَبَلِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ أَحَدًا فَزَجَفَ بِهِمْ فَضْرَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِجْلِهِ وَقَالَ اثْبُتْ أَحَدٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَأَحَدُ جَبَلٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدُ جَبَلٍ يُجَبُّنَا وَنُجَبُّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَرُوِيَ تَعَدُّ الْقِصَّةِ فِي جَبَلِ نَبِيرٍ وَجَبَلِ جِرَاءِ بِمَكَّةَ. وَلَمَّا طَلَبْتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ نَبِيرٌ أَهِيطُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَفْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيَعْدُبَنِي اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ جِرَاءُ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَوَاهُ فِي الشُّفَاءِ.

وَجِرَاءَ مُقَابِلِ بُيَيْرِ وَالْوَادِي بَيْنَهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ كَلَامُ الشَّجَرِ لَهُ وَسَلَامُهَا عَلَيْهِ وَطَوَاعِيئُهَا لَهُ وَشَهَادَتُهَا لَهُ بِالرَّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَدَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ جَعَلَ لَا يَمُرُّ بِحَجْرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالدَّمَاءِ ضَرْبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّ بِي هَوْلَاءِ وَفَعَلُوا فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ فَقَالَ نَعَمْ فَفَنظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ اذْغُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا قَالَ فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَيَّ مَكَانِهَا فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبِي حَسْبِي.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ إِلَى أَهْلِي قَالَ هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُذُ الْأَرْضَ خَدًا فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبِتِهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ تَخُذُ أَيْ تَشَقُّ الْأَرْضِ. وَعَنْ بُرَيْدَةَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِيَتِلَّكَ الشَّجَرَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوكِ قَالَ فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلَقَهَا فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقَهَا ثُمَّ جَاءَتْ تَخُذُ الْأَرْضَ تَجْرُ عُرُوقَهَا مُغْبِرَةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَيَّ مَنْبِتِهَا فَرَجَعَتْ فَدَلَّتْ عُرُوقَهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَاسْتَقَرَّتْ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ائِذْنِي لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ قَالَ لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا رَوَاهُ فِي الشُّفَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بِمِ أَعْرِفُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ فَعَادَ فَاسْتَلَمَ الْأَعْرَابِيُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَفِي

حَدِيثِ يَغْلَى بْنِ مُرَّةَ التَّقْفِيَّيْ ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَتَأَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى عَشِيَّتَهُ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتْ رَبِّهَا فِي أَنْ تُسَلَّمَ عَلَيَّ فَأَذِنَ لَهَا زَوَاهُ الْبَغْوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحًا فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ فِي شَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْفَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَابِعُ قَائِدَهُ ثُمَّ فَعَلَ بِالْأُخْرَى كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ بَيْنَهُمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ آيَةٌ كُبْرَى مِنْ تَعَالَى فَالْتَأَمْتَا، وَمِنْ ذَلِكَ حِينُ الْجُدْعِ شَوْقًا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ آيَةٌ كُبْرَى مِنْ أَكْبَرِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مَا أَعْطَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقِيلَ لَهُ أَعْطَى عَيْسَى إِخْيَاءَ الْمَوْتَى قَالَ أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينِ الْجُدْعِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَهُ فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ حَدِيثُ حِينِ الْجُدْعِ مَشْهُورٌ مُتَشَبِّهٌُ وَالْحَبْرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضِعْمَةِ عَشْرٍ مِنْهُمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَبُرَيْدَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَالْمُطَلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ أَهْ وَالْقَبْصَةُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ تَعَايَرَتْ بَعْضُ أَلْفَاطِهَا وَهِيَ أَنْ مَسَجَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَسْقُوفًا عَلَى جُدُوعِ نَخْلِ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جُدْعٍ مِنْهَا فَصُنِعَ لَهُ الْمِئْبَرُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ لِيَسْمَعَ النَّاسُ حُطْبَتَهُ لَمَّا كَثُرُوا فَلَمَّا قَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَارَ الْجُدْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ . وَفِي رِوَايَةٍ فَصَّاحَتِ النَّخْلَةُ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَيْنُ أَنْبِنِ الصَّبِيِّ الَّذِي يَشْكِي . وَفِي رِوَايَةٍ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجُدْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ .

وَفِي رِوَايَةٍ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحِينِ النَّاقَةِ الْخُلُوجِ وَهِيَ الَّتِي انْتَرَعَ مِنْهَا وَلَدَهَا . وَفِي رِوَايَةٍ أَنْسٍ أَنَّهُ سَمِعَ الْحَسْبَةَ تَحِنُّ حِينِ الْوَالِهِ فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمِثْبَرِ فَمَشَى إِلَيْهَا فَاخْتَضَّهَا فَسَكَتَتْ . وَفِي رِوَايَةٍ جَارِ الْجِدْعِ كَجَوَارِ الثَّوْرِ حُزْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اذْتَجَّ الْمَسْجِدَ لِحُجَّارِهِ فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمِثْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ فَلَمَّا اَلْتَزَمَهُ سَكَتَتْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ اَلْتَزِمَهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ حُزْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْفِينَ .

وَفِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرْوُوكَ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيَجِدُّ لَكَ حُوصَ وَثَمْرَةٌ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرَسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ ثَمْرِكَ ثُمَّ أَضْعَى لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ فَقَالَ بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَهْلَى فِيهِ فَسَمِعَهُ مِنْ يَلِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَعَلْتُ ثُمَّ قَالَ اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفِتَاءِ . وَقَدْ رُوِيَ حَدِيثُ حَنِينِ الْجِدْعِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ بِوُقُوعِ ذَلِكَ وَقَالَ الْعَلَامَةُ الثَّاجُ بْنُ السُّبَكِيِّ الصُّحَيْحِيُّ عِنْدِي أَنَّ حَنِينَ الْجِدْعِ مُتَوَاتِرٌ . وَقَالَ الْحَائِظُ ابْنُ حَجَرَ فِي فَتْحِ الْبَارِي حَنِينُ الْجِدْعِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ نُقِلَ كُلُّ مِنْهُمَا نَقْلًا مُسْتَفِيدًا يُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى طُرُقِ الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ قِصَّةُ حَنِينِ الْجِدْعِ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ كَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ يَا عِبَادَ اللَّهِ الْخَشْبَةُ تَجْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَأَفُوا إِلَيْهِ ، (وَأَمَّا كَلَامُ الْحَيَوَانَاتِ وَطَاعَتُهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمِنْهَا سُجُودُ الْجَمَلِ وَشُكُوهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْتُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِمْ فَمَنْعَهُمْ ظَهْرَهُ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نَسْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْنَا وَمَنْعَنَا ظَهْرَهُ وَقَدْ عَطِشَ النَّخْلُ وَالرَّزْغُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَقَامُوا فَدَخَلَ الْحَائِظُ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَةِ فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ .

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَتَيْهِ أَدْلًا مَا كَانَ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ هُوَ بِهَيْمَةَ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ وَنَحْنُ نَعْقِلُ فَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضِلُّ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرُؤُوسِهَا مِنْ عَظْمٍ حِقُّهُ عَلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِيُّ.

وَالْحَائِطُ هُوَ الْبُسْتَانُ وَقَوْلُهُ تَسْنِي أَي تَسْقِي عَلَيْهِ. وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ التَّفْقِي بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى الْبَعِيرُ جَرْجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ فَجَاءَهُ فَقَالَ بِغَيْبِهِ فَقَالَ بَلْ نَهَبَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّهُ لِأَهْلٍ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ فَقَالَ أَمَا إِذْ ذَكَرْتُ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقَوْلَةَ الْعَلْفِ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ رَوَاهُ الْبَعُوثِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ.

وَالْجِرَانُ مُقَدَّمُ عُقْبِ الْبَعِيرِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَنَ ثُمَّ قَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هَذَا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتَذِيبُهُ قَالَ فِي الْمَصَابِيحِ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَذِفْرَاهُ تَثْنِيَةٌ ذِفْرَى وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَغْرَقُ مِنْ قَعَا الْبَعِيرِ عِنْدَ أُذُنِهِ، وَمِنْهَا سُجُودُ الْعَنَمِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِي الْحَائِطِ عَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْعَنَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشُّفَاءِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونٍ خَيْبَرَ وَكَانَ فِي عَنَمٍ يَزْعَاهَا لَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ لِي بِالْعَنَمِ قَالَ اخْصِبْ وَجُوهَهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَزِدُّهَا إِلَيَّ أَهْلِهَا ففَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا، وَمِنْهَا قِصَّةُ كَلَامِ الدُّنْبِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهَا

كثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ عَدَا الذُّنْبِ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَاثْرَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذُّنْبُ عَلَى ذَنْبِهِ وَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَأَقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ الرَّاعِي يَا عَجَبًا ذَنْبٌ مُفْعٌ عَلَى ذَنْبِهِ يُكَلِّمُنِي بِكَلَامِ الْإِنْسِ فَقَالَ الذُّنْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ يَشْرِبُ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ عَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَرَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُودِي بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ أَخْبِرْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ الذُّنْبُ أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي وَاقِفًا عَلَى عَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْرًا قَدْ فَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ فِتْنَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هَذَا الشَّعْبُ فَتَكُونُ فِي جُنْدِ اللَّهِ قَالَ الرَّاعِي مَنْ لِي بِعَنَمِي قَالَ الذُّنْبُ أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ فَأَسَلَّمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ عَنَمَهُ وَمَضَى وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلَامَهُ وَوُجُودَهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُدْ إِلَيَّ عَنَمِكَ تَجِدُهَا بِوَفْرِهَا فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ وَذَبَحَ لِلذُّنْبِ شَاةً مِنْهَا.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ الذُّنْبُ فَأَقْعَى بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ يُبْصِصُ بِذَنْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا وَافِدُ الذُّنَابِ جَاءَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا قَالُوا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ حَجْرًا رَمَاهُ بِهِ فَأَذْبَرَ الذُّنْبُ وَلَهُ عَوَاءٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذُّنْبُ وَمَا الذُّنْبُ. وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَزْبٍ وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَجَدَا ذَنْبًا أَخَذَ ظَنِيًّا فَدَخَلَ الظَّنْبِيُّ الْحَرَمَ فَانصَرَفَ الذُّنْبُ فَعَجَبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الذُّنْبُ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هَذَا بِمَكَّةَ لَشَرَكْنَاهَا خُلُوفًا أَيْ فَايِدَةً.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الضُّبِّ ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشُّفَاءِ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَحْفَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ قَدْ صَادَ ضَبًّا جَعَلَهُ فِي كُمِهِ لِيَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَيَشْوِيهِ وَيَأْكُلُهُ فَلَمَّا رَأَى الْجَمَاعَةَ قَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَ الضُّبَّ مِنْ كُمِهِ وَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ هَذَا الضُّبُّ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ضَبُّ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ مَنْ تَعْبُدُ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَزَّشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ قَالَ فَمَنْ أَنَا قَالَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْغَزَالَةِ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أئِمَّةِ الْحَدِيثِ مِنْ طَرُقٍ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَحْرَاءَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَالْتَمَعَتْ فَإِذَا طَبِيبَةٌ مَشْدُودَةٌ فِي وَثَاقٍ وَأَعْرَابِيٌّ مُنْجِدٌ فِي سَمَلَةٍ نَائِمٌ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ مَا حَاجْتُكَ قَالَتْ صَادَقَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَبِي جُشْفَانٌ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ فَأَطْلَقَنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ قَالَ وَتَفْعَلِينَ قَالَتْ عَدَّتْ بِي اللَّهُ عَذَابَ الْعَشَارِ إِنْ لَمْ أَعُدْ فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ تُطَلِّقُ هَذِهِ الطَّبِيبَةَ فَأَطْلَقَهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ فَرَحًا وَهِيَ تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا الْأَرْضَ وَتَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ دَاجِنُ الْبُيُوتِ وَهُوَ مَا أَلْفَهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كَالطَّيْرِ وَالشَّيْءِ وَغَيْرِهِمَا رَوَى قَاسِمُ ابْنُ ثَابِتٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا قَالَتْ كَانَ عِدْنَانَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِدْنَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّ وَثَبَتْ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِءْ وَلَمْ يَذْهَبْ وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ وَذَهَبَ وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ بِسَنَدِهِ. (وَأَمَّا تَبَعُ الْمَاءِ الطَّهُورِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ أَشْرَفُ الْمِيَاهِ فَقَدْ رَوَى أَحَادِيثُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ جَابِرٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَانَتْ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالتَّمَسَّ النَّاسُ الرُّضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُضُوءٍ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَرَضَّوْا مِنْهُ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّأَ الْقَوْمُ قَالَ رَوَاهُ قُلْنَا لِأَنَسِ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ كُنَّا ثَلَاثِمِائَةٍ.

وَعَنْ أَنَسِ أَيْضًا قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَطِشْتُ دَوَابُّنَا وَإِبِلُنَا فَقَالَ هَلْ مِنْ فَضْلَةٍ مَاءٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فِي شَنْ بَشَنِيٍّ فَقَالَ هَاتُوا صُحْفَةً فَصَبَّ الْمَاءَ ثُمَّ وَضَعَ رَاخَتَهُ فِي الْمَاءِ قَالَ فَرَأَيْتُهَا تَخْلُلُ عُيُونَنَا بَيْنَ

أَصَابِعِهِ قَالَ فَسَقَيْنَا إِبِلَنَا وَدَوَابَّنَا وَتَزَوَّدْنَا فَقَالَ أَكْتَفَيْتُمْ فَقَالُوا نَعَمْ أَكْتَفَيْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَرَفَعَ يَدَهُ فَارْتَفَعَ الْمَاءُ رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَاءَ فَأَتَيْتُ مِنْ بَعْضِ بِيُوتِهِمْ بِقَدَحٍ صَغِيرٍ فَأَدَخَلَ يَدَهُ فَلَمْ يَسْغُهُ الْقَدْحُ فَأَدَخَلَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَةَ وَلَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُدْخِلَ إِبْهَامَهُ ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ هَلُمُّوا إِلَى الشَّرَابِ قَالَ أَنَسٌ بَصُرَ عَيْنِي يَتَّبِعُ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَرُدُّونَ الْقَدْحَ حَتَّى رَوُوا مِنْهُ جَمِيعًا.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ فِيهِ الصُّحُوحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْهُ قَالَ غَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوعًا يَتَوَضَّأُ مِنْهَا وَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ مَا لَكُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرِبُهُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضِعَ يَدَهُ فِي الرُّكُوعِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قَالَ رَاوِيهِ قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. وَالرُّكُوعُ إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُشْرَبُ فِيهِ وَالْجَهْشُ أَنْ يَفْزَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمِ الطَّلَبِ فِي ذِكْرِ عَزْوَةِ بَوَائِدِ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ نَادِ الْوَضُوءَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءِ شَجَبِ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَمَّرَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَقَالَ نَادِ بِجَفْنَةِ الرُّكْبِ فَأَتَيْتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ عَلَيْهِ جَابِرٌ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ قَرَأْتُ الْمَاءَ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْإِسْتِقْيَاءِ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ مِنْ أَحَدٍ لَهُ حَاجَةٌ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى. وَالْعِزْلَاءُ فَمُ الْقِرْبَةِ الْأَسْفَلُ وَالشُّجَبُ السَّقَاءُ الَّذِي أَخْلَقَ وَبَلَى وَصَارَ شَنَا وَالْجَفْنَةُ إِنَاءٌ يُشْبِعُ عَشْرَةَ فَأَكْثَرَ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ فِيهِ الصُّحُوحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطْلُبُوا مِنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ فَأَتَيْتُ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَتَّبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْسِ الْفَلَكِ فَطَلَبَ الْمَاءَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ الْمَاءَ قَالَ فَهَلْ مِنْ شَرٍّ فَأَتَاهُ بِشَرٍّ فَبَسَطَ كَفَّهُ فِيهِ فَأَتْبَعَتْ تَحْتَ يَدِهِ عَيْنٌ فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَشْرَبُ وَغَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ قِصَّةٌ تَبِعَ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعَهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْتَوِيِّ وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ عَنْ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ تَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ عَصْبِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَرْيُ تَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ مِنْ تَبَعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ حَيْثُ ضَرَبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ لِأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعَهُودٌ بِخِلَافِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَإِنْبَعَاثُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُعَاذٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبِضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا قَالَا نَعَمْ فَسَبَّهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ عَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا مُعَاذُ يَوْشَكَ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا لَهْنَا قَدْ مُلِيَءَ جِنَانًا أَيْ بَسَاتِينَ وَعِمْرَانًا وَزَادَ فِي الشُّفَاءِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَانْحَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ حَدِيثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يَلْبِثُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَاَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ. وَقَوْلُهُ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا أَيْ يَأْخُذُونَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَمَعْنَى يَجِيشُ يَفُورُ مَأْوُهُ وَيَرْتَفِعُ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فَتَمَضَّمَصَّ وَمَجَّ فِي بَثْرِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ فَمِهِ فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ. وَعَنْ غُرُورَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فِي الدَّلْوِ وَمَضَّمَصَّ فَاهُ ثُمَّ مَجَّ فِيهِ وَأَمَرَ أَنْ يُصَبَّ فِي الْبَثْرِ وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَلْقَاهُ فِي الْبَثْرِ وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَفَارَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَفَتَيْهَا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَاسْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ قَدَعًا فَلَاتَا وَاسْمُهُ أَبُو رَجَاءٍ وَدَعَا

عَلِيًّا فَقَالَ أَذْهَبَا فَابْتِغِيَا الْمَاءَ فَاَنْطَلَقَا فَتَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَي قِرْبَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنْزَلُوها عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَقْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ وَأَوْكَا أَقْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ الْعَزَائِي وَهِيَ مَصَابُ الْمَاءِ وَتُودِي فِي النَّاسِ اسْتَوْا وَاسْتَشْفُوا فَسَقَى مَنْ سَقَى وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا وَإِنَّمِ اللَّهُ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا لَهَا فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهُ فِي ثُوبٍ وَحَمَلُوها عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثُّوبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا تَعْلَمِينَ مَا رَزَيْنَا مِنْ مَاثِكِ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي سَقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا فَقَالَتْ الْعَجَبَ لِعَيِّنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِي فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ثُمَّ أَسْلَمَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتِكُمْ وَلَيْلَتِكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ عَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ أَي ابْتَضَّ فَمَالَ عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتَنَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ ازْكَبُوا فَرَكِبْنَا فَمِيزْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَاءٍ كَانَتْ مَعِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَضُوءاً وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَاتِكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَالِ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْعَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ اشْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِي كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَا هَلَكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِالمِيضَاءِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَعُدْ أَنْ رَأَى النَّاسَ مَاءً فِي المِيضَاءِ فَتَكَابَرُوا عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسِنُوا المِلءَ كُلُّكُمْ سَيَرَوِي قَالَ فَفَعَلُوا فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَبَّ ثُمَّ قَالَ لِي اشْرَبْ فَقُلْتُ لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ فَقَالَ إِنَّ سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ قَالَ فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ

وَجَاعَ الْعِبَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهُمَا حَتَّى تَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَن مِّنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَيَّ لِخَيْتِهِ فَمَطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنَ الْعَدِ وَمِنَ الْبَعْدِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبِنَاءَ وَعَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ إِلَيَّ نَاحِيَةً مِنَ السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوَابَةِ وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا وَلَمْ يَجِيءْ أَحَدٌ مِن نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ. وَالْجَوَابَةُ الْحُفْرَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ الْوَاسِعَةُ أَيَّ حَتَّى صَارَ الْعَيْمُ وَالسَّحَابُ مُحِيطًا بِأَفَاقِ الْمَدِينَةِ وَالْجُودُ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْعَزِيرُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثْنَا عَنْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ قَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ فَتَنَزَّلْنَا مَنَزِلًا أَصَابَنَا عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الرَّجُلَ فَلَا يَزِجُّ حَتَّى يَظُنُّ أَنْ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصُرُ فَرْتَهُ فَيَشْرِبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَيَّ كَيْدِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ قَدْ عَوَدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا قَالَ أَتُحِبُّونَ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزِجْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَاثْسَكَبَتْ فَمَلَّوْا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا تُجِوزُ الْعَسْكَرَ أَخْرَجَهُ النَّبِيُّ وَشَيْخُهُ ابْنُ بَشْرَانَ وَفِي مِصْبَاحِ الظَّلَامِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ ابْنِ أَخِي يَغْنِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِي الْمَجَازِ فَأَذْرَكَنِي الْعَطَشُ فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا بَنَ أَخِي عَطِشْتُ وَمَا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ وَأَنَا أَرَى عِنْدَهُ شَيْئًا إِلَّا الْجَزَعُ فَتَنَى وَرَكَهُ ثُمَّ نَزَلَ وَقَالَ يَا عَمُّ أَعْطِشْتُ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَهْوَى بِعَقْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَإِذَا بِالمَاءِ فَقَالَ اشْرَبْ يَا عَمُّ فَشَرِبْتُ وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ.

وَمِنَ ذَلِكَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْخُنْدَقِ قَالَ فَاثْكُفَاتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهْنِمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ثُمَّ جِثْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَازَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهْنِمَةَ لَنَا وَطَحْنَا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَقَرْنَا مَعَكَ فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْخُنْدَقِ إِنْ جَابِرًا صَنَعَ سُورًا فَحَيْهَلًا بِكُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا يُخْبِرُنَّ عَجِيئَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ ثُمَّ جَاءَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيئًا وَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ.

ثُمَّ قَالَ اذْهَبِي خَابِزَةً فَلْتُخَبِزْ مَعَكَ وَافْدِجِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنْ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنْ عَجِينَتَنَا لَيُخَبِزُ كَمَا هُوَ زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ دَاجِنٌ يَعْنِي سَمِينَةً وَالسُّؤْرُ هُنَا الطَّعَامُ وَحَيْهَلًا بِكُمْ أَي هَلُمُّوا مُسْرِعِينَ وَافْدِجِي أَي اغْرِبِي وَتَغِطُّ أَي تَغْلِي .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ نَعَمْ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا فَلَقَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَا تُثْنِي بِبَعْضِهِ أَي أَذَارَتْ بَعْضَ الْخِمَارِ عَلَى رَأْسِي مَرَّتَيْنِ كَالْعَمَائِمِ ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو طَلْحَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لَطَعَامٍ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ قَوْمُوا فَاذْهَبِي وَأَنْطَلِقِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى آتَيْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا نُطْعِمُهُمْ فَقَالَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَاذْهَبِي حَتَّى لَقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْمِي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكَ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُتَّ وَعَصْرَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ فَأِذِنْ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ ثُمَّ لِعَشْرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ وَجُلَا زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكَوا سُؤْرًا أَي بَقِيَّةً وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ وَفِي رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّمَا هُوَ قُرْصٌ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَيَبَارِكُ فِيهِ وَوَقَعَ .

فِي رِوَايَةِ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ فَقَالَ هَلْ مِنْ سَمْنٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ قَدْ كَانَ فِي الْعُكَّةِ شَيْءٌ فَجَاءَ بِهَا فَجَعَلَا يَعْصِرَانِهَا حَتَّى خَرَجَ ثُمَّ مَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْصَ فَانْتَفَخَ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَالْقُرْصُ يَنْتَفِخُ حَتَّى رَأَيْتُ الْقُرْصَ فِي الْجَفْنَةِ يَتَّسِعُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَاتِ فَقَالَ نَعَمْ فَدَعَا بِنَطْعِ فَبَسِطَ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ دُرَّةٍ وَيَجِيءُ الْأَخْرَجُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَاتِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَّتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَّتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكَوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلْؤُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فَيُحْجَزَ عَنِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ فَعَمَدَتْ أُمِّي أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَصَنَعَتْ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْ بَعَثْتُ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تَقْرُؤُكَ السَّلَامَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَعُهُ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي فَلَانَا وَفَلَانَا رِجَالًا سَمَاهُمْ وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ فَدَعَوْتُ مَنْ سَمِي وَمَنْ لَقِيتَ فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصُ بِأَهْلِيهِ قِيلَ لِأَنَسِ عَدَدَكُمْ كَانُوا قَالَ زُهَاءٌ ثَلَاثِمِائَةٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةَ عَشْرَةَ يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمْ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ قَالَ لِي يَا أَنَسُ اذْفَعْ فَذْفَعْتُ فَمَا أَذْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالْأَقِطُ لَبَنٌ مُجَفَّفٌ وَالْحَيْسُ الطَّعَامُ الْمُتَّخِذُ مِنَ الثَّمْرِ وَالسَّمْنِ وَالْأَقِطِ وَالتَّوْرُ إِنَاءٌ مِنْ صُفْرِ أَوْ حِجَارَةٍ .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَكَّةَ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَهَا الْأَذْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمَدُ إِلَى الْبَيْتِ كَانَتْ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أَذْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعَصَرْتِهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ لَوْ تَرَكَتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطْعِمُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ مِنْ شَعِيرٍ فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَصِنْفُهُ حَتَّى كَالَهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَكَلِّهِ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا . وَعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَدَاوَلُ مِنْ قِضْعَةٍ مِنْ عَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ عَشْرَةَ وَيَقْعُدُ عَشْرَةَ فُلْنَا فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً
وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فُسْوِي سَوَادُ بَطْنِهَا قَالَ وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا مِنْ
الْثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ
وَفَضَلَ فِي الْقِصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَبْتَغَهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ فَوَضِعْتَ
بَيْنَ أَيْدِيْنَا صُحْفَةً فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَعْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضِعَتْ إِلَّا أَنْ فِيهَا أَنْزَلَ الْأَصَابِعَ رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرْقَ فَصَنَعَ لَهُمْ مِدًّا مِنْ طَعَامِ
فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ
شَيْءٌ رَوَاهُ فِي الشُّفَاءِ. وَالْجَذَعَةُ مِنَ الضَّانِ مَا أَتَى عَلَيْهَا ثِمَانِيَّةُ أَشْهُرٍ أَوْ تِسْعَةٌ وَالْفَرْقُ إِنَاءٌ
يَسْعُ اثْنَيْ عَشَرَ صَاعًا وَالْعُسُّ قَدْحٌ مِنْ حَسْبٍ يُرْوَى الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ.

(وَمِنْ ذَلِكَ إِبْرَاءُ ذَوِي الْعَاهَاتِ وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَكَلَامُهُمْ وَكَلَامُ الصُّبْيَانِ وَشِهَادَتُهُمْ لَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّبُوءِ) رَوَى النَّبِيهَيْيُّ فِي الدَّلَائِلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا رَجُلًا
إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَا أُوْمِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِيَ لِي ابْنَتِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرِنِي قَبْرَهَا
فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى الدُّنْيَا فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا لِي
مِنْ أَبِيِّي وَوَجَدْتُ الْآخِرَةَ خَيْرًا لِي مِنَ الدُّنْيَا. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْحُجُونَ كَثِيبًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ رَجَعَ
مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَخْبَأَ لِي أُمِّي فَأَمَنْتُ بِهَا ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ
عَائِشَةَ أَيْضًا إِخْيَاءُ أَبَوَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَّا بِهِ رَوَاهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْحَطِيبُ.

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ شَابًا مِنَ الْأَنْصَارِ تُوْفِيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمِيَاءٌ فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا فَقَالَتْ
مَاتَ ابْنِي قُلْنَا نَعَمْ قَالَتْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَبِيِّكَ رَجَاءً أَنْ تُعِينَنِي
عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلَا تُحْمِلَنَّ عَلَيَّ هَلِيزَةَ الْمُصِيبَةِ فَمَا بَرِحْنَا أَنْ كَشَفَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمَ
وَطَعِمْنَا رَوَاهُ النَّبِيهَيْيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِجَةَ مِنْ سُرَوَاتِ
الْأَنْصَارِ فَبَيَّتَمَا هُوَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِذْ حَرَ فُتُوْفِي
فَأَعْلِمْتِ الْأَنْصَارَ بِهِ وَأَتَوْهُ فَاخْتَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ فَسَجَّوهُ بِسَاءٍ وَبُرْدَيْنِ وَفِي الْبَيْتِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ

الأنصارِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ وَرِجَالٌ مِنْ رِجَالِهِمْ فَمَكَتْ عَلَى حَالِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ
الْآخِرَةِ سَمِعُوا صَوْتَ قَائِلٍ يَقُولُ .

أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا فَتَنْظَرُوا فَإِذَا الصَّوْتُ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ فَحَسَرُوا عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَإِذَا
الْقَائِلُ يَقُولُ عَلَى لِسَانِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ فِي
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ صَدَقَ ثُمَّ قَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ مَنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَأَخْرَجَ أَبُو
ثَعْيْبٍ أَنَّ جَابِرًا ذَبَحَ شَاةً وَطَبَخَهَا وَتَرَدَّ فِي جَفْنَةٍ وَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَتَمَنَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُمْ كُلُوا وَلَا تَكْسِرُوا عِظْمًا ثُمَّ
جَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْعِظَامَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فَإِذَا الشَّاةُ قَامَتْ
تَنْفُضُ أُذُنَيْهَا . وَعَنْ مُعَيْقِبِ الْيَمَانِيِّ قَالَ حَجَجْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَدَخَلْتُ دَارًا بِمَكَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتُ مِنْهُ عَجَبًا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَامَةِ بِغُلَامٍ يَوْمَ وُلِدَ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ مِنْ أَنَا فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ بَارَكَ اللَّهُ
فِيكَ ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى شَبَّ فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَعَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ
فَقَالَ مَنْ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ
بِابْنٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ وَإِنَّهُ
لَيَأْخُذُهُ عِنْدَ عَدَائِنَا وَعَشَائِنَا فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ فَفَعَّ ثَعَّةً وَخَرَجَ مِنْ
جَوْفِهِ مِثْلُ الْجَزْرِ الْأَسْوَدِ يَسْعَى رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَقَوْلُهُ نَعَّ أَي قَاءَ .

وَأَصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ الثُّعْمَانَ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ فَأَتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي امْرَأَةً أُحِبُّهَا وَأَخْشَى إِنَّ رَأْيِي تَقْلُذْنِي فَأَخَذَهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالًا فَكَانَتْ
أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَهُمَا تَنْظَرًا وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْأُخْرَى . وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ
خَيْبَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيُّنَ عَلِيٍّ بُنُّ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي
عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فَأَرْسَلَنِي النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ بِهِ أَفْرَدُهُ أَرْمَدَ فَبَصَوْتُ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ فَمَا

اشتكَيْتُهُمَا حَتَّى السَّاعَةِ قَالَ وَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَذِيبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْقَرَّ قَالَ فَمَا اشتكَيْتُهُمَا حَتَّى يَوْمِي هَذَا. وَأَصِيبَ سَلَمَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ بِضَرْبَةٍ فِي سَاقِهِ فَتَفَتَّ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشتكَاها قَطُّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَتَفَتَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنِي فُدَيْكَ وَكَانَتَا مُبَيضَّتَيْنِ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا وَكَانَ وَقَعَ عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ فَكَانَ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لَأَبْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبَيضَتَانِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.

الفصل الثاني

فِيمَا حَخَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ
وَشَرَّفَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكِرَامَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُعْطِهَا لِنَبِيِّ قَبْلَهُ وَمَا خَصَّ نَبِيًّا بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ فَإِنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِيعَ الْكَلِمِ وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا فِي حَالِ نُبُوَّتِهِ وَرَمَانَ رِسَالَتِهِ وَلَمَّا أُعْطِيَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ عَلِمْنَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَمِدُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ كَامِلٍ مَبْعُوثٍ وَيَزَخُمُ اللَّهُ شَرَفَ الدِّينِ الْأَبُوصَيْرِيِّ حَيْثُ قَالَ:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكِرَامَ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضَلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ يَعْني أَنَّ كُلَّ مُعْجَزَةٍ أَتَى بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ بِهِ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلْبِهِ فَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ الْمَقْصُودُ وَآدَمُ الْوَسِيلَةُ. وَأَمَّا سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَمَرُوا بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ أَنْ نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي جَبْهَتِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا التَّشْرِيفُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الْآيَةُ أَتَمُّ وَأَجْمَعُ مِنْ تَشْرِيفِ آدَمَ بِأَمْرِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ التَّشْرِيفِ فَتَشْرِيفٌ يَصْدُرُ عَنْهُ تَعَالَى وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَتَمُّ مِنْ تَشْرِيفِ تَخْتَصُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ.

وَأَمَّا تَغْلِيْمُ آدَمَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُثَلَّثٌ لِي أُمَّتِي فِي
الْمَاءِ وَالطَّيْنِ وَعُلِمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي
رَافِعٍ .

وَأَمَّا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِغْرَاجَ وَرَفَعَ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يُرْفَعْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ، وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتَجَّاهُ
اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ وَتَجَّاهُ مِنَ الْخَسْفِ وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَهْلِكْ أُمَّتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ أَكْرَمَ اللَّهُ نُوحًا بِأَنْ أَمْسَكَ سَفِينَتَهُ عَلَى
الْمَاءِ وَفَعَلَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مِنْهُ رُوي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى
شَطِّ مَاءٍ وَقَعَدَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَادْعُ ذَلِكَ الْحَجَرَ الَّذِي فِي الْجَانِبِ
الْآخَرَ فَلْيَسْبِخْ وَلَا يَغْرُقْ فَأَشَارَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَانْقَلَعَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَسَبَّحَ حَتَّى
صَارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ لَهُ بِالرَّسَالَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْفِيكَ هَذَا فَقَالَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ .

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَانَتْ عَلَيْهِ نَارٌ نَمْرُودٌ بَرْدًا وَسَلَامًا فَأَعْطَى
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظِيرَ ذَلِكَ إِطْفَاءَ نَارِ الْحَرْبِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَنَاهِيكَ بِنَارِ حَطْبِهَا السُّيُوفُ وَوَهْجِهَا الْحُتُوفُ وَمُوقِدِهَا الْحَسَدُ وَمَطْلَبِهَا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] وَرَوَى النَّسَائِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ
ابْنَ حَاطِبٍ قَالَ كُنْتُ طِفْلًا فَانْصَبَّتِ الْقَدْرُ عَلَيَّ وَاخْتَرَقَ جِلْدِي كُلَّهُ فَحَمَلَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَّلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي جِلْدِي وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى الْمُخْتَرِقِ
وَقَالَ أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ فَصِرْتُ صَحِيحًا لَا بَأْسَ بِي .

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَقَامِ الْخُلَّةِ فَقَدْ أُعْطِيَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَزَادَ بِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ الشُّفَاعَةِ أَنَّ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا
قِيلَ لَهُ اتَّخَذَكَ اللَّهُ خَلِيلًا فَاشْفَعْ لَنَا قَالَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي إِلَى
أَنْ تَنْتَهِيَ الشُّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ خَلِيلًا مَعَ رَفْعِ الْحِجَابِ وَكَشْفِ الْغِطَاءِ وَلَوْ كَانَ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ
وَرَاءِ لَأَعْتَدَرَ كَمَا اعْتَدَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْفِرَادُهُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْجِيدهِ وَكَسْرِ الْأَصْنَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْرَهَا بِقَضِيْبٍ لَيْسَ مِمَّا يَكْسِرُ إِلَّا بِقُدْرَةِ إِلَهِيَّةٍ حِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] حَتَّى سَقَطَتْ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ. وَمِمَّا أُعْطِيَهُ الْحَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُرَيْشًا لَمَّا بَنَدِ الْبَيْتِ بَعْدَ تَهْدِيمِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَضَعُ الْحَجَرِ تَنَافَسُوا عَلَى الْفَخْرِ ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحْكُمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ فَاتَّفَقَ دُخُولُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا هَذَا الْأَمِينُ فَحَكَمُوهُ فِي ذَلِكَ فَأَمَرَ بِسِنِّ ثَوْبٍ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَزْفَعُ كُلُّ بَطْنٍ بِطَرْفٍ فَرَفَعُوهُ جَمِيعًا ثُمَّ أَخَذَهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ الْمَقَامَ لِيَكُونَ مَنْقَبَةً لَهُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٌ غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيِّنَ الْجِدْعِ وَقَدْ مَرَّتْ قِصَّتُهُ. وَحَكَى الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَزِيْمِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحَجْرِ رَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ نُعْبَاتَيْنِ فَانصَرَفَ مَرْغُوبًا. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَكَانَ بَيَاضُهَا يُغْشِي الْبَصَرَ فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا يَزَلُ نُورًا يَنْتَقِلُ فِي أَضْلَابِ الْأَبَاءِ وَبُطُونِ الْأُمَّهَاتِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ أَبِيهِ وَأُعْطِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِتَادَةَ بَنِ الثُّعْمَانِ وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةِ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُونًا وَقَالَ انْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرِي سَوَادًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ فَاَنْطَلِقْ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوَادَ وَضْرِبَهُ حَتَّى خَرَجَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ عَبَادُ بْنُ بَشْرِ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً وَهِيَ لَيْلَةٌ شَدِيدَةٌ الظُّلْمَةُ ثُمَّ خَرَجَا وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ عَصَا فَأَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشَى فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِأَخْرِعِ عَصَاهُ فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ هَدْيَهُ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِتَخْوِهِ فِي الصَّحِيحِ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَمْرَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءَ فَأَضَاءَتْ أَصَابِعِي حَتَّى جَمَعُوا عَلَيْهَا ظَهْرَهُمْ وَمَا هَلَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ أَصَابِعِي أَتَيْتُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْفِلَاقَ الْبَحْرِ لَهُ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ كَمَا مَرَّ فَمُوسَى تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّبِيِّ وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بَحْرًا يُسَمَّى الْمَكْفُوفَ يَكُونُ بَحْرُ الْأَرْضِ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْقَطْرَةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ قَالَ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ ذَلِكَ الْبَحْرُ انْفَلَقَ لِنَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاوَزَهُ يَعْنِي لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ قَالَ وَهَذَا أَكْبَرُ مِنَ انْفِلَاقِ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِجَابَةَ دُعَائِهِ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى . وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَفْجِيرُ الْمَاءِ لَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَاءَ تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَهَذَا أَبْلَغُ لِأَنَّ الْحَجَرَ مِنْ جِنْسِ الْأَرْضِ الَّتِي يَنْبَعُ مِنْهَا الْمَاءُ وَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ اللَّحْمِ . وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْكَلَامَ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَزِيَادَةُ الدُّنُوِّ أَيْضًا كَانَ مَقَامُ الْمُنَاجَاةِ فِي حَقِّ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَالْمُسْتَوَى وَحُجْبِ الثُّورِ وَالرَّفْرِفِ وَمَقَامِ الْمُنَاجَاةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طُورُ سَيْنَا .

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ هَارُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَصَاحَةَ اللِّسَانِ وَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ بِالْمَحَلِّ الْأَفْضَلِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ . وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ شَطْرِ الْحُسْنِ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُسْنَ كُلَّهُ وَسَتَاتِي الْإِشَارَةَ إِلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ الْإِسْرَاءِ وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا نُقِلَ مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ التَّفْضِيلُ لَهُ عَلَى كُلِّ مَشْهُورٍ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ جِيلٍ . وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا فَالَّذِي نُقِلَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ مَنَامَاتٍ أَحَدُهَا حِينَ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثَّانِي مَنَامُ صَاحِبِي السُّجْنِ وَالثَّلَاثُ مَنَامُ الْمَلِكِ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَدْخُلُهُ الْحَضْرُ وَمَنْ تَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ وَتَتَبَعَ الْأَثَارَ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعَجَابِ وَسَتَاتِي نُبَذَةٌ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَلْبِينِ الْحَدِيدِ لَهُ فَكَانَ إِذْ مَسَّحَ الْحَدِيدَ لِأَنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْعُودَ الْيَابِسَ اخْضُرَّ فِي يَدِهِ وَأُورِقَ . وَمَسَّحَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ أُمَّ مَعْبِدِ الْجَزْبَاءِ فَبَرَأَتْ وَدَرَّتْ ، وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ كَلَامِ الطَّيْرِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَالرَّيْحِ وَالْمَلِكِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ وَزِيَادَةً أَمَّا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ فَتَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةَ الْحَجَرِ وَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَى وَهُوَ جَمَادٌ وَكَلِمَةَ ذِرَاعِ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ وَكَلِمَةَ الظَّبْيِ وَشَكَى إِلَيْهِ الْبَعِيرُ .

وَرُوِيَ أَنَّ طَيْرًا فُجِعَ بِوَلَدِهِ فَجَعَلَ يُرْفِرِفُ عَلَى رَأْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ أَيُّكُمْ فَجِعَ هَذَا بِوَلَدِهِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا فَقَالَ ازْدَدْ وَلَدَهُ ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقِصَّةُ كَلَامِ الذَّنْبِ مَشْهُورَةٌ . وَأَمَّا الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ تَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُرَاقَ الَّذِي هُوَ أَسْرَعُ مِنَ الرِّيحِ بَلْ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَحَمَلَهُ مِنَ الْقَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ فِي سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ وَأَقْلُ مَسَافَةٍ ذَلِكَ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ وَتِلْكَ مَسَافَةُ السَّمَوَاتِ وَأَمَّا إِلَى الْمُسْتَوَى وَإِلَى الرَّفْرِفِ فَذَلِكَ مَا لَا يَغْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَأَيْضًا فَالرِّيحُ سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ لِتَحْمِلَهُ إِلَى نَوَاحِي الْأَرْضِ وَتَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُوَيْتَ لَهُ الْأَرْضُ أَيُّ جُمِعَتْ حَتَّى رَأَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْأَرْضِ وَبَيْنَ مَنْ تَسْعَى لَهُ الْأَرْضُ .

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنْ تَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ شَيْطَانًا اغْتَرَضَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَأَمَكَّتَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَخَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ ذَلِكَ إِيْمَانُ الْجِنِّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَمَّا عَدُ الْجِنِّ مِنْ جُنُودِ سُلَيْمَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [النحل : ١٧] فَخَيْرٌ مِنْهُ عَدُ الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِاِغْتِيَابِ الْجِهَادِ بِاِغْتِيَابِ تَكْثِيرِ السَّوَادِ عَلَى طَرِيقِ الْأَجْنَادِ . وَأَمَّا عَدُ الطَّيْرِ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ فَأَعْجَبُ مِنْهُ حَمَامَةُ الْعَارِ وَتَوَكُّيرُهَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ جَمَائِئِهَا لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَالْعَرَضُ مِنْ اسْتِكْتَارِ الْجُنْدِ إِنَّمَا هُوَ الْحِمَايَةُ وَقَدْ حَصَلَتْ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ .

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْمَلِكِ فَتَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا . وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِخْيَاءِ الْمَوْتَى فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَدَّ الْغَيْنِ إِلَى مَكَانِهَا بَعْدَ مَا سَقَطَتْ فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ . وَفِي دَلَائِلِ الثُّبُوتِ

لِنَبِيَّهِ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُوْمِنُ بِكَ حَتَّى تُخَيِّرَ لِي ابْنَتِي فَأَتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَرَّهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَدِيثُ وَقَدْ سَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَنَّ الْجِدْعُ لِفِرَاقِهِ وَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ تَكْلِيمِ الْمَوْتَى لِأَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسٍ مَا لَا يَتَكَلَّمُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عَيْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَا يُخْفِيهِ النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى وَسَيَأْتِي مِنْهُ مَا يَكْفِي وَيَشْفِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عَيْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَزَادَ فِي التَّرْقِي لِمَزِيدِ الدَّرَجَاتِ وَسَمَاعِ الْمُنَاجَاةِ وَالْحُطُوبَةِ فِي الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَشَاهِدَاتِ. وَقَدْ حُصِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَصَائِصِ التَّكْرِيمِ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ رَوَى جَابِرٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أُعْطِيتُ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأَجَلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ وَلَمْ تَجُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَبَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ كَانَ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُعْطِيتُ الشُّفَاعَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأُعْطِيتُ الشُّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَيْتَمَ بِي النَّبِيِّونَ. وَفِي حَدِيثِ آخَرَ لِمُسْلِمٍ زِيَادَةٌ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حُرَيْمَةَ وَالنَّسَائِيِّ زِيَادَةٌ وَأُعْطِيتُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كُنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ يُشِيرُ إِلَى مَا حَطَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أُمَّتِهِ مِنَ الْإِضْرِ وَتَحْمِيلِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَرَفْعِ الْخَطَا وَالنُّسْيَانِ وَمَعْنَى الرِّضْرِ الْأَمْرُ الثَّقِيلُ، وَفِي حَدِيثِ لِأَحْمَدَ زِيَادَةٌ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَّمِ.

وَعِنْدَ الْبَزَّازِ زِيَادَةٌ غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِي وَمَا تَأَخَّرَ وَأُعْطِيتُ الْكُوْنُزَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ لَصَاحِبُ لِيوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُوْتَهُ. وَلَهُ أَيْضًا زِيَادَةٌ كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَيُمْجَنُّ أَنْ يُوجَدَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أَمَعَنَّ التَّتَبُّعُ. وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ شَرْفِ الْمُصْطَفَى أَنَّ عَدَدَ الَّذِي حُصِّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّونَ خَصْلَةً. وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مُعْجَزَةٍ وَخَصِيصِيَّةٍ.

أَمَّا خَصَائِصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لِيَكُونَ أَجْرُهُ بِهَا أَعْظَمَ: فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُجُوبِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَالْوَيْتْرِ، وَرَكَعَتَيْ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَالسُّوَالِكِ، وَالْأَضْحِيَّةِ، وَالْمُشَاوَرَةِ، وَمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ إِذَا رَأَهُ وَلَا يَسْقُطُ بِالْخَوْفِ، وَقَضَاءِ دَيْنٍ مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا مُعْسِرًا، وَتَخْيِيرِ نِسَائِهِ فِي فِرَاقِهِ وَإِمْسَاكِهِنَّ بَعْدَ أَنْ اخْتَرْتَهُ وَتَرَكَ التَّزْوِجَ عَلَيْهِنَّ وَالتَّبْدُلَ بِهِنَّ مُكَافَأَةً لَهُنَّ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ لِتَكُونَ الْمِئْتَةُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِنَّ، وَإِتْمَامِ كُلِّ تَطَوُّعٍ شَرَعَ فِيهِ، وَلِزُومِ آدَاءِ فَرَضِ الصَّلَاةِ بِلاَ خَلَلٍ لَا يُبْطِلُهَا، وَعَدَمِ سُقُوطِ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنِ الدُّنْيَا حَالَةَ الرُّوحِيِّ، وَاسْتِغْفَارِهِ اللَّهُ سَبْعِينَ مَرَّةً حِينَمَا كَانَ يُعَانُ عَلَى قَلْبِهِ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ وَالْمَرَادُ بِهَذَا الْعَيْنِ عَلَى الْقَلْبِ سَهْوُهُ عَنْ مَدَاوِمَةِ الذِّكْرِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ بِمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مُقَاسَاةِ الْبَشَرِ وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي فَقَالَ لِي يَا مُبَارَكُ ذَلِكَ غَيْنُ الْأَنْوَارِ لَا غَيْنُ الْأَغْيَارِ. (الْقِسْمُ الثَّانِي) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَحْرِيمِ الزُّكَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَتَحْرِيمِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَهُ رَائِحَةً كَرِهِيَّةً كَتُومٍ وَبَصَلٍ لِتَوَقُّعِ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ، وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ مُتَّكِنًا، وَتَحْرِيمِ الْكِتَابَةِ وَالشُّعْرِ أَيْ التَّوَصُّلِ إِلَيْهِمَا، وَتَحْرِيمِ نَزْعِ لَأَمْتِهِ أَيْ آلِهِ حَرْبِهِ إِذَا لَبَسَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ، وَتَحْرِيمِ الْمَنِّ لِيَسْتَكْثِرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْثِرُنَّ﴾ [المدثر: ٦] أَيْ لَا تُعْطِ شَيْئًا لِتُعْطَى أَكْثَرَ مِنْهُ بَلْ أَعْطِ لِزُبُكٍ وَأَقْصِدْ بِهِ وَجْهَهُ، وَتَحْرِيمِ مَدِّ الْعَيْنِ إِلَى مَا مُتَّعَ بِهِ النَّاسُ اسْتِحْسَانًا لَهُ وَتَمَنِّيًّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُهُ، وَتَحْرِيمِ خَائِنَةِ الْأَعْمِينَ وَهِيَ الْإِيمَاءُ إِلَى مُبَاحِ مِنْ قَتْلٍ أَوْ ضَرْبٍ عَلَى خِلَافِ مَا يُشْعِرُ بِهِ الْحَالُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ مَنْ لَمْ تَهَاجِرْ، وَتَحْرِيمِ إِمْسَاكِ مَنْ كَرِهْتَهُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْكِتَابِيِّ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الْإِغَارَةِ إِذَا سَمِعَ التَّكْبِيرَ. (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ وَمُعْظَمُهَا لَمْ يَفْعَلْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِبَاحَةِ الْمُكْتَبِ فِي الْمَسْجِدِ جُثْبًا، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَقِصُ وَضُوءُهُ بِالنُّومِ مُضْطَجِعًا، وَنِكَاحِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَالنِّكَاحِ لِي حَالِ الْإِحْرَامِ.

وَالنِّكَاحِ بَعِيرِ رِضَا الْمَرْأَةِ فَلَوْ رَغِبَ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ خَلِيَّةٍ لَرِمَهَا الْإِجَابَةُ وَحَرَّمَ عَلَيَّ
غَيْرِهِ خِطْبَتَهَا، وَالنِّكَاحِ بِلَا وِلِيِّ وَلَا شُهُودٍ، وَجَعَلِيهِ عِثْقَ أُمَّتِي صَدَاقَهَا، وَجِلِّ الْجَمْعِ
بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتَيْهَا وَخَالَتَيْهَا وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَضْطَفِي مَا شَاءَ مِنَ الْمَغْنَمِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مِنْ جَارِيَةٍ
وَعَيْرِهَا، وَالْقِتَالِ بِمَكَّةَ وَالْقَتْلِ بِهَا، وَجَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، وَأَنَّهُ يَقْضِي بِعِلْمِهِ
وَيَقْضِي لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَيَشْهَدُ لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَلَا يُكْرَهُ لَهُ الْفِتْوَى وَالْقَضَاءُ فِي حَالِ الْعَضْبِ
لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ فِي الْعَضْبِ إِلَّا كَمَا يَقُولُ فِي الرِّضَا، وَأَنَّهُ يَدْعُو لِمَنْ شَاءَ بِلَفْظِ الصَّلَاةِ وَلَيْسَ
لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ إِلَّا عَلَى نَبِيِّ أَوْ مَلَكٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ الْأَرْضَ قَبْلَ فَتْحِهَا
لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَكُهُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَأَفْتَى الْعِرَاقِيَّ بِكُفْرِ مَنْ عَارَضَ أَوْلَادَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ فِيمَا
أَقْطَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَطِّعُ أَرْضَ الْجَعْفَةِ
فَأَرْضَ الدُّنْيَا أَوْلَى. (الْقِسْمُ الرَّابِعُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقَضَائِلِ
وَالكِرَامَاتِ اخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقًا، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ
وَالْجَسَدِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى يَوْمَ السَّبْتِ
بِرَبِّكُمْ رَوَاهُ الْقَطَّانُ، وَأَنَّ آدَمَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقُوا لِأَجْلِهِ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ وَعَيْرُهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَّمَاءٍ وَعَلَى الْجَنَانِ وَمَا
فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ
وَيَنْصُرُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] وَأَنَّهُ وَقَعَ التَّبَشِيرُ بِهِ
فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي نَسَبِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ وَعَيْرُهُ، وَأَنَّهُ
نُكِّسَتِ الْأَضْنَامُ لِمَوْلِدِهِ رَوَاهُ الْخَرَائِطِيُّ وَعَيْرُهُ، وَأَنَّهُ وُلِدَ مَخْشُونًا مَقْطُوعِ السُّرَّةِ رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ، وَأَنَّهُ خَرَجَ نَظِيفًا مَا بِهِ قَدْرٌ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا رَافِعًا
إِضْبَعِيهِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهَلِ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ، وَأَنَّهُ رَأَتْ أُمُّهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءٌ لَهُ
قُصُورُ الشَّامِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَنَّ مَهْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ ذَكَرَهُ ابْنُ سَبْعٍ فِي
الْخَصَائِصِ، وَأَنَّ الْقَمَرَ كَانَ يُحَدِّثُهُ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ وَيَمِيلُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ رَوَاهُ صَاحِبُ الطُّطْقِ
الْمَفْهُومِ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ رَوَاهُ الْوَائِقِدِيُّ وَعَيْرُهُ، وَأَنَّهُ ظَلَّلَتْهُ الْعِمَامَةُ فِي الْحَرِّ رَوَاهُ أَبُو
نَعِيمٍ وَعَيْرُهُ، وَأَنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ فِيءُ الشَّجَرَةِ إِذْ سَبَقَ إِلَيْهِ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ، وَأَنَّهُ شَقَّ صَدْرَهُ الشَّرِيفُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَطَّهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ ثَلَاثَ عَطَّاتٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ عَضْوًا عَضْوًا فَذَكَرَ قَلْبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] وَقَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣] وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَى﴾ [النجم: ١٧] وَوَجْهَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وَيَدَّهُ وَعُنُقَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وَظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وَأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنْ اسْمِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ
فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
وَأَنَّهُ سُمِّيَ أَحْمَدًا وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبِيتُ جَائِعًا وَيُضْبِحُ طَاعِمًا يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيَسْقِيهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى مَنْ خَلَفَهُ كَمَا يَرَى مَنْ أَمَامَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي اللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ وَالضُّوءِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يُغَذِّبُ الْمَاءَ الْمِلْحَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يَجْزِي الرُّضِيعَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا مَشَى فِي الصُّخْرِ غَاصَتْ قَدَمَاهُ فِيهِ، وَأَنَّ إِبْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَعَرَ عَلَيْهِ قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَكَانَ أَبْيَضَ غَيْرَ مُتَغَيِّرِ اللَّوْنِ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صَوْتُهُ وَسَمْعُهُ مَا لَا يَبْلُغُ صَوْتُ غَيْرِهِ وَلَا سَمْعُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَنَّهُ مَا تَنَاءَبَ قَطُّ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ وَأَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ مَا تَنَاءَبَ نَبِيِّ قَطُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اخْتَلَمَ قَطُّ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَأَنَّ عَرَفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوِيلِ طَالَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا رُيِّيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ لِأَنَّهُ نُورٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلَى نِيَابِهِ ذُبَابٌ قَطُّ، وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ، قَالَهُمَا الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَأَنَّهُ مَا آذَاهُ الْقَمَلُ قَالَهُ ابْنُ سَبْعٍ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّ الْكَهَنَةَ انْقَطَعُوا عِنْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا انْقَطَعَ اسْتِرَاقُ السَّمْعِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِالْبَرَاقِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا قَيْلٌ وَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْكَبُهُ عُرْيَانًا، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعُرِجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ

حَتَّى مَا زَاعَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى وَأَخْضَرَ الْأَنْبِيَاءَ لَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّى بِهِمْ
وَبِالْمَلَائِكَةِ إِمَامًا وَأَطْلَعَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَنَّه رَأَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَيْنَيْهِ وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْكَلَامِ
وَالرُّؤْيَى وَكَلَّمَهُ تَعَالَى فِي الرَّقِيعِ الْأَعْلَى وَكَلَّمَ مُوسَى بِالْجَبَلِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ
سَارَ يَمْشُونَ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَقَاتَلَتْ مَعَهُ كَمَا مَرَّ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَأَنَّه يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
نُصَلِّيَ وَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
[الأحزاب: ٥٦] وَأَنَّه أُوتِيَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَفْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ،
وَأَنَّ اللَّهَ حَفِظَ كِتَابَهُ الْمُنزَّلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّخْرِيفِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا
نَخُنُّ نَزْلَنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أَي مِنَ التَّخْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ فَلَوْ
خَافَ أَنْ يُغَيَّرَ بِحَرْفٍ أَوْ نَقْطَةٍ لَقَالَ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا هَذَا كَذَابٌ حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ الْمُهَيْبَ لَو
اتَّفَقَ لَهُ تَغْيِيرٌ فِي حَرْفٍ مِنْهُ لَقَالَ الصُّبْيَانُ كُلُّهُمْ أَخْطَأَتْ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَصَوَابُهُ كَذَا وَلَمْ يَتَّفَقْ
ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَإِنَّهُ لَا كِتَابَ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ التَّضْحِيفُ وَالتَّخْرِيفُ وَالتَّغْيِيرُ سِوَاهُ فَمَعَ أَنْ
دَوَاعِي الْمُلْحِدَةِ وَالتَّيْهُودِ وَالتَّصَارِي مُتَوَفِّرَةٌ عَلَى إِنْطَالِهِ وَإِفْسَادِهِ، وَأَنَّ كِتَابَهُ يَشْتَمَلُ عَلَى مَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ، وَأَنَّه تَعَالَى يَسِّرُ حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] فَحِفْظُهُ مُيسَّرٌ لِلْعُلَمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَسَائِرِ الْأُمَمِ لَا
يَحْفَظُ كُتُبَهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْجَمِّ الْعَفِيرِ.

وَأَنَّه أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ تَسْهِيلاً عَلَيْنَا وَتَيْسيراً، وَأَنَّه آيَةٌ بَاقِيَةٌ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأَنَّه
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خُصَّ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَبِالْمُفْصَلِ وَبِالْمَثَانِي وَبِالسَّبْعِ الطُّوَالِ أَمَّا الْمُفْصَلُ
فَأَخْرَجَهُ قُلُوبُ الْعُودِ بِرَبِّ النَّاسِ وَفِي أَوَّلِهِ خِلَافٌ وَرَجْعٌ النَّوِيُّ أَنَّهُ سُورَةُ الْحُجْرَاتِ وَالْمَثَانِي
هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالسَّبْعِ الطُّوَالِ أَوَّلُهَا الْبَقْرَةُ وَأَخْرَجَهَا
الْأَنْفَالُ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ قَالَ بَعْضُهُمْ وَهِيَ خَزَائِنُ أَجْناسِ
الْعَالَمِ لِيُخْرِجَ لَهُمْ بِقَدْرِ مَا يَطْلُبُونَهُ لِذَوَاتِهِمْ فَكُلُّ مَا ظَهَرَ مِنْ رِزْقِ الْعَالَمِ فَإِنَّ الْأَسْمَ الْإِلَهِيَّ لَا
يُعْطِيهِ إِلَّا عَنْ يَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَفَاتِيحُ كَمَا اخْتَصَّ تَعَالَى بِمَفَاتِيحِ
الْعَيْبِ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى هَذَا السَّيِّدَ الْكَرِيمَ مَثْرَلَةَ الْأَخْتِصَاصِ بِإِعْطَائِهِ مَفَاتِيحِ
الْخَزَائِنِ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ
إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ كَانَ
النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَفِي رِوَايَةٍ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَنَضْرِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَإِخْلَالَ الْعَنَائِمِ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ لَهُ وَلَائِمَتِهِ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَنَّ مُعْجَزَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمُعْجَزَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ لِوَفْتِهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَمْ تَزَلْ حُجَّتُهُ قَاهِرَةً وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ مُعْجَزَةً.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ شَرْعَهُ مُؤَيَّدٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَتَأْسِخُ لِجَمِيعِ شَرَائِعِ النَّبِيِّينَ. وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَدْرَكَهُ الْأَنْبِيَاءُ لَوَجِبَ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْجِنِّ اتِّفَاقًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي إِخْدَى الْقَوْلَيْنِ وَرَجَّحَهُ السُّبْحِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ يَا آدَمُ يَا نُوحَ يَا إِبْرَاهِيمَ يَا دَاوُدَ يَا زَكَرِيَّا يَا يَحْيَى يَا عِيسَى وَلَمْ يُخَاطَبْهُ هُوَ فِيهِ إِلَّا بِمَا أَيْهَا الرُّسُولُ يَا أَيْهَا النَّبِيُّ يَا أَيْهَا الْمُرْمَلُ يَا أَيْهَا الْمُدْتَرُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ نِدَاؤَهُ بِاسْمِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] أَيْ لَا تَجْعَلُوا نِدَاءَهُ وَتَسْمِيَّتَهُ كِنِدَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا بِاسْمِهِ وَرَفَعَ الصَّوْتِ وَلَكِنْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَضُّعِ وَخَفَضِ الصَّوْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ الْجَهْرُ لَهُ بِالْقَوْلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢٢]، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ نِدَاؤُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم﴾ [الحجرات: ٤]، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخَلَّةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ عَلَى رَسُولِيهِ وَبِحَيَاتِهِ وَبِئْتِدَائِهِ وَعَضْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا يَجْمَعُ أَصْنَافَ الْوَحْيِ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَطَ عَلَيْهِ إِسْرَافِيلُ وَلَمْ يَهْبِطْ عَلَى نَبِيِّ قَبْلَهُ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَيَّ نَبِيٌّ قَبْلِي وَلَا يَهْبِطُ عَلَيَّ أَحَدٌ بَعْدِي وَهُوَ إِسْرَافِيلُ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَمْرِي أَنْ أَخِيرَكَ إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا فَتَنْظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ فَأَوْتَمَّ إِلَيَّ

أَنْ تَوَاضَعَ فَلَوْ أَنِّي قُلْتُ نَبِيًّا مَلِكًا لَصَارَتِ الْجِبَالُ مَعِيَ دَهَبًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ
وَلَدِ آدَمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلْفَظٍ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فُخْرَ وَبِيَدِي
لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فُخْرَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٤].

قَالَ الْبَيْضاوِيُّ جَمِيعَ مَا فَرَطَ مِنْكَ وَمِمَّا يَصِحُّ أَنْ تُعَاتَبَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمَ قَرِينُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ
الْخَطَأُ وَلَا النَّسِيَانُ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أَيْ
هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ حَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً.

وَأَنَّهُ يَحْرُمُ رُؤْيَةَ أَشْخَاصِ أَزْوَاجِهِ فِي الْأُزْرِ وَكَذَا كَشْفُ وُجُوهِهِمْ وَأَكْفُهُنَّ لِلشَّهَادَةِ
وَعَظِيمًا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَسَمَ عَلَى اللَّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ أَوْلَادَ بَنَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي الْحَسَنِ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَأَنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبَهُ
وَنَسَبَهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي وَالنَّسَبُ
بِالْوِلَادَةِ وَالسَّبَبُ بِالزَّوْجِ.

وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّزْوُجُ عَلَى بَنَاتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ وَأَذِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَامٌ
بِالِاتِّفَاقِ فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حَظَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ
بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاصِحٌ ابْنَةُ أَبِي جَهْلٍ قَالَ الْمِسْوَرُ
فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ قَالَ أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ
الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا
تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا قَالَ فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ أَخْرَجَهُ
الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةٍ لُهُمَا عَنِ الْمِسْوَرِ أَيْضًا فَإِنَّ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا
آذَاهَا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَهِدُ أَحَدٌ فِي مِخْرَابِ صَلَّى إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ رَأَاهُ بِالْمَنَامِ فَقَدْ رَأَاهُ حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ

بِهِ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيْرَانِي فِي الْيَقْظَةِ أَوْ فَكَأَنَّمَا رَأَى فِي الْيَقْظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي قَتَادَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ وَلَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِي ، وَأَنَّ التَّسْمِيَّ بِاسْمِهِ نَافِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولَانِ رَبَّنَا بِمِ اسْتَأْهَلْنَا الْجَنَّةَ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلًا تُجَازِينَا بِهِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ادْخُلَا الْجَنَّةَ فَإِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَلَا مُحَمَّدٌ . وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ نُبَيْطِ بْنِ شَرِيْطٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَعْدَبُ أَحَدًا تَسْمَى بِاسْمِكَ فِي النَّارِ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِلَّا قَدَسَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدِّينَلِيُّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكُنْيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ سِوَاءَ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا أَمْ لَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَجَوَازُهُ مَالِكٌ . وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ لِقِرَاءَةِ حَدِيثِهِ وَالتَّطْيِيبُ وَلَا تُزْفَعُ عِنْدَهُ الْأَضْوَاءُ بَلْ تُخْفَضُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّ كَلَامَهُ الْمَأْتُورَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الرُّفْعَةِ مِثْلُ كَلَامِهِ الْمَسْمُوعِ مِنْ لَفْظِهِ الشَّرِيفِ وَأَنْ يُقْرَأَ عَلَى مَكَانٍ مُزْتَفِعٍ قَالَ مُطَرِّفٌ كَانَ النَّاسُ إِذَا أَتَوْا مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ خَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الْجَارِيَةُ فَتَقُولُ لَهُمْ يَقُولُ لَكُمْ الشَّيْخُ تُرِيدُونَ الْحَدِيثَ أَوْ الْمَسَائِلَ فَإِنْ قَالُوا الْمَسَائِلَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَقْتِ وَإِنْ قَالُوا الْحَدِيثَ دَخَلَ مُغْتَسِلُهُ فَاغْتَسَلَ وَتَطْيَبَ وَلَيْسَ يُتَابَا جُدَدًا وَتَعَمَّمَ وَلَيْسَ سَاجِدًا وَالسَّاجُ الطُّبْلَسَانُ وَتُلْقَى لَهُ مِنْصَةٌ فَيَخْرُجُ يَجْلِسُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْخُشُوعُ .

وَلَا يَزَالُ يُبَخَّرُ بِالْعُودِ حَتَّى يَقْرُعَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ عَلَى تِلْكَ الْمِنْصَةِ إِلَّا إِذَا حَدَّثَ قَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَحِبُّ أَنْ أُعْظَمَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أُحَدَّثَ بِهِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مُتَمَكِّنًا وَيُقَالُ إِنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَدْ كَرِهَ قَتَادَةُ وَمَالِكٌ وَجَمَاعَةٌ التَّحْدِيثَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ حَتَّى كَانَ الْأَعْمَشُ إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِهَا تَبَيَّمَهُ وَلَا شَكَّ أَنَّ حُرْمَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَعِنْدَ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسَيْرَتِهِ كَمَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ

وَيَكْرَهُ لِقَارِيءٍ حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ لِأَحَدٍ وَحَسْبُكَ مَا وَقَعَ لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي لَسَعِ الْعَقْرَبِ لَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَهُوَ لَمْ يَتَحَرَّكَ وَتَحَمَّلِهِ لِلْسَعِهَا تَوْفِيرًا لِجَنَابِ حَدِيثِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ تَثَبَّتْ الصُّحْبَةُ لِمَنْ اجْتَمَعَ بِهِ لِحِظَةِ بِخِلَافِ التَّابِعِيِّ مَعَ الصُّحَابِيِّ فَلَا تَثَبَّتْ إِلَّا بِطَوْلِ الْأَجْتِمَاعِ مَعَهُ عَلَى الصَّحِيحِ عِنْدَ أَهْلِ الْأُصُولِ وَالْفَرْقُ عَظُمَ مَنْصِبِ النُّبُوَّةِ وَتَوَرَّهَا فِيمَجْرَدِ مَا يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ الْجَلْفِ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ عُدُولٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى خِطَابًا لِلْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أَيُّ عُدُولًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ الْمُصَلِّيَّ يُخَاطَبُهُ بِقَوْلِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَلَا يُخَاطَبُ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ عَلَى مَنْ دَعَاهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُجِيبَهُ، وَأَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ لَيْسَ كَالْكَذِبِ عَلَى غَيْرِهِ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ لَمْ تُقْبَلْ رُؤْيَاؤُهُ أَبَدًا وَإِنْ تَابَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْضُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا عِنْدَهَا وَسَهْوِهَا كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْجُنُونُ وَلَا الْإِغْمَاءُ الطَّوِيلُ الزَّمَنِ وَلَا الْعَمَى لِأَنَّهَا تَقْصُرُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُ أَوْ انْتَقَصَهُ قُتِلَ ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشُّفَاءِ وَغَيْرُهُ وَاسْتَدَلُّوا لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

وَقَالَ الْحَطَّابِيُّ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفَ فِي وُجُوبِ قَتْلِهِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا وَمَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ يُقْتَلُ حَدًّا لَا رِدَّةَ وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلَا عُذْرُهُ إِنْ ادَّعَى سَهْوًا أَوْ غَلَطًا وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ رِدَّةٌ تُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ كَافِرٌ قَطْعًا لَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْجَمْهُورِ مِنْ أُمَّتِنَا وَالْمُرْتَدُّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَحْكَامِ كَجَعْلِهِ شَهَادَةَ خُرَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ فَعَنِ الثُّعْمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ أَعْرَابِيٍّ قَرَسًا فَجَعَلَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَجَاءَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِيُّ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ بَغْتَةٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ إِنْ شَهِدَ عَلَيَّ خُرَيْمَةُ فَأَعْطِنِي الثَّمَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا خُرَيْمَةُ إِنَّا لَمْ نَشْهَدْكَ كَيْفَ تَشْهَدُ قَالَ أَنَا أَصْدُقُكَ عَلَى خَيْرِ السَّمَاءِ أَلَا أَصْدُقُكَ عَلَى خَيْرِ ذَا الْأَعْرَابِيِّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْدِلُ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ تَغْدِلُ شَهَادَتَهُ
شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ إِلَّا حُزِنِمَةُ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَرْخِيصُهُ فِي النَّيَاحَةِ لِأُمِّ عَطِيَّةٍ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ
﴿يُبَايِعُنَاكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] قَالَتْ
كَانَ مِنْهُ النَّيَاحَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا آلُ آلِ فَلَانَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا بُدَّ
لِي مِنْ أَنْ أَسْعِدَهُمْ فَقَالَ إِلَّا آلُ فَلَانَ. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْكُ الْإِخْدَادِ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَخْرَجَ
ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلَبِي ثَلَاثًا ثُمَّ اضْئِعِي مَا شِئْتِ وَقَوْلُهُ تَسْلَبِي أَيِ الْبَيْسِيِّ ثَوْبِ
الْجِدَادِ وَهُوَ السَّلَابُ وَتَسْلَبَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا لَبِسَتْهُ وَهُوَ ثَوْبٌ أَسْوَدٌ تَغْطِي بِهِ الْمُجِدُّ رَأْسَهَا
وَمِنْ ذَلِكَ الْأُضْحِيَّةُ بِالْعِنَاقِ لِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ. وَالْعِنَاقُ الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الْمَعِزِّ قَبْلَ
اسْتِكْمَالِهَا الْحَوْلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ إِنْكَاحُ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ امْرَأَةً عَلَى سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَقَالَ لَا تَكُونُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ مَهْرًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يُوعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ لِمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ وَالْوَعَكَ أَدَى الْحُمَى وَرَجَعَهَا فِي
الْبَدَنِ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي مَرَضِهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ
وَعِزُّهُ.

وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَلَّى عَلَيْهِ النَّاسُ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا بِغَيْرِ إِمَامٍ وَبِغَيْرِ دُعَاءِ الْجَنَازَةِ
الْمِعْرُوفِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَعِزُّهُ، وَتَرَكَ بِلَا دَفْنٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا سَيَأْتِي، وَفَرِشَ لَهُ فِي لَحْدِهِ
قَطِيفَةً وَالْأَمْرَانِ مَكْرُوهَانِ فِي حَقِّنَا، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ
لَا يَبْلَى جَسَدُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ وَعِزُّهُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورَثُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ لَا يُورَثُونَ لِمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ
مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعًا إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يُصَلِّي فِيهِ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِهَذَا قِيلَ لَا عِدَّةَ عَلَى أَزْوَاجِهِ وَقَدْ حَكَى ابْنُ التَّجَارِ وَعِزُّهُ أَنَّ
الْأَذَانَ تَرَكَ فِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَخَرَجَ النَّاسُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ
سَعِيدٌ فَاسْتَوْحَشْتُ فَدَنَوْتُ إِلَى الْقَبْرِ فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهُرُ سَمِعْتُ الْأَذَانَ فِي الْقَبْرِ فَصَلَّيْتُ

الظُّهْرَ ثُمَّ مَضَى ذَلِكَ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِي الْقَبْرِ لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْالٍ، وَأَنَّهُ
وَكُلَّ بِقَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكَ يُبَلِّغُهُ صَلَاةَ الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ
وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ بِلَفْظٍ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ وَعِنْدَ
الْأَضْبَهَانِيِّ عَنْ عَمَّارٍ إِنَّ لِلَّهِ مَلَكَأَ أُعْطَاهُ سَمْعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا
أُبَلِّغُهَا، وَأَنَّهُ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ
عُدْوَةً وَعَشِيَّةً فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّ مِنْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَوْضِهِ
كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَفِي رِوَايَةٍ وَمِنْبَرِي عَلَى تَرْعَةٍ مِنْ تَرْعِ الْجَنَّةِ وَأَصْلُ التَّرْعَةِ الرُّوْضَةُ عَلَى الْمَكَانِ
الْمُرْتَفِعِ خَاصَّةً فَإِنْ كَانَتْ فِي الْمُطْمَئِنِّ فَهِيَ رَوْضَةٌ. وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ عَلَى
ظَاهِرِهِ وَأَنَّهُ حَقٌّ مَحْسُوسٌ مَوْجُودٌ فَإِنَّ الْفُذْرَةَ صَالِحَةٌ لَا عَجْزَ فِيهَا وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ فَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَأَنَّ مَا بَيْنَ مِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظٍ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرَ.

وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ
يُفِيقُ مِنَ الصُّعْقَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَجُورُ عَلَى الصُّرَاطِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُحْشَرُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا رَوَى عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ
سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكَ يُحْفُونَ بِقَبْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا
عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكَ حَتَّى إِذَا انشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ
الْمَلَائِكَةِ يُوقِزُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ يُحْشَرُ رَاكِبَ الْبَرِاقِ رَوَاهُ الْحَافِظُ السَّلْفِيُّ، وَأَنَّهُ
يُكْسَى فِي الْمَوْقِفِ أَعْظَمَ الْحُلْلِ مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَرَوَاهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بِلَفْظٍ
يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةَ خَضِرَاءَ، وَأَنَّهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ
رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ قَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ جُلُوسُهُ عَلَى الْعَرْشِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ عَلَى الْكُرْسِيِّ ذَكَرَهُمَا الْبَعَوِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى

الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ حِينَ يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَطِّي الشَّفَاعَةَ فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَطِّي الشَّفَاعَةَ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ نَاسٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَهُ رَوَاهُ الْبَزَّازِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ .

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ أَنَّ اللَّهَ عَنهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ أَيْضًا قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْحَازِنُ بِكَ أَمِزْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِزِيَادَةٍ فِيهِ قَالَ فَيَقُومُ الْحَازِنُ فَيَقُولُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَلَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرِكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلْنِيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِهِ مَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَمِنْهَا الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ . (وَأَمَّا خَصَائِصُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَادَهَا شَرَفًا) فَاعْلَمْنَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْطَاهُمْ الْأَجْتِهَادَ فِي الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُونَ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي زَمَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ لَا يَحْكُمُ فِي الْعَالَمِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ تَابِعٌ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَذَلِكَ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِنُبُوَّةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ فَإِنَّهُ تَابِعٌ لِأَحْكَامِ هَذِهِ الْمِلَّةِ وَكَذَلِكَ إِيَّاسُ عَلَى مَا صَحَّحَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّهُ حَيٌّ أَيْضًا وَلَيْسَ فِي الرُّسُلِ مَنْ يَتَّبَعُهُ رَسُولٌ إِلَّا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَى بِهِذَا شَرَفًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ الشَّرِيفَةَ بِخَصَائِصٍ لَمْ يُؤْتِهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ أَبَانَ بِهَا فَضْلَهُمْ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ نَاطِقَةٌ بِذَلِكَ خَرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ التَّورَةُ وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَ يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَابِ أُمَّةً هُمْ الْأَخِرُونَ السَّابِقُونَ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَابِ أُمَّةً أَنَا جِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَفْرَعُونَ ظَاهِرًا فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي

قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفِيءَ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةٌ يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ يُؤَجِّرُونَ عَلَيْهَا فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةٌ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةٌ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ لَهُ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةٌ يُؤْتُونَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ فَيَقْتُلُونَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ أَحْمَدَ فَأَعْطِنِي عِنْدَ ذَلِكَ خَضَلَتَيْنِ.

فَقَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اضْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ قَالَ قَدْ رَضِيْتُ يَا رَبِّ. وَفِي كِتَابِ التَّنْطِيقِ الْمَفْهُومِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ فَهَلْ فِي الْأُمَّةِ أَكْرَمٌ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِي ظَلَلْتُ عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلْوَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ كَفَضْلِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ فَأَرِنِيهِمْ قَالَ لَنْ تَرَاهُمْ وَلَكِنْ أَسْمِعْكَ كَلَامَهُمْ فَنَادَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَلَاتِي عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَعَفْوِي سَبَقَ عَذَابِي اسْتَجَبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي فَمَنْ لَقِيْتَنِي مِنْكُمْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ غَفِرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَزَادَ اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُنَا﴾ أَيُّ أُمَّتِكَ حَتَّى أَسْمَعُنَا مُوسَى كَلَامَهُمْ وَفِي الْجِلْيَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِيْتَنِي وَهُوَ جَاحِدٌ بِأَحْمَدَ أَذْخَلْتُهُ النَّارَ قَالَ يَا رَبِّ وَمَنْ أَحْمَدُ قَالَ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنْ الْجَنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَيَّ جَمِيعِ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ وَأُمَّتُهُ قَالَ وَمَنْ أُمَّتُهُ قَالَ الْحَمَادُونَ يَحْمَدُونَ صُغُودًا وَهُبُوطًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْدُونَ أَوْسَاطَهُمْ وَيَطْهَرُونَ أَطْرَافَهُمْ صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ رَهْبَانٌ بِاللَّيْلِ أَقْبَلُ مِنْهُمْ الْيَسِيرَ وَأَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ اجْعَلْنِي نَبِيَّ تِلْكَ الْأُمَّةِ قَالَ نَبِيَّهَا مِنْهَا قَالَ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ ذَلِكَ النَّبِيُّ قَالَ اسْتَفْدَمْتُ وَاسْتَأْخَرَ وَلَكِنْ سَأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي دَارِ الْعَجَلَانِ.

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ شَغِيًا إِنِّي بَاعْتُ نَبِيًّا أَمِيًّا أَفْتَحُ بِهِ آدَانَا صُغًا وَقُلُوبَنَا غُلْفًا وَأَعْيُنًا غَمِيًّا مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ طَنِيْبَهُ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ عَبْدِي الْمُتَوَكَّلِ

الْمُضْطَفَى الْمَرْفُوعِ الْحَبِيبِ الْمُتَّخَبِ الْمُخْتَارِ لَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ رَجِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ يَبْكِي لِلْبَهِيمَةِ الْمُثْقَلَةِ وَاللَّيْتِيمِ فِي حَجَرِ الْأَزْمَلَةِ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِظٍ وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلٍ لِلْحَنَا لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ السَّرَاجِ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكَبَتِهِ وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ الرَّغْرَاعِ أَيِ الطُّوبِيلِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ أَبَعْتُهُ مُبَشِّرًا وَتَلْدِيرًا إِلَى أَنْ قَالَ وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْحِيدًا لِي وَإِيمَانًا بِي وَإِخْلَاصًا لِي وَتَضَدِيقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي وَهُمْ رِعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ طُوبَى لَيْتِكَ الْقَلُوبِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخْلَصْتَ لِي أَلْهَمُهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمَتَقَلَّبِهِمْ وَمَتَوَاهُمِ وَيَصْفُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَمَا تَصَفُّ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ عَرْشِي هُمْ أَوْلِيَائِي وَأَنْصَارِي أَنْتَقِمُ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَقُعُودًا وَرُكُوعًا وَسُجُودًا وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَلُوقًا وَيَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا أَخْتِمُ بِكِتَابِهِمُ الْكُتُبَ وَبِشَرِيْعَتِهِمُ الشَّرَائِعَ وَبِدِينِهِمُ الْأَدْيَانَ فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ .

فَلَمْ يُؤْمِنَ بِكِتَابِهِمْ وَيَدْخُلَ فِي دِينِهِمْ وَشَرِيْعَتِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ وَأَجْعَلُهُمْ أَفْضَلَ الْأُمَّمِ وَأَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَسَطًا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إِذَا غَضِبُوا هَلَّلُونِي وَإِذَا تَنَازَعُوا سَبَّحُونِي يُطَهَّرُونَ الْوُجُوهَ وَالْأَطْرَافَ وَيَشْدُونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ وَيَهْلَلُونَ عَلَى الثَّلَاكِ وَالْأَشْرَافِ قُرْبَانِيهِمْ دِمَاؤُهُمْ وَأَنَاجِيْلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ رُهْبَانًا بِاللَّيْلِ لِيُوْتَا بِالنَّهَارِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَعَلَى دِينِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ وَشَرِيْعَتِهِمْ وَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ . وَمِنْ خَصَائِصِهَا الْجُمُعَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ الْأَخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْأُمَّةِ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعَ الْيَهُودُ عَدَا وَالتَّصَارِي بَعْدَ عَدِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ الْإِضْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أَي وَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا كُتِفُوا بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ كَتَعْيِينِ الْقِصَاصِ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا وَقَطْعِ الْأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ وَقَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُضِيحُ قَدْ كُتِبَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ أَنْ كَفَّارَتُهُ أَنْ تَنْزِعَ عَيْنَيْكَ فَيَنْزِعُهُمَا وَأَضِلُّ الْإِضْرَ الثَّقْلَ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ أَي يَخْبِسُهُ مِنَ الْخَرَائِكِ لِثِقَلِهِ .

وَمِنْهَا أَنْ اللَّهَ أَحَلَّ لَهُمْ كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أَيْ ضَيْقٍ بِتَكْلِيفٍ مَا اشْتَدَّ الْقِيَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ الْحَرَجُ مَا كَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْإِضْرِ وَالشَّدَائِدِ وَضَعَهُ اللَّهُ عَنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْهَا أَنْ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ الْمُواخَذَةَ بِالْخَطَا وَالنُّسْيَانِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ وَحَدِيثِ النَّفْسِ وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا نَسُوا شَيْئًا مِمَّا أَمُرُوا بِهِ أَوْ أَخْطَوْا عَجَلَتْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ الذَّنْبِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنُّسْيَانِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَمِنْهَا أَنْ الْإِسْلَامَ وَضَفَّ خَاصًّا بِهِمْ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَمِنْهَا أَنْ شَرِيعَتَهُمْ أَكْمَلُ مِنْ جَمِيعِ شَرَائِعِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَهَذَا مِمَّا لَا يُحْتَاجُ لِبَيَانِهِ لِيُوضَّحَ وَأَنْظَرَ إِلَى شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ كَانَتْ شَرِيعَةً جَلَالًا وَقَهْرًا أَمَرُوا بِقَتْلِ نُفُوسِهِمْ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ وَذَوَاتُ الطُّفْرِ وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْعَنَائِمُ وَعَجَّلَ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مَا عَجَّلَ وَحَمَلُوا مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ مَا لَمْ يَحْمِلْهُ غَيْرُهُمْ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى هَيْبَةً وَقَارًا وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا وَغَضَبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَبَطْشًا بِأَعْدَاءِ اللَّهِ فَكَانَ لَا يُسْتَطَاعُ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي مَظْهَرِ الْجَمَالِ وَكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةً فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَكَانَ لَا يُقَاتِلُ وَلَا يُحَارِبُ وَلَيْسَ فِي شَرِيعَتِهِ قِتَالُ الْبُتَّةِ وَالنُّصَارَى يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمُ الْقِتَالَ وَهُمْ بِهِ عُصَاةٌ فَإِنَّ الْإِنْجِيلَ يَأْمُرُ فِيهِ بِقَوْلِهِ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ خَدِّكَ الْأَيْسَرَ وَمَنْ نَازَعَكَ ثَوْبَكَ فَأَعْطِهِ رِذَاءَكَ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً فَأَمْسِ مَعَهُ مِئَلَيْنِ وَنَحْوَ هَذَا.

وَأَمَّا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مَظْهَرَ الْكَمَالِ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّدَّةِ فِي اللَّهِ وَاللَّيْنِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ فَشَرِيعَتُهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَمْتُهُ أَكْمَلُ الْأُمَمِ وَأَحْوَالُهُمْ وَمَقَامَاتُهُمْ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَلِذَلِكَ تَأْتِي شَرِيعَتُهُ بِالْعَدْلِ فَرَضًا بِالْفَضْلِ نَدْبًا وَبِالشَّدَّةِ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ وَبِاللَّيْنِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ فَيَذْكُرُ الظُّلْمَ وَيُحَرِّمُهُ وَالْعَدْلَ وَيَأْمُرُ بِهِ وَالْفَضْلَ وَيَنْدُبُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فَهَذَا عَدْلٌ ﴿فَمَنْ عَفَا

وَأَضْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴿ [الشورى: ٤٠] فَهَذَا فَضْلٌ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] فَهَذَا تَنْحَرِيمٌ لِلظُّلْمِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] هَذَا إِجَابٌ لِلْعَدْلِ وَتَنْحَرِيمٌ لِلظُّلْمِ ﴿وَلِئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] نَذِبَ إِلَى الْفَضْلِ وَكَذَلِكَ تَنْحَرِيمٌ مَا حُرِّمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ صِيَانَةٌ وَحِمِيَّةٌ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كُلَّ خَيْبٍ وَضَارٍّ وَأَحْلَى لَهُمْ كُلَّ طَيِّبٍ وَنَافِعٍ فَتَنْحَرِيمُهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ لَمْ يَحُلْ مِنْ عُقُوبَةٍ وَهَدَاهُمْ لِمَا ضَلَّتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ قَبْلَهُمْ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَكَمَّلَ لَهُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْأُمَّةِ كَمَا كَمَّلَ لِنَبِيِّهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كَمَا كَمَّلَ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ فِي شَرِيْعَتِهِ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ هُمُ الْمُجْتَبُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقَامَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الرُّسُلِ الشَّاهِدِينَ عَلَى أُمَّهِمْ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ فِي حَدِيثٍ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَمِنْهَا أَنَّ إِجْمَاعَهُمْ حُجَّةٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ وَكَانَ اخْتِلَافٌ مِنْ قَبْلَهُمْ عَذَابًا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَقْلُ الْأُمَّةِ عَمَلًا وَأَكْثَرُهُمْ أَجْرًا وَأَقْصَرُهُمْ أَعْمَارًا وَأَوْتُوا الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، وَأَنَّهُمْ أَجْرُ الْأُمَّةِ فَافْتَضَحَتْ الْأُمَّةُ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَفْتَضِحُوا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْإِسْنَادَ وَهُوَ خَصِيصَةٌ فَاصِلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسُنَّةٌ بِالْعَمَّةِ مِنَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ كُلِّهَا قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا إِسْنَادٌ إِثْمًا هُوَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَبَيْنَ مَا أَلْحَقُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْ غَيْرِ الثَّقَاةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الشَّرِيفَةُ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا بِنَبِيِّهَا إِثْمًا تَنْصُ الْحَدِيثَ عَنِ الثَّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ بِالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَنْتَاهِيَ أَخْبَارُهُمْ ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ الْبَحْثِ حَتَّى يَغْرِفُوا الْأَحْفَظَ فَالْأَحْفَظَ وَالْأَضْبَطَ فَالْأَضْبَطَ وَالْأَطْوَلَ مُجَالَسَةَ بِمَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقْصَرَ مُجَالَسَةَ ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يَهْدُبُوهُ مِنَ الْعَلَطِ وَالزَّلَلِ وَيَضْبُطُوا حُرُوقَهُ وَيَعْدُوهُ عَدَاً فَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ

اخْتَصُّوا فِي الْأَخِرَةِ بِأَنْهُمْ أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ مِنَ الْأُمَمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ وَأَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنِّي وَعَنْ أُمَّتِي وَلَا فَخْرَ.

وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمِنْهَا
أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الْمَوْقِفِ عَلَى مَكَانِ عَالٍ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ أَنَا
وَأُمَّتِي عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ
قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ بَلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَفِي رِوَايَةٍ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الْأُمَمِ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخَلَهَا وَحُرِّمَتِ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى
تَدْخُلَهَا أُمَّتِي، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّازُ، وَمِنْهَا أَنَّ نُورَهُمْ يَسْعَى
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَمِنْهَا أَنَّ لَهُمْ مَا سَعَوْا وَمَا يُسْعَى لَهُمْ وَلَيْسَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلَّا مَا سَعَى وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالْكَافِرِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَهُ مَا
سَعَى غَيْرُهُ وَذَكَرَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَطَّانِ الْعَسْقَلَانِيُّ أَنَّ وُضُوءَ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ
قَرِيبٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ هُوَ الصَّحِيحُ كَمَا تَنْفَعُهُ الصَّدَقَةُ وَالِدَعَاءُ وَالْأَسْتِغْفَارُ بِالْإِجْمَاعِ.

وَأَمَّا إِهْدَاءُ الْقِرَاءَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَكَى ابْنُ الْقَيْمِ أَنَّ مِنْ
الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ اسْتَحَبَّهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِيًّا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ
أَجْرِ كُلِّ مَنْ عَمِلَ خَيْرًا مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَضَلُّ فِيهِ. قَالَ الْمَرَاغِي فِي تَحْقِيقِ النَّصْرِ فَجَمِيعُ حَسَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالِهِمْ
الصَّالِحَةِ فِي صَحَائِفِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةٌ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَعَ مُضَاعَفَةٍ لَا
يَخْصُرُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ كُلَّ مُهْتَدٍ وَعَامِلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ وَيَتَجَدَّدُ لِشَيْخِهِ
مِثْلَ ذَلِكَ الْأَجْرِ وَلِشَيْخِ شَيْخِهِ مِثْلَهُ وَلِلشَّيْخِ الثَّلَاثِ أَرْبَعَةٌ وَلِلرَّابِعِ ثَمَانِيَّةٌ وَهَكَذَا تُضَعَّفُ كُلُّ
مَرْتَبَةٍ بِعَدَدِ الْأَجُورِ الْحَاصِلَةِ بَعْدَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَذَا تَعَلَّمَ تَفْصِيلَ السَّلَفِ
عَلَى الْخَلْفِ فَإِذَا فَرَضْتَ الْمَرَاتِبَ عَشْرَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَجْرِ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَإِذَا اهْتَدَى بِالْعَاشِرِ حَادِي عَشَرَ صَارَ أَجْرُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَيْنِ وَتَمَائِنَةً وَأَرْبَعِينَ وَهَكَذَا كُلَّمَا أَزْدَادَ وَاحِدٌ يَتَضَاعَفُ مَا كَانَ قَبْلَهُ
أَبَدًا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ ا هـ .

وَبِهَذَا يُجَابُ عَنِ اسْتِشْكَالِ دُعَاءِ الْقَارِيءِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِيَادَةِ الشَّرِيفِ مَعَ
الْعِلْمِ بِكَمَالِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الشَّرَفِ فَكَأَنَّ الدَّاعِيَ لَحَظَ أَنَّ قَبُولَ قِرَاءَتِهِ
يَتَضَمَّنُ لِمُعَلِّمِهِ تَطْيِيرَ أَجْرِهِ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ لِلْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ تَطْيِيرُ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ اخْتَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضَائِلَ لَا
تُحْصَى وَمَتَابِقَ لَا تُسْتَفْصَى وَكَذَلِكَ أُمَّتُهُ تَكْرِمَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١، والجمعة: ٤].

المقصد الخامس

فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِخَصَائِصِ
الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَاءِ وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ
فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَى

اعْلَمْ أَنَّ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَشْهَرِ الْمُعْجَزَاتِ وَأَظْهَرَ الْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَاتِ وَأَقْوَى
الْحُجُجِ الْمُحْكَمَاتِ وَأَصْدَقِ الْأَنْبَاءِ وَأَعْظَمِ الْآيَاتِ .

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ وَاحِدٌ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقْطَعُ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ
مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَنْبَغِي
الْعُدُولُ عَنْهُ وَالْإِسْرَاءُ بِالْجِسْمِ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَاتِ الْعَلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَالْمَعَارِيضُ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ عَشْرَةٌ سَبْعَةٌ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالثَّامِنُ إِلَى
سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَالتَّاسِعُ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي سَمِعَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ فِي
تَصَارِيْفِ الْأَقْدَارِ وَالْعَاشِرُ إِلَى الْعَرْشِ وَالرَّفْرَفِ وَالرُّؤْيِيَّةِ وَسَمَاعِ الْخُطَابِ بِالْمُكْكَافَحَةِ
وَالْكَشْفِ الْحَقِيقِيِّ . وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَدَّ مِنْهُمْ فِي الْأَصْلِ سِتَّةً
وَعِشْرِينَ ثُمَّ قَالَ وَبِالْجُمْلَةِ فَحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ الزَّنَادِقَةُ
الْمُلْحِدُونَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ فَقَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحَجْرِ
مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ أَيُّ مِنْ ثَغْرَةٍ نَحْرِهِ إِلَى شِغْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ
قَلْبِي ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَعُغِصِلْتُ ثُمَّ حُشِيْتُ ثُمَّ أُعِيدْتُ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ فَفَرَجَ
صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمَزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيَةٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي

صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ ذُونَ الْبُغْلِ وَفَوْقَ الْجِمَارِ أبيض قَالَ أَنَسُ هُوَ الْبُرَاقُ يَضَعُ خَطْوَةً عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فُحِمِلْتُ عَلَيْهِ فَانطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا وَسَاقَ الْبُخَارِيَّ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ وَسَيَّأَتِي سَرْدُهُ بَعْدَ ذِكْرِ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَوَضَفِ الْمِعْرَاجِ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعِدَ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ . وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا وَفِي رِوَايَةٍ أَمَّا تَسْتَحْيِي مَا رَكِبَكَ خَلَقَ قَطُّ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ فَارْفُضْ عَرَقًا .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ ارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا هَبَطَ ارْتَفَعَتْ يَدَاهُ وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ سَعْدٍ لَهُ جَنَاحَانِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صِفَتِهِ لَهُ خَدٌّ كَخَدِّ الْإِنْسَانِ وَعُرْفٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ وَقَوَائِمٌ كَالْإِبِلِ وَأَظْلَافٌ وَذَنَبٌ كَالْبَقَرِ وَكَانَ صَدْرُهُ يَأْقُوْتُهُ حَمْرَاءُ . وَكَانَ الَّذِي أَمْسَكَ بِرِكَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ وَبِزِمَامِهِ مِيكَائِيلُ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ .

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً بِأَرْضِ دَاتٍ نَحَلٍ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ انزِلْ فَصَلِّ فَقَالَ صَلَّى فَقَالَ صَلَّى بِيْشْرِبْ ثُمَّ مَرَّ بِأَرْضِ بَيْضَاءَ فَقَالَ انزِلْ فَصَلِّ فَقَالَ صَلَّى فَقَالَ صَلَّى بِمَدْيَنَ ثُمَّ مَرَّ بِبَيْتِ لَحْمٍ فَقَالَ انزِلْ فَصَلِّ فَتَنَزَلَ فَقَالَ صَلَّى فَقَالَ صَلَّى حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّمَا أَصْرَتْ أُذُنَيْهَا فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ مَهْ يَا بُرَاقُ قَوْلَ اللَّهِ مَا رَكِبَكَ مِثْلُهُ فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ فَقَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ سِرَّ يَا مُحَمَّدُ فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ يَقُولُ هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ سِرَّ وَأَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا آخِرَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ارْزُدْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَمَّا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ جَانِبَ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرٍ تِلْكَ الْعَجُوزُ وَالَّذِي دَعَاكَ إِبْلِيسُ وَالْعَجُوزُ الدُّنْيَا أَمَّا لَوْ أَحْبَبْتَهَا لَأَخْتَارْتِ أُمَّتَكَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخِرَةِ وَأَمَّا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ مَرَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا مَانِعَ أَنْ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَخْيَاءُ عِنْدَ

رُبُّهُمْ يُزْرَعُونَ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَالْبَزَارِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ وَيَخْصِدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا خَصَّدُوا عَادَ كَمَا كَانَ فَقَالَ لِحَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هَذَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَنَاوَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ يَأْكُلُونَ الصَّرِيحَ وَالرُّقُومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيحٌ فِي قَدْرِ وَلَحْمٌ نَيْءٌ فِي قَدْرِ خَبِيثٌ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ النَّيِّءِ الْخَبِيثِ وَيَدْعُونَ النَّضِيحَ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ يَا حَبْرِيْلُ قَالَ حَبْرِيْلُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ الْحَلَالُ الطَّيِّبُ فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً فَيَبِيتُ عِنْدَهَا حَتَّى يُضْبِحَ وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فَتَأْتِي رَجُلًا خَبِيثًا فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُضْبِحَ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا . ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَقْرُضُ أَلْسِنَتَهُمْ وَشِفَاهَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قَرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَؤُلَاءِ حُطْبَاءُ الْفِئْتَةِ . قَالَ ثُمَّ أَتَى عَلَى حُجْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ نُورٌ عَظِيمٌ فَجَعَلَ النُّورُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ قَوَّجَدَ فِيهِ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ مِسْكِ وَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ غُرْفِي وَإِسْتَبْرَقِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَعَبَقْرِي وَلَوْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفَضِّي وَذَهَبِي وَأَكْرَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي وَمَرَاجِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبْنِي وَخَمْرِي فَأَتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَادًا وَمَنْ حَشِيْبِنِي فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ أُعْطِيْتُهُ وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَارِيْتَهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِعَادَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ . ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا وَوَجَدَ رِيحًا مُثْنِتَةً فَقَالَ مَا هَذَا يَا
جَبْرِيلُ قَالَ هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي
وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَضَرِيرِي وَعَسَاقِي وَعَدَائِي وَقَدْ بَعُدَ فَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي فَآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي
قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ
فَسَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ دَعَايِي دَاعٍ عَنِ يَمِينِي انظُرْنِي أَسْأَلُكَ فَلَمْ أُجِبْهُ ثُمَّ
دَعَايِي آخَرَ عَنِ يَسَارِي كَذَلِكَ فَلَمْ أُجِبْهُ وَفِيهِ إِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنِ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ
حَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ انظُرْنِي أَسْأَلُكَ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَفِيهِ أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لَهُ أَمَا
الدَّاعِي الْأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ وَلَوْ أُجِبْتَهُ لَتَهَوَّدْتَ أُمَّتُكَ وَأَمَا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَى وَلَوْ
أُجِبْتَهُ لَتَنَصَّرْتَ أُمَّتُكَ وَأَمَا الْمَرْأَةُ فَالذُّنْبَا .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ رَأَى أَخُوْبَةَ عَلَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَأَخْرَى عَلَيْهَا
لَحْمٌ تَيْنٌ عَلَيْهَا نَاسٌ يَأْكُلُونَ قَالَ جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَفِيهِ أَنَّهُ
مَرَّ بِقَوْمٍ يُطَوِّئُهُمْ أَمْثَالَ الْبُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ حَرًّا وَأَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لَهُ هُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا وَأَنَّهُ
مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كَالْإِبِلِ يَلْتَقِمُونَ جَمْرًا فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ وَأَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا وَأَنَّهُ مَرَّ بِنِسَاءٍ تَعْلَقْنَ بِأَيْدِيَهُنَّ وَأَنْهَنُ الزَّوَانِي وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَقْطَعُ مِنْ
جُنُوبِهِمُ اللَّحْمَ فَيُطْعَمُونَ وَأَنَّهُمُ الْعَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ وَفِيهِ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْثَقْتُ
ذَاتِي بِالْحَلَقَةِ الَّتِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهَا فَدَخَلْتُ أَنَا وَجَبْرِيلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّى كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَّا رَكَعَتَيْنِ .

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسِ عِنْدَ مُسْلِمٍ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جَبْرِيلُ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ أَيْ
اخْتَرْتَ اللَّبَنَ الَّذِي عَلَيْهِ بُنِيَتْ الْخَلْقَةُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا الْإِسْلَامُ وَالْأَسْتِقَامَةُ .
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوُهُ وَزَادَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَعَرَفْتُ النَّبِيَّ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ
وَسَاجِدٍ ثُمَّ أَدْنَى مُؤَدُّنٌ فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَمُئِنَّا صُفُوقًا فَانْتَهَضَ مَنْ يَوْمُنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جَبْرِيلُ
فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي أَمَامَةَ عِنْدَ الطَّبْرَائِيِّ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَدَافَعُوا حَتَّى
قَدَّمُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ فَرَبَطَ قَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ قَالُوا يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ قَالُوا وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ لَقُوا أَزْوَاجَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَذَنِي خَلِيلًا وَأَعْطَانِي مُلْكًا عَظِيمًا وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتًا يُؤْتَمُّ بِي وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْدًا وَسَلَامًا. ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيمًا وَاصْطَفَانِي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْرَةَ وَجَعَلَ هَلَاكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيَّ وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْغِدُونَ. ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مُلْكًا عَظِيمًا وَعَلَّمَنِي الزُّبُورَ وَالْأَلَانَ لِي الْحَدِيدَ وَسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَّ مَعِيَ وَالطَّيْرَ وَأَتَانِي الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ. ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لِي الرِّيَّاحَ وَسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلَ وَعَلَّمَنِي مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأَتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَأَتَانِي مُلْكًا لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وَجَعَلَ مُلْكِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ.

ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ وَجَعَلَنِي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَجَعَلَنِي أَخْلُقُ أَيَّ أَصَوْرٍ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَنِي أَبْرِيءَ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأَخْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي وَأَعَادَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ. وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ كُلُّهُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطًا وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ وَشَرَحَ لِي صَدْرِي وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وَجَعَلَنِي قَانِتًا وَخَاتِمًا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بِهِذَا فَضَلْتُمْ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَمِنْ سَمَاءِ إِلَى سَمَاءِ وَذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ مُخْتَصِرًا.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَنَسٍ فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَبَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ مُحَمَّدٍ أَتَى إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي بِهِ فَعَمَزَهُ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَثَقَّبَهُ ثُمَّ رَبَطَهَا ثُمَّ

صَعِدَ فَلَمَّا اسْتَوَى فِي سَرْحَةِ الْمَسْجِدِ أُنِيَ فَنَادَاهُ قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُرَبِّكَ
 الْحُورَ الْعِينِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاذْطَلِقْ إِلَيَّ أَوْلِيكَ النُّسُوءَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِنَّ فَرَدَدَنَ
 عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لِمَنْ أَنْتُنَّ فَقُلْنَ خَيْرَاتٌ حِسَانَ نِسَاءِ قَوْمِ أَبْرَارٍ نَفَعُوا فَلَمْ يَذَرُونَا وَأَقَامُوا فَلَمْ
 يَطْعَنُوا وَخَلَدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا قَالَ ثُمَّ انصرفتُ فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ
 أَذَنَ مُؤَدَّنٌ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ قَالَ فَقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَوْمُنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ فَلَمَّا انصرفتُ قَالَ لِي جِبْرِيلُ أَنْذِرِي مَنْ صَلَّى خَلْفَكَ قُلْتُ لَا
 قَالَ صَلَّى خَلْفَكَ كُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ بِهِمْ فِي بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ كَانَتْ قَبْلَ الْعُرُوجِ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ صَلَّى بِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْعُرُوجِ وَبَعْدَهُ فَإِنَّ
 فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا مَانِعٌ مِنْهُ.

وَوَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ،
 وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أُتِيَ
 بِالْمِعْرَاجِ وَلَمْ أَرُ قَطُّ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَيْهِ الْمَيْثُ عَيْنِيهِ إِذَا اخْتَضَرَ فَأَصْعَدَنِي
 صَاحِبِي فِيهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ كَعْبٌ قَوُضِعَتْ لَهُ مِرْقَاةٌ مِنْ
 فِضَّةٍ وَمِرْقَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى عَرَجَ هُوَ وَجِبْرِيلُ وَفِي كِتَابِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى أَنَّهُ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ
 مِنْ جَنَّةِ الْبُزْدُوسِ وَأَنَّهُ مُنْضَدٌّ بِاللُّؤْلُؤِ عَنْ يَمِينِهِ مَلَائِكَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ مَلَائِكَةٌ. وَفِي حَدِيثِ
 الْبُخَارِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ صَدْرُهُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَاذْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَالَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ
 نَعَمْ قَيْلٌ مَرْحَبًا بِهِ فَبِئْسَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ
 عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلٌ وَمَنْ مَعَكَ
 قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلٌ مَرْحَبًا بِهِ فَبِئْسَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ
 إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ
 مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ مِنْ هَذَا
 قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلٌ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلٌ مَرْحَبًا بِهِ فَبِئْسَ
 الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ
 قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ

مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ
فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ
فَإِذَا هَارُونَ قَالَ هَذَا هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا
مُوسَى قَالَ هَذَا مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قَيْلَ لَهُ وَمَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي .

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ وَقَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ
فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ فَقَالَ مَرْحَبًا
بِالْأَبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِيُّهَا مِثْلُ قِلَاقِلِ هَجَرَ وَإِذَا
وَرَقُّهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ
فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْثَّلِيلُ وَالْفُرَاتُ .

ثُمَّ رُفِعَ لِي النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرِ
وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ثُمَّ
فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَمَرَزْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ بِمِ أَمِرْتُ قُلْتُ
أَمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ قَالَ إِنْ أُمَّتُكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ
جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ
لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ
فَرَجَعْتُ فَأَمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأَمِرْتُ بِخَمْسِ
صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ قَالَ إِنْ أُمَّتُكَ لَا تَسْتَطِيعُ سِتْسَ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ

قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ
سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمُ قَالَ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ أَمْضَيْتُ
فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي .

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ خَلَصَ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا
نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا
أَدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَيْنِهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي
عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ عَنْ شِمَالِهِ بَكَى . وَالْأَسْوَدَةُ جَمْعُ
سَوَادٍ هِيَ الْأَشْخَاصُ وَالنَّسَمُ جَمْعُ نَسَمَةٍ وَهِيَ الرُّوحُ . وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ثُمَّ
عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ . وَفِيهِ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ
فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ .

وَفِي حَدِيثِ الْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ قَدْ فَضَلَ النَّاسَ بِالْحُسْنِ
كَالْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَهُوَ مَخْمُولٌ عَلَى غَيْرِ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ
رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَحْسَنَ الْوَجْهَ حَسَنَ الصُّوْبِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ
أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ هُنَا زِيَادَةٌ . فَمِنْهَا مَا وَقَعَ فِي
رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي دَلَالِيهِ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ
الْخَلِيلِ سَانِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرُّجَالِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَإِذَا بِأُمَّتِي شَطْرَيْنِ شَطْرَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيسُ وَشَطْرَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ
رَمْدَةٌ قَالَ فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَدَخَلَ مَعِيَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ الثِّيَابُ الْبَيْضُ وَحُجِبَ الْآخَرُونَ
الَّذِينَ عَلَيْهِمْ الثِّيَابُ الرَّمْدَةُ فَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ جَالِسًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى كُرْسِيِّ وَعِنْدَهُ
قَوْمٌ جُلُوسٌ بَيْضُ الْوُجُوهِ أَمْثَالُ الْقَرَّاطِيسِ وَقَوْمٌ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَدَخَلُوا نَهْرًا فَاعْتَسَلُوا فِيهِ
فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ فَاعْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ
مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ فَاعْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَتْ أَلْوَانُهُمْ وَصَارَتْ
مِثْلَ أَلْوَانِ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ وَمَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ

الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ قَالَ هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ شَمِطَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْبَيْضُ الْوُجُوهُ فَقَوْمٌ لَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الثَّفَرُ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَابُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا الْأَنْهَارُ فَأَوْلَاهَا رَحْمَةُ اللَّهِ وَالثَّانِي نِعْمَةُ اللَّهِ وَالثَّلَاثُ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَأَقْرَبُكَ اللَّيْلَةَ وَإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتِكَ فِي أُمَّتِكَ فَافْعَلْ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ رَأَى إِبْرَاهِيمَ قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ عَلَيْهِ خِيَامُ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالزُّبُرْجَدِ وَعَلَيْهِ طَيْرٌ أَخْضَرُ أَنْعَمَ طَيْرٌ رَأَيْتُ قَالَ جِبْرِيلُ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَجْرِي عَلَى رَضْرَاضٍ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ مِائَةٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ قَالَ فَأَخَذْتُ مِنْ آيَتِهِ فَاغْتَرَفْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ فَشَرِبْتُ فَإِذَا هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ بَيْنَنَا أَنَا أَسِيرٌ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرِ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ وَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ فَقَالَ جِبْرِيلُ هَذَا الْكَوْثَرُ. وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ ثُمَّ أَذْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ. وَالْجَنَابِدُ الْقَبَابُ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ ثُمَّ رُفِعْتُ لِي سِدْرَةٌ الْمُتَنَهَى فَإِذَا كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْهَا تُغْطِي هَذِهِ الْأُمَّةَ وَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا السُّلْسِيبُ فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَةُ فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ فَعَوَّرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِي وَمَا تَأَخَّرَ ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ فَاسْتَقْبَلَنِي جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لَهَا لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ قَالَتْ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَفِيهِ وَإِذَا رُمَانُهَا كَأَنَّه الدَّلَاءُ عِظْمًا وَإِذَا طَيْرُهَا كَأَنَّه الْبُحْتُ ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللَّهِ وَرِجْزُهُ وَنِقْمَتُهُ لَوْ طَرِحَتْ فِيهَا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ لَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَغْلِقْتُ دُونِي.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِْمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ الْحَدِيثِ وَالْمُسْتَوَى الْمَضْعَدُ وَصَرِيْفَ الْأَقْلَامِ تَصْوِيرُهَا حَالَةَ الْكِتَابَةِ وَالْمُرَادُ مَا تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ أَقْضِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ فِي مَا تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى أَحَادِيثِ الْحُجْبِ السَّبْعِيَّةِ وَالسَّبْعِمِائَةِ وَالسَّبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ وَعَزَاهَا لِأَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَبْعٍ فِي شِفَاءِ

الصُدُورِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَبْدَأَ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ .

أَتَانِي جِبْرِيلُ وَكَانَ السَّفِيرَ بِي إِلَى رَبِّي إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى مَقَامٍ ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ يَتْرُكُ الْخَلِيلُ خَلِيلَهُ فَقَالَ إِنْ تَجَاوَزْتَهُ اخْتَرَقْتَ بِالثَّوْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَبِّكَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ سَلِ اللَّهَ فِي أَنْ أُبْسَطَ جَنَاحِي عَلَى الصِّرَاطِ لِأُمَّتِكَ حَتَّى يَجُوزُوا عَلَيْهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رُجَّ بِي فِي الثَّوْرِ رَجًّا فَخُرِقَ بِي سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ لَيْسَ فِيهَا حِجَابٌ يُشْبِهُ حِجَابًا وَالْقَطْعَ عَنِّي حِسُّ كُلِّ مَلَكٍ وَإِنْسِي فَلَحِقَنِي عِنْدَ ذَلِكَ اسْتِيحَاشٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَانِي مُنَادٍ بِلُغَةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِذَا النَّدَاءُ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى اذُنْ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ اذُنْ يَا أَحْمَدُ اذُنْ يَا مُحَمَّدُ لِيَدُنْ الْحَبِيبُ فَأَذَّنَانِي رَبِّي حَتَّى كُنْتُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨] قَالَ وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ بِلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ تَدْيِي فَأُورَثَنِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى فَعِلِمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِثْمَانَهُ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ حَمَلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَعِلِمٌ خَيْرَنِي فِيهِ وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ فَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُذَكِّرُنِي بِهِ وَعِلِمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مِنْ أُمَّتِي وَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي آيَةِ نَزَلَ عَلَيَّ بِهَا فَعَاتَبَنِي رَبِّي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَخَيْهَ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ثُمَّ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمَّا لَحِقَنِي اسْتِيحَاشٌ قَبْلَ قُدُومِي عَلَيْكَ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِلُغَةِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لِي قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّيُ فَعَجِبْتُ مِنْ هَاتَيْنِ هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ وَإِنَّ رَبِّي لَعَنِي عَنْ أَنْ يُصَلِّيَ قَالَ فَتَادَانِي أَنَا الْعَنِي عَنْ أَنْ أَصَلِّيَ لِأَحَدٍ وَإِنَّمَا أَقُولُ سُبْحَانِي سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي أَفْرَأُ يَا مُحَمَّدُ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيُ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فَصَلَاتِي رَحْمَةً لَكَ وَإِلْمُتِكَ وَأَمَّا أَمْرُ صَاحِبِكَ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّ أَخَاكَ مُوسَى كَانَ أَنْسُهُ بِالْعَصَا فَلَمَّا أَرَدْنَا كَلَامَهُ قُلْنَا وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ وَشَغِلَ بِذِكْرِ الْعَصَا عَنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ وَكَذَلِكَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا كَانَ أَنْسُكَ بِصَاحِبِكَ أَبِي بَكْرٍ وَإِنَّكَ خُلِقْتَ أَنْتَ وَهُوَ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ أُنْسُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَلَقْنَا مَلَكًا عَلَى صُورَتِهِ يُنَادِيكَ بِلُغَتِهِ لِيُزُولَ عَنْكَ الْإِسْتِيحَاشُ لِئَلَّا يَلْحَقَكَ مِنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ مَا يَقْطَعُكَ عَنْ فِهْمٍ مَا يُزَادُ مِنْكَ .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَيْنَ حَاجَةٌ جِبْرِيلَ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ أَحْبَبْتُهُ
فِيمَا سَأَلَ وَلَكِنْ فِي مَنْ أَحَبَّكَ وَصَحَبَكَ . وَفِي رِوَايَةٍ فَتَقَدَّمْتُ وَجِبْرِيلُ عَلَيَّ أَتْرَبِي حَتَّى انْتَهَى
بِي إِلَى حِجَابٍ فِرَاشِ الذَّهَبِ فَحَرَّكَ الحِجَابِ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا جِبْرِيلُ وَمَعِيَ مُحَمَّدُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْمَلِكُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الحِجَابِ فَاحْتَمَلَنِي
فَوَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَعَظِلْطُ الحِجَابِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَقَالَ لِي
تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَمَضَيْتُ فَانْطَلَقَ بِي الْمَلِكُ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ إِلَى حِجَابِ اللُّؤْلُؤِ فَحَرَّكَ
الحِجَابِ فَقَالَ الْمَلِكُ مِنْ وَرَاءِ الحِجَابِ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا فَلَانَ صَاحِبُ حِجَابِ الذَّهَبِ وَهَذَا
مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ رَبِّ العِزَّةِ مَعِيَ فَقَالَ الْمَلِكُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ
تَحْتِ الحِجَابِ فَاحْتَمَلَنِي حَتَّى وَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ مِنْ حِجَابِ إِلَى حِجَابٍ
حَتَّى جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَابًا غَلِظَ كُلُّ حِجَابٍ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ دُلِّي لِي رَفْرَفٌ أَخْضَرُ
تَغْلِبُ حُضْرَتُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فَالْتَمَعَ بَصْرِي وَوَضِعْتُ عَلَى ذَلِكَ الرَّفْرَفِ ثُمَّ اخْتَمَلْتُ حَتَّى
وَصَلْتُ إِلَى العَرْشِ فَأَبْصَرْتُ أَمْرًا عَظِيمًا لَا تَنَالُهُ الأَلْسُنُ ثُمَّ دُلِّي لِي قِطْرَةً مِنَ العَرْشِ فَوَقَعَتْ
عَلَى لِسَانِي فَمَا ذَاقَ الذَّائِقُونَ شَيْئًا قَطُّ أَحْلَى مِنْهَا فَأَنْبَأَنِي اللَّهُ بِهَا نَبَأَ الأَوَّلِينَ وَالأَخِيرِينَ وَنَوَّرَ
قَلْبِي وَعَشِي نُوْرُ عَرْشِهِ بَصْرِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَجَعَلْتُ أَرَى بِقَلْبِي وَلَا أَرَى بِعَيْنِي وَرَأَيْتُ مِنْ
خَلْفِي وَمِنْ بَيْنِ كَتِفَيْ كَمَا رَأَيْتُ أَمَامِي الحَدِيثَ رَوَاهُ وَالأَدْبِي قَبْلَهُ فِي كِتَابِ شِفَاءِ الصُّدُورِ كَمَا
ذَكَرَهُ ابْنُ غَالِبٍ . وَالرَّفْرَفُ البِسَاطُ .

وَاعْلَمُ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا المَحَلِّ الرَّفِيعِ مِنَ الحُجُبِ فَهُوَ فِي حَقِّ المَخْلُوقِ لَا فِي حَقِّ
الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَثْرَهُ عَمَّا يَحْجُبُهُ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ
وَكَعْبِ الأَخْبَارِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ بِلَا تَكْثِيفٍ وَلَا
تَشْبِيهِ ، وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرِ الإِسْرَاءِ مَرَّ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ بِعَيْرٍ لِقَرْنِشٍ
تَحْمِلُ طَعَامًا فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ عَرَارَتَانِ عَرَارَةٌ سَوْدَاءُ وَعَرَارَةٌ بَيْضَاءُ فَلَمَّا حَادَى العَيْرَ نَفَرَتْ مِنْهُ
وَاسْتَدَارَتْ وَصُرِعَ ذَلِكَ الجَمَلُ وَفِي رِوَايَةٍ وَمَرَّ بِعَيْرٍ قَدْ أَضَلُّوا بِعَيْرًا لَهُمْ قَدْ جَمَعَهُ فَلَانَ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ
وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مِنْ آيَةٍ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَزْتُ بِعَيْرِكُمْ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا
وَقَدْ أَضَلُّوا بِعَيْرًا لَهُمْ فَجَمَعَهُ فَلَانَ وَإِنْ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا
وَكَذَا يَفْتَدِمُهُمْ جَمَلٌ آدَمٌ عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدٌ وَعَرَارَتَانِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ اليَوْمِ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ

حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ أَقْبَلَتِ الْعِيرُ يَتَقَدَّمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَفِي رِوَايَةٍ سَأَلُوهُ آيَةً فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ يَتَقَدَّمُوا
حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسَ حَتَّى قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ. وَعَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ سَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا هَلْ
لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ
لَيْنَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ قَالُوا تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ
فَقَالَ نَعَمْ إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي حَبْرِ السَّمَاءِ فِي عَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ
فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصَّدِيقَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَزَادَ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أَحَدُنْتُ هَؤُلَاءِ أَنْكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ
اللَّيْلَةَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ قَالَ الْحَسَنُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرُفِعَ لِي الْمَسْجِدُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُهُ
لِأَبِي بَكْرٍ فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ كُلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئًا. وَقَوْلُ أَبِي
بَكْرٍ صِفْهُ لِي لَمْ يَكُنْ عَنْ شَكٍّ فَإِنَّهُ صَدَّقَهُ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَّةٍ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ إِظْهَارَ صِدْقِهِ لِقَوْمِهِ.
وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَي كَشَفَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ.
وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أَتْبِئْهَا فَكُرِبْتُ كَرَبًا شَدِيدًا لَمْ أَكْرَبْ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ
اللَّهُ إِلَيَّ أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتْبَأْتُهُمْ بِهِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ دَارِ عَقِيلٍ فَتَنَعْتُهُ
وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ وَلَا اسْتِحْوَاطَ فِيهِ فَقَدْ أَحْضَرَ عَرْشَ بَلْقَيْسَ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ.
وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِيَةَ أَنَّهُمْ قَالُوا كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ قَالَ وَلَمْ أَكُنْ عَدَدْتُهَا قَالَ فَجَعَلْتُ
أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَعْدُّهَا بَابًا بَابًا، وَفِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ الْإِشَارَاتِ لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثَمَرَةَ شَجَرَةِ الْكَوْنِ وَدُرَّةَ صَدَقَةِ الْوُجُودِ وَسِرَّ مَعْنَى كَلِمَةِ كُنْ وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ عَرْصِ هَذِهِ
الثَّمَرَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُثْمَرِهَا وَرَفَعِيهَا إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِيهِ وَالطَّوَافِ بِهَا عَلَى نُدْمَانِ حَضْرَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ
أَعَزُّ خُدَّامِ الْمَلِكِ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قَادِمًا وَفَاهَهُ عَلَى فِرَاشِهِ نَائِمًا فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ
هُيئْتُ لَكَ الْعَنَائِمُ قَالَ يَا بِنْبَرِيْلُ إِلَى أَيْنَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ الْأَيْنِ مِنَ النَّبِيِّنَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
الْقَدَمِ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِأَكُونَ مِنْ جُمَّلَةِ الْخُدَمِ.

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ مُرَادُ الْإِزَادَةِ الْكُلُّ مُرَادُ لِأَجْلِكَ وَأَنْتَ مُرَادُ لِأَجْلِهِ أَنْتَ صَفْوَةٌ كَأْسِ
الْمَحَبَّةِ أَنْتَ دُرَّةٌ هَذِهِ الصَّدَقَةُ أَنْتَ شَمْسُ الْمَعَارِفِ أَنْتَ بَدْرُ اللَّطَائِفِ مَا مُهَدَّتِ الدَّارُ إِلَّا
لِأَجْلِكَ مَا حُمِيَ هَذَا الْحِمَى إِلَّا لِوَضْلِكَ مَا رُوِّقَ كَأْسُ الْمَحَبَّةِ إِلَّا لِشْرِيكَ.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا جَبْرِيْلُ فَالْكَرِيْمُ يَدْعُوْنِي إِلَيْهِ فَمَا الَّذِي يَفْعَلُ بِي قَالَ لِيَغْفِرَ
لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ يَا جَبْرِيْلُ هَذَا لِي فَمَا لِعِيَالِي وَأَطْفَالِي قَالَ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى قَالَ يَا جَبْرِيْلُ الْآنَ طَابَ قَلْبِي هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ثُمَّ قَالَ جَبْرِيْلُ يَا
مُحَمَّدُ إِنَّمَا جِيءَ بِي إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ لِأَكُونَ خَادِمَ ذَوْلَتِكَ وَحَاجِبَ حَاشِيَتِكَ وَحَامِلَ غَاشِيَتِكَ
وَجِيءَ بِالْمَرْكُوبِ إِلَيْكَ لِإِظْهَارِ كَرَامَتِكَ لِأَنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ إِذَا اسْتَزَارُوا حَبِيْبًا أَوْ اسْتَدْعَوْا
قَرِيْبًا وَأَرَادُوا ظُهُورَ إِكْرَامِهِ وَاخْتِرَامِهِ أَرْسَلُوا أَحْصَ خُدَامِهِمْ وَأَعَزُّ نُوَابِهِمْ لِتَنْقِلَ أَفْدَامِهِمْ
فَجِئْنَاكَ عَلَى رَسْمِ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَأَدَابِ السُّلُوكِ وَمَنْ اغْتَفَدَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْخَطَا فَقَدْ وَقَعَ فِي
الْخَطَا وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَحْجُوبٌ بِالْإِعْطَا فَقَدْ حُرِمَ الْعَطَا.

وَلِيَبْغُضِ أَهْلَ الْإِشَارَاتِ أَيْضًا كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ
أَعْطَيْتُكَ نُورًا تَنْظُرُ بِهِ جَمَالِي وَسَمِعَا تَسْمَعُ بِهِ كَلَامِي يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَعْرَفْتُكَ بِلِسَانِ الْحَالِ
مَعْنَى غُرُوجِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَالشَّاهِدُ مُطَالِبٌ
بِحَقِيْقَةِ مَا يَشْهَدُ بِهِ فَأَرِيكَ جَنَّتِي لِشَّاهِدٍ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِي وَأَرِيكَ نَارِي لِشَّاهِدٍ مَا
أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَعْدَائِي ثُمَّ أَشْهَدُكَ جَلَالِي وَأَكْشِفُ لَكَ عَنْ جَمَالِي لِتَعْلَمَ أَنِّي مُنَزَّهٌ فِي كَمَالِي
عَنِ الشُّبُهَةِ وَالنُّظْيِرِ وَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ فَرَأَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّورِ الَّذِي قُوَاهُ مِنْ غَيْرِ
إِذْرَاكِ وَلَا إِحَاطَةِ فَرَدَا صَمَدًا لَا فِي شَيْءٍ وَلَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا قَائِمًا بِشَيْءٍ وَلَا عَلَى شَيْءٍ وَلَا
مُفْتَقِرًا إِلَى شَيْءٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَلَمَّا كَلَّمَهُ شِفَاهَا وَشَاهَدَهُ كِفَاحًا قِيلَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ لَا بُدَّ
لِهَذِهِ الْخَلْقَةِ مِنْ سِرٍّ لَا يُدَاعَى وَرَمَزٍ لَا يُشَاعُ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى فَكَانَ سِرًّا مِنْ سِرِّ لَمْ
يَقِفْ عَلَيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَرْشِ تَمَسَّكَ الْعَرْشُ بِأَذْيَالِهِ وَنَادَاهُ
بِلِسَانِ حَالِهِ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ فِي صَفَاءٍ وَقِتِكَ آمِنٌ مِنْ مَفْتِكَ أَشْهَدُكَ جَمَالَ أَحَدِيَّتِهِ وَأَطْلَعَكَ
عَلَى جَلَالِ صَمَدِيَّتِهِ وَأَنَا الظَّمَانُ إِلَيْهِ اللَّهْفَانُ عَلَيْهِ الْمُتَحَيِّرُ فِيهِ لَا أَذْرِي مِنْ أَيِّ وَجْهِ آتِيهِ
جَعَلَنِي أَعْظَمَ خَلْقِهِ فَكُنْتُ أَعْظَمَهُمْ مِنْهُ هَيْبَةً وَأَكْثَرَهُمْ فِيهِ حَيْرَةً وَأَشَدَّهُمْ مِنْهُ خَوْفًا يَا مُحَمَّدُ
خَلَقَنِي فَكُنْتُ أَرْعَدُ لِهَيْبَتِهِ جَلَالِهِ فَكَتَبَ عَلَيَّ قَائِمَتِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَارْدَدْتُ لِهَيْبَتِهِ اسْمِهِ اِزْتِعَادًا
وَازْتِعَاشًا فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَسَكَنَ لِذَلِكَ قَلْبِي وَهَدَأَ رُوعِي فَكَانَ اسْمُكَ لِقَاحًا لِقَلْبِي

وَطَمَّائِيَّةَ لِسْرِي فَهَذِهِ بَرَكَتُهُ اسْمِكَ عَلَيَّ فَكَيْفَ إِذَا وَقَعَ جَمِيلُ نَظْرِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ
الْمُرْسَلُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ نَصِيبٍ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَنَصِيبِي يَا حَبِيبِي أَنْ تَشْهَدَ
لِي بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا نَسَبَهُ أَهْلُ الزُّورِ إِلَيَّ وَتَقُولَهُ أَهْلُ الْغُرُورِ عَلَيَّ زَعَمُوا أَنِّي أَسْعُ مَنْ لَا مَثِيلَ لَهُ
وَأَحِيطُ بِمَنْ لَا كَيْفِيَّةَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ مَنْ لَا حَدَّ لِذَاتِهِ وَلَا عَدَّ لِصِفَاتِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُفْتَقِرًا إِلَيَّ أَوْ
مَحْمُولًا عَلَيَّ إِذَا كَانَ الرَّحْمَنُ اسْمَهُ وَالْإِسْتِوَاءُ صِفَتَهُ وَصِفَتُهُ مُتَّصِلَةٌ بِذَاتِهِ فَكَيْفَ يَتَّصِلُ بِي أَوْ
يَتَفَصَّلُ عَنِّي يَا مُحَمَّدُ وَعِزَّتِهِ لَسْتُ بِالْقَرِيبِ مِنْهُ وَضَلًّا وَلَا بِالْبَعِيدِ مِنْهُ فَضْلًا وَلَا بِالْمُطِيقِ لَهُ
حَمْلًا أَوْ جَدَنِي مِنْهُ رَحْمَةً وَقَضْلًا وَلَوْ مَحَقَّنِي لَكَانَ حَقًّا مِنْهُ وَعَدْلًا يَا مُحَمَّدُ أَنَا مَحْمُولٌ
قُدْرَتِهِ وَمَعْمُولٌ حِكْمَتِهِ .

فَأَجَابَ لِسَانُ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْعَرْشُ إِلَيْكَ عَنِّي أَنَا مَشْغُولٌ
عَنكَ فَلَا تُكَدِّرْ عَلَيَّ صَفْوَتِي وَلَا تُشَوِّشْ عَلَيَّ خَلْوَتِي فَمَا أَعَارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ
طَرْفًا وَلَا أَقْرَأَهُ مِنْ مَسْطُورٍ مَا أُوجِي إِلَيْهِ حَرْفًا .

المقصد السادس

في بغضٍ ما وردَ في آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ عِظَمِ قَدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكَوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَالتَّوْبِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالْتُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ.

النوع الأول

في آياتٍ تَتَضَمَّنُ عِظَمَ قَدْرِهِ وَرِفْعَةَ ذِكْرِهِ وَجَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ وَعُلُوَّ دَرَجَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتَشْرِيفَ مَنَزَلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَعْنِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّمَهُ بِلَا وَاسْطَةَ وَلَيْسَ نَصًّا فِي اخْتِصَاصِ مُوسَى بِالْكَلامِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّنَا أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ بِالدَّاتِ فِي الْمِعْرَاجِ وَبِالسِّيَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ وَبِالْمُعْجِزَاتِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُوتِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا لَمْ يُؤْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ وَفِي هَذَا الْإِنْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وَإِعْلَاءِ قَدْرِهِ مَا لَا يَخْفَى لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ الْعَلَمُ الَّذِي لَا يَشْتَبُهُ وَالْمُتَمَيِّزُ الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ.

وَقَدْ بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] أَنَّ مَرَاتِبَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ مُتَّفَاوِتَةٌ. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ أَوْ يَكُونَ فِي دَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ وَفَضْلُهُ فِي دَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَتَفْضِيلِهِ بِكَلَامٍ أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَةٍ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْطَافَةِ وَتُحْفِ وَإِلَآئِهِ وَاخْتِصَاصِهِ. فَلَا مِرْيَةَ أَنَّ آيَاتِ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعْجِزَاتِهِ أَظْهَرُ

وَأَبْهَرُ وَأَكْثَرُ وَأَبْقَى وَأَفْوَى وَمَنْصِبُهُ أَعْلَى وَدَوْلَتُهُ أَعْظَمُ وَأَوْفَرُ وَذَاتُهُ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ وَخُصُوصِيَّاتُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَرَ فَدَرَجَتُهُ أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَاتِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَذَاتُهُ أَرْكَى وَأَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ .

وَتَأْمَلْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي الْمَحْشَرِ وَأَنْتِهَائِهَا إِلَيْهِ وَانْفِرَادِهِ هُنَاكَ بِالسُّؤْدِدِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ . وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي الْمَعَالِمِ إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْأَوْصَابِ الْحَمِيدَةِ ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَفْتِيهِ﴾ [أنعام : ٩٠] وَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ فَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا كَانَ مُفْرَقًا فِيهِمْ فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّتْ إِلَى أَكْثَرِ بِلَادِ الْعَالَمِ بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ فَظَهَرَ أَنَّ انْتِفَاعَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ انْتِفَاعِ سَائِرِ الْأُمَّمِ بِدَعْوَةِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَيَبِيدِي لِيُؤَاهِ الْحَمْدُ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَخَتَّ لِيُؤَاهِي .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ كُلِّ أَوْلَادِهِ . وَلَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ عُنْجًا وَافْتِيحَارًا عَلَى مَنْ دُونَهُ حَاشَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِظْهَارًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِعْلَامًا لِلْأُمَّةِ بِقَدْرِ إِمَامِيهِمْ وَمَتَّبِعِيهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ تَعَالَى لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ فَذَلِكَ فَرَحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس : ٥٨] .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح : ٤] رَوَى ابْنُ خُرَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبُّكَ يَقُولُ تَذْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ قُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ إِذَا دُكِرْتُ دُكِرْتَ مَعِيَ وَذَكَرَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ . وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ مَعْنَاهُ لَا أَذْكَرُ إِلَّا دُكِرْتُ مَعِيَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يَغْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ ذِكْرَهُ عِنْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْأَذَانِ قَالَ وَيَخْتَمِلُ ذِكْرَهُ

عِنْدَ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ وَعِنْدَ الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ وَالْوُقُوفِ عَنِ الْمَغْصِيَةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ رَفَعَهُ
بِالنُّبُوَّةِ . وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي وَعَنْهُ أَيْضًا جَعَلْتُ تَمَامَ
الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي .

قَالَ الْبَيْضاوِيُّ وَأَيُّ رَفْعٍ مِثْلُ أَنْ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ وَجَعَلَ طَاعَتَهُ
طَاعَتَهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ﴿ وَاللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [النساء : ١٣] ﴿ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال : ٢٠ ، ٤٦] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢] وَقَالَ قَتَادَةُ
وَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَهُوَ مَذْكُورٌ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالشُّهُدِ
وَمَقْرُونٌ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُطْبِ وَالْأَذَانِ وَيُؤَذَّنُ بِاسْمِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْجَلِيَّةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْهِنْدِ اسْتَوْحَشَ فَتَزَلَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
فَنَادَى بِالْأَذَانِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ مَرَّتَيْنِ الْحَدِيثُ ، وَكَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ وَعَلَى الْجَنَانِ وَمَا
فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَزْتُ
بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ . وَفِي الْجَلِيَّةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَشَقَّ اسْمَهُ الْكَرِيمَ مِنْ اسْمِهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ حَسَّانُ :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ
وَسَمَاءُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ سَبْعِينَ اسْمًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي
عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ
فَيَجْتَمِعُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَأَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلُوبِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا وَعَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ رِفْعَةٍ
ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ تَعَالَى طه : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طه : ٢] ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا

أَفْوَالًا أَحَدَهَا أَبُو جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ وَمُطْعِمَ بْنِ عَدِيِّ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَشْقَى حَيْثُ تَرَحُّتَ دِينَ آبَائِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ زِدَا عَلَيْهِمْ وَتَغْرِيفًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَالْفِرَازَانَ هُوَ السُّلْمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ وَالسَّبَبُ فِي إِذْرَاكِ كُلِّ سَعَادَةٍ وَمَا فِيهِ الْكُفْرَةُ هُوَ الشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا .

وَقَائِبُهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنِ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا أَيُّ مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَنْهَكَ نَفْسَكَ بِالْعِبَادَةِ وَتُذَيِّقَهَا الْمَشَقَّةَ الْعَظِيمَةَ وَمَا بُعِثْتَ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ . وَمَعْنَى طُهُ يَا رَجُلُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَظِيمُهُ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ مِنْهَا أَنَّهَا كَالْمُتَمِّمَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ السُّورِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ سُورَةَ الضُّحَى فِي مَدْحِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ تَتَعَلَّقُ بِنُبُوَّتِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ وَاللَّخِزَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يَغْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿ [الضحى: ٣ - ٤] ثُمَّ حَتَمَهَا كَذَلِكَ بِأَحْوَالِ ثَلَاثَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ [الضحى: ٦] أَيُّ عَنِ عِلْمِ الْحَكِيمِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ [الضحى: ٧ - ٨] ثُمَّ ذَكَرَ فِي سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ أَنَّهُ تَعَالَى شَرَّفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] أَيُّ أَلَمْ نَفْسَحْهُ حَتَّى وَسِعَ مُنَاجَاةَ الْحَقِّ وَدَعْوَةَ الْخَلْقِ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] أَيُّ عَنَّاكَ الثَّقِيلَ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٣ - ٤] وَهَكَذَا سُورَةُ سُورَةٍ حَتَّى قَالَ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أَيُّ أَعْطَيْنَاكَ هَذِهِ الْمَتَاقِبَ الْمُتَكَافِئَةَ الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنَ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِهَذِهِ النُّعْمِ فَاشْتَغَلْ بِطَاعَتِنَا وَلَا تُبَالِ بِقَوْلِهِمْ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ إِذَا أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْحَزْ ﴾ وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَمْ يَقُلْ سَنُعْطِيكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِعْطَاءَ حَصَلَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي عَزِيزًا مَرْعِيًّا الْجَانِبِ أَشْرَفَ مِمَّنْ سَيَصِيرُ كَذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ قَدْ هَيَأْنَا أَسْبَابَ

سَعَادَتِكَ قَبْلَ دُخُولِكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ فَكَيْفَ أَمْرُكَ بَعْدَ وُجُودِكَ وَاشْتِغَالِكَ بِعُبُودِيَّتِنَا يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْكَرِيمُ إِنَّا لَمْ نُعْطِكَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لِأَجْلِ طَاعَتِكَ وَإِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ بِمَجْرَدِ فَضْلِنَا وَإِحْسَانِنَا مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ .

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ عَلَى وُجُوهٍ مِنْهَا أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الْمُسْتَقْبَلُ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ رَوَى أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طَيْبُهُ مِنْكَ أَذْفُرُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَعْفَى إِعْقَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا يُضْحِكُكَ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ فَقَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثُمَّ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُ بَعْدَكَ وَهُوَ تَفْسِيرٌ صَرِيحٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَوْثَرِ هُنَا الْحَوْضُ فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَى وَهُوَ الْمَشْهُورُ فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُ هَذِهِ الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ وَشَرَّفَهُ بِهَذِهِ الْخِصَالِ الْعَمِيمَةَ وَحَبَّاهُ مَا أَقَاضَهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ الْجَسِيمَةَ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ مَعَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ نَحْوُ ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠] وَأَمَّا نَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَادَاهُ بِالْوَضْفِ الشَّرِيفِ مِنَ الْإِنْبَاءِ وَالْإِزْسَالِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسُلِ كُلًّا بِاسْمِهِ وَدَعَاكَ وَخَذَكَ بِالرُّسُولِ وَيَالنَّبِيَّ
قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بَنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا دَعَا عَبِيدَهُ بِأَفْضَلِ مَا أَوْجَدَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَابِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَدَعَا آخَرِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ الَّتِي لَا تُشْعِرُ بِوَضْفٍ مِنَ الْأَوْصَابِ وَلَا بِخُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ أَنَّ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَاهُ بِأَفْضَلِ

الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ أَعَزُّ عَلَيْهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دَعَاهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالْعَرَفِ أَنَّ مَنْ دُعِيَ بِأَفْضَلِ أَوْصَافِهِ وَأَخْلَاقِهِ كَانَ ذَلِكَ مُبَالِغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ .

وَانظُرْ مَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ وَإِضَافَتِهِ إِلَى كَافِ خِطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى شَرَفِهِ وَاحْتِصَاصِهِ بِخِطَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ تَضَمَّنَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ التَّضَرُّيحِ بِجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرَفْعَةِ ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَفْضِي بِأَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّكْرِيمِ ، وَيَكْفِي إِخْبَارُهُ تَعَالَى بِالْعَفْوِ عَنْهُ مُلَاطَفَةً قَبْلَ ذِكْرِ الْعِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] وَتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ تَعْظِيمًا لَهُ مَعَ تَأْخُرِهِ عَنْهُمْ فِي الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وَإِخْبَارُهُ تَعَالَى بِتَمَنِّي أَهْلِ النَّارِ طَاعَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وَهَذَا بَحْرٌ لَا يَنْفَدُ وَقَطْرٌ لَا يَعْدُ .

النوع الثاني

فِي أَخْذِ الْمِيثَاقِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّينَ لِيُؤْمِنُوا بِهِ

إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] الْآيَةَ . وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لِيُؤْمِنُوا بِعِيسَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأَمِيهِمْ وَاسْتَعْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنِ الْأُمَمِ .

قَالَ السُّبْكِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ يَكُونُ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضًا إِثْمًا أَخَذَ الْمَوَاقِيقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْمَقْدَّمُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ فَالْنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ

الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك لئلا الإسرائي
صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى
أمامهم اتباعه والإيمان به ونصرتة وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته إليهم
معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم
لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقيه على أهلية
الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم.

وإنما هو من جهة وجود العذر لمشمول عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا
شك ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته صلى الله عليه وسلم وهو
نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدا من هذه الأمة نعم هو واحد من
هذه الأمة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيها من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق
بسائر الأمة وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى
وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستميرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلى الله عليه
وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع
شرايعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع
الاختلاف فيه من الفروع وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا أحدهما قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت إلى الناس كافة كذا نطق أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبان أنه إلى جميع
الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد
كذا نطق أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك.

النوع الثالث

في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند بناء البيت الحرام
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ
وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَنُبِّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩]

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُمَا وَبَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُمْ رَسُولًا بِهِدِيهِ الصِّفَّةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي دَعَا مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى قَالُوا وَأَرَادَ بِالدُّعْوَةِ هَذِهِ الْآيَةُ وَبِشَارَةُ عِيسَى هِيَ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وَإِنَّمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ بِهَذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ لِذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَمَا حَوْلَهَا وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ إِلَّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ائْتَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِبَعَثِ هَذَا النَّبِيِّ مِنْهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَّةِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الْآيَةُ فَلَيْسَ لِلَّهِ مِثَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ مِنْ إِزْسَالِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ .

وَإِنَّمَا كَانَتِ النُّعْمَةُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِزْسَالِهِ أَعْظَمَ النُّعْمِ لِأَنَّ النُّعْمَةَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَّتْ بِهَا مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَمُلَتْ بِسَبَبِهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ . وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ وَإِنَّمَا ائْتَاكَ عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ وَقُرِئَ فِي الشُّوَادِ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ يَعْنِي مِنْ أَشْرَفِهِمْ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنُو هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ وَقُرَيْشٌ أَفْضَلُ الْعَرَبِ وَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وَالْمُرَادُ بِالْأُمِّيِّينَ الْعَرَبُ ثَنِيهَا لَهُمْ عَلَى قَدْرِ هَذِهِ النُّعْمَةِ وَعَظِيمِهَا حَيْثُ كَانُوا أُمِّيِّينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ آثَارِ الثُّبُوتِ كَمَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذَا الرَّسُولِ وَبِهَذَا الْكِتَابِ حَتَّى صَارُوا أَفْضَلَ الْأُمَّمِ وَأَعْلَمَهُمْ وَعَرَفُوا ضَلَالَةَ مَنْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ .

وَفِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ فَاثِدَتَانِ إِخْدَاهُمَا أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ كَانَ أَيْضًا أُمِّيًّا كَأُمَّيَّةِ الْمُبْعُوثِ إِلَيْهِمْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ وَلَمْ يَخْطُهُ بِيَمِينِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وَلَا خَرَجَ عَنِ دِيَارِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ حَتَّى تَعَلَّمَ مِنْهُمْ بَلْ لَمْ يَزَلْ أُمِّيًّا بَيْنَ أُمَّةٍ أُمَّيَّةٍ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَهَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْبَاهِرَةُ وَهَذَا الدِّينُ الْقَيِّمُ الَّذِي اعْتَرَفَ حُذَّاقُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَنُظَّارُهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَعِ الْعَالَمُ نَامُوسَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَفِي هَذَا بُرْهَانٌ

عَظِيمٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ الثَّنِيَّةُ عَلَى أَنَّ الْمَبْعُوثَ مِنْهُمْ وَهُمْ الْأُمِّيُونَ خُصُوصًا أَهْلَ مَكَّةَ يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَشَرَفَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعِفَّتَهُ وَأَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ وَأَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ فَكَيْفَ كَانَ يَدْعُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا هُوَ الْبَاطِلُ وَلِهَذَا سَأَلَ هِرْقُلُ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِطَابًا لَهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا كَذَبْتَنَا قَطُّ فَتَتَّهِمُكَ الْيَوْمَ وَلَكِنْ إِنْ تَتَّبَعْنَا نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ .

وَعَنْ مُقَاتِلٍ كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ يَكْذِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَلَائِيَّةِ فَإِذَا خَلَا مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ مَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ وَيُرْوَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ قَالُوا إِنَّهُ لَنَبِيٌّ . وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نُكْذِبُكَ وَلَكِنْ نُكْذِبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ مَعَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ .

وَرُوي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَقِيَهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَافَحَهُ فَقِيلَ لَهُ أَنْصَافِحُهُ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعًا لِنَبِيِّ عَبْدٍ مَنَافٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مَمْلُوءٌ بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ أَنْ يُقَرَّرَ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ وَيُخَيَّرُ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَنْصُرُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكُ عَدُوَّهُ وَيُظْهِرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ مَا يَضَعُفُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَحِكْمَتُهُ وَعِزَّتُهُ وَكَمَالُهُ الْمُقَدَّسَ يَا بَنِي ذَلِكَ كُلِّ الْإِبَاءِ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِهِ وَجَوَّزَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ الْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ رَأَيْتَهُ يُنَادِي عَلَى ذَلِكَ وَيُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَقَلْبٌ وَاعٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةَ تَذُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ

هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ [العنكبوت: ٥١ - ٥٢] فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ يَكْفِيهِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ فِيهِ الْحُجَّةُ وَالِدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ فِيهِ بَيِّنَاتٌ مِمَّا يُوجِبُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ السَّعَادَةَ وَيُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِمًا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ كَانَتْ شَهَادَتُهُ أَصْدَقَ شَهَادَةٍ وَأَعْدَلَهَا فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ يَعْلَمُ تَامٌ مُحِيطٌ بِالْمَشْهُودِ بِهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ يَا أَيُّهَا الْمَشْرَفُ مِنْ قِبَلِنَا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا بِوُحْدَانِيَّتِنَا وَمُشَاهِدًا كَمَالَ فِرْدَانِيَّتِنَا تَبَشِّرُ عِبَادَنَا عَنَّا وَتَحذِّرُهُمْ مَخَالَفَةَ أَمْرِنَا وَتُعَلِّمُهُمْ مَوَاضِعَ الْخَوْفِ مِنَّا وَدَاعِيًا الْخَلْقَ إِلَيْنَا وَسِرَاجًا يَسْتَضِيئُونَ بِكَ وَشَمْسًا تَبْسُطُ شِعَاعَكَ عَلَى جَمِيعٍ مَنِ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْنَا إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ وَخَدَمَكَ وَقَدَّمَكَ فَبَشِّرْهُ بِفَضْلِنَا وَطَوْلِنَا عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ شَاهِدًا عَلَى الْوُحْدَانِيَّةِ وَالشَّاهِدُ لَا يَكُونُ مُدْعِيًا فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْأَلَةِ الْوُحْدَانِيَّةِ مُدْعِيًا لَهَا لِأَنَّ الْمُدْعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئًا عَلَى جِلَافِ الظَّاهِرِ وَالْوُحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ادَّعَى الثُّبُوتَ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَاهِدًا لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَاهِدًا لَهُ تَعَالَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ»^(١) وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] فَاسْتَشْهَدَ عَلَى رِسَالَتِهِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وَقَوْلُهُ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ١] وَقَوْلُهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فَهَذَا كُلُّهُ مِنْهُ تَعَالَى شَهَادَةٌ لِرَسُولِهِ قَدْ أَظْهَرَهَا وَبَيَّنَّهَا وَبَيَّنَّ صِحَّتَهَا غَايَةَ الْبَيِّنِ بِحَيْثُ قَطَعَ الْعُذْرَ بَيْنَهُ وَبَيَّنَّ عِبَادِهِ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ سُبْحَانَهُ شَاهِدًا لِرَسُولِهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] فَيُظْهِرُ ظُهُورَيْنِ ظُهُورًا بِالْحُجَّةِ وَالْبَيِّنِ وَظُهُورًا بِالنُّصْرِ وَالْعَلْبَةِ وَالتَّأْيِيدِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَى مُخَالِفِيهِ وَيَكُونَ مَنْصُورًا.

وَمِنْ شَهَادَتِهِ تَعَالَى أَيْضًا مَا أَوْدَعَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ التُّضْدِيقِ الْجَارِمِ وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ وَالطَّمَأْنِينَةَ بِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ وَالطَّمَأْنِينَةَ

(١) هذا ليس نص آية كما قد يتبادر إلى الذهن.

وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ وَقَطَرَهَا عَلَى بُغْضِ الْكُذِبِ وَالْبَاطِلِ وَالثُّفُورِ عَنْهُ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِ
وَلَوْ بَقِيَتْ الْفِطْرَةُ عَلَى حَالِهَا لَمَا آثَرَتْ عَلَى الْحَقِّ سِوَاهُ لَمَا سَكَنْتْ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا اطمأنت إِلَّا
بِهِ وَلَا أَحَبَّتْ غَيْرَهُ وَلِهَذَا نَدَبَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِلَى تَدْبِيرِ الْفُرْآنِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَدَبَّرَهُ أَوْجَبَ لَهُ
عِلْمًا ضَرُورِيًّا وَيَقِينًا جَازِمًا أَنَّهُ حَقٌّ بَلْ أَحَقُّ كُلُّ حَقٍّ وَأَصْدَقُ كُلِّ صِدْقٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فَلَوْ رُفِعَتِ الْأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ
لَبَاشَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا مَصَابِيحُ الْإِيمَانِ وَعَلِمَتْ عِلْمًا ضَرُورِيًّا كَسَائِرِ الْأُمُورِ
الْوُجْدَانِيَّةِ كَاللُّدَّةِ وَالْأَلَمِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى
رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا الشَّاهِدُ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَعْظَمِ الشُّرَاهِدِ انْتَهَى مُلَخَّصًا
مِنْ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]
فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ، وَقَالَ تَعَالَى:
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمَلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]
الْآيَةُ خَاطَبَ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّهُ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا
خَاتِمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ بَلْ هُوَ الْمُعَقَّبُ لِجَمِيعِهِمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَى
فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أَي بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيَّنَّ إِرْسَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَإِرْسَالَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هَذِهِ الْفِتْرَةِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ
وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا سِتُّمِائَةٍ سَنَةٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَيْسَ
بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطَمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ وَتَغْيِيرِ الْأَذْيَانِ
وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالنُّجُومِ وَالصُّلْبَانَ فَكَانَتِ التُّغْمَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالنَّفْعُ بِهِ أَعَمَّ . وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ
الإمامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعًا إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَجْمَهُمْ وَعَرَبَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَفِي لَفْظٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَكَانَ الدِّينُ قَدْ التَّبَسَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ حَتَّى

بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَدَىٰ بِهِ الْخَلَائِقَ وَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَتَرَكَهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالشَّرِيعَةِ الْغُرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] أَي عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ أَي إِثْمُكُمْ بِالشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي قَالَ الْحَسَنُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمِنْ حِرْصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِمَا يُرِيدُ إِبْلَاغَهُ إِلَيْنَا وَفَهَمْنَا إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ بَلْ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِنَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وَلَا رَحْمَةً مَعَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُفْهَمُ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْمَخْسُوسِ لِيُخْصَلَ الْفَهْمُ وَمَنْ تَبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ رَأَى مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ.

وَلَمَّا سَاوَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِي حِرْصِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ ظَاهِرٍ زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَبِّتِهِ الرَّحْمَةَ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحْمَةً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ إِذَا كَذَّبَ أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَذَّبَهُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجَ مَنْ كَذَّبَهُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَهُ فَلَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ يَغْنِي الْجِنُّ وَالْإِنْسَ . وَقِيلَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بِالْهِدَايَةِ وَرَحْمَةً لِلْمُتَأَفِّقِ بِالأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ وَرَحْمَةً لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ فَذَاتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَحْمَةً تَعْمُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ الْأَنْبِيَاءَ خُلِقُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَنَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي الشُّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضِ حُكَيْي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ بِتِنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴿ [الأحزاب: ٤٠] هَذِهِ آيَةٌ
 نَصْرٌ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بِطَرِيقِ الْأُولَى لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخْصَصُ مِنْ مَقَامِ النَّبُوءَةِ فَإِنَّ
 كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَا يَتَعَكَسُ وَبِذَلِكَ وَرَدَّتِ الْأَحَادِيثُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوءَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا
 نَبِيَّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
 بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ مَا أَحْسَنَهَا إِلَّا
 مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ حُتِمَ بِي الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي
 حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَأَنَّهُ وَحْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ، وَقَدْ
 أَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ أَفَّاكَ دَجَالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ وَلَوْ تَحَدَّثَ
 وَتَشَعَّبَ وَأَتَى بِأَنْوَاعِ السُّحْرِ وَالطَّلَاسِمِ وَالتَّيْرَانِجِيَّاتِ فَكُلُّهَا مُحَالٌ وَضَلَالٌ وَلَا يَقْدَحُ فِي هَذَا
 نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَهُ لِأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ كَانَ عَلَى دِينِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَا جِهَةٌ
 فَتَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ آخِرُ مَنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

النوع الرابع

فِي التَّنْوِيهِ بِرِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالثُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَوْ كُنْ
 يَكُنْ مَكْتُوبًا لَكَانَ ذِكْرُ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُتَفَرِّقَاتِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ لِأَنَّ
 الْإِضْرَارَ عَلَى الْكُذِبِ وَالتَّبَهُتَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُتَفَرِّقَاتِ وَالْعَاقِلُ لَا يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ نَقْصَانَ حَالِهِ
 وَيَتَفَرُّ النَّاسَ عَنْ قَبُولِ مَقَالِهِ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا دَلٌّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ التُّعْتِ
 كَانَ مَذْكُورًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]
 ﴿وَيَحْرَفُونَ الْكَلِمَ هُنَّ مَوَاضِعُهُ﴾ وَإِلَّا فَهَمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ وَوَجَدُوهُ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لِكِنَّهُمْ حَرَفُوهُمَا وَبَدَّلُوهُمَا لِيُظْفِقُوا
 نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ فَدَلَائِلُ نُبُوءَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَيْهِمَا بَعْدَ تَحْرِيفِهِمَا طَافِحَةً وَأَعْلَامُ شَرَائِعِهِ وَرِسَالَتِهِ فِيهِمَا لَا يَتَّخِذُ كَيْفَ يُغْنِي عَنْهُمْ إِنْكَارُهُمْ وَهَذَا اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّرِّيَانِيَّةِ «مُشَفَّحٌ» فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ بِغَيْرِ شَكٍّ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَفْحًا لَهَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِذَا كَانَ الْحَمْدُ شَفْحًا فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ وَإِنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي أَقْرُوا بِهَا هِيَ وَفَاقٌ لِأَحْوَالِهِ وَزَمَانِهِ وَمَخْرَجِهِ وَمَبْعِثِهِ وَشَرِيْعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَدُلُّوْنَا عَلَى مَنْ هَدِيَهُ الصِّفَاتُ لَهُ وَمَنْ خَرَجَتْ لَهُ الْأُمَّمُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَانْقَادَتْ لَهُ وَاسْتَجَابَتْ لِذَعْوَتِهِ وَمَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الَّذِي هَلَكَتْ بَابِلُ وَأَضْنَاهُمَا بِهِ عَلَى أَنَا لَوْ لَمْ نَأْتِ بِهَذِهِ الْأَنْبَاءِ وَالْقِصَصِ مِنْ كُتُبِهِمْ أَلَمْ يَكُنْ فِيْمَا أَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ وَفِي تَرْكِهْمُ جَحْدٌ ذَلِكَ وَإِنْكَارُهُ وَهُوَ يُقَرِّعُهُمْ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى اغْتِرَابِهِمْ لَهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وَيَقُولُ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وَيَقُولُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] وَيَقُولُ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمُخَالَفَتِهِمْ عِنْدَ الْقِتَالِ هَذَا نَبِيٌّ قَدْ أَظْلَمَ مَوْلِدُهُ وَيَذْكُرُونَ مِنْ صِفَتِهِ مَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] حَسَدًا وَخَوْفًا عَلَى الرَّيَاسَةِ ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَتَضَدِّيْقِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَخْتَجَّ بِبَاطِلٍ مِنَ الْحُجَجِ ثُمَّ يُحِيلُ ذَلِكَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُ مِنْ عَلَامَةِ نُبُوَّتِي وَصِدْقِي أَنْكُمْ تَجِدُونَنِي عِنْدَكُمْ مَكْتُوبًا وَهُمْ لَا يَجِدُونَهُ كَمَا ذَكَرَ أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ عَنْهُ بَعْدًا وَقَدْ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَدْعُوهُمْ بِمَا يُفْرَهُمْ وَكَمْ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَكَعْبِ وَقَدْ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الدَّعَاوِي.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ ابْنُ سَلَامٍ عَالِمٌ أَهْلٍ يَثْرِبَ قَالَ نَعَمْ قَالَ تَأَشَّدْتُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ انْسُبْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ فَأَرَبَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص : ٢] فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى الْأَدْيَانِ وَإِنِّي لَأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيئَتُكَ الْمُتَوَكَّلُ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَعْجِزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَضْفَحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِّيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. وَقَوْلُهُ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِزِيَادَةٍ وَجِزًّا لِلْأُمِّيِّينَ وَرَوَاهُ النَّبَهَيْيُّ عَنْ أُمِّ الدُّرْدَاءِ عَنْ كَعْبِ بْنِ زِيَادَةَ يُعِينُ الْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ. وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ وَلَا صَخْبٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٌ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلًا لِلْحَنَاءِ أَسَدُهُ بِكُلِّ جَبِيلٍ وَأَهَبَ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ وَالْبِرَّ شِعَارَهُ وَالثَّقْوَى ضَمِيرَهُ وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ وَالْهُدَى إِمَامَتَهُ وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ وَأَحْمَدَ اسْمَهُ أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَأَعْلَمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ وَأَسْمِي بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ وَأَكْبُرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ وَأَغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَأَوْلِفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأَمِّمُ مُتَفَرِّقَةً وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وَأَخْرَجَ النَّبَهَيْيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِيمَ الْجَارُودِ فَأَسْلَمَ وَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبَثُولِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِخْرَاجِ هَاجَرَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِأَرْضٍ عَذْبَةٍ سَهْلَةٍ إِلَّا قَالَ أَنْزِلْ لِهَهْنَا يَا جِبْرِيْلُ فَيَقُولُ لَا حَتَّى آتَى مَكَّةَ فَقَالَ جِبْرِيْلُ أَنْزِلْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ حَيْثُ لَا ضَرْعَ وَلَا زَرْعَ قَالَ نَعَمْ لِهَهْنَا يَخْرُجُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّةِ ابْنِكَ الَّذِي تَبِمُ بِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا، وَفِي التَّوْرَةِ مِمَّا اخْتَارُوهُ بَعْدَ الْحَذْفِ وَالتَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبَشْرِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَعْلَامِ التُّبُوَّةِ.

تَحَلَّى اللَّهُ مِنْ سَيْنَا وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرٍ وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ فَسَيْنَا هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَسَاعِيرُ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ نُبُوَّةُ عِيسَى وَجِبَالُ فَارَانَ وَهُوَ اسْمُ عِبْرَانِيٍّ جِبَالُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَنَّنُ أَيُّ يَتَعَبَّدُ فِي أَحَدِهَا وَفِيهِ فَاتِحَةُ الْوَحْيِ وَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ جِبَالٍ أَحَدُهَا أَبُو قُبَيْسٍ وَالْمُقَابِلُ لَهُ قُعَيْقِعَانُ إِلَى

بَطْنِ الْوَادِي وَالثَّلَاثِ الشَّرْقِيِّ فَارَانَ وَمُنْفَتَحَهُ الَّذِي يَلِي قَعِيقَعَانَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي هُوَ شِعْبُ
بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَلَيْسَ بِهَذَا عُمُوضٌ لِأَنَّ تَجَلِّيَ اللَّهِ مِنْ سَيْنَا إِنْزَالَهُ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِطُورِ سَيْنَا وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرِ إِنْزَالِهِ الْإِنْجِيلَ عَلَى
عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ الْمَسِيحُ يَسْكُنُ مِنْ سَاعِيرِ أَرْضِ الْجَلِيلِ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ
وَبِاسْمِهَا سُمِّيَ مَنْ اتَّبَعَهُ نَصَارَى فَكَمَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرِ إِنْزَالَهُ عَلَى الْمَسِيحِ
الْإِنْجِيلَ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْلَانُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِنْزَالَهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلَافٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ
مَكَّةُ وَإِنْ ادَّعَى أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ فَلَنَا أَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ أَسْكَنَ هَاجِرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ وَقُلْنَا
ذُلُونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانَ وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَ بَعْدَ
الْمَسِيحِ أَوْ لَيْسَ اسْتَعْلَنَ وَعَلَنَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِينَنَا ظَهَرَ
ظُهُورَ الْإِسْلَامِ وَقَسَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فَشَوْهُ .

وَفِي التَّوْرَةِ أَيْضًا مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ خِطَابًا لِمُوسَى وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِمِيقَاتِ
رَبِّهِ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ خُصُوصًا ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُمُومًا وَاللَّهُ رَبُّكَ يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِكَ
فَاسْتَمِعْ لَهُ كَمَا الَّذِي سَمِعْتَ رَبُّكَ فِي حُورِيَّتِ يَوْمِ الْأَجْتِمَاعِ حِينَ قُلْتَ لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتِ
اللَّهِ رَبِّي لِغَلَا أَمُوتَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى نِعَمَ مَا قَالُوا وَسَأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَجْعَلُ
كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ أَمَرْتُهُ بِهِ وَأَيَّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِيعْ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي فَإِنِّي أَنْتَقِمُ
مِنْهُ .

قَالَ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ أُدِلُّهُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَوْلُهُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ
وَمُوسَى وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ وَإِخْوَتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَوْ كَانَ هَذَا النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ مِنْ
بَنِي إِسْحَاقَ لَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَا مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ نَبِيًّا مِثْلَكَ فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَةِ مِثْلُ
مُوسَى لَا يَقُومُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَدًا فَذَهَبَتْ الْيَهُودُ إِلَى أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ هُوَ يُوْشَعُ
ابْنُ نُونٍ وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ يُوْشَعَ لَمْ يَكُنْ كُفُورًا لِمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ كَانَ خَادِمًا
لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَمُؤَكَّدًا لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَإِنَّهُ كُفِرَ مُوسَى لِأَنَّهُ مَائِلُهُ فِي نَضْبِ الدَّعْوَةِ وَالتَّحَدِّيِ بِالْمُعْجِزَةِ وَشَرْعِ الْأَحْكَامِ وَإِجْرَاءِ
النُّسَخِ عَلَى الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ

مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِكَلَامِي فَيَنْطِقُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعَهُ وَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ صُحُفًا وَلَا أَلْوَاخًا لِأَنَّهُ أُمِّي لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ .

وَفِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ طَعْرُزْ بَك فِي الدَّرِّ الْمُنْتَظَمِ قَالَ يُوْحَا فِي إِنْجِيلِهِ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَطْلُبُ لَكُمْ مِنَ الْآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارِقْلِيطَ آخِرَ يَثْبُتَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَنْ يُطِيقَ الْعَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَهُوَ عَبْدُ بَنِ ظَفَرٍ بِلَفْظٍ: إِنْ أَحْبَبْتُمُونِي فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَى أَبِي فَيُعْطِيكُمْ فَارِقْلِيطَ آخِرَ يَكُونُ مَعَكُمْ الدَّهْرَ كُلَّهُ . قَالَ فَهَذَا تَضْرِيحٌ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيَتُوبُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ وَسِيَّاسَةِ خَلْقِهِ مَنَابَهُ وَتَكُونُ شَرِيْعَتُهُ بَاقِيَةً مُخَلَّدَةً أَبَدًا فَهَلْ هَذَا إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّصَارَى فِي تَفْسِيرِ (الْفَارِقْلِيطِ) فَقِيلَ هُوَ الْحَامِدُ وَقِيلَ الْمُخْلَصُ فَإِنْ وَافَقْنَاهُمْ عَلَى أَنَّهُ الْمُخْلَصُ أَفْضَى بِنَا الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْمُخْلَصَ رَسُولٌ يَأْتِي بِخَلَاصِ الْعَالَمِ وَذَلِكَ مِنْ غَرَضِنَا لِأَنَّ كُلَّ نَبِيِّ مُخْلَصٍ لِأُمَّتِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْمَسِيحِ فِي الْإِنْجِيلِ: إِنِّي جِئْتُ لِخَلَاصِ الْعَالَمِ . فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مُخْلَصُ الْعَالَمِ وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ الْآبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فَارِقْلِيطَ آخِرَ فَيُثْبِتُ الْمُقْتَضَى اللَّفْظُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فَارِقْلِيطَ أَوَّلَ حَتَّى يَأْتِيَ فَارِقْلِيطَ آخِرُ وَإِنْ قُلْنَا مَعَهُمْ إِنَّ مَعْنَاهُ الْحَامِدُ فَأَيُّ لَفْظٍ أَقْرَبَ إِلَى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا .

قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ وَفِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا تَرْجُمُوهُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي بَلِ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي بِهِذَا الْكَلَامَ لَكُمْ وَأَمَّا الْفَارِقْلِيطُ رُوحَ الْقُدُسِ الَّذِي يُرْسَلُهُ أَبِي بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُمْ لَكُمْ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا بَيَانٌ أَلَيْسَ هَذَا صَرِيحًا فِي أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ رَسُولٌ يُرْسَلُهُ اللَّهُ وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ وَهُوَ يُصَدِّقُ بِالْمَسِيحِ وَيُظْهِرُ اسْمَهُ أَنَّهُ رَسُولٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ بِإِلَهِ وَهُوَ يُعَلِّمُ الْخَلْقَ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُهُمْ كُلَّ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُمْ وَكُلُّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ أَبِي فَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مُبَدَّلَةٌ مُحَرَّفَةٌ وَلَيْسَتْ مُنْكَرَةً الْأَسْتِعْمَالِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ إِشَارَةً إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ لَفْظَةٌ تَعْظِيمٌ يُخَاطَبُ بِهَا الْمُتَعَلِّمُ مُعَلِّمَهُ الَّذِي يَسْتَعِيذُ مِنْهُ الْعِلْمَ وَمِنَ الْمَشْهُورِ مُخَاطَبَةُ النَّصَارَى عَظَمَاءَ دِينِهِمْ بِالْإِبَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَمْ تَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَبَنُو عِيصُو يَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ بِسُوءِ فَهْيِهِمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا قَوْلُهُ يُرْسَلُهُ بِاسْمِي فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى شَهَادَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالصُّدْقِ وَالرَّسَالَةِ وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ مَدْحِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا افْتَرَى فِي أَمْرِهِ .

وَفِي تَرْجَمَةِ أُخْرَى لِلْإِنْجِيلِ أَنَّهُ قَالَ: الْفَارِ قَلِيْطُ إِذَا جَاءَ وَبَحَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَلَا يَقُولُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ مَا يَسْمَعُ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ وَيَسْوَسُهُمْ بِالْحَقِّ وَيُخْبِرُهُمْ بِالْحَوَادِثِ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ طَعْرُ بِكَ يَلْفِظُ: فَإِذَا جَاءَ رُوحَ الْحَقِّ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَأْتِي وَهُوَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي وَيُخْبِرُكُمْ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَا يَقُولُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ أَيَّ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] وَقَوْلُهُ وَهُوَ يُمَجِّدُنِي فَلَمْ يُمَجِّدْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَمَجِّدِيهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَبِرَّأَهُ وَبِرَّأَ أُمَّهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمَا وَأَمَرَ بِذَلِكَ. قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي وَبَحَّ الْعُلَمَاءَ عَلَى كَيْتَمَانَ الْحَقِّ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَبَعِ الدِّينِ بِالْمُثَمِّنِ الْبُخْسِ وَمَنِ الَّذِي أَنْذَرَ بِالْحَوَادِثِ وَأَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي الدَّلَائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الْأَمْوِيِّ قَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرْقَلِ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِيَلَّا قَالَ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مُذَهَبَةٌ فِيهَا بُيُوتٌ صِغَارٌ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ فَفَتَحَ وَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ حَمْرَاءَ وَإِذَا رَجُلٌ ضَخْمٌ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمِ الْإِلْيَتَيْنِ لَمْ أَرْ مِثْلَ طُولِ عُنُقِهِ وَإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا لَا قَالَ هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ وَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ ضَخْمٌ الْهَامَةِ حَسَنُ اللَّحْيَةِ فَقَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا لَا قَالَ هَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ وَأَخْرَجَ حَرِيرَةً فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءَ وَإِذَا فِيهَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا نَعَمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيِّنَا وَاللَّهِ إِنَّهُ أَيُّ هِرْقَلِ قَامَ قَائِمًا ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ إِنَّهُ لَهُوَ فَقُلْنَا نَعَمْ إِنَّهُ لَهُوَ كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فَأَمْسَكَ سَاعَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْرَجُ الْبُيُوتِ وَلَكِنْ عَجَلْتُهُ لَكُمْ لِأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُمْ الْحَدِيثَ وَفِيهِ ذِكْرُ صُورِ الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ قَالَ فَقُلْنَا لَهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الصُّورُ فَقَالَ إِنْ آدَمُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِهِ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ صُورَهُمْ فَكَانَتْ فِي خِزَانَةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَاسْتَخْرَجَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَدَفَعَهَا إِلَيَّ دَائِيَالًا.

وَفِي زُهْرٍ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَزْمُورِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ فَاضْتِ النَّعْمَةُ مِنْ شَفْتَيْكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا بَارَكَكَ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ تَقَلَّدُ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَّتَكَ مَفْرُونَةٌ بِهَيْبَتِهِ

يَمِينِكَ وَسَهَامِكَ مَسْنُونَةٌ وَجَمِيعَ الْأُمَمِ يَخِرُونَ تَحْتِكَ . فَهَذَا الْمَزْمُورُ يُنَوِّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْنُّعْمَةُ الَّتِي فَاضَتْ مِنْ شَفَقَتِهِ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُهُ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي سَنَّهَا وَفِي قَوْلِهِ تَقَلَّدَ سَيْفَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ إِذْ لَيْسَ يَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا الْعَرَبُ وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّدُونَهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَفِي قَوْلِهِ فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَّتَكَ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ شَرِيعَةٍ وَسُنَّةٍ وَأَنَّهَا تُقَوْمُ بِسَيْفِهِ وَالْجَبَّارُ الَّذِي يَجْبُرُ الْخَلْقَ بِالسُّيْفِ عَلَى الْحَقِّ وَيَضْرِبُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْرًا .

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُثَنَّبٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ قَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْزَلَنِّي عَلَى جِبَالِ الْعَرَبِ نُورًا يَمَلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمَّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَتَبَاتِ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولًا وَيَكْفُرُونَ بِمَلِكِ آبَائِهِمْ وَيَفْرُونَ مِنْهَا قَالَ مُوسَى سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ لَقَدْ كَرَّمْتَ هَذَا النَّبِيَّ وَشَرَّفْتَهُ قَالَ اللَّهُ يَا مُوسَى إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ وَأُذِلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ وَبِالْعَدْلِ زَيْنَتُهُ وَلِلْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ وَعِزَّتِي لِأَسْتَلْقِدَنَّ بِهِ أُمَّةً مِنَ النَّارِ فَتَحَتْ الدُّنْيَا بِإِبْرَاهِيمَ وَخَتَمْتُهَا بِمُحَمَّدٍ مَقَلَّ كِتَابُهُ الَّذِي يَجِيءُ بِهِ فَاغْتَلَبُوهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَثَلِ السُّقَاءِ الْمَمْلُوءِ لَبَنًا يُمَخَّضُ فَيُخْرِجُ زُبْدًا بِكِتَابِهِ أَخْتَمَ الْكُتُبَ وَبِشَرِيعَتِهِ أَخْتَمَ الشَّرَائِعَ فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ بَرِيءٌ أَجْعَلُ أُمَّةً يَبْنُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَسَاجِدَ إِذَا ذُكِرَ اسْمِي فِيهَا ذُكِرَ اسْمُ ذَلِكَ النَّبِيِّ مَعِي لَا يَزُولُ ذِكْرُهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَزُولَ ذِكْرُهُ ابْنُ ظَفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ .

النوع الخامس

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَثُبُوتِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَمَكَاتِهِ وَفِيهِ خَمْسَةٌ فَصُولٍ

الفضل الأول

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١] قِيلَ إِنَّ نَ لَوْحٍ مِنْ نُورٍ تَكْتُبُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ اللَّهُ وَلَقَدْ سَبَّلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ

كَانَ خُلْفُهُ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَلَامُهُ مُطَابِقًا لِلْقُرْآنِ تَفْصِيلًا وَتَبْيِينًا وَعُلُومُهُ عُلُومُ الْقُرْآنِ وَإِرَادَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مَا أَوْجَبَهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ وَإِعْرَاضُهُ وَتَرَكُهُ لِمَا مَنَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ وَرَغْبَتُهُ فِيَمَا رَغِبَ فِيهِ وَرَهْدُهُ فِيَمَا رَهَدَ فِيهِ وَكَرَاهَتُهُ لِمَا كَرِهَهُ وَمَحَبَّتُهُ لِمَا أَحَبَّهُ وَسَعْيُهُ فِي تَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ فَتَرْجَمَتْ رِضِيَّ اللَّهِ عَنْهَا لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهَا بِالْقُرْآنِ وَبِالرُّسُولِ وَحُسْنِ تَغْيِيرِهَا عَنْ هَذَا كُلِّهِ بِقَوْلِهَا كَانَ خُلْفُهُ الْقُرْآنَ، وَلَمَّا وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَلَى خُلْقٍ عَظِيمٍ قَالَ: ﴿فَسْتَبْصِرْ وَتُبْصِرُونَ بِأَيْكُمُ الْمَفْثُونَ﴾ [القلم: ٦] أَيْ فَسْتَرَى يَا مُحَمَّدُ وَسَيَرَى الْمُشْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ فَإِنَّكَ تَصِيرُ مُعْظَمًا وَيَصِيرُونَ أَذِلَّةً مَغْلُوبِينَ وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ.

الفصل الثاني

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ لَدَيْهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١، ٢، ٣] تَأْمَلْ مُطَابَقَةَ هَذَا الْقَسَمِ وَهُوَ نُورُ الضُّحَى الَّذِي يُؤَافِي بَعْدَ ظِلَامِ اللَّيْلِ لِلْمُقَسَمِ عَلَيْهِ وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اخْتِبَاسِهِ عَنْهُ حَتَّى قَالَ أَعْدَاؤُهُ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبَّهُ فَتَفَقَى سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ وَدَّعَ نَبِيَّهُ أَوْ قَلَاهُ فَالتَّوَدُّيعُ التَّرْكَ وَالْقَلَى الْبُغْضُ أَيْ مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اعْتَنَى بِكَ وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤] هَذَا يَعْمُ أَخْوَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَالَةٍ يُرْفِقِيهِ إِلَيْهَا هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا كَمَا أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا ثُمَّ وَعَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُهُ وَيَنْشُرُحُ بِهِ صَدْرُهُ وَهُوَ أَنْ يُعْطِيَهُ فَيَرْضَى وَهَذَا يَعْمُ مَا يُعْطِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْهُدَى وَنَشْرَ دَعْوَتِهِ وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِ خُلْفَائِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَا يُعْطِيهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَمَا يُعْطِيهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُعْطِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ كُلَّ مَا يُرْضِيهِ.

ثُمَّ ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ بِنِعْمِهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَهَا بِمَا يَلِيْقُ بِهَا مِنَ الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

الفصل الثالث

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَضَدِّيقِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى فِي نَطْقِهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾

[النجم: ١] أَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّجْمِ عَلَى بَرَاءَةِ رَسُولِهِ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَغْدَاؤُهُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ .
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَقْسَمَ بِالْثُرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ وَغَابَتْ ، وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾
 [النجم: ١] وَلَمْ يَقُلْ مُحَمَّدٌ تَأْكِيدًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ صَاحِبُهُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ
 وَبِحَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَغْرِفُونَهُ بِكَذِبٍ وَلَا غَيِّ وَلَا ضَلَالٍ وَلَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَمْرًا
 وَاجِدًا وَقَدْ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَمْ لَمْ يَغْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ [المؤمنون:
 ٦٩] ثُمَّ نَزَّهَ نَطَقَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَضْدَرَ عَنْ هَوَى فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا
 يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣] وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ
 قَالَ كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ
 يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا .

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ وَضْفِ مَنْ عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ فَقَالَ :
 ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥] وَهُوَ جِبْرِيلُ وَلَا شَكَّ أَنْ مَدَحَ الْمُعَلِّمَ مَدْحَ لِمُتَعَلِّمٍ وَهَذَا
 تَظْهِيرٌ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ذِي قُوَّةٍ حِنْدٌ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَوْحَى
 إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١] فَأَخْبَرَ شُبْحَانَهُ عَنْ تَضْيِيقِ فُؤَادِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَاهُ عَيْنَاهُ وَأَنَّ الْقَلْبَ صَدَقَ الْعَيْنَ وَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى شَيْئًا عَلَى
 خِلَافٍ مَا هُوَ بِهِ فَكَذَّبَ فُؤَادُهُ بَصَرَهُ بَلْ مَا رَأَاهُ بِبَصَرِهِ صَدَقَهُ الْفُؤَادُ وَعَلِمَ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَقَالَ
 تَعَالَى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ ﴾ [التكوير: ١٦] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
 شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] أَي لَا أُقْسِمُ إِذْ الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى قَسَمٍ وَفِيهِ
 أَقْوَالٌ أُخْرَى أَنَّهُ أَي الْقُرْآنَ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ .

وَهُوَ هُنَا جِبْرِيلُ وَأَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ تَارَةً وَإِلَى الْبَشَرِيِّ أُخْرَى وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِمَا إِضَافَةٌ تَبْلِيغٌ لَا
 إِضَافَةٌ إِنْشَاءً مِنْ عِنْدِهِمَا وَلَفْظُ الرَّسُولِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ كَلَامَ مَنْ
 أَرْسَلَهُ فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِبْرِيلُ تَلَقَّاهُ
 عَنِ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْمَلَكِيِّ
 فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ يُعْطِي أَفْضَلَ الْعَطَايَا وَهِيَ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْهُدَايَةُ وَالْبِرُّ وَالْإِرْشَادُ
 وَهَذَا غَايَةُ الْكَرَمِ ﴿ وَذِي قُوَّةٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] كَمَا قَالَ فِي النَّجْمِ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى فَيَمْنَعُ
 بِقُوَّتِهِ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَذْنُوا مِنْهُ وَأَنْ يَزِيدُوا فِيهِ أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ وَرُويَ أَنَّهُ رَفَعَ قُرْبَاتٍ قَوْمَ لُوطٍ

الْأَرْبَعِ عَلَى قَوَائِمِ جَنَاحِهِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاءِ نَبَاحَ كِلَابِهَا وَأَصْوَاتَ بَنِيهَا. ﴿عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] أَيْ مَتَمَكَّنِ الْمُنَزَّلَةَ وَهَذِهِ الْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الْإِكْرَامِ وَالتَّشْرِيفِ
وَالتَّعْظِيمِ ﴿مُطَاعٍ﴾ [التكوير: ٢٠] فِي مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُقَرَّبِينَ يَضُدُّوْنَ عَنِ أَمْرِهِ
وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ «ثُمَّ» هُنَاكَ «أَمِينٍ» عَلَى وَحْيِ اللَّهِ رِسَالَتِهِ فَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْخِيَانَةِ
وَالزَّلَلِ فَهَذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَزَكِيَّةَ سَنَدِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ سَمَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ جِبْرِيلَ وَسَمَاعُ جِبْرِيلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَاهِيكَ بِهَذَا السَّنَدِ عَلُوا وَجَلَالَةَ فَقَدْ تَوَلَّى اللَّهُ
تَزَكِيَّتَهُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَزَّ رَسُولُهُ الْبَشَرِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَاهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَالَ:
﴿وَمَا صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] وَهَذَا أَمْرٌ يَعْلَمُونَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِيهِ وَإِنْ قَالُوا
بِالْإِسْتِيْهِمْ خِلَافَهُ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ رُؤْيِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَأَى بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ
مَلَكٌ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ يُرَى بِالْعِيَانِ وَيُذْرَكُ بِالْبَصْرِ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾
[التكوير: ٢٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَ بِبَخِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْغَيْبَ
هَهُنَا الْقُرْآنَ وَالْوَحْيَ وَقُرْيَاءَ ﴿بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] وَمَعْنَاهُ الْمُتَّهَمُ وَالْمَعْنَى وَمَا هَذَا
الرَّسُولُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِيهِ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا
يَنْقُصُ مِنْهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُنسِمُ بِمَا تُبصِرُونَ وَمَا لَا تُبصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:
٣٨] الْآيَةُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا مَا يُبصِرُ مِنْهَا وَمَا لَا يُبصِرُ وَهَذَا أَعَمُّ قَسَمٍ وَقَعَ فِي
الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَعُمُّ الْعُلُوبِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى فَذَلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ
عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ
كَمَا أَنَّ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ مَا يُرَى مِنْهَا وَمَا لَا يُرَى حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ إِنَّهُ حَقٌّ
كَمَا أَنَّ مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْعَلِيِّ وَمَا لَا تُشَاهِدُونَهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنْ جَمِيعِ مَا
يُبصِرُهُ وَمَا لَا يُبصِرُهُ نَفْسُهُ وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ وَنَشْأَتُهُ وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَفِي ذَلِكَ
أَبِينٌ دَلَالَةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَنْ لَمْ يَبَاشِرْ قَلْبَهُ ذَلِكَ حَقِيقَةً لَمْ تُخَالِطْ بِشَاشَةَ الْإِيمَانِ قَلْبَهُ.

ثُمَّ أَقَامَ سُبْحَانَهُ الْبُرْهَانَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّقُولْ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَهُ وَأَنَّهُ لَوْ

تَقُولَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى لَمَا أَقْرَهُ وَلَعَاجِلَهُ بِالْإِهْلَاكِ فَإِنَّ كَمَالَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ يَأْتِي أَنْ يُقِرَّ مَنْ تَقُولَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ وَأَضَلَّ عِبَادَهُ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَ مَنْ كَذَّبَهُ وَحَرَبِمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَقْدَرِ الْقَادِرِينَ أَنْ يُقِرَّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُ وَيَنْصُرَهُ وَيُعَلِّمَهُ وَيُظَهِّرَهُ وَيُظْفِرَهُ بِهِمْ فَيَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ قَائِلًا إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِذَلِكَ وَأَبَاحَهُ لِي بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِ التَّضْديقِ كُلِّهَا فَيُصَدِّقَهُ بِإِقْرَارِهِ وَبِالآيَاتِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ ثُمَّ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِهَا كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فَكُلُّ آيَةٍ عَلَى انْفِرَادِهَا مُصَدِّقَةٌ لَهُ ثُمَّ يُقِيمُ الدَّلَائِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ هَذَا قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ فَيَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ وَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَبْيَنِ الْبُهْتَانِ أَنْ يَجُوزَ عَلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ وَالْمَرَادُ بِالرُّسُولِ الْكَرِيمِ هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [المرسلات: ٨] قِيلَ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَقِيلَ الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ وَقِيلَ الْمُضْحَفُ وَرَجَّحَهُ ابْنُ الرَّفْعَةِ.

الفصل الرابع

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٢] الْآيَةُ قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢] وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الْكُفَّارِ حَيْثُ قَالُوا لَسْتَ مُرْسَلًا فَأَقْسَمَ اللَّهُ بِأَسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَعَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيْمَانِهِ أَيْ طَرِيقِ لَا اغْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ قَالَ النَّقَّاشُ لَمْ يُقْسِمِ اللَّهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الخامس

فِي قَسَمِهِ بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَضْرِهِ وَبَلَدِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَنَرُكْ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] الْعَمْرُ هُوَ الْعَمْرُ

وَيُفْتَحُ فِي الْقَسَمِ وَيَعْمَهُونَ يَتَحَيَّرُونَ وَفِي الْمُخَاطَبِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْهُ لِلرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالثَّانِي أَنَّ الْخُطَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَفِي هَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ رَفِيعٌ وَجَاءَ عَرِيضُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] يَقُولُ وَحَيَاتِكَ وَعَمْرِكَ وَبَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَرَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِلَفْظٍ وَمَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢] الْآيَةُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْبَلَدِ الْأَمِينِ وَهُوَ مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى وَهُوَ بَلَدُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَيْدُهُ بِحُلُولِهِ فِيهِ إِظْهَارًا لِمَزِيدِ فَضْلِهِ وَإِشْعَارًا بِأَنَّ شَرَفَ الْمَكَانِ بِشَرَفِ أَهْلِهِ قَالَهُ الْبَيْضَاوِيُّ ثُمَّ أَقْسَمَ بِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ وَهُوَ فِيمَا قِيلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمَا وَلَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ هُوَ مِنَ الْحُلُولِ فَيَتَضَمَّنُ إِفْسَامَهُ تَعَالَى بِبَلَدِهِ الْمُشْتَمَلِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْبِقَاعِ وَاشْتَمَلَ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَةً إِمَامًا وَهَادِيًا لَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ وَلَا يَخْفَى مَا فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِبَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زِيَادَةِ التَّعْظِيمِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِكَ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِكَ فَقَالَ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] قِيلَ مَكَّةُ وَقِيلَ الْمَدِينَةُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَالْبَيْضَاوِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ أَقْسَمَ بِزَمَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجُّوا لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ بِقِيْرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ بِقِيْرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيْرَاطِينَ فَعَمِلْتُمْ فَعَصَبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ أَجْرًا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهَلْ نَقَضْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ فَكُنْتُمْ أَقْلُ عَمَلًا وَأَكْثَرُ

أَجْرًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالُوا فَهَذَا الْحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْعَصْرَ هُوَ عَصْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي هُوَ فِيهِ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِزَمَانِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] وَبِعَمْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢] وَذَلِكَ كُلُّهُ
كَالظُّرْفِ فَكَيْفَ حَالُ الْمَظْرُوفِ قَالَ وَوَجْهَ الْقَسَمِ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ إِذْ
أَعْرَضُوا عَنْكَ فَانظُرْ شِدَّةَ اغْتِنَاءِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَعَلَّمَ أَنَّهُ أَحَبُّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ.

النوع السادس

فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وَقِيلَ الْمُرَادُ الْقُرْآنُ وَوَصَفَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَالْمُرَادُ كَوْنُهُ هَادِيًا مُبَيِّنًا
كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ فَبَيَّنَّهُ أَقْوَى وَأَتْمُّ وَأَنْفَعُ مِنَ نُورِ الشَّمْسِ
وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةُ أَعْظَمَ فِي النُّورَانِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ فَكَمَا أَنَّ
الشَّمْسَ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ تُفِيدُ النَّورَ لِغَيْرِهَا وَلَا تَسْتَفِيدُ مِنْ غَيْرِهَا فَكَذَا نَفْسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفِيدُ الْأَنْوَارَ الْعَقْلِيَّةَ لِسَائِرِ الْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ الشَّمْسَ بِأَنَّهَا سِرَاجٌ
حَيْثُ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وَكََمَا وَصَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ وَصَفَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نُورٌ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ وَنُورُهُ الْمُقَدَّسُ هُوَ سِرُّ الْوُجُودِ
وَالْحَيَاةِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَهُوَ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْعَالَمِ فَأَشْرَقَ عَلَى الْعَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ فَصَارَتْ سُرُجًا مُنِيرَةً يَسْتَمِدُّ مِنْهَا مَنْ دُونَهَا بِجُودِ اللَّهِ ثُمَّ سَرَى النَّورُ إِلَى عَالَمِ
النُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ثُمَّ طَرَحَتْهُ النُّفُوسُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجُسُومِ فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا نُورُ اللَّهِ
السَّارِي إِلَى الشَّيْءِ مِنْهُ بِقَدْرِ قَبُولِهِ وَوُسْعِ اسْتِعْدَادِهِ وَرَحْبِ تَلْقِيهِ وَقَوْلُهُ: «مَثَلُ نُورِهِ» أَيُّ مَثَلُ
هُدَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنْ مُقَاتِلِ أَيُّ مَثَلُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِضْبَاحٌ فَالْمِشْكَاةُ نَظِيرُ صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ وَالزُّجَاجَةُ نَظِيرُ جَسَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمِضْبَاحُ نَظِيرُ الْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةُ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ غَيْرِهِ
الْمِشْكَاةُ نَظِيرُ إِبْرَاهِيمَ وَالزُّجَاجَةُ نَظِيرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْمِضْبَاحُ جَسَدُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ وَالشَّجَرَةُ النُّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ.

النوع السابع

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ وُجُوبَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعَ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ٥٩] ومحمد:
[٣٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وَقَالَ
تَعَالَى: [قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ] [آل عمران: ٣٢]
قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةَ رَسُولِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَوَعَدَ عَلَى ذَلِكَ بِجَزِيلِ
الثَّوَابِ وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ الْعِقَابِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
[النساء: ٨٠] يَعْنِي مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ لِكُؤْنِهِ رَسُولًا مُبَلَّغًا إِلَى الْخَلْقِ أَحْكَامَ اللَّهِ فَهُوَ فِي
الْحَقِيقَةِ مَا أَطَاعَ إِلَّا اللَّهَ وَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] فَإِنَّ مَنْ أَعَمَّاهُ اللَّهُ عَنِ الرُّشْدِ وَأَضَلَّهُ عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِزْشَادِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ
الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ طَاعَتُهُ طَاعَةً
لِلَّهِ تَعَالَى وَأَيْضًا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِمُتَابَعَتِهِ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وَالْمُتَابَعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِثْبَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ الْغَيْرِ فَتَبَّتْ أَنَّ الْأَنْقِيَادَ لَهُ
فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ إِلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ طَاعَةً لَهُ وَأَنْقِيَادَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الْآيَةُ وَهَذَا عَامٌّ فِي الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَقَدْ ذَكَرُوا فِي.

سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ شَدِيدَ
الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَاتَّاهُ يَوْمًا وَقَدْ تَعَيَّرَ وَجْهَهُ وَنَجَلَ
جِسْمَهُ وَعَرِفَ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَقْتُكَ وَاسْتَوْحَشْتُ وَخَشْتُهُ عَظِيمَةً حَتَّى أَلْقَاكَ

فَذَكَرْتُ الْأَخِرَةَ بِحَيْثُ لَا أَرَاكَ هُنَاكَ لِأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَأَنْتَ تَكُونُ فِي دَرَجَاتِ النَّبِيِّينَ وَإِنَّا لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَحَيْثُ لَا أَرَاكَ أَبَدًا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفَارِقَكَ فَإِنَّكَ لَوْ قَدِمْتَ لَرُفِعَتْ فَوْقَنَا وَلَمْ نَرَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ . وَذَكَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلًا قَالَ أَتَى فَتَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا مِنْكَ نَظْرَةً فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا نَرَاكَ فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ الْمُحَقِّقُونَ لَا تُنْكَرُ صِحَّةُ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ إِلَّا أَنْ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا أَغْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَثَبَتَ عَنْهُ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِزْتُمْ مَسِيرًا وَلَا تَزَلْتُمْ مَنْزِلًا إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] . وَهَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَتَمَرَّتْهَا وَقَائِدَتِهَا فَدَلِيلُهَا وَعَلَامَتُهَا اتِّبَاعُ الرَّسُولِ وَقَائِدَتُهَا وَتَمَرَّتُهَا مَحَبَّةُ الْمُرْسَلِ لَكُمْ فَمَا لَمْ تَخْضَلِ الْمُتَابِعَةُ فَلَا مَحَبَّةَ لَكُمْ حَاصِلَةٌ وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةٌ وَيَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ وَثُبُوتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ بِدُونِ الْمُتَابِعَةِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابِعَةَ الرَّسُولِ هِيَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَةُ أَمْرِهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَتَى كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ النَّبِيُّ وَلَا يَهْدِيهِ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ طَاعَةَ أَحَدٍ مِنْ مَوْلَاءِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ قَوْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ مَرْضَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ خَوْفَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ

رَجَاءَهُ أَوْ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ عَلَى حَوْفِ اللَّهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ أَوْ مُعَامَلَةً أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مُعَامَلَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ فَهُوَ كَذِبٌ مِنْهُ وَإِخْبَارٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ عَلَيْهِ انْتَهَى مُلْخَصًا مِنْ كِتَابِ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] أَيْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَجَعَلَ رَجَاءَ الْإِهْتِدَاءِ أَثَرَ الْأَمْرَيْنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ وَاتِّبَاعِهِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنْ مَنْ صَدَّقَهُ وَلَمْ يُتَابِعْهُ بِالتَّيْمَامِ شَرَعَهُ فَهُوَ فِي الضَّلَالَةِ فَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُ إِلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] يَغْنِي الْقُرْآنُ فَالْإِيمَانُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ لَا يَتِمُّ إِيْمَانُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَصِحُّ إِسْلَامٌ إِلَّا مَعَهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣] أَيْ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الْآيَةُ مَعْنَاهَا فَوَرَبِّكَ وَلَا مَزِيدَ لِلتَّأَكِيدِ لِمَعْنَى الْقَسَمِ وَلَا يُؤْمِنُونَ جَوَابُ الْقَسَمِ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَيَرْضَى بِجَمِيعِ مَا حَكَمَ بِهِ وَيَتَّقَادَ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا سِوَاءَ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَعَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الرِّضَا بِحُكْمِهِ فِي الْقَلْبِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَخْضَلَ الْجُزْمَ وَالتَّيَقُّنُ فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِنْتِقَادِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا .

النوع الثامن

فِيمَا يَتَّضَمُّنُ الْأَدَبَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] قَالَ مُجَاهِدٌ لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ وَانظُرْ أَدَبَ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ تَقْدَمَ

بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْفَ تَأَخَّرَ فَقَالَ مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي فُحَّافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَيْفَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بَعْدَهُ. وَقَالَ الضُّحَّاكُ لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ غَيْرُهُ لَا تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ وَلَا تَنْهَوْا حَتَّى يَنْهَى.

فَمِنْ الْأَدَبِ أَنْ لَا يُتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصْرُفٍ حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذَا بَاقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ يُنْسَخْ فَالْتَقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَالْتَقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلِ سَلِيمٍ، وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] قَالَ الرَّازِيُّ أَفَادَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَتَكَلَّمُ الْعَبْدُ عِنْدَ سَيِّدِهِ أَيْ بَلْ يَكُونُ صَوْتُهُ دُونَ صَوْتِهِ مَعَ سَيِّدِهِ. وَإِذَا كَانَ رَفَعُ الْأَصْوَاتِ فَوْقَ صَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوجِبًا لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْأَرَءِ وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ إِلَّا كَأَجِي السِّرَّ أَيْ الْكَلَامِ الْخَفِيِّ الَّذِي يُرَادُ كُنْمُهُ وَأَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ حَدَّثَهُ كَأَجِي السِّرَّ مَا كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ. وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَاطَرَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ مَالِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] وَالْآيَةُ وَذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَأَدَّبُونَ مِنَ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٤] وَالْآيَةُ وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ.

وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُجْعَلَ دُعَاؤُهُ كَدُعَاءِ بَعْضِنَا بَعْضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْمُفَسِّرِينَ أَحَدُهُمَا لَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بَلْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ الثَّانِي أَنْ الْمَعْنَى لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا إِنْ شَاءَ

الْمَدْعُو أَجَابَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ بَلْ إِذَا دَعَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَتِهِ وَلَمْ يَسْغَكُمُ التَّخْلُفُ عَنْهَا الْبُتَّةَ فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاجِبَةٌ وَالْمَرَاجَعَةُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ مُحْرَمَةٌ .

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ مِنْ حُطْبَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ رَبَاطٍ لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مَذْهَبًا فِي حَاجَةٍ لَهُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَشْكَلُ قَوْلُهُ بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْأَرْاءُ بِقَوْلِهِ وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيَسَةُ وَتُلْقَى لِئُصُوبِهِ وَلَا يُحَرَّفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخِيَالِ مُخَالِفِ تَسْمِيَةِ أَصْحَابِهِ مَعْقُولًا نَعَمْ هُوَ مَجْهُولٌ وَعَنِ الصَّوَابِ مَغْزُولٌ وَلَا يَتَوَقَّفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْأَنْفِيَادِ لِأَمْرِهِ وَتَلْقَى حَبْرَهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ دُونَ أَنْ يَحْمِلَهُ مُعَارَضَةٌ خِيَالٍ بَاطِلٍ عَلَى أَنْ يُقَدَّمَ عَلَيْهِ آراءُ الرِّجَالِ فَيُوحَدُ التَّحْكِيمَ وَالتَّسْلِيمَ وَالْأَنْفِيَادَ لِلرَّسُولِ كَمَا وَحَدَ الْمُزْسِلَ بِالْعِبَادَةِ فَهَمَّا تَوْحِيدَانِ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِهِمَا . وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالآيَاتِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

النوع التاسع

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ رَدَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى عَدُوِّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْفِيحًا لِشَأْنِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] أَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ عَدُوُّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهَكَذَا سُنَّةُ الْأَحْبَابِ فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا سَمِعَ مَنْ يَسُبُّ حَبِيبَهُ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ جَوَابَهُ فَهَهُنَا تَوَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَوَابَهُمْ بِنَفْسِهِ مُنْتَصِرًا لَهُ لِأَنَّ نُصْرَتَهُ تَعَالَى لَهُ أَنَّهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ وَأَزْفَعُ لِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ عَلَى تَنْزِيهِ رَسُولِهِ مِمَّا افْتَرَّتْ بِهِ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الْكُفْرَةَ وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وَسَيَعْلَمُ أَعْدَاؤُهُ الْمُكْذِبُونَ لَهُ أَيُّهُمْ الْمُفْتُونَ هُوَ أَوْ هُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَزْدَادُ عِلْمُهُمْ بِهِ

فِي الْبَرْزَخِ وَيُنَكِّشِفُ وَيُظْهِرُ كُلُّ الظُّهُورِ فِي الْأَجْرَةِ بِحَيْثُ يَتَسَاوَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

لَمَّا رَأَى الْعَاصِي بَنُ وَإِئِيلَ السُّهْمِيَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَدْخُلُ فَالْتَقِيَا عِنْدَ بَابِ بَنِي سَهْمٍ وَتَحَدَّثَا وَأَنَاسَ مِنْ صَنَادِيدِ فُرَيْشِ جُلُوسٍ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا دَخَلَ الْعَاصِي قَالُوا مَنْ ذَا الَّذِي كُنْتَ تَحَدَّثُ مَعَهُ قَالَ ذَلِكَ الْأَبْتَرُ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَدْ تُوفِّيَ ابْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَدِيجَةَ فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَتَوَلَّى جَوَابَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أَيْ عَدُوُّكَ وَمُبْغِضُكَ هُوَ الدَّلِيلُ الْحَقِيرُ. وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١ وغيرها] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ: ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصفات: ٣٦] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلِ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧] فَصَدَّقَهُ ثُمَّ ذَكَرَ وَعِيدَ خُصَمَائِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الصفات: ٣٨] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]. وَقَالَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] وَلَمَّا قَالُوا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠] الْآيَةَ. وَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْأُولِينَ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وَلَمَّا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشِيرِ﴾ [المدثر: ٢٤] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] تَسْلِيَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَمَّا قَالُوا مُحَمَّدٌ قَلَاءَةٌ رَبُّهُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

بِقَوْلِهِ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. وَلَمَّا قَالُوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنْهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وَلَمَّا حَسَدْتَهُ أَغْدَاءُ اللَّهِ
الْيَهُودُ عَلَى كَثْرَةِ النِّكَاحِ وَالزُّوجَاتِ وَقَالُوا مَا هُمُّهُ إِلَّا النِّكَاحُ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] وَلَمَّا اسْتَبَعَدُوا أَنْ يَتَّبِعَ اللَّهُ
رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ بِقَوْلِهِمُ الَّذِي حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وَجَهِلُوا أَنَّ التَّجَانُسَ يُورِثُ
النَّاسَ وَأَنَّ التَّخَالَفَ يُورِثُ التَّبَايُنَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] أَيْ لَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً لَوَجِبَ
أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ
مِنَ الْبَشَرِ وَقَدْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يُدَافِعُونَ عَنِ أَنْفُسِهِمْ وَيَرُدُّونَ عَلَى أَغْدَائِهِمْ كَقَوْلِ نُوحٍ: ﴿يَا
قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ﴾ [الأعراف: ٦١] وَقَوْلِ هُودٍ ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ رَبِّي سَافِهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧].

النوع العاشر

فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ عَنِ آيَاتِ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَشَابِهَاتٍ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] اِعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ لَعَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ضَلَّ لِحِظَةً وَاحِدَةً قَطُّ قَالَ فِي الشُّفَاءِ وَالصُّوَابِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ قَبْلَ
النُّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَالتَّشْكِيكِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ تَعَاضَدَتِ الْأَخْبَارُ وَالْأَثَارُ
عَنْ الْأَنْبِيَاءِ بِتَثْرِيهِمْ عَنْ هَذِهِ التَّقِيصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا وَنَشَأَتْهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بَلْ عَلَى
إِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَنَفْحَاتِ الطَّافِ السَّعَادَةِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَحَدًا نُبِيًّا
وَاصْطَفِيًّا مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاقٍ قَبْلَ ذَلِكَ وَمُسْتَنَّدٌ هَذَا الْبَابِ الثَّقَلُ.

وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ وَجَدَكَ ضَالًّا عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ
وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] أَيْ مَا كُنْتُ
تَدْرِي قَبْلَ الْوَحْيِ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَلَا كَيْفَ تَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الْإِيمَانِ قَالَهُ السَّمَرَوْنَدِيُّ. قَالَ
بَكْرُ الْقَاصِيٍّ وَلَا الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْفَرَايِضُ وَالْأَحْكَامُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلُ

مُؤْمِنًا بِتَوْجِيهِهِ ثُمَّ نَزَلَتِ الْفَرَائِضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدْرِهَا قَبْلَ فَازِدَادِ بِالتَّكْلِيفِ إِيمَانًا. وَذَكَرَ
الإِمَامَ فَخْرَ الدِّينِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ضَلَلْتُ عَنْ جَدِّي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَنَا صَبِيٌّ
حَتَّى كَادَ الْجُوعُ يَمْتَلِيَنِي فَهَدَانِي اللَّهُ.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا
بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ قُلْتُ لَيْلَةً لِعُغْلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَزْعَى عَنَّمَا بِأَعْلَى مَكَّةَ لَوْ
حَفِظْتَ لِي عَنِّي حَتَّى أَذْخَلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَوَّلَ دَارٍ
مِنْ دُورِ أَهْلِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْدُفُوفِ وَالْمَرْامِيرِ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ
أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ قُلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أُذُنِي
فَمَا أَيقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣] فَقَدِ
اِخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِهِ فَقِيلَ الْمُرَادُ مِنْهُ تَخْفِيفُ أَغْيَابِ الثُّبُورِ الَّتِي يُثْقِلُ الظُّهْرَ الْقِيَامَ بِأَمْرِهَا وَحِفْظُ
مُوجِبَاتِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِهَا فَسَهَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَحَطَّ عَنْهُ ثِقَلَهَا بِأَنْ يَسْرَهَا عَلَيْهِ حَتَّى
تَيْسَّرَتْ لَهُ. وَقِيلَ الْوِزْرُ مَا كَانَ يَكْرَهُهُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِسُنَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ
لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهِمْ إِلَى أَنْ قَوَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ لَهُ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَمَعْنَى أَنقَضَ أَغْيَابِي
وَأَثْقَلْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ أَيُّ إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ غَيْرُ مُوَاحِدٍ بِذَنْبٍ أَنْ لَوْ كَانَ وَقِيلَ الْمُرَادُ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالذَّنْبِ تَرْكُ الْأَوْلَى كَمَا قِيلَ حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرَبِينَ. وَقَالَ
السُّبْكِيُّ قَدْ تَأَمَّلْتُهُمَا يَعْنِي الْآيَةَ مَعَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَوَجَدْتُهَا لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا
وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ.

وَقَدْ سَبَقَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فَقَالَ وَإِنَّمَا الْمَعْنَى التَّشْرِيفُ بِهَذَا الْحُكْمِ وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبَ الْبَيْتَةِ
وَكَيْفَ يُتَحَيَّلُ خِلَافَ ذَلِكَ وَأَحْوَالُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قَوْلٍ وَفِعْلٍ أَمَّا الْقَوْلُ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] وَأَمَّا الْفِعْلُ فإِجْمَاعُ
الصُّحَابَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالتَّاسِّي بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ لَمْ يَكُنْ
عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ تَوْقُفٌ وَلَا بَحْثٌ حَتَّى أَعْمَالِهِ فِي السُّرِّ وَالْخَلْوَةِ يَخْرِصُونَ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا
وَعَلَى اتِّبَاعِهَا عِلْمَ بِهِمْ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصُّحَابَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يُخْطِرَ بِبَالِهِ خِلَافَ ذَلِكَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] فَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَى تَوْجِبُ اسْتِدَامَةَ الْحُضُورِ وَقِيلَ الْمُرَادُ دُمْ عَلَى التَّقْوَى وَقِيلَ الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] وَلَمْ يَقُلْ بِمَا تَعْمَلُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِبِينَ﴾ [القلم: ٨] فَاغْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسَبْتِهِ إِلَى مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مَعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ أَتْبَعَهُ بِمَا يُقْوَى قَلْبَهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّشْدِيدِ مَعَ قَوْمِهِ وَقَوَى قَلْبَهُ بِذَلِكَ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَكَثْرَةِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ فَقَالَ: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِبِينَ﴾ [القلم: ٨] وَالْمُرَادُ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِهِمْ فَتَهَاؤُ اللَّهِ أَنْ يُطِيعَهُمْ وَهَذَا مِنَ اللَّهِ تَهْيِيجٍ لِلتَّشْدِيدِ فِي مُحَالَفَتِهِمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] الْآيَةَ فَقَالَ قَوْمُ الْمُخَاطَبِ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ آخِرُونَ الْمُخَاطَبِ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لَا إِمْكَانَ وَقُوعِ الشُّكِّ لَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ لَا أَشْكَ وَلَا أَسْأَلُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] أَي فِي أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالتَّزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ وَأَنْ لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيُقَارِبَ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحْسُرِ وَقِيلَ الْخِطَابُ لِأُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَي فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٤٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْزِمِ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿وَلَيْتِنِ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾

[يوسف: ٣] فَلَيْسَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧] وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لِمَنْ الْغَافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ تَحْطُرْ بِبَالِكَ وَلَمْ تَفْرَحْ سَمْعَكَ قَطُّ فَلَمْ تَعْلَمْهَا إِلَّا بِوَحْيِنَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] الْآيَةَ فَمَعْنَاهُ يَسْتَحْفِظُكَ بِغَضَبِ يَحْمُلُكَ عَلَى تَرْكِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالنَّزْعُ أَدْنَى حَرَكَةٍ تَكُونُ كَمَا قَالَهُ الرَّجَّاحُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الْآيَةَ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جَمُهورُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ التَّمَنِّيَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّلَاوُثُ وَالِقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا إِشْغَالُهُ بِخَوَاطِرٍ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالنَّشْيَانَ فِيمَا تَلَاهُ أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ اللَّهُ وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيَحْكِمُ آيَاتِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢] الْآيَاتِ فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتٌ ذَنْبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِعْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدِّيقُهُ لِذَلِكَ الْكَافِرِ كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ وَتَبْلِيغًا عَنْهُ وَاسْتِثْلَاقًا لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَا مَعْصِيَةَ وَلَا مُخَالَفَةَ لَهُ تَعَالَى وَمَا قِصَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينِ أَمْرِ الْكَافِرِ عِنْدَهُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا يُرَكِّمِي﴾ [عبس: ٧] أَي لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لَا يَتَرَكَّمِي بِالْإِسْلَامِ أَي لَا يَتَلَعَّنُ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ أَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ أَسْلَمَ بِالْأَشْتِعَالِ بِدَعْوَتِهِمْ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] الْآيَةَ فَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتَبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ عَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ التِّي فِي سُورَةِ الثَّوْرِ فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوا لِيَبْعِضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢] فَقَوْضَ الْأَمْرِ إِلَى رَأْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَخَذَهُ الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى فَعَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مُبَالَغَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِعَبْرِهِ إِذَا كَانَ عَظِيمًا عِنْدَهُ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا جَوَّابُكَ عَنْ كَلَامِي وَعَافَاكَ اللَّهُ أَلَا عَرَفْتَ حَقِّي فَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا زِيَادَةُ التَّجْبِيلِ وَالتَّعْظِيمِ. وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] فَذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاتَبٌ بِهِذِهِ

الآية وحاشاه من ذلك بل كان صلى الله عليه وسلم مخيرًا فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقتلوا ليقاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم.

وأما قوله تعالى في أسارى بدر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] فروى مسلم من حديث عمار بن الخطاب رضي الله عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقُتل منهم سبعون وأسير سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليًا فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا بن الخطاب قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر وليكني أرى أن تمكيني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه يعني العباس فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده أي ميل للمشركين فهوي صلى الله عليه وسلم ما هوي أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من العد غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبيكان فقلت يا رسول الله أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أذنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله حتى يفخن في الأرض أي يكثر القتل ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقل جزؤه ويعز الإسلام ويستولي أهله وليس في هذا إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه تعالى قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام أجلت لي العنائم ولم تحل لنبي قبلي.

وأما قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] فقيل المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد عرضه لعرص الدنيا وخده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا عليته أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع العنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يغطف عليهم العدو ثم قال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] فاختلف

الْمُفْسَّرُونَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فَقِيلَ مَعْنَاهَا لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنْ لَا أَعْدَبَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ
النَّهْيِ لَعَدَبْتُكُمْ فَهَذَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الْأَسْرَى مَعْصِيَةً وَقِيلَ لَوْلَا إِيمَانُكُمْ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ
الْكِتَابُ السَّابِقُ فَاسْتَوْجِبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ لِعُوقِبْتُمْ عَلَى الْعَنَائِمِ وَقِيلَ لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ فِي اللُّوحِ
الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا حَلَالٌ لَكُمْ لِعُوقِبْتُمْ.

وَهَذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُجِلَّ لَهُ لَمْ يَعْصِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿فَكُلُوا مِمَّا عَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى
نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافِقٌ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ إِحْلَالِ الْعَنَائِمِ وَالْفِدَاءِ
فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ الْأَسْرَى كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ
وَبَصِيرَةٍ فَلَمْ يُنْكَرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ لِعَظَمِ أَمْرِ بَدْرِ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ
وَتَأْكِيدَ مِثْقَلِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذَلِكَ لِأَعْلَى وَجْهِ عِتَابٍ أَوْ إِنكَارٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَدُّنَاكَ
ضِغْفَ الْهَمِيَّةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ﴾ [إسراء: ٧٥] الْآيَةَ فَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ
إِلَى اتِّبَاعِ مُرَادِهِمْ لَكِنْ أَدْرَكْتِكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعْتَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ
صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُمْ بِإِجَابَتِهِمْ مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ
اللَّهِ وَحِفْظِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ
لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] فَالْمَعْنَى لَوْ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا نِيَّاطَ قَلْبِهِ وَأَهْلَكْنَاهُ وَقَدْ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّقُولِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] فَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كُنْتَ تَدْرِي الْإِيمَانَ عَلَى
التَّفْصِيلِ الَّذِي شَرَعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ وَقَدْ اشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يُوحِدُ اللَّهَ وَيَبْغُضُ الْأَوْثَانَ وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ عَبَدْتَ وَتَنَاقَطُ قَالَ
لَا قِيلَ فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُ قَالَ لَا وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ كَحَجِّ النَّبِيِّ
وَالخِتَانِ وَالنُّسُلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَقْرُبُ الْأَوْثَانَ وَيَعْبِيهَا وَلَا يَعْرِفُ
شَرَائِعَ اللَّهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

المقصد السابع

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وفرض محبة إله وأصحابه
وحكم الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة فصول
الفضل الأول

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه

اعلم أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها
المتنافسون وإليها يشخص العالمون وعليها يتفانى المجهود وبروح نسييمها يتروح العابدون
فهي قوت القلوب وغذاء الأزواج وقرّة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة
الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات وهي روح الإيمان والأعمال
والأحوال والمقامات .

وإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً فانياً منقطعاً أو
استنقذه من مهلكة أو مضرّة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من
العذاب الأليم ما لا يفنى ولا يحول وإذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة
وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم
المانح لنا جوامع المكارم والفضل العظيم فقد منحننا الله به منحه الدنيا والآخرة وأسبغ علينا
نعمه باطنية وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا
وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في منبت كل شجرة منّا محبة تامة له
صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بغض ما يستحقه علينا .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من والده وولديه والناس أجمعين رواه البخاري وفي صحيح ابن خزيمة من

أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَفِي كَلَامِ الْقَاضِي عِيَاضٍ أَنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْمَحَبَّةَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَقَالَ غَيْرُهُ اعْتِقَادُ الْأَعْظَمِيَّةِ لَيْسَ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَحَبَّةِ إِذْ قَدْ يَجِدُ الْإِنْسَانُ إِعْظَامَ شَيْءٍ مَعَ خُلُوهٍ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَعَلَى هَذَا مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ الْمِثْلَ لَمْ يَكْمُلْ إِيْمَانُهُ وَإِلَى هَذَا يُؤْمِيءُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِيمَانِ وَالتُّذُورِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ فَقَالَ عُمَرَ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ يَا عُمَرُ فَهَلِيهِ الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ بِاعْتِقَادِ الْأَعْظَمِيَّةِ فَقَطْ فَإِنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً لِعُمَرَ قَبْلَ ذَلِكَ قَطْعًا.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْحُبِّ الْمَذْكُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَغْرِضُ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِهِ وَفَقْدِ رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَوْ كَانَتْ سَمَكَةً فَإِنْ كَانَ فَقْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَعْرَاضِهِ فَقَدْ اتَّصَفَ بِالْأَحْبَبِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَا فَلَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْمَانًا صَاحِبِيحًا لَا يَخْلُو عَنْهُ وَجَدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الرَّاجِحَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَّفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ بِالْحِظِّ الْأَوْفَى وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالْحِظِّ الْأَدْنَى كَمَنْ كَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي الشَّهَوَاتِ مَحْجُوبًا بِالْعَقْلَاتِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَقَّ إِلَى رُؤْيَا بَحِيثٍ يُؤَثِّرُهَا عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَيَبْدُلُ نَفْسَهُ فِي الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ وَيَجِدُ رُجْحَانَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَجَدَانًا لَا تَرُدُّ فِيهِ وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَنْ يُؤَثِّرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَرُؤْيَا مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ لِمَا وَقَرَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ سَرِيعُ الزَّوَالِ لِتَوَالِي الْعَقْلَاتِ ١ هـ. فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِهَا وَالنَّاسُ مُتَّفَاوِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَسَبِ اسْتِحْضَارِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ النَّفْعِ الشَّامِلِ لِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَالْعَقْلَةِ عَنْ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ حِظَّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَتَمُّ لِأَنَّ هَذَا تَمَرَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَهُمْ بِهَا أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَتَلَتْ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجَهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا خَيْرًا هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ فَقَالَتْ أُرُونِيهِ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلُ أَبِي صَغِيرَةٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظُّمَاءِ . وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدُّثَيْلَةَ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ زَيْدٌ وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ سُوءَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا .

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69] فِي ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرِفُ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي مَرَضٌ وَلَا وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَخَشَّةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْفَاكَ ثُمَّ ذَكَرْتُ الْأَجْرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لَا أَرَكَ لِأَنَّكَ تَرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَا أَرَكَ أَبَدًا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ .

وَمَنْ عَامِرِ الشُّعْبِيِّ قَالَ إِنْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَنَّتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَلَوْلَا أَنِّي آتَيْتُكَ فَأَرَاكَ لَرَأَيْتُ أَنْ أَمُوتَ وَيَكُنِّي الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْكَأكَ قَالَ بَكَيتُ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ وَتَمُوتُ فَتَرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَتَكُونُ نَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ دُونَكَ فَلَمْ يُحِرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَنِّي لَمْ يَزْجِعْ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ هَذَا الْأَنْصَارِيُّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ الَّذِي رَأَى الْأَذَانَ وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ هَذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي جَنَّةٍ لَهُ فَأَتَاهُ ابْنُهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تُوْفِّيَ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ بَصْرِي حَتَّى لَا أَرَى بَعْدَ حَبِيبِي مُحَمَّدًا أَحَدًا فَكُفَّ بَصْرَهُ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا عَيْنُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ وَسَكَنَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهِ وَاطْمَأَنَّتْ

قُلُوبُهُمْ بِهِ وَاسْتَأْنَسُوا بِقُرْبِهِ وَتَنَعَّمُوا بِمَحَبَّتِهِ فَفِي الْقَلْبِ طَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَعُمُومٌ وَالْأَمُّ وَحَسْرَاتٌ قَالَ صَاحِبُ الْمَدَارِجِ وَلَنْ
يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَرْتَبَةِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِطَرِيقِ تَوْصُلِهِ
إِلَيْهِ وَيَخْرِقَ ظُلُمَاتِ الطَّنِيعِ بِأَشِعَّةِ الْبَصِيرَةِ فَيَقُومَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْآخِرَةِ فَيُنَجِّدُ بِإِلَيْهَا
بِكُلِّيَّتِهِ وَيَزْهَدَ فِي التَّعَلُّقَاتِ الْفَانِيَةِ وَيَدَّأَبَ فِي تَضَحُّيِحِ التَّوْبَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَأْمُورَاتِ الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

ثُمَّ يَقُومُ حَارِسًا عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُسَامِحُهُ بِخَطْرَةٍ يَكْرَهُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا بِخَطْرَةٍ فَضُولٍ لَا
تَنْفَعُهُ فَيَضْمُرُ لِذَلِكَ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ فَحَيْثُ يَجْتَمِعُ قَلْبُهُ وَخَوَاطِرُهُ وَحَدِيثُ
نَفْسِهِ عَلَى إِزَادَةِ رَبِّهِ وَطَلْبِهِ وَالشُّوقِ إِلَيْهِ فَإِذَا صَدَقَ فِي ذَلِكَ رُزْقَ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ وَاسْتَوْلَتْ
رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ فَجَعَلَهُ إِمَامَهُ وَأُسْتَاذَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَشَيْخَهُ وَقُدُوتَهُ كَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ
وَهَادِيَهُ فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبَادِيءِ أُمُورِهِ وَكَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ
صِفَاتِهِ وَأَخْلَاقَهُ وَآدَابَهُ وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُونَهُ وَيَقْظَتَهُ وَمَنَامَهُ وَعِبَادَتَهُ وَمُعَاشَرَتَهُ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ . (وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامَاتٌ) أَعْظَمُهَا الْاِقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ وَسُلُوكُ طَرِيقِهِ وَالْاِهْتِدَاءُ
بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا حَدَّهُ لَنَا مِنْ شَرِيْعَتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فَجَعَلَ تَعَالَى مُتَابِعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً مَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ وَجَعَلَ جَزَاءَ
الْعَبْدِ عَلَى حُسْنِ مُتَابِعَةِ الرَّسُولِ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَيَحْسَبُ هَذَا الْاِتِّبَاعُ تَحْضُلُ الْمَحَبَّةِ
وَالْمُحِبُّوبِيَّةِ مَعًا وَلَا يَتِمُّ الْأَمْرُ إِلَّا بِهِمَا فَلَيْسَ الشُّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللَّهُ فَقَطْ بَلِ الشُّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ
اللَّهُ وَلَا يُحِبَّكَ إِلَّا إِذَا اتَّبَعْتَ حَبِيْبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَصَدَّقْتَهُ خَبْرًا وَأَطَعْتَهُ
أَمْرًا وَأَجَبْتَهُ دَعْوَةً وَأَثَرْتَهُ طَوْعًا وَفَنَيْتَ عَنْ حَكْمِ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ وَعَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ مِنْ الْخَلْقِ
بِمَحَبَّتِهِ وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا تَتَعَنَّ فَلَسْتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ
تَعَالَى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أَيِ الشُّأْنِ فِي أَنْ اللَّهُ يُحِبَّكُمْ لَا فِي أَنَّكُمْ
تُحِبُّونَهُ وَهَذَا لَا يَنَالُونَهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ عَلَامَةٌ حُبِّ الْعَبْدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعُ مَرْصَاةِ اللَّهِ وَالتَّمَسُّكُ بِسُنَنِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَوَجَدَ طَعْمَهُ ظَهَرَتْ ثَمَرَةٌ

ذَلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِ وَلِسَانِهِ فَاسْتَحْلَى اللِّسَانَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ وَأَسْرَعَتِ الْجَوَارِحُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ حُبُّ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي النَّيِّمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ لِلظَّمآنِ الشَّدِيدِ الْعَطَشِ فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ الطَّاعَةِ لِاسْتِلْدَاذِهِ بِهَا بَلْ تَبْقَى الطَّاعَاتُ غِذَاءً لِقَلْبِهِ وَسُرُورًا لَهُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ فِي حَقِّهِ وَنَعِيمًا لِرُوحِهِ يَلْتَنِدُ بِهَا أَعْظَمَ مِنَ اللَّذَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فَلَا يَجِدُ فِي أَوْزَادِ الْعِبَادَةِ كُلْفَةً .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَحْبَبِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ . وَعَنْ ابْنِ عَطَاءٍ مَنْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَلَا مَقَامَ أَشْرَفَ مِنْ مَقَامِ مُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّقِّيُّ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ عَلَامَةٌ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِثَارُ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ غَيْرِهِ لَا يَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ ثَوْرِ الْإِيمَانِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَمُجَابَبَةِ الْبِدْعَةِ فَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَلَقَّ الْعِلْمَ مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُوهُ عِلْمًا لَدُنِّيَا أُوْتِيَهُ فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيَا رَحْمَانِيًّا بِمُؤَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الرَّحْمَانِيُّ هُوَ تَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَرْكَى الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّنْسِيمِ وَبِهِ يَخْصُلُ الْفَهْمُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرِ يَخْتَصُّ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سُئِلَ هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ فَقَالَ لَا إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ فَاتِّبَاعُ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَنُورَ الْبَصَائِرِ وَشِفَاءَ الصُّدُورِ وَرِيَاضِ الثُّفُوسِ وَلَذَّةَ الْأَزْوَاجِ وَأَنْسُ الْمُسْتَوْجِشِينَ وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَرْضَى مُدْعِيهَا بِمَا شَرَعَهُ حَتَّى لَا يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا قَضَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فَسَلَبَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجًا مِنْ قَضَائِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ قَالَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ أَذَقْنَا اللَّهُ حَلَاوَةَ مَشْرَبِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ لَا يَخْصُلُ إِلَّا لِمَنْ حَكَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَخْذًا وَتَرْكًا وَحُبًّا وَبُغْضًا .

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتَفِ بِتَفْيِ الْإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يُحَكِّمْهُ أَوْ حَكَّمَ وَوَجَدَ الْحَرَجَ فِي نَفْسِهِ

حَتَّى أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافَةً وَعِنَايَةً وَتَخْصِيصًا وَرِعَايَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فَلَا وَالرَّبِّ إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] فَبِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ بِالْقَسَمِ وَتَأْكِيدٌ فِي الْقَسَمِ عِلْمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِمَا التُّفُوسُ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْعَلْبَةِ وَوُجُودِ النُّصْرَةِ سَوَاءً كَانَ الْحَقُّ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا وَفِي ذَلِكَ إِظْهَارٌ لِعِنَايَتِهِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَعَلَ حُكْمَهُ وَقَضَاءَهُ قَضَاءَهُ فَأَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ الْأَسْتِسْلَامَ لِحُكْمِهِ وَالْأَنْفِيَادَ لِأَمْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ بِالْهَيْبَةِ حَتَّى يُذْعِنُوا لِأَحْكَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] فَحُكْمُهُ حُكْمُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ قَضَاءُ اللَّهِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ [فَأَضَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى كَهَيْعِصِ ﴿ذِكْرٌ رَحْمَةٍ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيًّا﴾ [مريم: ٢] فَأَضَافَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَضَافَ زَكَّرِيًّا إِلَيْهِ لِيُعْلِمَ الْعِبَادَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمُتَزَلِّتَيْنِ وَتَفَاوُتِ الرَّبُّبِيَّتَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْتَفِ بِالتَّحْكِيمِ بِالظَّاهِرِ فَيَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ بَلِ اشْتَرَطَ فُقْدَانَ الْحَرَجِ وَهُوَ الضِّيْقُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فِي أَحْكَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاءً كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا وَإِنَّمَا تَضِيْقُ النَّفُوسُ لِفُقْدَانِ الْأَنْوَارِ وَوُجُودِ الْأَغْيَارِ فَعَنْهُ يَكُونُ الْحَرَجُ وَهُوَ الضِّيْقُ وَالْمُؤْمِنُونَ لَيْسُوا كَذَلِكَ إِذْ نُورُ الْإِيمَانِ مَلَأَ قُلُوبَهُمْ فَاتَّسَعَتْ وَانْشَرَحَتْ فَكَانَتْ وَاسِعَةً بِثَوْرِ الْوَاسِعِ الْعَلِيمِ مَمْدُودَةً بِوُجُودِ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ مُهَيَّأَةً لِوَارِدَاتِ أَحْكَامِهِ مَفُوضَةً لَهُ فِي تَقْضِيهِ وَإِبْرَامِهِ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ لَمْ يَزِ وَلَايَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَبَرَى نَفْسَهُ فِي مَلِكِهِ لَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَصْرُ دِينِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالذَّبِّ عَنِ شَرِيعَتِهِ وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ فِي الْجُودِ وَالْإِثَارِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَاضِعِ وَغَيْرِهَا فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَمَنْ وَجَدَهَا اسْتَلَدَّ الطَّاعَاتِ وَتَحَمَّلَ الْمَشَاقِّ فِي الدِّينِ وَآثَرَ ذَلِكَ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَآئِيَةِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) التَّسَلُّي عَنِ الْمَصَائِبِ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ الْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ

الْمَصَائِبَ وَلَا يَجِدُ مِنْ مَسْهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدِ اكْتَسَى طَبِيعَةً ثَانِيَةً لَيْسَتْ طَبِيعَةً الْخَلْقِ بَلْ يَفْوَى سُلْطَانَ الْمَحَبَّةِ حَتَّى يَلْتَدُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ أَعْظَمَ مِنَ التَّدَاذِ الْخَلِيِّ بِحُظُوذِهِ وَشَهَوَاتِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَثْرَةُ ذِكْرِهِ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا خَضَلَ لَهُ كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَهُ إِذَا ذَكَرُوهُ خَسَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا وَكَذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ وَتَهَيُّبًا وَتَوْقِيرًا.

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ التُّجَيْبِيُّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوَقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَأَدَّبُ بِمَا أَدَبْنَا اللَّهُ بِهِ. وَكَانَ أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ بَكَى حَتَّى نَرَحِمَهُ. وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ فَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْفَرَ لَوْنُهُ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ قَدْ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي قَبِيهِ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ. وَكَانَ الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَهُ وَلَا عَرَفَكَ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ. وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ وَالزُّوِيلُ أَيْ الْقَلْقُ وَالْأَنْزِعَاجُ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِي عِيَاضُ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَثْرَةُ الشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ الشُّوقُ وَأَزَعَجَتْهُمْ لَوَاعِجُ الْمَحَبَّةِ قَصَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَشْفَقُوا بِمُشَاهَدَتِهِ وَتَلَدُّوا بِالْجُلُوسِ مَعَهُ وَالنُّظْرِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَبْدِ بَنِي خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ قَالَتْ مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَسْمِيهِمْ وَيَقُولُ هُمْ أَضْلِي وَفَضْلِي وَإِلَيْهِمْ يَجُنُّ قَلْبِي طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ فَعَجَّلَ رَبُّ قَبْضِي إِلَيْكَ حَتَّى يَعْلِبَهُ النَّوْمُ.

وَلَمَّا اخْتَضِرَ بِلَالٌ نَادَتْ امْرَأَتُهُ وَاحْرَبَاهُ فَقَالَ وَاطْرَبَاهُ غَدًا أَلْقَى الْأَجِبَةَ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ،
 (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حُبُّ الْقُرْآنِ الَّذِي آتَى بِهِ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى بِهِ
 وَتَخَلَّقَ بِهِ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَانظُرْ مَحَبَّةَ
 الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ وَالتَّيْدَادُكَ بِسَمَاعِهِ هَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ التَّيْدَادِ أَصْحَابِ الْمَلَاهِي وَالْغِنَى الْمُطْرِبِ
 بِسَمَاعِهِمْ. وَيُرْوَى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ قَالَ لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبَنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ اقْرَأْ عَلَيَّ قَالَ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ
 أَنْزَلَ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي فَاسْتَفْتَحَ وَقَرَأَ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿فَكَيْفَ
 إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ حَسْبُكَ فَرَفَعَ
 رَأْسَهُ فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَهَذَا يَجِدُهُ
 مَنْ سَمِعَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ بِأَذُنِ قَلْبِهِ تَمَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
 أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا رُبَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِي وَرِيدِهِ فَتَخَنَّقَهُ الْعَبْرَةُ وَيَسْقُطُ وَيَلْزَمُ الْبَيْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ حَتَّى يُعَادَ
 وَيُحَسَبَ مَرِيضًا.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ ذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ وَطَرَبَهُ وَنَشَابَتَهُ فِي سَمَاعِ الْأَبْيَاتِ دُونَ سَمَاعِ الْآيَاتِ
 وَفِي سَمَاعِ الْأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى فِرَاقِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ رَزَقْنَا اللَّهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِهِ بِمَنْهُ وَرَحْمَتِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ) مَحَبَّةُ سُنتِهِ وَقِرَاءَةُ حَدِيثِهِ فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ
 كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَرَّبَتْهَا رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ،
 (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَلْتَدَّ مُجِبُّهُ بِذِكْرِهِ الشَّرِيفِ وَيَطْرَبُ عِنْدَ سَمَاعِ
 اسْمِهِ الْمُتَنِيْفِ وَقَدْ يُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ سُكْرًا يَسْتَعْرِقُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ وَسَمْعَهُ، فَمَنْ اتَّصَفَ بِهِذِهِ
 الْعَلَامَاتِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ خَالَفَ بَعْضَهَا فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلَا يَخْرُجُ عَنِ
 اسْمِهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلَّذِي حَدَّهُ فِي الْخَمْرِ لَمَّا لَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ مَا أَكْثَرَ
 مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ (تَنْبِيْهٌ) الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ وَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ
 وَنَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ حَبِيبُ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ وَإِنْ اشْتَهَرَ هُوَ بِالْحَبِيبِ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ بِالْخَلِيلِ وَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بَلْ
 هُوَ أَفْضَلُ خَلَقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ.

الفصل الثاني

في حكم الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قِيلَ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ وَلِلذَلِكَ يُقَالُ لَهُ شَهْرُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَنَاؤُهُ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَمَعْنَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَهَذَا أَوْلَى الْأَقْوَالِ فَيَكُونُ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ طَلَبُ ذَلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ لَا طَلَبُ أَصْلِ الصَّلَاةِ.

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَكْرِ الْقُشَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ تَكْرِيمٌ وَعَلَى مَنْ دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يَلِيقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَرْفَعُ مِمَّا يَلِيقُ بِغَيْرِهِ وَالْإِجْمَاعُ مُنْتَعِدٌ عَلَى أَنَّ فِي هَذِهِ آيَةِ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا.

وَقَالَ الْحُلَيْمِيُّ مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ فَمَعْنَى قَوْلِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَظْمٍ مُحَمَّدًا وَالْمُرَادُ تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَانِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِثْقَاءِ شَرِيْعَتِهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيْعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَعَلَى هَذَا قَالَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] اذْعُوا رَبِّكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَقَضَاءِ بَعْضِ حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ فَإِنْ مِثَلْنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَأَفَانَاهُ بِالدُّعَاءِ فَارْشَدْنَا اللَّهُ لَمَّا عَلِمَ عَجَزْنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فَايِدَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْهِ لِذَلِكَ عَلَى

نُصِّحَ الْعَقِيدَةَ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ وَإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ وَاجْتِرَامِ الْوَاسِطَةِ الْكَرِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَاخْتَلَفَ فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: تَجِبُ فِي الْقُعُودِ آخِرَ الصَّلَاةِ بَيْنَ الشَّهْدِ وَسَلَامِ التَّحْلِيلِ قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ تَبَعَهُ، الثَّانِي: أَنَّهَا تَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِ حَضَرٍ لَكِنْ أَقْلُ مَا يَخْصُلُ بِهِ الْإِجْرَاءُ مَرَّةً، الثَّلَاثُ: يَجِبُ الْإِكْتَارُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بَعْدَهُ قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بُكَيْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، الرَّابِعُ: تَجِبُ كُلَّمَا ذُكِرَ وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثٍ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَحَدِيثٍ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَحَدِيثٍ شَقِيَّ عَبْدٌ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، الْخَامِسُ: فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّادِسُ: فِي كُلِّ دُعَاءٍ حَكَاهُمَا الزَّمْخَشَرِيُّ، السَّابِعُ: أَنَّهَا مِنَ الْمُسَدِّحَاتِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ، الثَّامِنُ: تَجِبُ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً فِي الصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ، الثَّاسِعُ: تَجِبُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ الْمَحَلِّ وَثِقَلِ ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، الْعَاشِرُ: تَجِبُ فِي الشَّهْدِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ زَاهَوِيٍّ.

وَأَمَّا صِفَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً إِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّيْ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِلَفْظٍ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّيْ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ

قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَخُنُّ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَمَرْنَا اللَّهَ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمَثَّلْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ رَوَاهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَعَيْرُهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ مَا مَوْقِعُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ أَنَّ الْمُشَبَّهَ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَالْوَاقِعُ هُنَا عَكْسُهُ لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ وَقَضِيَّةٌ كَوْنِهِ أَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ الْمَطْلُوبَةُ لَهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ حَصَلَتْ أَوْ تَخَصَّلَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقْطُوعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَنُقِلَ هَذَا عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهَا أَنَّ كَوْنَ الْمُشَبَّهِ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ لَيْسَ مُطَرِّدًا بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بِالْمِثْلِ بَلْ بِالدُّوْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] وَأَيْنَ يَقَعُ نُورُ الْمِشْكَاةِ مِنْ نُورِهِ تَعَالَى.

وَقَالَ التَّوَوِيُّ أَحْسَنُ الْأَجْوِبَةِ مَا نُسِبَ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ التَّشْبِيهِ لِأَضَلِّ الصَّلَاةِ بِأَضَلِّ الصَّلَاةِ أَوْ لِلْمَجْمُوعِ بِالْمَجْمُوعِ، وَمِمَّا يُغزَى لِلْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرْجَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ وَسِرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَكَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَتَمَّ يَقُولُ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مُوسَى لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ التَّجَلِّيَ لَهُ بِالْجَلَالِ فَخَرَّ مُوسَى صَبِقًا وَالْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ كَانَ التَّجَلِّيَ لَهُ بِالْجَمَالِ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْحُلَّةَ مِنْ آثَارِ التَّجَلِّيِ بِالْجَمَالِ فَلِهَذَا أَمَرَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِيَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْجَمَالِ وَهَذَا لَا يَفْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ إِثْمًا أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْوَضْفِ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَالَّذِي يَفْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْمُشَارَكَةُ فِي الْوَضْفِ الَّذِي هُوَ التَّجَلِّيُ بِالْجَمَالِ وَلَا يَفْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي الْمَقَامَيْنِ وَلَا فِي الرُّتَبَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى بِالْجَمَالِ لِشَخْصَيْنِ بِحَسَبِ مَقَامَيْهِمَا وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي وَضْفِ التَّجَلِّيِ بِالْجَمَالِ فَيَتَجَلَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحَسَبِ مَقَامِهِ

عِنْدَهُ وَرُتَّبَتِهِ مِنْهُ وَمَكَانَتِهِ فَيَتَجَلَّى لِلخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ وَيَتَجَلَّى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ فَعَلَى هَذَا يُفْهَمُ الْحَدِيثُ ١ هـ وَالْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ حَرُمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاخْتَارَهُ الْجَمْهُورُ وَقِيلَ أَرْوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذُرِّيَّتُهُ وَقِيلَ جَمِيعُ الْأُمَّةِ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ وَقِيلَ الْأَتْقِيَاءُ مِنْهُمْ .

وَهَذِهِ أَفْضَلُ كَيْفِيَّاتِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْأَشْرَفَ الْأَفْضَلَ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ خَلَفَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ فَطَرِيقُ الْبِرِّ أَنْ يَأْتِيَ بِذَلِكَ هَكَذَا صَوَّبَهُ التَّوَوُّيُّ وَقِيلَ يَبْرُ إِذَا قَالَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الدَّاكِرُونَ وَكُلَّمَا عَقَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْعَافِلُونَ لِذِكْرِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ فِي حُطْبَةِ الرِّسَالَةِ لَهُ . وَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ مَا فِي الْحَدِيثِ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَنْتَ الشَّافِعِيُّ وَمَا قَالَهُ الْقَاضِي لَكَانَ أَشْمَلَ وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ يَعْمَدُ إِلَى جَمِيعِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرُّوَايَاتُ الثَّابِتَةُ فَيَسْتَعْمِلُ مِنْهَا ذِكْرًا يَخْصُلُ بِهِ الْبِرُّ لَكَانَ حَسَنًا، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنْ سَلَامَةَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ دَاجِي الْمَذْحُوتِ وَبَارِيءِ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَتَوَاقِي بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعَلِّمِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالِدَامِغِ لِجَبِيَّاتِ الْأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ قَاضِطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِيًا لِرُوحِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسِ آلَاءِ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِيهِ أَسْبَابُهُ بِهِ هُدِيَّتِ الْقُلُوبِ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ وَأَبْهَجَ مُوَضِّحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَائِزَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُمَيِّزَاتِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَذَابِكَ وَأَجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مُهَيِّئَاتِ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتِ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَايِكَ الْمَغْلُولِ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنَزُلَهُ وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ

وَاجزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطَّةٍ فَضْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ .

وَمَعْنَى دَاجِي بَاسِطٍ وَالْمَذْحُوثِ الْأَرْضُونَ وَبَارِيءٍ خَالِقٍ وَالْمَسْمُوكَاتِ أَيِ الْمَرْفُوعَاتِ يَعْنِي السَّمَوَاتِ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ زَوَائِدَهَا وَالْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ أَيِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْحَاتِمِ لِمَا سَبَقَ أَيِ مِنَ الثُّبُوتِ وَالرَّسَالَةِ وَالِدَامِغِ الدَّفَاعِ وَالْمَزِيلِ وَجَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ اِزْتِفَاعَاتُهَا وَاضْطَلَعَ قَوِي وَالْمُسْتَوْفِزُ الْمُسْتَعْجِلُ وَأَوْزَى أَنْارَ الْقَبَسِ أَضْلُهُ الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ وَالْقَابِسُ طَالِبُ الْأَفْتِبَاسِ وَالْمُرَادُ هُنَا طَالِبُ نُورِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ وَالْآءِ اللَّهُ نِعْمُهُ وَأَبْهَجَ أَنْارَ وَالْأَعْلَامِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي يَهْتَدَى بِهَا وَالتَّائِرَاتِ الْمُضِيئَاتِ وَالْمَحْلُولِ الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالْمَعْلُولُ مِنَ الْعَلَلِ وَهُوَ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ وَمَثْوَاهُ مَقَامُهُ وَالنُّزُلُ مَا يُعَدُّ لِإِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ وَالْخُطَّةُ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ الْجَزُلُ وَالْفَضْلُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ لَعْلُ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ عَلِمْنَا قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَيَّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدِ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . وَعَنْ زُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَفْعَدَ الصَّدَقِ الْمُقْرَبِ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْ طَاوُسِ سَمِغْتِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدِ الْكُبْرَى وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ، وَأَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهَا: التَّشَهُدُ الْأَخِيرُ وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِ ، وَمِنْهَا التَّشَهُدُ الْأَوَّلُ وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِ وَأَقْلَاهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ .

وَمِنْهَا خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا فَلَا تَصِحُّ خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ إِلَّا بِهَا. وَمِنْهَا عَقِبُ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْتَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ وَقَوْلُهُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَيَّ رَجَبَتْ وَقِيلَ غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الثَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمِنْهَا أَوَّلُ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ لِمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُونِي كَقَدْحِ الرَّايِبِ يَمْلَأُ قَدْحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ فَإِنْ اِحْتَجَّ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوْ الْوُضُوءَ تَوَضَّأَ وَإِلَّا أَهْرَاقَهُ وَلَكِنْ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ.

وَمِنْهَا وَهُوَ مِنْ آكِدِهَا عَقِبُ دُعَاءِ الْفُتُوتِ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطَيْتَ وَقَبِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ تَفْضِي وَلَا يُفْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ. وَمِنْهَا أَثْنَاءُ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ رَوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهَا عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ.

وَمِنْهَا فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ فَإِنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ بَعْدَ إِحْدَى التَّكْبِيرَاتِ وَبَعْدَ الْأُولَى أُولَى وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الثَّانِيَةِ وَيَدْعُوَ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ الثَّالِثَةِ وَيَقُولُ بَعْدَ الرَّابِعَةِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنْنَا بَعْدَهُ وَفِي ذَلِكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالنَّسَائِيُّ. وَمِنْهَا عِنْدَ التَّلْبِيَةِ أَيَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا. وَمِنْهَا عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. وَمِنْهَا عِنْدَ الْأَجْتِمَاعِ

وَالْتَفَرَّقَ لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَيَّ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِيرَةٌ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَالتَّرْتُّةُ التُّفْصُ أَوْ التَّبِعَةُ أَوْ الْحَسْرَةُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا عِنْدَ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ لِمَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمَسِي عَشْرًا أَذْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَمِنْهَا عِنْدَ الْوُضُوءِ لِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْهَا عِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ لِحَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئًا فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ . وَمِنْهَا بَعْدَ الْعُطَاسِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ . وَمِنْهَا عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ . وَوَرَدَ الْأَمْرُ بِالْإِكْتَارِ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ التَّفْحُخُ وَفِيهِ الصُّغْفَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيَّ بَلِيَّتٍ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ .

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمْرَ بِالْإِكْتَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَإِنْ قُلْتَ مَا الْحِكْمَةُ فِي خُصُوصِيَّةِ الْإِكْتَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا أَجَابَ ابْنُ الْقَيْمِ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْأَنْبَاءِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِيهِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةِ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْظَمَ كَرَامَةَ

تَحْصُلُ لَهُمْ إِنَّمَا تَحْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ فِيهِ بَعَثْتُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَهُوَ يَوْمٌ عِيدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعَفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَلِبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ وَلَا يَرُدُّ سَائِلَهُمْ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكْتَبُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَرَدَ التَّضْرِيحُ بِهَا فِي أَحَادِيثَ قَوِيَّةٍ أَمْثَلُهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يَرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ فَقَالَ إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا قَالَ بَلَى رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقْبَلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْتَبَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ بِهَا سَبْعِينَ صَلَاةً فَلْيُقْبَلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْتَبَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي قَالَ مَا شِئْتُ قُلْتُ الرَّبُّعَ قَالَ مَا شِئْتُ وَإِنْ زِدْتُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَالْخُمْسَ قَالَ مَا شِئْتُ وَإِنْ زِدْتُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَالثلثينِ قَالَ مَا شِئْتُ وَإِنْ زِدْتُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ ذَنْبَكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ النَّوَوِيُّ وَيُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلَاةِ عَنِ السَّلَامِ وَاسْتَدْلُ بِوَرُودِ الْأَمْرِ بِهِمَا مَعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وَقَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي إِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُفْرَدَ الصَّلَاةُ وَلَا يُسَلِّمَ أَضْلًا أَمَا لَوْ صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمَ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُمْتَثِلًا.

الفصل الثالث

في ذكر محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وآله
وقرآبته وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين

قال الطبراني اعلم أن الله تعالى لما اصطفى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه أعلى ببركته من انتمى إليه نسبا أو نسبة ورفع من انطوى عليه نضرة وصحبة وألزم مودة قرباه كافة بريته وفرص محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] ويروى أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرأبتك هؤلاء قال علي وفاطمة وإبناهما وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقد اختلف في المراد بأهل البيت في هذه الآية فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيته إذ جاءت فاطمة بزمه فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنتك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحتة كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت فأخذ فضل الكساء وعشاهم به ثم أخرج يده قالوا بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال إنك إلى خير إنك إلى خير رواه الإمام أحمد. والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيه لحم فهي عبيدة والكساء مرط من شعر والميرط هو كل ثوب غير مخيط وحامتي أي خاصتي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وعن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس إنما

أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبُهُ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْلَاهِمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخُذُوا بِهِ وَحَثِّ فِيهِ وَرَعَبٌ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقِيلَ لِرَبِّدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ بَلَى إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرِّمِ الصَّدَقَةِ قِيلَ مَنْ هُمْ قَالَ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ قِيلَ كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمِ الصَّدَقَةِ قَالَ نَعَمْ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالثَّقَلُ كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَضُونٍ .

وَلَا يَسُكُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنْ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلَاتٌ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ مَعَهُنَّ وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَطِيَّةَ بَعْدَ نَقْلِ أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُمْ عَلِيٌّ وَقَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ وَعِشْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِشْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُوا بِمَاذَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا . وَعِثْرَةُ الرَّجُلِ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ازْفُوبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالْمَرَاقِبَةُ لِلشَّيْءِ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ يَقُولُ اخْفَظُوهُمْ وَلَا تُؤْذُوهُمْ، وَقَالَ أَيضًا لِقُرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قُرَابَتِي، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي الْمَنَاقِبِ لِأَحْمَدَ مِنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُتَأَفِّقٌ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَلَمَّا كَانَ هَارُونَ إِثْمًا كَانَ خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى ذَلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَيَاتِهِ وَأَمَّا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْنِي بِذَلِكَ وَلاَءَ الْإِسْلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ آدَى عَلِيًّا فَقَدْ آدَانِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَخْرَجَ الْمُخَلَّصُ الدَّهَبِيُّ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ لَا تَجِدُ مُؤْمِنًا إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ فَاطِمَةُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوْجَهَا أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي الْبُخَارِيِّ إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي. وَالْبَضْعَةُ قِطْعَةُ اللَّحْمِ وَاسْتَدَلَّ بِهِ السُّهَيْلِيُّ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا يَكْفُرُ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَسَنِ وَحُسَيْنِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَافِظِ السُّلْفِيِّ قَالَ مَا رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَطُّ إِلَّا فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعًا وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَاتَّكَأَ عَلَيَّ حَتَّى جِئْنَا سُوقَ قَيْنُقَاعَ فَنظَرَ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ ادْعُ ابْنِي قَالَ فَاتَى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْتَدُّ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ فَمَهُ ثُمَّ يَدْخُلُ فَمَهُ فِي فَمِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحْبَبَنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعِيَّةِ هُنَا الْمَعِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامُ بَلْ مِنْ جِهَةِ رَفْعِ الْحِجَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُوقِينَ﴾ [النساء: 69] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا بِي شَبِيهَ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانَ حَتَّى يُحِبُّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُؤُ أَبِيهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَضَلُّ الصُّنُؤِ أَنْ تَطَّلَعَ نَحْلَتَانِ مِنْ عِزْقٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ أَضَلَّ الْعَبَّاسَ وَأَضَلَّ أَبِي وَاحِدًا.

وَجَلَّلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَنِيهِ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا إِلَّا سَتَرْتَهُ اللَّهُمَّ اخْفِظْهُ فِي وَلَدِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّرِيِّ غَطَّاهُمْ بِسُمَّلَةٍ لَهُ سَوْدَاءٌ مُحْطَطَةٌ بِحُمْرَةٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِشْرَتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتُرْتَهُمْ بِهَذِهِ السَّمْلَةِ قَالَ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ مَدْرَةٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا أَمِنَ.

وَالْمَدْرَةُ التُّرَابُ وَأَمِنَ قَالَ آمِينَ مُعْجِزَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّمْلَةُ الْكِسَاءُ سُمِّيَ سَمْلَةً لِأَنَّهُ يُسْتَمَلُ بِهِ، وَرَوِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي لَكَ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَوْمَ حُتَيْنِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي، وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَبْغُضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْأَرْبَعَةَ أَلَّهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَعِثْرَتَهُ وَذَوِي الْقُرْبَى مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ وَقَعَ الْإِضْطِلَاحُ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَوِي الشَّرَفِ بِالشُّطْفَةِ الْخَضْرَاءِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقُرْنِ الثَّامِنِ فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ أَنْ يَمْتَازُوا عَنِ النَّاسِ بِعَصَابِيبِ خُضْرِ عَلَى الْعَمَائِمِ ففَعِلَ ذَلِكَ بِمِضْرٍ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ حَقًّا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ فَقَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ثُمَّ ثَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فَوَصَفَهُمْ بِالشَّدَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالرَّحْمَةِ بِالْأَخْيَارِ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ مَعَ الْإِخْلَاصِ التَّامِّ فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبَهُ سَمْتُهُمْ وَهَدْيُهُمْ لِخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أَيْ أَفْرَاحَهُ ﴿فَأَزْرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أَيْ شَدَّهُ وَقَوَاهُ ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح: ٢٩] شَبَّ فَطَالَ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] قُوَّتُهُ وَغَلْظُهُ وَحُسْنُ مَنْظَرِهِ فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَتَصَرَّوهُ فَهُمْ مَعَهُ كَالشُّطْءِ مَعَ الزُّرْعِ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَكْفِيرَ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ الصَّحَابَةَ قَالَ لِإِنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ وَمَنْ غَاظَهُ الصَّحَابَةَ فَهُوَ كَافِرٌ وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ كَثِيرَةٌ وَيَكْفِي ثَنَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا وَوَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَّغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ وَاللَّهِ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَّغْنَا وَصَدَقُوا فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ خُصُوصًا الصَّحَابَةَ لَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ مُعْظَمًا فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَالصَّحَابِيُّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ رَأَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ سَاعَةً
وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَجْمَعَ جَمَهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَخَوَاصُّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ لِمَا رَوَى
الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَالْقُرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ
الْمَقْضُودَةِ وَيُطْلَقُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِائَةٍ
وَعِشْرِينَ. وَالْمُرَادُ بِقُرْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ، وَآخِرُ مَنْ
مَاتَ مِنْهُمْ بِلَا خِلَافٍ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ اللَّيْثِيُّ وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ مِائَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ،
وَأَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِكَثْرَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ
الْبَعْثَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ عَنْ مِائَةٍ
أَلْفٍ وَأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا.

وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِجْمَاعًا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
وَدَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَفْدِيمِ عَلِيِّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُفْيَانُ
الثَّوْرِيُّ وَالْجَمَهُورُ عَلَى تَفْدِيمِ عُثْمَانَ وَعَنْ مَالِكِ الْوَقْفُ أَيُّ لَا يُفْضَلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيُّ أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ثُمَّ السُّنَّةُ
تَمَامُ الْعَشْرَةِ يَعْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَسَعِيدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ
الْجَرَّاحِ وَهُمْ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ فِي أَحَادِيثَ، وَقَدْ رَوَى
الطَّبْرِيُّ فِي الرِّيَاضِ عَنْ أَنَسِ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ
عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ كَمَا افْتَرَضَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصُّومَ وَالْحَجَّ فَمَنْ
أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَلَا الصُّومُ وَلَا الْحَجُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي،
وَأَخْرَجَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَيْتَ أَنِّي
لَقِيتُ إِخْوَانِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي إِخْوَانِي الَّذِينَ
لَمْ يَرُونِي وَصَدَّقُوا بِي وَأَحَبُّونِي حَتَّى إِنِّي لَأَحِبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي إِلَّا تُحِبُّ يَا أَبَا بَكْرٍ قَوْمًا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ قَالَ

فَأَحَبَّهُمْ مَا أَحْبَبُوا بِحُبِّي إِيَّاكَ فَمَحَبَّةُ مَنْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ عَدَاوَةٌ مِنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضٌ مِنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبُّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَيِّنَاتِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْمَوْجِبَاتِ الْمُهْلِكَاتِ .

وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَجُوبُ تَوْقِيرِهِمْ وَبِرُّهُمْ وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهِمْ وَالْإِفْتِدَاءُ بِهِمْ بِأَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنَنِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَالْعَمَلُ بِأَقْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُذَكَّرُوا بِأَوْصَافِهِمْ الْجَمِيلَةِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ فَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَمَنْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ وَاجِبُ الثَّنَاءِ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَلِيُّ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ لِكِنَّةِ أَحَبِّ عَلِيًّا أَكْثَرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَثَلًا فَإِنَّ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً فَلَا مَعْنَى لِدَلِكِ إِذِ الْمَحَبَّةُ لِأَزْمَةٍ لِلْأَفْضَلِيَّةِ وَهَذَا لَمْ يَعْتَرَفْ بِأَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِسَانِيهِ وَأَمَّا بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُفْضَلٌ لِعَلِيٍّ لِكُونِهِ أَحَبَّهُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً زَائِدَةً عَلَى مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَهَذَا لَا يَجُوزُ وَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دُنْيَوِيَّةً لِكُونِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي فَلَا امْتِنَاعَ فِيهِ وَاللَّهُ اعْلَمُ .

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثُّنَيْرِيُّ لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يُوقِّرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزَّ أَوْلِيَاءَهُ، وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَيْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَخْتِلَافِ وَالْإِضْرَابِ عَنِ أَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ وَجَهْلَةِ الرُّوَاةِ وَضَلَالِ الشَّيْعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ وَيُخْرَجَ لَهُمْ أَصَوْبُ الْمَخَارِجِ إِذْ هُمْ أَهْلُ ذَلِكَ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَمَعْدُودٌ مِنْ مَاتَرِهِمْ مِمَّا يَطُولُ إِيرَادُ بَعْضِهِ وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمَحَارِبَاتِ فَلَهُ مَحَامِلُ وَتَأْوِيلَاتٌ فَسَبُّهُمْ وَالطُّغْنُ فِيهِمْ إِذَا كَانَ مِمَّا يُخَالِفُ الْأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ كَفَرٌ كَقَذْفِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَإِلَّا فَبِدْعَةٌ وَفَسْقٌ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُونِي فِي أَخْتَابِي وَأَصْهَارِي وَأَصْحَابِي لَا يُطَالِبَنَّكُمُ اللَّهُ بِمَظْلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا رَهَبُ رَوَاهُ الْجَلْعِيُّ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ رَوَاهُ الْمُخَلَّصُ الدَّهَبِيُّ وَهَذَا الْحَدِيثُ خُرُجَ مَخْرَجِ الْوَصِيَّةِ بِأَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ وَالتَّرْغِيبِ فِي حُبِّهِمْ وَالتَّرْهِيْبِ عَنِ بُغْضِهِمْ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ بُغْضُهُمْ بُغْضًا لَهُ كَانَ كُفْرًا بِلَا نِزَاعٍ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةً نَفْسِهِ حَتَّى كَأَنَّ آذَاهُمْ وَاقَعَ عَلَيْهِ وَوَاصِلٌ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ.

المقصد الثامن

في طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ وَتَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا وَإِنْبَائِهِ بِالْأَنْبَاءِ الْمُعَيَّنَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِنُقْطَةِ مَنْ بِحَارِ مَعَارِفِهِ أَوْ قَطْرَةٍ مِمَّا أَفَاضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ سَحَائِبِ عَوَارِفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَخَصُّهُ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحِكْمِ وَحُسْنِ سِيرِهِ وَحِكْمِ حَدِيثِهِ وَإِنْبَائِهِ بِأَنْبَاءِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْأُمَّمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ وَخَبَرِ مُوسَى مَعَ الْخَضِيرِ وَيُوشَعَ مَعَ إِخْوَتِهِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي الْقُرْنَيْنِ وَبَدْءِ الْخَلْقِ وَأَخْبَارِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزُّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَإِظْهَارِ أحوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْمِيهِمْ وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ وَإِعْلَامِهِ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمُضْمَنَاتِ كُتُبِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذَكَرَ مِنْهَا فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحَاسِنِ الْأَدَبِ وَالشِّيمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكْمِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ وَالرُّدِّ عَلَى فِرْقِ الْأُمَّمِ بِبَرَاهِينِ الْأَدْلَةِ الْوَاضِحَاتِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ فِيهَا قُدُوةً كَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَائِنِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَمَعَارِفِ عَوَارِفِ الْحَقَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْعُلُومِ وَقُنُونِ الْمَعَارِفِ الشَّامِلَةِ لِمَصَالِحِ أُمَّتِهِ كَالطَّبِّ وَعَبْرِ الرُّؤْيَا وَالْحِسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحَدُّ قَضَيْتَ بِأَنْ مَجَالَ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنْتَدٍ تَنْقَطِعُ دُونَ نَفَادِهِ الْأَدْلَاءُ وَأَنْ بَحَرَ عِلْمِهِ . وَمَعَارِفِهِ زَاجِرٌ لَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ وَأَنْ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَشَرٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْدَادُهُ مِنْ بَحَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمَوَاهِبِهَا اللَّدُنِّيَّةِ وَهَذَا الْمَقْصِدُ يَسْتَمِيلُ عَلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ .

الفصل الأول

في طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ ثَبَّتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعُودُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِنَّهُ

لَقَدْ عَادَ عَلَامًا كَانَ يَخْدُمُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَادَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا
الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ الْأَوَّلُ وَكَانَ يَهُودِيًّا .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذُوقُ مِنَ الْمَرِيضِ وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ
وَيَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ ، وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاثِيَانِ فَوَجَدَانِي أُغْمِي عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَقْفُتُ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصُصُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَلَا وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ فَتَزُكُ
الْعِيَادَةُ يَوْمَ السَّبْتِ مُخَالَفٌ لِلْسُّنَّةِ ابْتِدَاعُهُ يَهُودِيٌّ طَبِيبٌ وَيَنْبَغِي اجْتِنَابُ التَّطْيِيبِ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ
مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَحْوِهِ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ كَبِيرًا فِي دِينِهِ أَوْ عِلْمِهِ .

وَمِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَأْمُرُ بِهِ تَطْيِيبُ نَفُوسِ الْمَرْضَى وَتَقْوِيَةُ قُلُوبِهِمْ
فَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى
الْمَرِيضِ فَتَقْفُسُوا فِي أَجْلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ مِنْ أَنْوَاعِ
الْعِلَاجِ وَهُوَ الْإِرْشَادُ إِلَى مَا يُطَيِّبُ نَفْسَ الْعَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَقْوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ وَتَتَلَعَّشُ بِهِ
الْقُوَّةُ وَفِي تَفْرِيحِ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَتَطْيِيبِ قَلْبِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ تَأْيِيرٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ
عِلَّتِهِ وَخَفَّتْهَا ، قَالَ فِي الْهَدْيِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شِكْوَاهِ وَكَيْفَ
يَجِدُ وَعَمَّا يَشْتَهِيهِ فَإِنْ اشْتَهَى شَيْئًا وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ أَمَرَ لَهُ بِهِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَرُبَّمَا
وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَيَصِفُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلَّتِهِ وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَى الْمَرِيضِ
مِنْ وَضُوءِهِ وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ
كَفَّارَةً وَطَهُورٌ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَضَعُ
يَدَهُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَأْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَيَسْأَلُهُ
كَيْفَ هُوَ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ كَيْفَ أَصْبَحَتْ وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَرَوَى أَصْحَابُ الشُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدَاوُوا يَا عِبَادَ
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا وَهُوَ الْهَرَمُ وَفِي لَفْظِ إِلَّا السَّامُ وَهُوَ
الْمَوْتُ يَعْنِي إِلَّا دَاءَ الْمَوْتِ أَيِ الْمَرَضِ الَّذِي قُدِّرَ عَلَى صَاحِبِهِ الْمَوْتُ فِيهِ . وَعَنْ أَبِي

الدُّدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَتَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامِ زَوَاهِ أَبُو دَاوُدَ. وَفِي الْبُخَارِيِّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَلَا يَجُوزُ التَّدَاوِي بِالْحَرَامِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءَ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُتَأَمَّرُ بِالتَّوَكُّلِ كَمَا لَا يُتَأَمَّرُ بِدَفْعِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَذَلِكَ تَجَنُّبِ الْمُهْلِكَاتِ وَالدُّعَاءِ بِطَلْبِ الشِّفَاءِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَوَرَدَ فِي حَبْرِ إِسْرَائِيلِيٍّ أَنَّ الْحَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ مِمَّنِ الدَّاءُ قَالَ مِمَّنِ الدَّوَاءُ قَالَ مِمَّنِي قَالَ فَمَا بَالُ الطَّيِّبِ قَالَ رَجُلٌ أُرْسِلُ الدَّوَاءَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَأَيْنَ يَقَعُ طَبُّ حُدَاقِ الْأَطِبَّاءِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنْ قِيَاسِ وَحَدْسٍ وَتَجْرِبَةٍ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوجِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَنْفَعُ وَيَضُرُّ فَيَنْسَبُهُ مَا عِنْدَ حُدَاقِ الْأَطِبَّاءِ مِنَ الطَّبِّ إِلَى هَذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكْبَارِ الْأَطِبَّاءِ وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجْرِبَتُهُمْ وَأَقْبَسَتُهُمْ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالأَنْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالأَسْتِغْفَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ وَالتَّفَرُّجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الْأُمَّمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَذْيَانِهَا وَمِلَلِهَا فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأثيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الْأَطِبَّاءِ.

قَالَ فِي الْأَضْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ وَاللَّهِ مَرَّاتٍ فَوَجَدْتُهُ يَفْعَلُ مَا لَمْ تَفْعَلَهُ الْأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ وَلَا زَيْبٌ أَنْ طَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَيَقِّنُ الْبُرْءِ لِصُدُورِهِ عَنِ الْوَحْيِ وَمِشْكَاتِ النَّبُوءَةِ وَطَبُّ غَيْرِهِ أَكْثَرُهُ حَدْسٌ وَتَجْرِبَةٌ وَقَدْ يَتَخَلَّفُ الشِّفَاءُ عَنْ بَعْضِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ طَبَّ النَّبُوءَةِ وَذَلِكَ لِإِمَانِ قَامَ بِالمُسْتَعْمِلِ مِنْ ضَعْفِ اعْتِقَادِ الشِّفَاءِ بِهِ وَتَلَقُّيهِ بِالقَبُولِ وَأَظْهَرَ الأَمْثِلَةَ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ لَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ شِفَاءٌ صَدْرِهِ بِهِ لِقُصُورِهِ فِي الأَعْتِقَادِ وَالتَّلَقُّيِ بِالقَبُولِ بَلْ لَا يَزِيدُ المُنَافِقَ إِلَّا رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِ وَمَرَضًا إِلَى مَرَضِهِ فَطَبُّ النَّبُوءَةِ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا الأَبْدَانَ الطَّيِّبَةَ كَمَا أَنَّ شِفَاءَ الْقُرْآنِ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا الأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ وَالقُلُوبَ الْحَيَّةَ فَأِعْرَاضُ النَّاسِ عَنِ طَبِّ النَّبُوءَةِ كإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الأَسْتِشْفَاءِ بِالقُرْآنِ الَّذِي

هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَكَانَ عِلاجُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَرَضِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: بِالْأَدْوِيَةِ الإِلَهِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالثَّانِي: بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالثَّالِثُ: بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ.

النوع الأول

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدْوِيَةِ الإِلَهِيَّةِ

اعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعْمَ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَنْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ لِلدَّاءِ شِفَاءٌ وَلِصَدِّ الْقُلُوبِ جِلَاءٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وَمِنَ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ كَالْأَعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَشِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّ التَّبَرُّكَ بِقِرَاءَتِهِ يَنْفَعُ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ اللَّهُ.

وَقِيلَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ وَلَدَهُ مَرِضًا مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ قَالَ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا بَوْلِدِي فَقَالَ أَيْنَ أَنْتِ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ فَانْتَبَهْتُ فَأَفْكَرْتُ فِيهَا فَإِذَا هِيَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤] قَالَ فَكَتَبْتُهَا ثُمَّ حَلَلْتُهَا بِالمَاءِ وَسَقَيْتُهَا إِيَّاهَا فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. قَوْلُهُ نُشِطَ أَي حُلِّ وَالْعِقَالُ الْحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ البَعِيرُ.

وَتَأْمَلُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ أَذْعِيَّتِهِ وَأَنَّ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قَلْبِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَشِفَاءَ صَدْرِي. وَرَوَى عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الدَّوَا الْقُرْآنَ، وَهَهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَنْفَطِنَ لَهُ نَبَّهُ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ وَهُوَ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَذْكَارَ وَالْأَدْوِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُرْفَى بِهَا هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي رَأْيَ السَّحْلِ وَقُوَّةَ الفَاعِلِ وَتَأثيرِهِ فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأثيرِ الفَاعِلِ أَوْ لِعَدَمِ قُوَّةِ المُنْفَعِلِ أَوْ لِمَانِعِ قُوِّيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَنْدَاءِ الْحَسِيَّةِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ الدُّعَاءُ وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ يُدَافِعُهُ وَيُعَالِجُهُ وَيَمْتَنِعُ نُزُولَهُ وَيَرْفَعُهُ أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا جُمِعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورُ الْقَلْبِ وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ كَثُلَتْ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ مَعَ الْخُضُوعِ وَالْإِنْكِسَارِ وَالذُّلِّ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَالطَّهَارَةِ وَرَفَعِ الْيَدَيْنِ وَالْبَدَاءَةِ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ فِي الْمَسْأَلَةِ وَأَكْثَرَ التَّمَلُّقِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يَرُدُّ أَبَدًا لَا سِيَّمَا إِنْ دَعَا بِالْأَدْعِيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مَطْلُئَةُ الْإِجَابَةِ أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلْأَسْمِ الْأَعْظَمِ.

وَأَمَّا الرُّقَى فَاغْلَمَ أَنَّ الرُّقَى بِالْمَعْوَذَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الطَّبُّ الرُّوحَانِيُّ فَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْوَذَاتِ وَهِيَ الْفَلَقُ وَالنَّاسُ وَالْإِخْلَاصُ، وَمِنْ الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ كُلُّ مَا وَرَدَ مِنَ التَّغْوِيدِ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ أَنْ تَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقِيَّةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كُنَّا نَزُقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ اغْرَضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ. وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى فَجَاءَ آلُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقِيَّةٌ نَزُقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ قَالَ اغْرَضُوا عَلَيَّ قَالَ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ قَالَ مَا أَرَى بِأَسَا مِنْ اسْتِطَاعَ أَنْ يَنْفَعُ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعُهُ. وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَخِصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّقَى مِنَ الْعَيْنِ وَالْحَمَةِ وَالتَّمَلَّةِ وَفِي حَدِيثِ آخَرَ وَالْأَذُنِ أَيَّ وَجَعِهَا وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسِ وَالدَّمِ. (رُقِيَّةُ الَّذِي يُصَابُ بِالْعَيْنِ) رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ لَسَبَقْتَهُ الْعَيْنُ أَيَّ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ شَيْءٌ ثَابِتٌ مُوْجُودٌ وَالتَّأْيِيرُ إِنَّمَا هُوَ بِإِزَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ.

وَالْعِلَاجُ النَّبَوِيُّ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ الْإِكْتَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمَعْوَذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

وَالْتَعَوَّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ نَحْوُ أَعْوُدِ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّمَامَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ
 أَيْ مُصِيبَةٍ بِسُوءٍ وَنَحْوُ أَعْوُدِ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّمَامَاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا
 خَلَقَ وَذَرَّ أَوْ بَرًّا وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي
 الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا
 طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ. وَإِذَا كَانَ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينِ فَلْيَدْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ
 اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ وَمِمَّا يُدْفَعُ بِهِ إِصَابَةُ الْعَيْنِ قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَمِنْهَا رُقِيَّةُ
 جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ
 شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ أَنَّ أَبَاهُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَاءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ بِشِغْبِ الْخَرَارِ مِنَ الْجُحْفَةِ
 اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَكَانَ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجَلْدِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَقَالَ مَا
 رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخْبَأَةٍ فَلَبِطَ سَهْلٌ أَيْ صُرِعَ وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلْ تَتَّهَمُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَدَعَا عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ
 عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ هَلَا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتَ ثُمَّ قَالَ اغْتَسِلْ لَهُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ
 وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ
 خَلْفِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ ثُمَّ كَفِيَءَ الْقَدَحَ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَرَأَى سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ قَالَ
 الْقَاضِي عِيَّاضُ وَالْمُرَادُ بِدَاخِلَةِ الْإِزَارِ مَا يَلِي جَسَدَهُ مِنَ الْإِزَارِ، (ذِكْرُ رُقِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كَانَ يَرْقِي بِهَا لَا فِي دَاءٍ بَعِينِهِ) عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَنَابِتٌ عَلَى
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ نَابِتُ يَا أَبَا حَمْرَةَ اشْتَكَيْتُ فَقَالَ أَنَسُ أَرْقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلَى قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ رَبِّ النَّاسِ مُذْهِبِ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا
 أَنْتَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمَعْنَى لَا يُعَادِرُ لَا يَتْرُكُ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّهُ شَكَى إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعْوُدُ بِعِزَّةِ اللَّهِ
 وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأَحَازِرُ. (ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَرْعِ وَالْأَرْقِ الْمَانِعِ مِنَ
 الثُّومِ) عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ شَكََا خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَامُ

اللَّيْلِ مِنَ الْأَرْقِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُوذِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلِ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ
السَّنْبَعِ وَمَا أَظْلَمَتْ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّنْبَعِ وَمَا أَقْلَمَتْ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِي جَارًا
مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَنْبَغِي عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ
وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَرِّ الْمُصِيبَةِ بِبَرْدِ الرَّجُوعِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) رَوَى مُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ
مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا
أَجْرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، (ذَكَرُ طِبُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ دَاءِ الْهَمِّ
وَالكَرْبِ بِدَوَاءِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّبِّ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنْبَعِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ
رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَيْ غَلَبَهُ أَمْرٌ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِكَ
أَسْتَعِيْثُ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكْلِبْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ
لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ
نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ
أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ
الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ
وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ
فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا أَعْلَمُكَ
كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قَالَ قُلْتَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ قُلْ إِذَا أَضْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ

وَالْكَسَلِ وَأَعْوُدُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعْوُدُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دِينِي .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَلْيُكَيِّزْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَثَبَّتْ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا كَرَّبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ قُلْ تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا . وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَةً أَحْيَى يُوسُفَ ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

وَرَوَى الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَعْنِي الصَّادِقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ اخْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ وَانْكُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ فَلَا أَهْلِكَ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قُلْ لَكَ بِهَا شُكْرِي وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قُلْ لَكَ بِهَا صَبْرِي فَيَا مَنْ قُلْ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي وَيَا مَنْ قُلْ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي وَيَا مَنْ رَأَيْتَنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَيَا ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَبِكَ أَذْرَأُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا وَعَلَى آخِرَتِي بِالتُّقْوَى وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِثْتُ عَنْهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتَهُ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الدُّنُوبُ وَلَا يَنْقُضُهُ الْعَفْوُ هَبْ لِي مَا لَا يَنْقُضُكَ وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ أَسْأَلُكَ فَرَجًا قَرِيبًا وَصَبْرًا جَمِيلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَالْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلَايَا وَأَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، (ذِكْرُ طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ الْفَقْرِ) عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرَتْ عَنِّي وَتَوَلَّتْ قَالَ لَهُ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ وَبِهِ يُرْزَقُونَ

قُلْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ تَأْتِيكَ
الدُّنْيَا صَاغِرَةً قَوْلِي الرَّجُلُ فَمَكَتْ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيَّ الدُّنْيَا فَمَا أَذْرِي
أَيْنَ أَضَعُهَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ لَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَدًا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
الْمُبِينُ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأَنْسَا مِنْ وَخْشَةِ الْقَبْرِ وَاسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ الْغِنَى وَاسْتَفْرَعَ
بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ ذَكَرَهُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي كِتَابِ الطَّبِّ النَّبَوِيِّ، (ذَكَرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
دَاءِ الْحَرِيقِ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هَذَا فَوَجَدْنَاهُ
كَذَلِكَ قَالَ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ بِطَبِيبَةٍ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ فَوَجَدْتُ لَهُ
أَثْرًا عَظِيمًا لَمْ أَجِدْهُ لِيَغْيِرِهِ، (ذَكَرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ الصَّرَعِ) كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي طَبِّ الْمَضْرُوعِ بِالْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْجَنِّ اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ
اللَّهِ يَغْنِي فَيُخْرِجُ وَيَبْرَأُ الْمَضْرُوعُ. قَالَ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ الْإِسْخَامَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ (الفتح: ٢٩) إِلَى
آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ فِي ابْتِنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ صُرِعَتَا فَشَفِيتِنِيَا قَالَ وَمِنَ الْعَرِيبِ قِصَّةُ غَزَالِ الْحَبَشِيَّةِ
خَادِمَتِنَا لَمَّا صُرِعَتْ بِدَرْبِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِي مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ
لِقَصْدِ مِضْرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ وَاسْتَمَرَّ بِهَا الصَّرَعُ أَيَّامًا وَاسْتَعْتَثُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَجِيءَ إِلَيَّ بِصَارِعِهَا فِي الْمَنَامِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَبَّخْتُهُ
وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا فَاسْتَيْقَظْتُ وَمَا بِهَا قَلْبَةٌ أُنِي وَجَعٌ.

وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلَا زَالَتْ فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى فَارَقْتُهَا بِمَكَّةَ فِي
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، (ذَكَرُ دَوَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ السُّخْرِ) قَدْ ثَبَتَ فِي الْبُخَارِيِّ
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُجِرَ حَتَّى إِنْ كَانَ لِيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ
يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ يَغْنِي مِنْ بَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ عَائِشَةَ دَعَا وَدَعَا
أُنِي كَرَّرَ الدُّعَاءَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَشْعَرْتِ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ

أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْأُخْرَى عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ أَنِي مَسْحُورٌ قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلَعَ نَخْلَةً ذَكَرَ قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بَيْتِ دُرَّزَانَ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِجَاءِ وَكَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ قَالَ قَدْ عَافَانِي اللَّهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتُورَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَ بِهَا فُدْفِنْتُ . وَقَدْ سَلَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَسَلَكِي التَّقْوِيصِ وَتَعَاطِي الْأَسْبَابِ فِيهِ أَوَّلِ الْأَمْرِ فَوَضَّ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَاحْتَسَبَ الْأَجْرَ فِي صَبْرِهِ ثُمَّ لَمَّا تَمَادَى ذَلِكَ وَخَشِيَ مِنْ تَمَادِيهِ أَنْ يُضْعِفَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ جَنَحَ إِلَى التَّدَاوِي فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ اخْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِهِ يَعْني جِينَ طَبِّ أَيِّ سَجَرَ ثُمَّ جَنَحَ إِلَى الدَّعَاءِ وَكُلِّ مِنَ الْمُقَلَّمِينَ غَايَةً فِي الْكِمَالِ . (ذِكْرُ رُفِيَّةِ تَنْفَعُ لِكُلِّ سُكُورَى).

عَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتَكُ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ وَاعْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَالْحُوبُ الدَّنْبُ الْعَظِيمُ . وَقَدْ وَصَفَ هَذِهِ الرُّفِيَّةُ أَبُو الدُّرْدَاءِ لِعُسْرِ الْبَوْلِ كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ، (رُفِيَّةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الصُّدَاعِ) رَوَى الْحَمِيدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الصُّدَاعِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِزْقٍ نَعَارٍ وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ .

وَالنَّعَارُ الَّذِي فَارَ مِنْهُ الدَّمُ أَوْ صَوْتٌ لِخُرُوجِ الدَّمِ . وَأَصَابَ أَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَمَّ فِي رَأْسِهَا فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فَوْقِ الثُّيَابِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَذْهَبَ عَنْهَا سُوءُهُ وَفُحْشُهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ بِسْمِ اللَّهِ صَنَعَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ فَقَالَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَهَبَ الْوَرَمُ رَوَاهُ النَّبِيهَيْيُ . (رُفِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَجَعِ الضَّرْسِ) رَوَى فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى رِجْلِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَ ضَرْبِهِ فَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الْمَكِينِ الْمُبَارَكِ عِنْدَكَ سَنَعَ مَرَّاتٍ فَشَفَاهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ .

وَرَوَى الْحُمَيْدِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو مَا تَلَقَى مِنْ ضَرْبَانِ الضَّرْسِ فَأَدَخَلَ سَبَابَتَهُ الِئْمَنَى فَوَضَعَهَا عَلَى السُّنِّ الَّذِي تَأَلَّمَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرْيَمَ لَمْ تَلِدْ غَيْرَ عِيسَى مِنْ رُوحِكَ وَكَلِمَتِكَ أَنْ تَكْشِفَ مَا تَلَقَى فَاطِمَةُ بِثُتْ حَدِيدِجَةٍ مِنَ الضَّرِّ كُلِّهِ فَسَكَنَ مَا بِهَا. (رُقِيَةُ الْحُمَى) عَنْ أَنَسٍ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَوْعُوكَةٌ وَهِيَ تَسُبُّ الْحُمَى فَقَالَ لَا تَسُبِّيَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتِيهِنَّ أَذْهَبَهَا اللَّهُ عَنْكَ قَالَتْ فَعَلَّمَنِي قَالَ قُولِي اللَّهُمَّ ارْحَمْ جَلْدِي الرَّقِيقَ وَعَظْمِي الدَّقِيقَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ يَا أُمَّ مِلْدَمٍ إِنْ كُنْتَ آمَنْتِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَلَا تَضْدَعِي الرَّأْسَ وَلَا تُتْنِي الْقَمَّ وَلَا تَأْكُلِي اللَّحْمَ وَلَا تَشْرَبِي الدَّمَ وَتَحْوَلِي عَنِّي إِلَى مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قَالَ فَقَالَتْهَا فَذَهَبَتْ عَنْهَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، (ذِكْرُ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ بَابٍ) عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمَسِي لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُضْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُضْبِحُ لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُنْمَسِيَ قَالَ فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ فَجَعَلَ الَّذِي يَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي عَضِبْتُ فَتَسَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، (ذِكْرُ مَا يُسْتَجَلَبُ بِهِ الْمَعَاوَاةُ مِنْ سَبْعِينَ بَلَاءً).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَرِيءٌ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَعُوفِي مِنْ سَبْعِينَ بَلَاءً مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا مِنْهَا الْجُنُونُ وَالْجَذَامُ وَالْبَرَصُ وَالرَّيْحُ، (ذِكْرُ دَوَاءِ دَاءِ الطَّعَامِ).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَنْ قَالَ حِينَ يُوضَعُ الطَّعَامُ بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ اجْعَلْ فِيهِ رَحْمَةً وَشِفَاءً لَمْ يَضُرَّهُ مَا كَانَ، (ذِكْرُ دَوَاءِ أُمِّ الصُّبْيَانِ) عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصَّبِيَّانِ رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ . وَأُمُّ الصَّبِيَّانِ هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ فَرُبَّمَا يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ .

النوع الثاني

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ

(ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعَالِجُ بِهِ الصُّدَاعَ وَالشَّقِيقَةَ) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رُبَّمَا أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ لَا يَخْرُجُ . وَالشَّقِيقَةُ وَجَعُ أَحَدِ جَانِبِي الرَّأْسِ . وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ وَارَأْسَاهُ وَأَنَّهُ خَطَبَ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ فَعَضَبَ الرَّأْسَ يَنْفَعُ فِي الشَّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَوْجَاعِ الرَّأْسِ . وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اخْتَجَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فِي رَأْسِهِ مِنْ شَقِيقَةٍ كَانَتْ بِهِ وَفِي رِوَايَةٍ فِي وَسْطِ رَأْسِهِ وَقَدْ قَالَ الْأَطْبَاءُ إِنَّهَا نَافِعَةٌ جِدًّا .

وَوَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ أَيْضًا فِي الْأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ . وَالْأَخْدَعَانِ عِرْقَانِ فِي سَالِفَتِي الْعُنُقِ وَالْكَاهِلُ مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ . وَقَدْ قَالَ الْأَطْبَاءُ الْحَجَامَةُ عَلَى الْأَخْدَعَيْنِ تَنْفَعُ مِنْ أَمْرَاضِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَالْأَذْنَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْأَسْنَانَ وَالْأَنْفِ . وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صُدِعَ غَلَّفَ رَأْسَهُ بِالْحِجَاءِ وَيَقُولُ إِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الصُّدَاعِ أَيَّ إِذَا كَانَ الصُّدَاعُ مِنْ حَرَارَةِ مُلْتَهَبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عَنْ مَادَّةٍ يَجِبُ اسْتِفْرَاجُهَا وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ نَفَعَ فِيهِ الْحِجَاءُ نَفْعًا ظَاهِرًا . وَفِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَكَأَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ لَهُ اخْتَجِمْ وَلَا شَكَأَ وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ إِلَّا قَالَ لَهُ اخْتَضِبْ بِالْحِجَاءِ . وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدِّتِهِ سَلَمَى زَوْجَةِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ مَا كَانَ يَكُونُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْحَةٌ وَلَا نُكْتَةٌ إِلَّا أَمَرَنِي أَنْ أَضَعُ عَلَيْهَا الْحِجَاءَ . (ذِكْرُ طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلرَّمَدِ) رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُعَالِجُ الرَّمَدَ بِالسُّكُونِ وَالِدَّعَةِ وَتَرْكِ الْحَرَكَةِ . وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ فَقَالَ اذْنُ وَكُلْ فَأَخَذْتُ تَمْرًا فَأَكَلْتُ فَقَالَ تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْضَعُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى عَلِيًّا مِنَ الرُّطْبِ لَمَّا أَصَابَهُ الرَّمْدُ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنْ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ. وَالْكَمَاءُ نَبَاتٌ لَا وَرَقٌ لَهُ وَلَا سَاقٌ يُوجَدُ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ يَبْدُرُ وَلَا سَفْيٍ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُذْرَةِ) وَهِيَ وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ يَغْتَرِي الصُّبْيَانَ غَالِبًا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ يَسِيلُ مَنْخِرَاهُ دَمًا فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا بِهِ الْعُذْرَةُ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَقَالَ وَيَلَكُنَّ لَا تَفْتُلْنِ أَوْلَادَكُنَّ أَيُّمَا أَمْرَاءَ أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَلَتَأْخُذْ فُسْطًا هِنْدِيًّا فَلْتَجْلُهُ بِمَاءٍ ثُمَّ تُسْعِطُهُ إِيَّاهُ فَأَمْرَتْ عَائِشَةَ فَصَبَّحَ ذَلِكَ لِلصَّبِيِّ فَبَرَأَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَاءِ اسْتِطْلَاقِ الْبَطْنِ) فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ وَفِي رِوَايَةٍ اسْتِطْلَقَ بَطْنَهُ فَقَالَ اسْقِهِ عَسَلًا فَسَقَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَّبَ بَطْنُ أَخِيكَ.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ اسْقِهِ عَسَلًا قَالَ فَأَطْلُهُ قَالَ فَسَقَاهُ فَبَرَأَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَّبَ بَطْنُ أَخِيكَ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ إِنَّ حَمَلَ الْآيَةِ عَلَى عُمُومِهَا فِي الشِّفَاءِ أَوْلَى وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشِّفَاءِ فِي الْعَسَلِ وَالْفَرَّانِ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يُبَسِّ الطَّبِيعَةَ بِمَا يُنْمِئُهُ وَيُلَيِّنُهُ) رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ قَالَتْ بِالشُّبْرُمِ قَالَ حَارٌّ حَارٌّ ثُمَّ قَالَتْ اسْتَمْشَيْتِ بِالسَّنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّ شَيْئًا كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الْمَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا.

وَشَرِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّنَا بِالتَّمْرِ ذَكَرَهُ الْمُحَاسِبِيُّ. وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَكُمْ بِالسَّنَا وَالسُّنُوتِ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ قَالَ الْمَوْتُ. قَالُوا وَالشُّبْرُمُ قَشْرُ عِرْقِ شَجَرَةٍ وَأَمَّا السَّنَا فَهِيَ نَبْتٌ حِجَازِيٌّ أَفْضَلُهُ الْمَكِّيُّ وَهُوَ دَوَاءٌ شَرِيفٌ مَأْمُونٌ الْعَائِلَةُ وَالشُّرْبَةُ مِنْهُ مِنْ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ إِلَى سَبْعَةِ دَرَاهِمٍ وَأَمَّا السُّنُوتُ فَهِيَ الْعَسَلُ الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمْنِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنْ يُخْلَطَ السَّنَا مَذْقُوقًا بِالْعَسَلِ الْمُخَالِطِ لِلسَّمْنِ ثُمَّ يُلَعَقَ فَيَكُونُ أَضْلَحَ مِنَ اسْتِعْمَالِهِ مُفْرَدًا لِمَا فِي الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ مِنْ إِضْلَاحِ السَّنَا وَإِعَاتِيهِ عَلَى الْإِسْهَالِ. (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَفْؤُودِ) وَهُوَ الَّذِي أُصِيبَ فَوَّادُهُ

أَبَى قَلْبُهُ بِمَرَضٍ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَعْدِ قَالَ مَرَضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ تَلْيِيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي وَقَالَ لِي إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ فَأَتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَطَبِّبٌ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمْرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَاهُنَّ بِنَوَاهِنِّ ثُمَّ لِيَلِدْ بِهِنَّ الْفُؤَادَ. وَمَعْنَى فَلْيَجَاهُنَّ أَيَّ فَلْيَدْفُقْهُنَّ وَاللَّدُودُ مَا يُسْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحَدِ جَانِبِي الْفَمِ أَوْ أُدْخِلَ مِنْ هُنَاكَ بِإِصْبَعٍ. (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَاءِ ذَاتِ الْجَنْبِ) فِي الْبُخَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدَاوُوا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقُسْطِ الْبَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ وَالْمُرَادُ بِذَاتِ الْجَنْبِ هُنَا مَا يَغْرُضُ فِي نَوَاجِي الْجَنْبِ مِنْ رِيَّاحٍ غَلِيظَةٍ تُحْدِثُ وَجَعًا وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ هُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ وَذَلِكَ بِأَنَّ يُلْدُّ بِهِ الْمَرِيضُ أَيُّ يُصَبُّ الدَّوَاءُ فِي أَحَدِ شِقْطَيْ فَمِهِ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ) عَنْ أَنَسِ قَالَ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكِّلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ أَيُّ أَصَابَهُمُ الْجَوْيُ وَهُوَ دَاءُ الْجَوْفِ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ فَعَظَمَتْ بَطُونُهُمْ فَشَكَوُوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ عِرْقِ النَّسَا) وَهَذَا الْعِرْقُ مُمْتَدٌّ مِنْ مَفْصِلِ الْوِرْكَ وَيَنْتَهِي إِلَى آخِرِ الْقَدَمِ وَرَاءَ الْكَعْبِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَوَاءُ عِرْقِ النَّسَا أَلِيَّةُ شَاةٍ أَعْرَابِيَّةٍ تُذَابُ ثُمَّ تُجْزَأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ. وَهَذَا الدَّوَاءُ خَاصٌّ بِالْعَرَبِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْرَامِ).

يُذَكِّرُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ بِظَهْرِهِ وَرَمَّ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِدِيهِ مِدَّةً فَقَالَ بَطُوا عَنْهُ قَالَ عَلِيُّ فَمَا بَرِخْتُ حَتَّى بَطْتُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدٌ. وَالْمِدَّةُ قَيْحٌ غَلِيظٌ. (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الْعُرُوقِ وَالْكَيْ) فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ طَبِيبًا فَقَطَعَ لَهُ عِرْقًا وَكَوَّاهُ عَلَيْهِ أَيُّ فَصَدَّهُ وَكَوَّاهُ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ لَمَّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ حَسَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ قَطَعَ دَمَهُ بِالْكَيْ. وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَوَّى أَسْعَدَ بْنَ زُرَّازَةَ مِنْ

السُّوَكَةِ وَهِيَ حُمْرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ . وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ الْكَيُّ فِي الْخَلْطِ الْبَاغِي الَّذِي لَا تُحْسَمُ مَادَّتُهُ إِلَّا بِهِ وَلِهَذَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهُ وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ فَالْتَّهِي عَنْهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْكِرَاهَةِ أَوْ عَلَى خِلَافِ الْأَوْلَى قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَلَمْ أَرِ فِي أَثَرِ صَحِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِكْتَوَى ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الطَّاعُونَ فِي أَرْضِهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَضَلُّ الطَّاعُونَ الْفُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ وَالْوَبَاءُ عُمُومُ الْأَمْرَاضِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الطَّاعُونَ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ . (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّلْعَةِ) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ شَرْحِبِيلِ الْجَعْفِيِّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِكَفِّي سِلْعَةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ آذَنِي تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَائِمِ السَّيْفِ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ فَتَفْتَّ فِي كَفِّي وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى السَّلْعَةِ فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا عَنْهَا وَمَا أَرَى أَثَرَهَا .

وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ أَيْضًا بِنِ حَمَالٍ وَكَانَ بِهِ الْقُوبَاءُ فَلَمْ يُنْسِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمِنْهَا أَثَرُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ ، (ذَكَرُ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُمَى) رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْحُمَى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِئُوهَا بِالنَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ بِالنَّمَاءِ الْبَارِدِ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْتِسَالَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ وَأَوْلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الْحُمَى بِالنَّمَاءِ مَا صَنَعْتَهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُ عَلَى بَدَنِ الْمَحْمُومِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ تَلْدِيئِهِ وَتَوْبِيهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الشُّرَّةِ الْمَأْدُونِ فِيهَا . وَجَعَلَ ابْنُ الْقَيْمِ خِطَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ خَاصًّا لِأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَا وَالَاهُ .

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي عِلَّتِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حُمَّ دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاغْتَسَلَ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيِشْنِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنَ السَّحْرِ ثَلَاثَ لَيَالٍ أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ وَغَيْرُهُ . وَالْأَوْكِيَّةُ جَمْعٌ وَكَاءٍ وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُزْبَطُ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ وَالشُّنُّ الصَّبُّ الْمُتَقَطُّعُ . وَأَخْرَجَ

الطَّبْرَانِيُّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُمَى رَائِدُ الْمَوْتِ وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَبَرَدُوا لَهَا الْمَاءَ فِي الشَّنَانِ وَصُبُّهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَالَ فَفَعَلُوا فَذَهَبَ عَنْهُمْ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ثُوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ الْحُمَى وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِالْمَاءِ يَسْتَنْقِعُ فِي نَهْرٍ جَارٍ وَيَسْتَقْبِلُ جَرِيَّتَهُ وَلِيَقْلُ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ وَصَدِيقَ رَسُولِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلْيَتَغَمَّسْ فِيهِ ثَلَاثَ غَمَّسَاتٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ لَمْ يَبْرِأْ فَخُمْسٌ وَإِلَّا فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ فَإِنَّهَا لَا تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمَا يُؤَلَّدُ الْقَمَلِ) رَخَّصَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكْمَةٍ كَانَتْ بِهِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السُّمِّ الَّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ) قَدْ اخْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا عَلَى كَاهِلِهِ لِمَا أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ بِخَيْبَرَ وَالْقِصَّةُ تَقَدَّمَتْ فِي غَزْوَتِهَا .

النوع الثالث

فِي طَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدْوِيَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ

(ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفُرْحَةِ وَالْجُرْحِ وَكُلِّ شَكْوَى) رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي الرُّقِيَّةِ بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا وَرِيقَةُ بَعْضِنَا يَشْفِي سَقِيمَنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ كَانَتْ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ أَوْ كَانَتْ بِهِ فُرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ بِإِضْبَعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ الْحَدِيثِ قَالَ الثَّوَوِيُّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى إِضْبَعِهِ السَّبَابَةِ ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى الثَّرَابِ فَعَلِقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْهُ ثُمَّ مَسَحَ بِهِ الْمَوْضِعَ الْعَلِيلَ أَوْ الْجُرْحَ قَائِلًا الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ فِي حَالِ الْمَسْحِ . (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ لَدَعَةِ الْعَقْرَبِ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إِذْ سَجَدَ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فِي إِضْبَعِهِ فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ مَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَمَلَحَ فَجَعَلَ يَضَعُ مَوْضِعَ اللَّدَعَةِ فِي الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حَتَّى سَكَتَتْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ . (ذَكَرَ الطَّبِيبُ مِنَ الثَّمَلَةِ وَهِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ يَحْسُ صَاحِبُهَا كَأَنَّ ثَمَلَةً تَدِبُ عَلَيْهِ وَتَعَضُّهُ) رَوَى مُسْلِمٌ

عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ فِي الرُّقِيَةِ مِنَ الْحَمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحَمَةِ تَكُونُ لِدَوَاتِ السُّمُومِ. وَرَوَى الْخَلَالُ أَنَّ الشُّفَاءَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَتْ تَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ فَلَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ قَدْ بَايَعَتْهُ بِمَكَّةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ وَأُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ فَعَرَضْتَهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ صَلَّى حَتَّى تَعُودَ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَلَا تَضُرَّ أَحَدًا اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ قَالَ أَيُّ الرَّاوي تَرْقِي بِهَا عَلَى غُودٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَتَقْصِدُ مَكَانًا نَظِيفًا وَتَذْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بِحُلِّ خَمْرِ حَادِقٍ وَتَطْلِيهِ عَلَى النَّمْلَةِ.

(ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبُثْرَةِ) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَهَا عِنْدَكَ ذُرِيرَةٌ فَقُلْتُ نَعَمْ قَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا عَلَى بُثْرَةٍ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُطْفِئِ الْكَبِيرِ وَمَكْبِرِ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا فَطُفِئَتْ. وَالذُّرِيرَةُ نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ. (ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَرِّ النَّارِ) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ تَنَاوَلْتُ قِدْرًا فَأَصَابَ كَفِّي مِنْ مَائِهَا فَاحْتَرَقَ ظَهْرُ كَفِّي فَأَنْطَلَقْتُ بِي أُمِّي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ وَأَخْسِبُهُ قَالَ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي وَتَنْقَلِ. (ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِنْمِيَةِ) عَنْ أُمِّ الْمُؤْنِرِ بِنْتِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقَةٌ مِنْ مَرَضٍ وَلَنَا دَوَالٍ مُعَلَّقَةٌ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٌّ يَأْكُلَانِ مِنْهَا فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ إِنَّكَ نَاقَةٌ حَتَّى كَفُّ قَالَتْ وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسَلَقًا فَجِئْتُ بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ مِنْ هَذَا أَصِيبُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لَكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ.

(ذِكْرُ حِنْمِيَةِ الْمَرِيضِ مِنَ الْمَاءِ) عَنْ قَتَادَةَ بْنِ الثُّعْمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَةَ الْمَاءِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَى الْحَمَيْدِيُّ. مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَقْلُوا مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ لَأَسْتَقَامَتْ أَبْدَانُهُمْ. وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَرِبَ الْمَاءَ عَلَى الرَّيْقِ انْتَقَصَتْ قُوَّتُهُ.

(ذِكْرُ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِنْمِيَةِ مِنَ الْمَاءِ الْمُشْمَسِ خَوْفِ الْبَرَصِ) رَوَى الشَّافِعِيُّ وَالِدَارَقُطْنِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَا تَغْتَسِلُوا بِالْمَاءِ الْمُشْمَسِ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ. وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ وَأَخْرَجَهُ الْعُقَيْلِيُّ عَنْ أَنَسٍ . (ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنْ طَعَامِ الْبُخْلَاءِ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ طَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ وَطَعَامُ الْأَسْخِيَاءِ شِفَاءٌ رَوَاهُ التَّنَيْسِيُّ عَنْ مَالِكٍ فِي غَيْرِ الْمَوْطَأِ . (ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنَ الثُّومِ فِي الشَّمْسِ فَإِنَّهُ يُورِثُ دَاءَ الْكَسَلِ وَيُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ) رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَّاسِيْلِ عَنْ يُونُسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ رَأَى مُضْطَجِعًا فِي الشَّمْسِ قَالَ يُونُسُ فَتَهَانِي وَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهَا تُورِثُ الْكَسَلَ وَتُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ .

(ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنَ الْجَمَاعِ مَعَ اخْتِبَاسِ الْبُؤْلِ فَإِنَّ مِنْهُ دَاءَ الْبُؤَاسِيْرِ) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُجَامِعَنَّ أَحَدُكُمْ وَبِهِ حَفْنُ خَلَاءٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ الْبُؤَاسِيْرُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَحَقَّنُ الْخَلَاءَ اخْتِبَاسُ الْبُؤْلِ . (ذِكْرُ حِمَايَةِ الشَّرَابِ مِنْ سُمِّ أَحَدِ جَنَاحِي الدُّبَابِ بِإِغْمَاسِ الثَّانِي) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا وَقَعَ الدُّبَابُ فِي إِثْنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الْآخَرِ دَاءٌ . (ذِكْرُ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِمِيَّةِ مِنَ الْوَبَاءِ النَّازِلِ فِي الْإِنَاءِ بِاللَّيْلِ بِتَغْطِيَّتِهِ) عَنِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَطُوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السَّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةٌ يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ إِلَّا يَنْزِلُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ قِيلَ وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ السَّنَةِ الرَّوْمِيَّةِ فِي كَانُونِ الْأَوَّلِ وَالْوِكَاءُ هُوَ الْحَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ قَمَّ الْقِرْبَةِ .

(ذِكْرُ حِمِيَّةِ الْوَلَدِ مِنْ إِرْضَاعِ الْحَمَقَى) رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُسْتَرْضَعَ الْحَمَقَى فَإِنَّ اللَّبْنَ يُشَبَّهُ أَيُّ يُوْرِثُ شَبَهًا بَيْنَ الرُّضِيعِ وَالْمُرْضِعَةِ وَفِي رِوَايَةِ يُعْدِي . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ . وَعِنْدَ ابْنِ حَبِيبٍ مَرْفُوعًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ اسْتِرْضَاعِ الْفَاجِرَةِ أَيِ الْفَاسِقَةِ . وَأَمَّا الْحِمِيَّةُ مِنَ الْبَرْدِ فَقَدْ أُوْرِدَ فِيهَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ اسْتَدْفِئُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَأُوْرِدَ الْمُسْتَغْفِرِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَوْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَفْرَحُ بِارْتِفَاعِ الْبَرْدِ عَنِّي .

الفصل الثاني

في تغييره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوْيَا

رَوَى الدَّارِمِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا رَوْجٌ

تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ فِي التَّجَارَةِ فَآتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي غَائِبٌ
وَتَرَكْنِي حَامِلًا فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ سَارِيَةَ بَيْتِي انكسرت وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلَامًا أَعْوَرَ فَقَالَ خَيْرٌ
يَزِجُ زَوْجِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحًا وَتَلْدِينَ غُلَامًا بَرًّا فَذَكَرَتْ ذَلِكَ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ أُنَى مَرَّةً
أُخْرَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ فَسَأَلْتُهَا فَأَخْبَرْتَنِي بِالْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ
صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ لَيْمُوتَنَّ زَوْجُكَ وَتَلْدِينَ غُلَامًا فَاجِرًا فَقَعَدَتْ تَبْكِي فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَهْ يَا عَائِشَةُ إِذَا عَبَرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاغْبُرُوهَا عَلَيَّ خَيْرٌ فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ
عَلَى مَا يُعْبَرُهَا صَاحِبُهَا وَالْمُرَادُ بِصَاحِبِهَا مَنْ يُعْبَرُهَا وَسَارِيَةَ النَّبِيتِ عَمُودُهُ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ
إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ جَائِزَةَ بَيْتِي أُنَى سَارِيَتَهُ انكسرت وَكَأَنَّ زَوْجَهَا غَائِبًا فَقَالَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ
سَالِمًا، وَرَوَى النَّبِيَّ أَنَّهُ ابْنُ زَمَلٍ لَمَّا قَصَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَاهُ قَالَ لَهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرٌ نَلْقَاهُ وَشَرٌّ نَتَوَقَّاهُ وَخَيْرٌ لَنَا وَشَرٌّ عَلَيَّ أَعْدَائِنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ أَفْضَلُ عَلَيَّ رُؤْيَاكَ.

(تَبْدُءُ مِنْ مَرَاتِبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ تَغْيِيرِهَا) اعْلَمْ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ هِيَ رُؤْيَا
الأنبياءِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَقَدْ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ بِندُورٍ وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ فِي اليَقَظَةِ عَلَيَّ وَفِي
مَا وَقَعَتْ فِي النَّوْمِ وَقَدْ وَقَعُ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ الَّتِي كَفَلَقِ الصُّبْحِ
مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحَدُّ قَالَتْ عَائِشَةُ أَوَّلُ مَا بُدِيَءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّوْحِي
الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَرُؤْيَا
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا صَادِقَةٌ وَقَدْ تَكُونُ صَالِحَةً وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَغَيْرَ صَالِحَةٍ بِالنَّسْبَةِ
إِلَى الدُّنْيَا كَمَا وَقَعُ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نَفْسَهُ فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ
وَرَأَى بَقْرًا تُذْبَحُ وَرَأَى فِي سَيْفِهِ نَلْمًا فَأَوَّلُ الدُّرْعِ بِالمَدِينَةِ وَالبَقْرُ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ
مِنْ اسْتِشْهَادِ سَبْعِينَ وَالثَّلْمُ الَّذِي كَانَ فِي سَيْفِهِ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقْتَلُ فَكَانَ حَمْزَةَ سَيِّدِ
الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَتْ العَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِذَا لَأَرَى الرُّؤْيَ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي
فَأَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَالُوا فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ العِلْمُ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ

يُغْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ
الْحَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ قَالُوا مَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الدِّينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَفَطَعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا فَأَذِنَ
لِي فَتَفَخَّخْتُهُمَا فَطَارَ فَأَوْلَتْهُمَا كَذَا بَيْنَ يَخْرُجَانِ قَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ الرَّائِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَحَدَهُمَا
الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِالْيَمَنِ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشُّعْبَيْنِيِّ بَيْنَا أَنَا
نَائِمٌ إِذْ أُوتِيَتْ خَزَائِنُ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَالْمُرَادُ بِخَزَائِنِ
الْأَرْضِ مَا فَتِحَ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْعَنَائِمِ وَذِخَائِرِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ نَائِرَةَ الرَّأْسِ
خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْبِيعَةٍ وَهِيَ الْجُحْفَةُ فَأَوْلَتْ ذَلِكَ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ نُقِلَ
إِلَيْهَا .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُ فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي أَنِي وَهَمِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ
هَجْرٌ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ فَأَتَيْنَا بِرُطْبٍ مِنْ رُطْبِ ابْنِ
طَابٍ فَأَوْلَتْهُ أَنَّ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ
رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ وَعَلَيْهَا دَلْوٌ فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ بُمُ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَتَزَعَهَا مِنْهَا
ذُئُوبًا أَوْ ذُئُوبِينَ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
فَلَمَّ أَرْعَبَقْرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ ابْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ بِعَطْنِ . الْقَلْبِيبُ الْبِئْرُ
وَالذُّئُوبُ الدَّلْوُ الْمُتَمَلِيءُ وَالغَرْبُ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ وَعَبَقْرِي الْقَوْمُ سَيِّدُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَقَوِيَّهُمْ
وَالعَطْنُ لِلإِبِلِ كَالوَطَنِ لِلنَّاسِ لَكِنْ غَلَبَ عَلَى مَبْرِكِهَا حَوْلَ الْحَوْضِ وَيُقَالُ ضَرَبْتَ الإِبِلَ
بِعَطْنٍ إِذَا رَوَيْتَ ثُمَّ بَرَكَتْ حَوْلَ الْمَاءِ وَهَذَا الْمَنَامُ مِثَالٌ لِمَا جَرَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَاللَّخْلَيْفَتَيْنِ بَعْدَهُ وَقَوْلُهُ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ حَالِهِ فِي قِصْرِ مُدَّةٍ وَلَا يَتَّبِعُهُ وَلا يَسْ فِي
قَوْلِهِ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ نَقْصٌ وَلَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا وَأَمَّا

وَلَايَةٌ عُمَرَ فَإِنَّهَا لَمَّا طَالَتْ كَثُرَ انْتِفَاعُ النَّاسِ بِهَا وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ بِكَثْرَةِ الْفَتْوحِ وَتَمْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَتَدْوِينِ الدَّوَابِّينِ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَنْشِطَتْ وَأَنْشِطَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَالْعِرَاقِيُّ جَمْعُ عِرْقَوَةٍ وَهِيَ الْحَشْبَةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى فَمِ الدَّلْوِ كَالصَّلِيبِ وَهُمَا عِرْقَوَتَانِ وَأَنْشِطَتْ جَذِبَتْ وَرُفِعَتْ، (ذَكَرَ تَغْيِيرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَاهُ غَيْرُهُ) كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا فَلْيَقْضُهَا عَلَيَّ أُعْبَرْهَا لَهُ فَيَقْضُ النَّاسُ عَلَيْهِ مَرَاتِيهِمْ ثُمَّ تَرَكَ السُّؤَالَ إِثَارًا لِيَسْتَرِ الْعَوَاقِبَ فَكَانَ يُعْبَرُ لِمَنْ قَصَّ مُتَبَرِّعًا .

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا نُقِلَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّغْيِيرِ أَنَّ زُرَّارَةَ بْنَ عَمْرِو التَّخَعِيَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ النَّخَعِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي هَذَا رُؤْيَا رَأَيْتُ أَنَا تَرَكْتُهَا فِي الْحَيِّ وَلَدْتُ جَذْيًا أَسْفَعَ أَخْوَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لَكَ مِنْ امْرَأَةٍ تَرَكْتَهَا مُصِرَّةً حَمَلًا قَالَ نَعَمْ تَرَكْتُ أُمَّةً أَظْنَهَا قَدْ حَمَلَتْ قَالَ فَقَدْ وَوَلَدَتْ غُلَامًا وَهُوَ ابْنُكَ قَالَ فَمَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَخْوَى قَالَ إِذْ مِنْي فِدَانًا مِنْهُ قَالَ هَلْ بِكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ قَالَ نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَاهُ مَخْلُوقٌ وَلَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ قَالَ فَهُوَ ذَاكَ قَالَ وَرَأَيْتُ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدِرِ وَعَلَيْهِ قُرْطَانٌ وَدُمْلَجَانٌ وَمَسَكَتَانِ قَالَ ذَلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيهِ وَبَهَجْتِهِ قَالَ وَرَأَيْتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا قَالَ وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو رَأَيْتَهَا تَقُولُ لَطَى لَطَى بَصِيرٌ وَأَعْمَى أَكَلِكُمْ أَهْلِكُمْ وَمَالِكُمْ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَالَ وَمَا الْفِتْنَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَفْتِكُ النَّاسَ بِإِمَامِهِمْ ثُمَّ يَشْتَجِرُونَ اشْتِجَارَ أَطْبَاقِ الرَّأْسِ وَخَالَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَخْسِبُ الْمُسِيءُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ وَدَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَخْلَى مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ . الْأَتَانُ أَنْتَى الْحَمِيرِ وَالْجَدْيُ الذَّكَرُ مِنَ أَوْلَادِ الْمَغْزِ وَالْأَسْفَعُ الَّذِي أَصَابَ جَسَدَهُ لَوْنٌ آخَرَ وَالْأَخْوَى الْأَسْوَدُ الَّذِي لَيْسَ بِالشَّدِيدِ وَالْقُرْطُ مَا يُخَلَّقُ فِي شَحْمَتِي الْأُذُنِ وَالْدُمْلَجُ شَيْءٌ يُشْبِهُ السُّوَارَ وَالْمَسَكَتَانِ السُّوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَالشُّمْطَاءُ الَّتِي شَعْرُ رَأْسِهَا أَبْيَضُ وَأَطْبَاقُ الرَّأْسِ عِظَامُهُ وَالْأَشْتِجَارُ الْأَخْتِلَافُ وَالْأَشْتِيَاكُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ كُنْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ
فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالُوا هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا قَالَ
سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وَضِعَ فِي
رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فَنُصِبَ فِيهَا وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ فَقَالَ
ازِقَّةَ فَرَقِيئَتَهُ أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَمُوتُ عَبْدُ
اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي قُمْ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَإِذَا
أَنَا بِجَوَادٍ جَمْعُ جَادَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ عَنْ شِمَالِي قَالَ فَأَخَذْتُ لِأَخَذَ فِيهَا أَيْ أَسِيرَ
فَقَالَ لَا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا طَرِيقُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ فَإِذَا مَنَهَجٌ عَنْ يَمِينِي فَقَالَ لِي خُذْ هَهُنَا فَاتَى
بِي جَبَلًا فَقَالَ لِي اصْعَدْ فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَزَزْتُ حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا وَفِي
رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ خَيْرًا أَمَّا الْمَنَهَجُ فَالْمَحْشَرُ وَأَمَّا
الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَلَنْ تَنَالَهُ وَهَذَا عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عَبْدَ
اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ لَمْ يَمُتْ شَهِيدًا وَإِنَّمَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بِالْمَدِينَةِ، وَرَوَى
الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرَيْتُ لِعِثْمَانَ بْنِ
مِظْعُونٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ
فَقَالَ ذَلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ .

الفصل الثالث

في إنبائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبَاءِ الْمُعَيَّاتِ

اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ يَخْتَصُّ بِهِ تَعَالَى وَمَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ فَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا بِوَحْيٍ أَوْ بِالْهَامِ لِإِنْبَاءِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي
الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي وَقَدْ اشْتَهَرَ
وَأَنْتَشَرَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأُطْلَاعِ عَلَى الْغُيُوبِ حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
اسْكُتْ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَنْ يُخْبِرُهُ لَأَخْبَرْتَهُ جِجَارَةَ الْبَطْحَاءِ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ
وَقَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نَسِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتَلَوُ كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَضِيدُهَا فِي ضُخْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ عَدِ

وَهَذَا الْفَضْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: (الأولُ) فيما أُخْبِرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِمَّا نَطَقَ بِهِ
الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] فَقَوْلُهُ:

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبِ تَفْضِي الْعَادَةِ بِخِلَافِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا غَايَةً فِي
الْبَلَاغَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ
ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] الْآيَةُ وَالطَّائِفَتَانِ هُمَا الْعَيْرُ وَالتَّيْبَرُ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى
عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَ وَلَا شَكَّ أَنْ الْوَعْدَ كَانَ قَبْلَ اللَّقَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [] يَغْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ مَا
بَيْنَ الثُّسْعِمَاتَةِ إِلَى الْأَلْفِ وَكَانُوا مُسْتَعِدِّينَ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثِمِائَةَ
وِثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَمَكَّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِ أَيْبَالِهِمْ وَاعْتِنَامِ أَمْوَالِهِمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١] يُرِيدُ مَا قَدَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ
الْخَوْفِ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى تَرَكَوا الْقِتَالَ وَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ
غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ
الْآيَةِ أَنَّ كِسْرَى وَقَبْلَهُ قَتَاتِلًا فَغَلَبَ كِسْرَى قَيْصَرَ فَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ
وَلِتَعْظِيمِ قَيْصَرَ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمْزِيقِ كِسْرَى كِتَابَهُ وَفَرِيحِ الْمُشْرِكُونَ فَأَخْبَرَ
اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الرُّومَ بَعْدَ أَنْ غَلِبُوا سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ. وَالْبَضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى
الْعَشْرَةِ فَغَلَبَتِ الرُّومُ أَهْلَ فَارِسَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ وَذَلِكَ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَتُّوهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥]
فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَتَمَتُّونَ الْمَوْتَ بِالْقَلْبِ وَلَا بِاللُّسَانِ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ فَلَوْ لَمْ
يَعْلَمُوا مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ لَسَارَعُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ بِالْتَّمَنِّي وَرَوِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَوْ تَمَنُّوا الْمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرَبِّقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ وَمَا بَقِيَ يَهُودِيٌّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] الْآيَةُ هَذَا وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَيْمَّةَ النَّاسِ وَالْوُلَاةَ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ فِيهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا وَأَخَذَ الْجُزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ وَهَذَا هِرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَهُوَ الْمُقَوِّسُ وَمُلُوكُ عَمَانَ وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَضْحَمَةَ رَجِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّ شَعَتْ مَا وَهَى وَمَهَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَبَعَثَ الْجُيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ فَفَتَحُوا طَرَفًا مِنْهَا وَجَيْشًا آخَرَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَجَيْشًا ثَالِثًا إِلَى بِلَادِ مِصْرَ فَفَتَحَ اللَّهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ فِي أَيَّامِهِ بُضْرَى وَدِمَشْقَ وَنَوَاحِيَهُمَا مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ وَمَا وَالِأَهَا وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ الْفَارُوقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ فِي الْأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَامًا تَامًا لَمْ يَدْرِ الْفَلَكَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَحَ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ بِكَمَالِهَا وَدِيَارَ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا وَأَكْثَرَ إِقْلِيمِ فَارِسَ ثُمَّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْتَدَّتِ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا وَجِيءَ بِالْحَرَاجِ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَعَارِبِ ثُمَّ زَادَتْ الْفَتْوحَاتُ وَاتَّسَعَتِ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَهَذَا نَحْنُ نَتَقَلَّبُ فِيهَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] فَالْيَهُودُ أَذَلُّ الْكُفَّارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ كَمَا أَخْبَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣ والصف: ٩] وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الْعِيَانِ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ كَمَا أَخْبَرَ عَالٍ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَى آخِرِهَا فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا فَمَا مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ اسْتِثْقَاؤُهُ.

القِسْمُ الثَّانِي

فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ سِوَى مَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فَكَانَ

كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ لِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِي هُدُوءِ. وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ قَدْ عَلَّمَهُ أَصْحَابِي هَوْلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَهُ عَرَفَهُ ثُمَّ قَالَ حُدَيْفَةُ مَا أَدْرِي أَنَسِي أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدٍ فَتَنَّهُ إِلَى أَنْ تَنَقِضِي الدُّنْيَا يَتَلُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةَ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الدُّجَالِ فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَاللَّوَانَ خِيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَوَضَّحَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَهُمْ بِمَا يَقَعُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَالَ أَبُو دَرٍّ لَقَدْ تَرَكَنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُحْرِكُ طَائِرٌ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشُّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ لِلنَّاسِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَضَرَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ اثْبُتْ أَحَدٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَسَائِرُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهُ لَا يَكُونُ كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلَا قَيْصَرَ

بِالشَّامِ كَمَا كَانَ فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَعْلَمَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِانْقِطَاعِ مُلْكِهِمَا مِنْ هَدْيَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ وَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِسُرَاقَةَ كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبَسْتَ سِوَارِي كِسْرَى فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ. وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ فَقَالَ مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَعَيْرُهَا وَأَسَلَمَ. وَإِخْبَارُهُ بِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ. وَيَمَوْضِعِ نَاقَتِهِ حِينَ ضَلَّتْ وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِحِطَائِمِهَا فِي الشَّجَرَةِ، وَلَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْأَخْزَابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا فَلَمْ يُغْزِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهَا.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا إِلَى مَوْتَةَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ أَصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ أَصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ بِمَوْتَةَ جَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكُشِفَ لَهُ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرِكِهِمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى اسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ جَعْفَرٍ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَاسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا. وَمَوْتَةُ دُونَ دِمَشْقَ بِأَرْضِ الْبُلْقَاءِ.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ يَا أَسْمَاءُ أَيْنَ بَنُو جَعْفَرٍ فَجِئْتُ بِهِمْ فَضَمَّهُمْ وَشَمَّهُمْ ثُمَّ دَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالْهُمُوعِ فَبَكَى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْلَغْكَ عَنْ جَعْفَرٍ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ قُتِلَ الْيَوْمَ رَوَاهُ الْبُغْوِيُّ وَعَيْرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ زُوَيْتَ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَعَارِبَهَا وَسَيَبُلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا فَكَانَ كَذَلِكَ امْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَعَارِبِ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ، وَمِنْ ذَلِكَ إِعْلَامُهُ قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ مَا فِي صَحِيفَتِهِمِ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رِجْمَهُمْ وَأَنَّهَا أَبَقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلَّهِ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبَرَّازُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ مِثَى فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فَسَلَّمَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ فَقَالَ إِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُخْبِرَكُمَا بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ

وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ فَقَالَا أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ التَّقِي لِبِئْسَ صَارِي سَلْ فَقَالَ أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَا لَكَ فِيهِ وَعَنْ رُكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ وَمَالَكَ فِيهِمَا وَعَنْ سَعِيكَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ وَقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ رَمِيكَ الْجِمَارِ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ نَحْرِكَ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ جِلَاقِكَ رَأْسَكَ وَمَالَكَ فِيهِ مَعَ الْإِفَاضَةِ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنَ هَذَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ فَجَلَسْتُ وَسَطَ الْحَلْفَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَا وَائِلَةُ فَمَنْ عَنْ هَذَا الْمَنْجَلِسِ فَقَدْ نَهَيْتَنَا عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُونِي وَإِيَّاهُ فَإِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي قَالَ أَخْرَجَكَ مِنْ مَنْزِلِكَ لِتَسْأَلَنِي عَنْ الْبِرِّ وَعَنِ الشُّكِّ قَالَ قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِرُّ مَا اسْتَقَرَّ فِي الصُّدُورِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالشُّكُّ مَا لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي الصُّدْرِ فَدَخَّ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهِ إِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي فَعَاشَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَقِيلَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِنِسَائِهِ أَسْرَعُكُمْ بِي لِحُوقًا أَطْوَلُكُمْ يَدًا فَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيٍّ أَتَدْرِي مَنْ أَشَقَى الْأَخْرِيْنَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَاتِلُكَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَعَاوِيَةَ أَمَا إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِيهِمْ وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِيهِمْ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَى أُطَمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَيْ حِضْنٍ مِنْ حِضُونِهَا ثُمَّ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فَوَقَعَتْ فِتْنَةُ قَتْلِ عُثْمَانَ وَتَتَابَعَتِ الْفِتْنُ إِلَى فِتْنَةِ الْحَرَّةِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي مُوسَى وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قُفِّ بَيْتِ أَرِيْسٍ أَيْ حَافِيَةِ لَمَّا طَرَقَ عُثْمَانُ الْبَابَ ائْتَدَّنْ لَهُ وَبَشُرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِشْهَادِهِ يَوْمَ الدَّارِ .

وَأَصْرَحَ مِنْهُ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْنَةَ فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا يَوْمَئِذٍ ظَلَمًا قَالَ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفَيْنَ وَقِتَالِ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلِيًّا كَمَا أَخْرَجَهُ

الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ ثَقَاتِلُهُ يَغْنِي عَلِيًّا وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فَكَانَ كَمَا قَالَ بِصُلْحِهِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ إِعْلَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً وَقَالَ فِيهَا مَضْجَعُهُ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمَارٍ تَفْتُلُكَ الْفِئْتَةُ الْبَاغِيَّةُ فَكَانَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ رَأَى رَجُلًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ أَمَا إِنَّكَ سَتُنْقِذُ بَصْرَكَ فَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَاسٍ تَعِيشُ حَمِيدًا وَتُقْتَلُ شَهِيدًا فَمَاتَ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ بِالْيَمَامَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَنِزْلَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَنِزْلَ لِلنَّاسِ مِنْكَ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الْحَجَّاجِ مَا كَانَ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذَا الدِّينَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُودًا ثُمَّ يَكُونُ سُلْطَانًا وَجَبْرِيَّةً. وَقَوْلُهُ مُلْكًا عَضُودًا أَيُّ يُصِيبُ الرَّعِيَّةَ فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ كَأَنَّهُ يَعْضُهَا عَضًا.

وَفِي حَدِيثِ سَفِينَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَتَبِعَهُ الثَّلَاثِينَ سَنَةً السُّنَّةُ أَشْهُرِ النَّبِيِّ وَلِيَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ مَرَّتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكَ حَامِلٌ بِغُلَامٍ فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَأْتِينِي بِهِ قَالَتْ فَلَمَّا وَلَدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِهِ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَقَامَ فِي الْيَسْرَى وَالْبَاءُ مِنْ رِيقِهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَالَ أَذْهَبِي بِأَبِي الْخَلْفَاءِ قَالَتْ فَأَخْبَرْتُ الْعَبَّاسَ فَأَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ هُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ هُوَ أَبُو الْخُلَفَاءِ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ السُّفَّاحُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ، وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ نَرَى هَذَا الْعَالَمَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ.

وَإِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْبُوا قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ

وغيره قال الإمام أحمد وغيره هذا العالم هو الشافعي لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن طائفة من أمته لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله رواه الشيخان، وأخبر صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى يبعث إلى هذِهِ الأُمَّةِ على رأسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وأخبر صلى الله عليه وسلم بدهاب الأُمَّةِ فالأُمَّةُ أي الأفضل فالأفضل رَوَاهُ الْحَاكِمُ وصححه بلفظ تذهبون الخير فالخير، وأخبر صلى الله عليه وسلم بالخوارج رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ بَلْفِظِ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَفْسِمُ قَسَمًا إِذْ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ وَنَيْلِكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَقَالَ عَمْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ أَيُّهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدَ إِخْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثُدِي الْمَرْأَةِ يَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ وَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَبَسَ فَوَجِدَ فَأَتَيْتُ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتَهُ.

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضا بالرافضة أخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة يزفون الإسلام، وأخبر صلى الله عليه وسلم بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه الأمة رواه الطبراني عن أنس والقدرية سموا بذلك لإنكارهم القدر وإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وقولهم لم يقدر الله الشر والمرجئة هم القائلون بالإزجاء وهو تأخير العمل عن النية والأعتقاد فإنهم يقولون الإيمان قول ولا عمل.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أصحابه بأشياء بين موته وبين الساعة وحذر من مفاجأتها وأن الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الأمارات في العالم كما روي من رفع الأمانة والقرآن واشتتار الخيانة وحسد الأقران وقلة الرجال وكثرة النسوان إلى غير ذلك مما شهدت بصحة خبر روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَاؤُهُمَا
وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كَلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَحَتَّى يُقْبَضَ
الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتُظْهَرَ الْفِتْنُ وَيَكْثُرَ الْهَزْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ
الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهْمَ الرَّجُلَ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا
أَرَبَ لِي فِيهِ وَحَتَّى يَطَّوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي
مَكَانَهُ وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينٌ لَا
يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَسَرَ
الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِحَتِيهِ فَلَا
يَطْعَمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيظُ حَوْضَهُ أَيْ يُضِلُّهُ بِالطَّيْنِ فَلَا يَسْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ
رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا فَهَذِهِ ثَلَاثُ عَشْرَةَ عَلَامَةً جَمَعَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ
وَقَدْ ظَهَرَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ الْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُضْرَى وَقَدْ خَرَجَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ
عَلَى قُرْبٍ مَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ بَدْوُهَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ثَالِثِ
جُمَادَى الْأَخْرَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ اشْتَدَّتْ حَرَكَتُهَا وَعَظُمَتْ
رَجْفَتُهَا وَتَتَابَعَتْ حِطْمَتُهَا وَازْتَجَّتِ الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا حَتَّى أَيْقَنَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِوُقُوعِ الْهَلَكَةِ
وَزَلْزَلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا مِنْ وَقُوعِ ثَمَانِي عَشْرَةَ حَرَكَةً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ دُونَ لَيْلَتِهِ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ
وَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ بِبَرَكَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسِيمٌ بَارِدٌ وَشَوْهَدٌ مِنْ هَذِهِ النَّارِ عَلَيَانِ كَعَلَيَانِ
الْبَحْرِ وَانْتَهَتْ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ فَأَخْرَقَتْهَا قَالَ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لَقَدْ رَأَيْتُهَا
صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ قَالَ وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُؤِيَتْ مِنْ مَكَّةَ وَمِنْ جِبَالِ
نُضْرَى . وَقَالَ الْقُطْبُ الْقُسْطَلَانِيُّ أَقَامَتْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَكَانَ انْطِفَاقُهَا فِي السَّابِعِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المقصد التاسع

في فوائد لطيفة من لطائف عباداته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مخاطباً له صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧] وَالْيَقِينُ الْمَوْتُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وَقَدْ اختلف العلماء هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته متعبداً بشرع من قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متعبداً بشيء وهو قول الجمهور وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ فِي التَّوْحِيدِ وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْبُلْقِينِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ لَمْ تَجِيءْ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا كَيْفِيَّةً تَعْبُدُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَكِنْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءَ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ حَتَّى إِذَا انصَرَفَ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ التَّعَبُّدَ عَلَى التَّفَكُّرِ. وَهَذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ.

النوع الأول

في الطهارة وفيه ستة فصول:

الفصل الأول

في ذكر وضوئه وسواكه ومقدار وضوئه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الوضوء بالضم الفِعْلُ وبالفَتْحِ الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ اتَّفَاقَ أَهْلِ السِّيَرِ عَلَى أَنَّ غُسْلَ الْجَنَابَةِ فَرِضٌ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ كَمَا افْتَرَضَتْ

الصَّلَاةُ وَأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ إِلَّا بِوُضُوءٍ قَالَ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجْهَلُهُ عَالِمٌ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ قَالَ يُجْزِي أَحَدَنَا الْوُضُوءَ مَا لَمْ يُحَدِّثْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ صَلَّى الصَّلَاةَ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَعَلْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ فَقَالَ عَمَدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ يَعْنِي لِبَيَانِ الْجَوَازِ . وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَسِيلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ طَاهِرًا أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ فَلَمَّا سَقَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَوَضِعَ عَنْهُ الْوُضُوءَ إِلَّا مِنْ حَدِيثٍ وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضٌ وَهُنَّ لَكُمْ سُنَّةٌ الْوِثْرُ وَالسُّوَاكُ وَقِيَامُ اللَّيْلِ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ . وَالْمُدُّ رُبْعُ صَاعٍ وَالصَّاعُ خَمْسَةُ أَزْطَالٍ وَكُلُّ بَرِطَلٍ بَغْدَادٍ وَهُوَ عَلَى مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ مِائَةٌ وَتَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا .

الفصل الثاني

في وضوئه عليه السلام مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً مَرَّةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ هُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ ذَكَرَهُ زَيْدٌ . وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

الفصل الثالث

في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَعَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَشَشَقَ ثُمَّ عَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ ثَلَاثًا إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ عَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ دَنْبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ تَوَضَّأْنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَعًا بِإِنَاءٍ فَأَكْفَأَ مِنْهُ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَضَمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدٍ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَعَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَعَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا كَانَ وَضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي رِوَايَةٍ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ بَدَأَ بِمُقَدِّمِ رَأْسِهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنَيْهِمَا وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صِمَاحِي أُذُنَيْهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الْمَاقِنِينَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ عَثْمَانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَعِنْدَهُ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا تَوَضَّأَ عَرَكَ عَارِضِيهِ بَعْضَ الْعَرَكَ ثُمَّ شَبَّكَ لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ مِنْ تَحْتِهَا، وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ وَيُدْخِلُهُ تَحْتَ حَنْكِهِ وَيُخَلِّلُ بِهِ لِحْيَتَهُ وَيَقُولُ بِهَذَا أَمْرِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَبِي زَافِعٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ حَرَّكَ خَاتَمَهُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ.

وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَادٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلِكُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخُنْصَرِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيُمْنَى لِطَهُورِهِ وَطَعَامِهِ وَكَانَتْ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى، وَعَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَأَنَّهُ ذَهَبَ لِحَاجَةِ لَهُ وَأَنَّ الْمُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خِرْقَةٌ يُنَشَفُ بِهَا بَعْدَ الْوُضُوءِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ رُبَّمَا تَوَضَّأَ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأَ لِأَنَّ عَيْنَهُ تَنَامُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ. وَإِنَّمَا مَنَعَ قَلْبُهُ النَّوْمَ لِيُعَيِّ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي مَنَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الرابع

في مسحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الخُفَّينِ

عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ عَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزْوَةَ تَبُوكَ فَتَبَرَّرَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَلَ الْغَائِطِ فَحَمَلَتْ مَعَهُ إِدَاوَةَ قَبْلِ الْفَجْرِ فَلَمَّا رَجَعَ أَخَذَتْ أَهْرِيْقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ذَهَبَ يَحْسُرُ ذِرَاعَيْهِ فَضَبَّاقَ كُمُ الْجُبَّةِ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكَبَيْهِ وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتَيْهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَيْهِ فَقَالَ دَعُهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَيْنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمَسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الفصل الخامس

في تيممه صلى الله عليه وسلم

عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثِ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تَرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَعَنْ عَمَارٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِنِّي أَجْتَنَّبُ فَلَمْ أَصِبِ الْمَاءَ فَقَالَ عَمَارٌ لِعُمَرَ أَمَا تَذُكُرُ أَنَا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكَتْ فَصَلَّيْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا وَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَفَيْهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَيْهِ إِلَى كُوعَيْهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَعَنْ أَبِي الْجُهَيْمِ قَالَ مَرَزْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ حَتَّى قَامَ إِلَى جِدَارٍ فَحَتَّهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعَهُ ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْجِدَارِ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ .

الفصل السادس

في غسله صلى الله عليه وسلم

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ طَافَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَجْعَلُهُ غُسْلًا وَاحِدًا آخِرًا قَالَ هَذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَدْخُلُ أَصَابِعِهِ فِي الْمَاءِ فَيَحْلُلُ بِهَا أَصُولَ الشَّعْرِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ عَرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ ثُمَّ يَفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ، وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَضَعَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً لِلْغُسْلِ فَعَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَفْرَعَّ عَلَى شِمَالِهِ فَعَسَلَ مَذَاكِيرَهُ ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْ مَكَانِهِ فَعَسَلَ قَدَمَيْهِ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُسْلًا أَيْ مَاءً فَسْتَرْتُهُ أَيْ الْمَاءِ بِثَوْبٍ وَصَبَّ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَهُمَا ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَعَسَلَ فَرْجَهُ فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ فَمَسَحَهَا ثُمَّ عَسَلَهَا فَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَعَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ ثُمَّ تَنَحَّى فَعَسَلَ قَدَمَيْهِ فَتَاوَلْتُهُ ثَوْبًا فَلَمْ يَأْخُذْهُ فَاَنْطَلَقَ وَهُوَ يَنْفِضُ يَدَيْهِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ عَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَجْنَبَ وَأَرَادَ أَنْ يَنَامَ تَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّيْمُمُ هُنَا عِنْدَ عُسْرِ وُجُودِ الْمَاءِ.

النوع الثاني

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ خَمْسَةٌ أَقْسَامٍ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي الْفَرَائِضِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَفِيهِ خَمْسَةٌ أَبْوَابٍ

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَفِيهِ خَمْسَةٌ فُصُولٍ:

الْفُضْلُ الْأَوَّلُ

فِي فُرُوضِهَا

عَنْ أَنَسٍ قَالَ فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةٌ أُسْرِي بِهِ خَمْسُونَ صَلَاةً ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا ثُمَّ نَادَى يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَإِنَّ لَكَ بِهِدِيهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ رَوَاهُ الثَّرِمِذِيُّ هَكَذَا مُخْتَصِرًا وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ تَقَدَّمَ فِي مَقْصِدِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُسْتَوْفَى فَرَاغَهُ هُنَاكَ.

الفصل الثاني

في الأوقات التي صلى فيها الصلوات الخمس صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم أمي جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر في الأولى حين كان الفجر مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالأمس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب كوقت الأولى ثم صلى العشاء الأخيرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفر ثم التفت إلي جبريل فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره. وقوله صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله أي فرغ منها حينئذ كما سرع في العصر في اليوم الأول وحينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس ما لم تحضر العصر، وقد بين ابن إسحاق في المعازي عن نافع بن جبير وغيره أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت الصلاة فيها وهي ليلة الإسراء.

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذهاب إلى العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال رواه البخاري وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر، وعن سلمة بن الأكوع أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم، وعن رافع بن خديج كذا نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف أحدنا وإنه ليرى مواقع تبليه رواه الشيخان أي يبصر مواقع سهاميه إذا رمى بها، وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان الحر أبرد بالصلاة وإذا كان البرد عجل رواه النسائي.

وأعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من أهل الأرض أحداً فيركم وفي رواية فخرج ورأسه تفتط ماء يقول لولا أن أشق على أمي أو على الناس لأبصرتهم بالصلاة

هَذِهِ السَّاعَةَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمْ الصَّلَاةَ
وَلَوْلَا ضَعْفُ الضَّعِيفِ وَسُقْمُ السَّقِيمِ لَأَخْرَجْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ يُصْفِيهِ صَحَّحَهُ
التِّرْمِذِيُّ .

الفصل الثالث

فِي كَيْفِيَّةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ خَمْسَةٌ عَشَرَ فَرْعًا

الفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي صِفَةِ افْتِتَاحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِعَ بِأَلَا يُقِيمُ الصَّلَاةَ فَلَمَّا قَالَ قَدْ قَامَتِ
الصَّلَاةُ قَالَ أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَعَنْ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ رَوَاهُ
الْبَزَّازُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي إِجَابِ النَّيَّةِ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ مَنْكَبَيْهِ ثُمَّ يُكَبِّرُ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ فَعَلَّ
مِثْلَ ذَلِكَ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ
الْحَمْدُ وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ حِينَ يَسْجُدُ وَلَا حِينَ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفَعٍ رَوَاهُ مَالِكٌ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْكُتُ
بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا تَقُولُ فِي
سَكْنَتِكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ قَالَ أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُتَّقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ
خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْحِجِ وَالتَّبَرِّدِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ
وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ

الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي
 جَمِيعًا لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ
 وَاضْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَضْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ
 وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ
 مُسْلِمٌ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
 وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ
 مُطْعِمٍ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ

اِخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ
 بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَوْ لَا يَفْتَتِحُهَا بِهَا قَالَ الْحَافِظُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ وَطَرِيقُ
 الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ مُمَكِّنٌ بِحَمْلِ نَفْيِ الْقِرَاءَةِ عَلَى نَفْيِ السَّمَاعِ وَنَفْيِ السَّمَاعِ عَلَى نَفْيِ
 الْجَهْرِ وَبِهَذَا الْجَمْعِ زَالَتْ دَعْوَى الْأَضْطِرَابِ.

الْفَرْعُ الثَّلَاثُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَاتِحَةَ وَقَوْلِهِ آمِينَ بَعْدَهَا

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ غَيْرَ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ آمِينَ وَمَدَّ بِهَا
 صَوْتَهُ وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَخَفَضَ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ

رَوَى التَّسَائِيُّ عَنِ أَبِي بَرْزَةَ كَمَا أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَا بَيْنَ
 السُّتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ أَيْ مِنَ الْآيَاتِ وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ إِذَا
 الشَّمْسُ كُورَتْ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ كَمَا أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِقِ وَالْقُرْآنِ
 الْمَجِيدِ وَتَحْوِيهَا وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ بَعْدَ تَخْفِيفًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَرَأَ فِي الصُّبْحِ إِذَا زُلْزِلَتْ فِي

الرُّكْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي صُبْحِ الْجُمُعَةِ ﴿الم تنزيل﴾ [السجدة: ١] وَ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] رَوَاهُ الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَقْرَأُهُمَا كَامِلَتَيْنِ وَقِرَاءَةً بَعْضُهُمَا خِلَافَ السُّنَّةِ .

وَعَنْ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي ﴿الم تنزيل﴾ السُّجْدَةِ .

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَفِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَيُسْمِعُنَا آيَةَ أَحْيَانًا وَيُطَوِّلُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى مَا لَا يُطَوِّلُ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ وَهَكَذَا فِي الْعَصْرِ وَهَكَذَا فِي الصُّبْحِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنَّا نَحْزِرُ أَيُّ نَقْدُرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدَرَ ﴿الم تنزيل﴾ السُّجْدَةِ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدَرَ النُّصْفِ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الْأُخْرَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النُّصْفِ مِنْ ذَلِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَى عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَفِي رِوَايَةٍ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الْعَصْرِ بِنَحْوِ ذَلِكَ، وَعَنْهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَنَسٍ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ

عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ سَمِعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا وَإِنَّهَا لِأَخْرُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ الشُّيْخَانِ .

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهَا آخِرُ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ بِالْمَغْرِبِ بِالطُّورِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الْمَغْرِبَ بِسُورَةِ الْأَعْرَافِ فَرَقَّهَا فِي رَكْعَتَيْنِ وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ حَمَّ الدُّخَانَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّ صَلَاةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فُلَانٍ وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَفْرَأُ فِي الصُّبْحِ بِطَوَالِ الْمُفْصَلِ وَفِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفْصَلِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْمُفْصَلُ مِنَ الْحُجْرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

الْفَرْعُ السَّابِعُ

فِي ذِكْرِ مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ

وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ جُمْلَةً أَحَادِيثُ تَتَعَلَّقُ بِقِرَاءَتِهِ فِي الصَّلَاةِ مُطْلَقًا

عَنِ الْبَرَاءِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ فِي الْعِشَاءِ وَالثَّيْنِ وَالزُّبَيْثُونَ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّدَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ. وَكَانَ إِذَا قَرَأَ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ وَالثَّيْنِ وَالزُّبَيْثُونَ فَأَنْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فَلْيَقُلْ بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَمَنْ قَرَأَ لَا أَقْسِمُ بِبِزْمِ الْقِيَامَةِ فَأَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْسِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فَلْيَقُلْ بَلَى وَمَنْ قَرَأَ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَبَلِّغْ ﴿فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فَلْيَقُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَانَةً وَيَسْكُتُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ وَيَسْكُتُ ثَالِثَةً بَعْدَ قِرَاءَةِ السُّورَةِ وَهِيَ سَكْتَةٌ لَطِيفَةٌ جَدًّا حَتَّى يَتَرَادَّ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ الْقِرَاءَةَ بِالرُّكُوعِ، وَأَمَّا السُّكْتَةُ الْأُولَى فَإِنَّهُ كَانَ يَجْعَلُهَا بِقَدْرِ الْأَسْتِفْتَاكِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلِأَجْلِ قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ الْفَاتِحَةَ فَيَتَّبِعِي تَطْوِيلُهَا بِقَدْرِهَا.

الْفَرْعُ الثَّامِنُ

فِي ذِكْرِ رُكُوعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَزْكَعُ وَيَضَعُ رَاخَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَغْتَدِلُ فَلَا يُصَوِّبُ رَأْسَهُ وَلَا يُفْنِغُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالِدَّارِمِيُّ وَقَوْلُهُ يُصَوِّبُ أَيُّ يَخْفِضُ وَلَا يُفْنِغُ أَيُّ لَا يَرْفَعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ أَعْلَى مِنْ ظَهْرِهِ .

الْفَرْعُ التَّاسِعُ

فِي ذِكْرِ مِقْدَارِ رُكُوعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ أَشْبَهَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فَحَزَرْنَا رُكُوعَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ وَسُجُودَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنِ الْبَرَاءِ كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ قَالَ التَّوْرِيُّ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ تَطْوِيلُ قِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الْفَرْعُ الْعَاشِرُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ فِي الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَبِّرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَعْنَى يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ الْبَدِيعَ فِي الْجَزَائِلِ الْمُسْتَوْفِي مَا أَمَرَ بِهِ فِي الْآيَةِ، وَعَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ حُدَيْفَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَفِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَالْجَدُّ الْحَطُّ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ اللَّهُمَّ طَهِّرْني بِالثلجِ وَالْبَرْدِ الْمَاءِ الْبَارِدِ .

الْفَرْعُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي ذِكْرِ صِفَةِ سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَقُولُ فِيهِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَهَى مِنْ ذِكْرِ قِيَامِهِ عَنِ الرُّكُوعِ يُكَبِّرُ وَيَخْرُ سَاجِدًا وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ أَيْضًا وَصَحَّحَهُ بَعْضُ الْحُقَاطِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكُوبَتَيْهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ثُمَّ جَبَّهَتْهُ وَأَنفَهُ وَقَالَ أَمْرَتْ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا سَجَدَ فَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُو بَيَاضَ إِبْطِئِهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً وَجِلَّةً أَوْلَهُ وَآخِرَهُ عَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَقَوْلُهُ دِقَّةً وَجِلَّةً أَي قَلِيلَةً وَكَثِيرَةً .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فَفَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي السُّجُودِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ مُكَبِّرًا غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَيُنْصِبُ الْيُمْنَى ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجْلِسُ لِلْأَسْتِرَاحَةِ جَلْسَةً لَطِيفَةً بِحَيْثُ تَسْكُنُ جَوَارِحُهُ سَكُونًا بَيْنًا ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ بَيْنَ السُّجُودَيْنِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارزُقْنِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْدارِمِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

الْفَرْعُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي ذِكْرِ جُلُوسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّشَهُدِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ لِلتَّشَهُدِ يَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا فَأَعْرِضْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ السَّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَعَدَ مُتَوَرِّكًا عَلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ ثُمَّ سَلَّمَ قَالُوا صَدَقْتَ هَكَذَا كَانَ يُصَلِّي، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُدِ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَيَدْعُو بِهَا وَيَدُّهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ بِأَسْطِهَا عَلَيْهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ وَرُكُوعِهِ وَفِي سُجُودِهِ وَفِي التَّشَهُدِ وَاسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ فِي سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ تَشَهُدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَشَهُدُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْجَلْسَةِ الْأَخِيرَةِ وَيَعْلَمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا التَّحِيَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ الصَّلَوَاتِ الطَّيِّبَاتِ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَخِيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ وَدَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ مَا بَيْنَ التَّشَهُدِ وَالتَّسْلِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَازِرُهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ تَسْلِيمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ

وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ جُمْلَةً أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِحَالِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ رَوَاهُ التُّرْمِذِيُّ وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ حَتَّى يُرَى بَيَاضَ خَدِّهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ طَاطَأَ رَأْسَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُجَاوِزُ بَصْرَهُ إِشَارَتَهُ أَيِ إِضْبَعَهُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا وَهِيَ السَّبَابَةُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا قَالَ وَجِعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِينَ مَعَ كَمَالِ إِقْبَالِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ حُضُورِ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَيُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّاسِ وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةَ بِنْتِ بَنِيهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي الْحَسَنِ أَوْ الْحُسَيْنِ فَيَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيُطِيلُ السُّجْدَةَ كَرَاهِيَةً أَنْ يُلْقِيَهُ عَنْ ظَهْرِهِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتَّبِيهِيُّ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَعَائِشَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَهَا بِيَدِهِ فَقَبَضَتْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا قَامَ بَسَطَتْهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَرَوَى مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلَجَوْفِهِ أَزِيرٌ كَأَزِيرِ الْمَرْجَلِ يَعْنِي يَبْكِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْأَزِيرُ الصَّوْتُ وَالْمَرْجَلُ قِدْرٌ مِنْ نُحَاسٍ . وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ فِي صَلَاتِهِ . وَقَدْ كَانَتْ صَلَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَسِّطَةً عَارِيَةً عَنِ الْعُلُوِّ كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ الثِّيِّ وَالْجَهْرِ بِالْأَذْكَارِ الَّتِي شَرَعَتْ سِرًّا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِدَاءِ الْوَسْوَسَةِ عَاقِفَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ فَمَنْ أَرَادَ التَّخْلَصَ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ فَلْيَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّوِّيَّةَ .

الْفَرْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ قُنُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ دُعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُمُ الْقِرَاءُ فَعَرَّضَ لَهُمْ حَيَّانٍ مِنْ سُلَيْمِ رِغْلٍ وَذَكْوَانَ عِنْدَ بَثْرِ يُقَالُ لَهَا بَثْرٌ مَعُونَةٌ فَكَتَلُوهُمْ فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ أَيِ الصُّبْحِ وَذَلِكَ بَدَأَ الْقُنُوتِ وَمَا كُنَّا نَقُتُّ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَتَّتْ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ قَتَّتْ بَعْدَ الرُّكُوعِ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَمَا يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتِكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ وَفِي رِوَايَةٍ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَفِي رِوَايَةٍ ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ الْبَرَاءِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُتُّ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْإِسْبَاطِيُّ دَاوُدَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَغْرِبَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُتُّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي وَثْرِ اللَّيْلِ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ أَخْرِجْهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَتَمَامُهَا وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّيْنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُفْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْسَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا أَيَّ انْتَهَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ
مِنَ الصَّلَاةِ وَجُلُوسِهِ بَعْدَهَا وَسُرْعَةِ انْفِثَالِهِ بَعْدَهَا

عَنْ ثُوبَانَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَعْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ اللَّهُمَّ
أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُهُ بَعْدَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسْرِعُ
الْانْفِثَالَ إِلَى الْمَأْمُومِينَ وَكَانَ يَنْفِثُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَالْأَكْثَرُ عَنْ يَمِينِهِ . وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ مَكَثَ فِي مَكَانِهِ يَسِيرًا قَالَ الزُّهْرِيُّ فَتَرَى
وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءَ قَبْلَ الرِّجَالِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ لَا يَقْعُدُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ
السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا
الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ الْمُغْبِرَةِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النُّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ
الْجَمِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَعَنْ سَعْدِ أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هُوَلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِمْ دُبْرَ الصَّلَوَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ
وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَالِ الْعُمَرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ
شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَةَ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا ذَا الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ اسْمَعُ وَاسْتَجِبِ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اللَّهُ الْأَكْبَرُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ صُهَيْبٍ .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ تَقَامُ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا رَأَهُمْ قَلِيلًا جَلَسَ وَإِذَا رَأَهُمْ جَمَاعَةً صَلَّى رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِينِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَخْلَامِ وَالنَّهْيِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِيَدِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ يُعْدِلُنِي كَذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِلَى الشَّقِ الْأَيْمَنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الْبَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَلَمْ يَكُنْ يُؤَدِّنُ فِي زَمَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنَارِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَإِنَّمَا كَانَ بِلَالٌ يُؤَدِّنُ وَخَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِقُبَاءٍ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَسَسَ مَسْجِدَهُمْ ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَذْرَكَهُ الْجُمُعَةَ فِي بَنِي سَالِمٍ فَصَلَّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ تَأْسِيسِ مَسْجِدِهِ وَخَطَبَ وَهِيَ أَوَّلُ حُطْبَةٍ خَطَبَهَا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ وَأَعَادِي مَنْ يَكْفُرُ بِهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَقَلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ وَانْقِطَاعِ مِنَ الزَّمَانِ وَدُنُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجْلِ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى وَفَرَطَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَحْضَهُ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْ

نَفْسِهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنٌ وَصِدْقٌ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنَ الْآخِرَةِ وَمَنْ يَصِلِ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَنْوِي بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ وَدُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ وَمَا كَانَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ يَوْمَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ هُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ لِدَلِيلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجَلِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُؤْتِي مَفْتَهُ وَتُؤْتِي عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الْوَجْهَ وَتُرْضِي الرَّبَّ وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ فَخُذُوا بِحَظِّكُمْ وَلَا تُفْرَطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ فَقَدْ عَلَّمَكُمْ كِتَابَهُ وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَاكُمْ الْمُسْلِمِينَ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا يَغْدَى الْمَوْتِ فَإِنَّهُ مَنْ يُضْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِرِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ يَجْلِسُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى يَفْرُغَ الْمُؤَذِّنُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ ثُمَّ يَجْلِسُ فَلَا يَتَكَلَّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَا لَآ فَلِأَهْلِيهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينَنَا أَوْ ضَيَاعًا فَلِإِيَّيَّ وَعَلَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَمَعْنَى ضَيَاعًا عِيَالًا عَالَةً وَأَطْفَالًا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ .

وَعَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ بِنِ الثُّعْمَانِ قَالَتْ مَا أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق : ١] إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُؤُهَا كُلُّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ حَزِينٍ قَالَ قَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا

عَلَى قَوْسٍ أَوْ قَالَ عَلَى عَصَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تَفْعَلُوا أَوْ لَنْ تُطِيقُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدُّوا وَأَبْشِرُوا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ: قَوْلُهُ سَدُّوا أَي لَارْتَمُوا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَعِلُوا وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعُدُوا وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُزْرَقُوا وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُحْصَبُوا وَانْتَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تَنْصَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَكْتَسَكُمُ أَكْثَرُكُمْ ذِكْرًا لِيَمُوتَ وَأَكْرَمَكُمُ أَحْسَنَكُمُ اسْتَعْدَادًا لَهُ أَلَا وَإِنْ مِنْ عِلْمَاتِ الْعَقْلِ الشَّجَافِيِّ عَنِ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّزُودَ لِسُكْنَى الْقُبُورِ وَالتَّأَهُبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِي مَرَايِلِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ كَانَ صَدْرُ خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يُعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ. وَعِنْدَهُ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ بَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ وَلَا مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا أَبْعَدَ اللَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ جَابِرٌ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ وَيُصَلِّيَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ نِهَائَةَ فَانْتَهُوا إِلَى نِهَائِيكُمْ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ السُّبِّيَّةِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ قَضَا بَيْنَ الطُّولِ وَالتَّخْفِيفِ وَخُطْبَتُهُ قَضَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَازِرٌ وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ يَقْرَأُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَذْكُرُ النَّاسَ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى

طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي الْهَدْيِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَخَدَهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيَشٍ يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا لُبْسٍ طَيْلَسَانٍ وَلَا طَرْحَةَ وَلَا سَوَادٍ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلَالٍ فِي الْأَذَانِ فَإِذَا فَرَعَ مِنْهُ قَامَ فَحَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ لَا بِإِزَادِ حَبْرٍ وَلَا غَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفًا وَلَا غَيْرَهُ وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصَا قَبْلَ أَنْ يُتَّخَذَ الْمِنْبَرَ وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ مِنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْإِنصَاتِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِسُورَةِ «الْجُمُعَةِ» فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى وَ «إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ» [المنافقون: ١] بِالثَّانِيَةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي حَدِيثِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» [الأعلى: ١] وَ «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ» [الغاشية: ١] وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بِالْمَدِينَةِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا .

الْبَابُ الثَّلَاثُ

فِي تَهْجُدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

التَّهْجُدُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الرُّقَادِ ثُمَّ صَلَاةَ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ ثُمَّ صَلَاةَ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا قَالَتْ فَلَمَّا بَدَنَ وَكَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَزْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

(ذَكَرُ سِيَاقِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ) عَنْ شُرَيْحٍ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلَّا صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَالصَّارِخُ الدُّيُكُ، وَقَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ فَإِذَا أَدَنَّ الْمُؤَدُّنَ وَتَبَّ فَإِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي

أَوَّلِ اللَّيْلِ وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي آخِرِهِ وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي آخِرِهِ وَرُبَّمَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا خَفَّتْ أَيُّ أَسْرٍ بِهَا.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا ثُمَّ يَنَامُ قَدَرَ مَا صَلَّى ثُمَّ يُصَلِّي قَدَرَ مَا نَامَ ثُمَّ يَنَامُ قَدَرَ مَا صَلَّى حَتَّى يُصْبِحَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا كُنَّا نَسْأَلُ أَنْ نَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ وَلَا نَسْأَلُ أَنْ نَرَاهُ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَا تُنِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَعَنْهَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهُ عَشْرًا وَحَمِدَ اللَّهُ عَشْرًا وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا وَقَالَ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَشْرًا وَهَلَّلَ عَشْرًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا وَضَيْقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

(وَكَانَ قِيَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْوَاعٍ) فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَشَّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا فَتَحَدَّثَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخْرَجُ أَوْ نِصْفُهُ قَعَدَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ فَقَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَتَنَامْتُ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ فَأَذَنُهُ بِإِلَاقَةِ الصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا وَزَادَ بَعْضُهُمْ وَفِي لِسَانِي نُورًا وَذَكَرَ عَصَبِي وَلَحْيِي وَدَيْمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي.

وَفِي رِوَايَةٍ فَقَامَ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْهَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ حَزَرْتُ قِيَامَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ يَقْدِرُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] وَفِي رِوَايَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى صَلَّى ثَمَانِي رَكْعَاتٍ ثُمَّ أَوْتَرَ بِخُمْسٍ لَمْ يَجْلِسَ فِيهِنَّ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنِ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ أَلَسْتُ

تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنبِئِينِي عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كُنَّا نَعِدُ لَهُ سِوَاكَهَ وَطَهْوَرَهُ فَيَنْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَنْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ وَلَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ثُمَّ يَفْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ فَيَلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْ تَرَ بِسَبْعٍ وَصَنَعَ فِي الرُّكَعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ فَيَلْكَ تِسْعَ يَا بُنَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا لِلنَّسَائِيِّ فَصَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ يُحِيلُ إِلَيَّ أَنَّهُ سَوَى بَيْنَهُنَّ فِي الْفِرَاقَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ثُمَّ يُوتِرُ بِرَكَعَةٍ ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ يَضَعُ جَنْبَهُ ، وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ .

وَعَنْهَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْهَا قَالَتْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ سَبْعًا وَتِسْعًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكَعَتَيْ الْفَجْرِ وَأَشْكَلَتْ رِوَايَاتُ عَائِشَةَ عَلَى كَثِيرٍ وَالصَّوَابُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ النَّشَاطِ وَبَيَانِ الْجَوَازِ قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ قَالَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ أَزْتَرَ فَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ حُدَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظْمَةَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعَهُ

قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذِهِ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطْلُعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ وَيَرْحَمُ الْمُسْتَزْحِمِينَ وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحَقْدِ كَمَا هُمْ رَوَاهُ التَّبَهَقِيُّ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ رَافِعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمٍ كَلْبٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمَعْنَى يَنْزِلُ أَيُّ أَمْرُهُ أَوْ مَلَكُهُ.

(وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ) وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالتَّرَاوِيحِ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَلِمُسْلِمٍ قَالَتْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَعَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَا نُدْرِكُ الْفَلَاحَ أَيِ السُّحُورِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، (وَأَمَّا عَدَدُ الرُّكْعَاتِ الَّتِي كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُهَا فِي رَمَضَانَ) فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ قَالَتْ مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رُكْعَةً يُصَلِّيُ أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِيَّتِهَا وَطُولِهَا ثُمَّ يُصَلِّيُ أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِيَّتِهَا وَطُولِهَا ثُمَّ يُصَلِّيُ ثَلَاثًا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ وَقَدْ

صَلَّى مَعَهُ حَذِيقَةً لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ قَالَ فَقَرَأَ بِالْبَقْرَةِ ثُمَّ النِّسَاءِ ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تُخَوِّفُ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ قَالَ فَمَا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بِلَالٌ فَأَذَّنَهُ بِالصَّلَاةِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَعِنْدَهُ أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَلَّى إِلَّا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى جَاءَهُ بِلَالٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْعَدَاةِ .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوِثْرِ

قَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَفْعُدُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ، وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ شَفْعِيهِ وَوِثْرِهِ بِتَسْلِيمَةٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُهُ وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ .

وَفِي مُسْلِمٍ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكَعَةً أَيْ لَمْ يَقْضِ الْوِثْرَ إِذْ لَوْ قَضَاهُ لَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوْتَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ وَانْتَهَى وَثَرُهُ إِلَى السَّحْرِ زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَنْهُمَا وَالْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافٌ وَقَتِ الْوِثْرِ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَحَيْثُ أَوْتَرَ أَوَّلَهُ لَعَلَّهُ كَانَ وَجَعًا وَحَيْثُ أَوْتَرَ وَسَطَهُ لَعَلَّهُ كَانَ مُسَافِرًا وَأَمَّا وَثَرُهُ فِي آخِرِهِ فَكَانَ غَالِبَ أَحْوَالِهِ لَمَّا عُرِفَ مِنْ مُوَظَّئِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّلَاةِ آخِرَ اللَّيْلِ وَالسَّحْرِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَادَنِي رَبِّي صَلَاةً وَهِيَ الْوِثْرُ وَقَتَهَا مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ كَثِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ يَقْرَأُ فِيهِمْ بِتِسْعِ سُورٍ مِنَ الْمُفْصَلِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِثَلَاثِ سُورٍ آخِرُهُنَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ زَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوَّدَتَيْنِ زَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْإِبْرَاهِيمِيُّ دَاوُدُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ قَالَ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ ثَلَاثًا يَزْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّلَاثَةِ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ كَثِيرٍ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَثْرِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ
عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ تَفْسِيكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَعَيْرُهُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَفْرَأُ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَفِي الْوَثْرِ بِسُورَتِي الْإِخْلَاصِ
وَهُمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

البَابُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضُّحَى

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الضُّحَى رَكَعَتَيْنِ وَرَوَتْ
عَائِشَةُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهَا أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَرَوَى جَابِرٌ وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ وَرَوَتْ أُمُّ هَانِيءٍ وَأَنَّ اللَّهَ صَلَاتَهَا ثَمَانِيَّ رَكَعَاتٍ وَرَوَتْ أُمُّ
سَلَمَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّيهَا ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكَعَةً.

القِسْمُ الثَّانِي

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّوَافِلِ وَأَحْكَامِهَا وَفِيهِ بَابَانِ

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَوْقَاتِ وَفِيهِ فَضْلَانِ

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي رَوَاتِبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي أَحَادِيثِ جَامِعَةٍ لِرَوَاتِبِ مُشْتَرَكَةٍ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ
وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكَعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ رَكَعَتَيْنِ وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ

الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ رَكَعَتَيْنِ قَالَ وَأَخْبَرَنِي حَفْصَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْأَذَانِ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَبَدَأَ لَهُ الصُّبْحُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ حَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ الْحَدِيثُ وَفِي آخِرِهِ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَكُن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَابِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكَعَتِي الْفَجْرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَلِمُسْلِمٍ لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَكَانَ يُصَلِّيهِمَا إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَنْبِرَ الْفَجْرَ وَيُخَفِّفُهُمَا رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَهَذَا لَفْظُ النَّسَائِيِّ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الْآيَةَ وَفِي الْأُخْرَى مِنْهُمَا ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ السُّورَتَانِ يُقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى رَكَعَتِي الْفَجْرِ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي رَاتِبَةِ الظُّهْرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ الْأَزْبَعُ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَالرُّكَعَتَانِ فِي قَلِيلِهَا.

وَرَوَى الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَ
 نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْكَ تَسْتَحِبُّ الصَّلَاةَ هَذِهِ السَّاعَةَ قَالَ تَفْتَحُ فِيهَا
 أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ وَهِيَ صَلَاةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ
 وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي أَرْبَعًا
 بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ وَقَالَ إِنَّهَا سَاعَةٌ تَفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَجِبُ أَنْ يَضَعَدَ
 لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي سُنَّةِ الْعَصْرِ

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ رَوَاهُ أَبُو
 دَاوُدَ، وَعَنْهُ كَرُمُ اللَّهُ وَجْهَهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ يَفْصِلُ
 بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
 وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا، وَرَوَى أَبُو
 دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ
 رَكْعَتَيْنِ وَيَنْهَى عَنْهُمَا.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي رَاتِبَةِ الْمَغْرِبِ

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَحْصِي مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي
 الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
 رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ
 الْمَغْرِبِ حَتَّى يَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَمَّا الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ يُصَلِّهُمَا
 وَصَلَّاهُمَا أَصْحَابُهُ فَأَقْرَهُمْ عَلَيْهُمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي رَاتِبَةِ الْعِشَاءِ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ قَطُّ

فَدَخَلَ بَيْتِي إِلَّا صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَفِي مُسْلِمٍ قَالَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ فَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ .

الْفَرْعُ السَّابِعُ

فِي رَاتِبَةِ الْجُمُعَةِ

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْجُمُعَةِ وَيُصَلِّي بَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَيُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حَبَّانَ . وَدَخَلَ سُلَيْكُ الْعَطْفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ صَلَّيْتَ قَالَ لَا قَالَ فَمَ قَارَكَعَ رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَيْنِ وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي عَدَدِ الرُّكَعَاتِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ عِيدِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُمَا وَلَا بَعْدَهُمَا ثُمَّ أَتَى إِلَى النِّسَاءِ وَبِلَالٍ مَعَهُ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَتَصَدَّقُ بِخُرْصِيهَا وَسِخَابِهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَيْرُهُمَا وَالْخُرْصُ حَلَقَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَالسَّخَابُ قِلَادَةٌ مِنْ عَنَبٍ أَوْ قُرْنُفَلٍ أَوْ غَيْرِهِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ خَرَزٌ .

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي عَدَدِ التَّكْبِيرِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكَبِّرُ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى فِي الْأُولَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَفِي الثَّانِيَةِ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ سِوَى تَكْبِيرَاتِي الْإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأُولُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَيْنِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي الْقِرَاءَةِ

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ ﴿بِقِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] فِي الْأُولَى وَ ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فِي الثَّانِيَةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ ﴿بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ﴿وَهَلْ أُنَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَ بِهِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي الْخُطْبَةِ

عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِلاَ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعظَ النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ وَسَطِ النِّسَاءِ سَفْعَاءَ الْخَدَّيْنِ فَقَالَتْ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشُّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ

فَجَعَلَنَ يَتَصَدَّقُنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ وَيُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَلَائِنِ خُزَيْمَةَ خَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ عِيدِ عَلِيٍّ رَجُلِيهِ وَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ فِي الْمُصَلَّى فِي زَمَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْبَرًا. وَسَفَعَاءُ أَيُّ فِي خَدَيْهَا سَوَادٌ وَالْكَفْرُ
هُنَا سَتْرُ الْحَقِّ وَالْعَشِيرُ الزَّوْجُ وَالْأَقْرَاطُ جَمْعُ قُرْطٍ مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ.

الْفَرْعُ السَّابِعُ

فِي أَكْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الصَّلَاةِ

عَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُهُنَّ وَثَرًا رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ
وَلَا يَطْعَمَ يَوْمَ الْأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْأُمِّ بَلَّغْنَا عَنِ
الرُّهْرِيِّ قَالَ مَا رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِيدٍ وَلَا جَنَازَةٍ قَطُّ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَا شِئَا، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ فِي طَرِيقِ رَجَعٍ فِي غَيْرِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،
وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْرُجُ الْعَنْزَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى يَزْكُرُهَا فَيُصَلِّيَ إِلَيْهَا رَوَاهُ
النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ. وَالْعَنْزَةُ الْعَصَا الصَّغِيرَةُ، وَقَدْ ضَحَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ
أَفْرَتَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى
صِفَاحِهِمَا يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْأَمْلَحُ هُوَ الَّذِي يُخَالِطُ سَوَادَهُ بَيَاضٌ وَالْبَيَاضُ أَكْثَرُ
وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ الْأَغْبَرُ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِكَبْشٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ فَأَتَيْتُ بِهِ لِيُضْحِيَ بِهِ قَالَ يَا
عَائِشَةُ هَلْمِي الْمُدِيَّةَ ثُمَّ قَالَ اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ
ذَبَحَهُ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ ضَحَى بِهِ رَوَاهُ
مُسْلِمٌ. وَمَعْنَى يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ أَنْ قَوَائِمَهُ سُودٌ وَمَا يُلَاقِي مَحَلَّ بُرُوكِهِ مِنْ بَدَنِهِ
أَسْوَدٌ وَفِي رِوَايَةٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ أَيُّ مَحَاجِرِهِ سُودٌ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمْلَحِ.

وَعَنْ جَابِرِ ذَبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ كَبْشَيْنِ أَفْرَتَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوعَيْنِ
فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى مِثْلِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَنِ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ
ذَبَحَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيَّ ذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ
اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي . وَمَوْجُوعَيْنِ مَخْصِيَيْنِ .

البَابُ الثَّانِي

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَسْبَابِ وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ فُصُولُ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُسُوفِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ انْحَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ
قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ
دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا
طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا
طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ
ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ
لَمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الشُّعْبَيْنِ وَمَالِكٍ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ
مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالتَّارَ وَالْقَدَّ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ
تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ يُؤْتِي
أَحَدَكُمْ فِي قَبْرِهِ فَيُقَالُ لَهُ مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ
ثَلَاثًا فَيُقَالُ نَمْ صَلِحًا قَدْ عَلِمْنَا أَنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا وَأَمَّا الْمُتَأَفِّقُ أَوْ الْمُزْتَابُ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا أَذْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ .

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الْكُسُوفِ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثَمَى عَلَيْهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَشَهِدَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَصْرْتُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّي لَمَّا أَخْبَرْتُمُونِي ذَلِكَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ وَتَصَحَّحْتَ لِأُمَّتِكَ وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ثُمَّ قَالَ وَإِنَّمِ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ قُمْتُ أَصْلِي مَا أَنْتُمْ لِأَقْوَمِهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَابًا أَخْرَجَهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَالُ مَنْ تَبِعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَنْ عَائِشَةَ لَمَّا كُفِيتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَتْ مُنَادِيًا فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً وَرَوَى ابْنُ جِبَّانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَكَعَتَيْنِ مِثْلَ صَلَاتِكُمْ.

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأَسْتِسْقَاءِ

كَانَ اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَاعًا «التَّوَعُّدِ الْأَوَّلِ» الْأَسْتِسْقَاءِ بِصَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ وَخُطْبَتَيْنِ وَيَتَأَهَّبُ قَبْلَهُ بِصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَتَوْبَةٍ وَإِقْبَالٍ عَلَى الْخَيْرِ وَمُجَانِبَةِ الشَّرِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جِبَّانَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ شَكَأَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَحْطَ الْمَطَرِ فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوَضَعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ فَخَرَجَ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَذْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِشْحَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَدَأَ بِيَاضِ إِبْطَيْهِ ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَحَوَّلَ رِجْلَيْهِ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابًا فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَمَّ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السُّيُوفُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَسُرِعَتْهُمْ إِلَى الْيَكْنِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالنَّوَاجِذُ الْأَنْبِيَاءُ وَاللُّسَيْنِيُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ وَأَفَادَ ابْنُ جِبَّانَ أَنَّ حُرُوجَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُصَلَّى لِلْأَسْتِسْقَاءِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبَادِ اسْتَسْقَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءٌ فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْفَلِهَا فَيَجْعَلُهُ أَغْلَاهَا فَلَمَّا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ قَلَبَهَا عَلَى عَاتِقِهِ . وَالْخَمِيصَةُ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ . «التَّوْعُ الثَّانِي» اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَدِيثُ أَنَسِ الصَّحِيحُ فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقْصِدِ الرَّابِعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، «التَّوْعُ الثَّلَاثُ» اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ رَوَى النَّبَهَيْيُّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ السُّلَمِيِّ قَالَ لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَزْرَةَ تَبُوكَ أَنَاهُ وَقَدْ مِنْ بَنِي فِرَازَةَ بِضِعَةِ عَشَرَ رَجُلًا وَفِيهِمْ خَارِجَةُ بِنْتُ حِصْنٍ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ وَهُوَ أَضْعَرُهُمْ فَتَزَلُّوا فِي دَارِ رَمْلَةٍ بِنْتِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدِمُوا عَلَى إِبِلٍ عِجَافٍ وَهُمْ مُسْتَبْتُونَ فَأَتَوْا مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بِلَادِهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَنْتَ بِلَادَنَا وَأَجَدْتَ جَنَابَنَا وَغَرَبْتَ عِيَالَنَا وَهَلَكْتَ مَوَاشِينَا فَأَذَعُ رَبُّكَ أَنْ يَغِيْبَنَا وَتَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ وَيَشْفَعُ رَبُّكَ إِلَيْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَلِكُ أَنَا شَفَعْتُ إِلَى رَبِّي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ يَئِيطُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ كَمَا يَئِيطُ الرَّحْلُ الْجَدِيدُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ شَفَقِكُمْ وَقُرْبِ غِيَاثِكُمْ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَنْ نَعْدَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا فَضْحِكُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ خَيْرًا فَضْحِكُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا فِي الْأَسْتِسْقَاءِ فَرَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُوِيَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ وَكَانَ مِمَّا حُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اسْقِنَا بِلَدَكَ وَبِهِمَّتِكَ وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَخِي بِلَدَكَ الْمَيِّتَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُعِينًا مَرِيئًا مَرِيعًا طَبَقًا وَاسِعًا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ اللَّهُمَّ سُقِنَا رَحْمَةً لَا سُقِنَا عَذَابًا وَلَا هَدمٌ وَلَا غَرْقٍ وَلَا مَحَقٍ اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ .

فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمَرَابِدِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمَرَابِدِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ قَالَ قَوْلَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ قَرْعَةٍ وَلَا سَحَابٍ وَمَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَسَلْعٍ مِنْ بِنَاءٍ وَلَا دَارٍ قَطَلَعَتْ مِنْ وَرَاءِ سَلْعٍ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَوْلَ اللَّهِ مَا رَأَوْا الشَّمْسَ سَبْنَا أَيْ أُسْبُوعًا وَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ لِئَلَّا يَخْرُجَ التَّمْرُ مِنْهُ

فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْنِي الَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ
فَصَعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَدَعَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطِئِهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ
حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْإِكَامِ وَالظَّرَابِ وَبُطُونِ الْأُودِيَّةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ
عَنِ الْمَدِينَةِ كَانْجِيَابِ الثُّوبِ .

وَقَوْلُهُ مَرِيئًا أَي مَحْمُودَ الْعَاقِبَةِ لَا ضَرَرَ فِيهِ وَمَرِيئًا مُخَصِّبًا وَالْأَطِيطُ صَوْتُ الْأَقْتَابِ
يَغْنِي أَنْ الْكُرْسِيِّ لِيَعْجَزُ عَنْ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنْ أَطِيطَ الرَّحْلِ إِنَّمَا يَكُونُ
لِقُوَّةِ مَا فَوْقَهُ وَعَجْزِهِ عَنِ اخْتِمَالِهِ وَهَذَا مَثَلٌ لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسٌ وَلَا أَطِيطُ
وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ لِبَيَانِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَبَقًا أَي مَالِنَا لِلْأَرْضِ مُعْطِيًا لَهَا وَالْمِزْبَدُ مَوْضِعٌ
يُجَفَّفُ فِيهِ الثَّمَرُ وَتَغْلِبُهُ ثِقْبُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ وَالْإِكَامِ الرَّوَابِي وَالظَّرَابُ الْجِبَالُ
الصَّغِيرَةُ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ أَهْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْتَاكَ وَمَا لَنَا صَبِيٌّ يَغِطُّ وَلَا بَعِيرٌ يَبِيطُ وَأَنْشَدَ شِعْرًا وَصَفَ بِهِ ضَيْقَ حَالِهِمْ مِنْ
الْمَحَلِّ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْرُ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ
اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْنًا مُغِيثًا مَرِيئًا عَدَقًا طَبَقًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ رَائِبٍ تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ وَتُنْبِتُ
بِهِ الزَّرْعَ وَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَالَ فَمَا رَدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى نَحْرِهِ حَتَّى
الْتَقَتِ السَّمَاءُ بِأَبْرَاقِهَا وَجَاءَ أَهْلُ الْبِطَانَةِ يَضْجُونَ الْعَرَقَ الْعَرَقَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَخَذَقَ حَوْلَهَا كَالْإِكْلِيلِ وَضَحِكَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ دَرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ مَنْ
يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُ قَوْلَهُ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ	بِمَالِ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
تُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتُ اللَّهُ يُبْزَى مُحَمَّدٌ	وَلَمَّا نَطَاعِنُ حَوْلَهُ وَنَنَاضِلِ
وَأُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ	وَنَذْهَلَ عَنِ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلَ زَوَاهُ الْبَيْهَقِيِّ . وَصَبِيٌّ يَغِطُّ يَصُوتُ وَيُبْزَى يُفْهَرُ أَي لَا
يُفْهَرُ مُحَمَّدٌ وَلَا نُسْلِمُهُ فَهَمَّا عَلَى حَذْفِ حَرْفِ النَّفْيِ . «الْتَوَاعُ الرَّابِعُ» اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِ صَلَاةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ قُرَيْشًا أَبْطَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ جِئْتُ تَأْمُرُ بِصَلَاةِ الرَّجِيمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسُقُوا الْعَيْثَ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَعًا وَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَاخْتَدَرَتِ السُّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسُقُوا النَّاسُ حَوْلَهُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْقُنُوتِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ. «النُّوْعُ الْخَامِسُ» اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ مِنْ الزُّورَاءِ خَارِجِ بَيْابِ السَّلَامِ عَنْ عُمَيْرِ مَوْلَى أَبِي اللَّحْمِ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى هُنَاكَ رَافِعًا يَدَيْهِ قَبْلَ وَجْهِهِ لَا يُجَاوِزُهُمَا رَأْسُهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. «النُّوْعُ السَّادِسُ» اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ عَزَوَاتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ فَشَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَفِّقِينَ لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَأَسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَوْقَدْ قَالُواهَا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى أَظْلَمَ السُّحَابُ وَأَمْطَرُوا إِلَى أَنْ سَالَ الْوَادِي فَشَرِبَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا.

الْفَضْلُ الثَّلَاثُ

فِيهِ دُعَاءٌ لِلْأَسْتِسْقَاءِ

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْعَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلَائِقِ مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنْكِ مَا لَا تَشْكُوهُ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَنْبِثْ لَنَا الزَّرْعَ وَأَدِرْ لَنَا الضَّرْعَ وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَنْبِثْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْحَرِيَّ وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا فَارْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ. وَاللَّأْوَاءُ الشَّدَّةُ وَالْجَهْدُ الْمَشَقَّةُ وَالضَّنْكَ الضَّيْقُ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي الْأَسْتِسْقَاءِ بِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى أَبُو الْجَوَزَاءِ قَالَ قَحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا فَشَكَّوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ انظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوَى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ

سَفَفْتُ فَفَعَلُوا فَمُطِرُوا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفْتَقَتْ مِنَ الشَّخْمِ فَسُمِّيَ عَامَ
الْفَتْحِ وَالْكُؤَى الثُّقُوبُ فِي الْحَائِطِ .

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُضُولٍ
الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي قَضْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ فِيهِ وَفِيهِ فَرْعَانِ
الْفَرْعُ الْأَوَّلُ فِي كَمِّ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يَقْضُرُ الصَّلَاةَ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَخَرَجَ
يُرِيدُ مَكَّةَ فَصَلَّى بِبَيْتِ الْحَلِيفَةِ الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَذُو الْحَلِيفَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ
سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَقَالَ الْجُمْهُورُ لَا يَجُوزُ الْقَضْرُ إِلَّا فِي سَفَرٍ مَرَحَلَتَيْنِ وَأَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا فِي ثَلَاثِ
مَرَاجِلَ .

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي الْقَضْرِ مَعَ الْإِقَامَةِ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي
رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قِيلَ لَهُ أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا قَالَ أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَقْضُرُ الصَّلَاةَ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ سَبْعَةَ عَشَرَ بِمَكَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ
ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً فَالْبَعْضُ عَدَّ يَوْمِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَالْبَعْضُ حَذَفَهُمَا .

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي الْجَمْعِ وَفِيهِ فَرْعَانُ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي جَمْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ

رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ

إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَجِلَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَإِنْ رَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الظُّهْرِ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعَصْرِ وَفِي الْمَغْرِبِ مِثْلُ ذَلِكَ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَجِلَ جَمَعَ
 بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَإِنْ ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ آخِرَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعِشَاءِ ثُمَّ
 يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي جَمْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَمْعِ أَيِّ بِمُزْدَلِفَةَ

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ
 وَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ وَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكَعَتَيْنِ وَفِي رِوَايَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ
 أَبِي دَاوُدَ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَذَانٍ وَاجِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ بِعَرَفَةَ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَصَلَّى الْمَغْرِبَ
 وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ بِأَذَانٍ وَاجِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَضْلُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّوَافِلَ فِي السَّفَرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ
 وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكَانُوا يُصَلُّونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ وَلَا يُصَلُّونَ قَبْلَهُمَا وَلَا بَعْدَهُمَا
 وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كُنْتُ مُصَلِّيًا قَبْلَهُمَا أَوْ بَعْدَهُمَا لَأَتَمَمْتُهُمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ
 عَنْهُ أَيْضًا قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ
 وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَهَا شَيْئًا وَالْمَغْرِبَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ سَوَاءً
 ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ لَا تُنْقَضُ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ وَهِيَ وَثَرُ النَّهَارِ وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ وَفِي مُسْلِمٍ فِي
 قِصَّةِ النَّوْمِ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ ثُمَّ صَلَّى
 الصُّبْحَ كَمَا كَانَ يُصَلِّي. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ قَالَ سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَفَرًا فَلَمْ أَرَهُ تَرَكَ رَكَعَتَيْنِ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّطَوُّعَ فِي السَّفَرِ عَلَى الدَّابَّةِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي سُبْحَتَهُ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ

نَاقَتُهُ وَفِي رِوَايَةٍ يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ وَجْهَهُ، وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ فِي السَّفَرِ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُهُ وَهَذَا حُجَّةٌ مَنْ قَالَ يَسْتَقْبِلُ بِالتَّكْبِيرِ فِي ابْتِدَاءِ الصَّلَاةِ.

القِسْمُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْخَوْفِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ حَوَاتٍ عَمَّنْ صَلَّى مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ صَلَاةَ الْخَوْفِ أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوَّ فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رُكْعَةً ثُمَّ ثَبَّتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وَجَّاهَ الْعَدُوَّ وَجَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَّتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ قَالَ مَالِكٌ وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ وَوَافَقَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَلَهَا كَيْفِيَّاتٌ أُخْرَى.

القِسْمُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجَنَازَةِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي عَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي النَّيِّمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي الْقِرَاءَةِ وَالِدُّعَاءِ

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ السُّنَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَنْ يَكْبَرَ ثُمَّ يَقْرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يُخْلِصُ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا فِي الْأُولَى، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةِ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالَ عَوْفٌ حَتَّى تَمْتَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الْمَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَشَاهِدِنَا وَعَائِبِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأَنْثَانَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنْنَا بَعْدَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَبْرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سُوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ فَقَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقَالُوا مَا تَقُولُ قَالَ أَقْبَلًا أَذُنْتُمُونِي قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَعَّرُوا أَمْرَهَا فَقَالَ دُلُونِي عَلَى قَبْرِهَا فَدَلُّوه فَصَلَّى عَلَيْهَا رَوَاهُ الشُّيْخَانِ زَادَ ابْنُ جِبَّانٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظِلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْغَائِبِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ تَوَفَّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ فَهَلِّمُ فَصَلُّوا عَلَيْهِ قَالَ فَصَفَفْنَا فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَنُّنٌ وَرَاءَهُ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَهُوَ التَّجَاشِيُّ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الزَّكَاةِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهْدِيئُهُ أَمْ صَدَقَةٌ فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ هَدِيئَةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ مَعَهُمْ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي

هُرَيْرَةَ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ فَأَتَاهُ أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَاخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ وَقْتِ فَرَضِ الزَّكَاةِ فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَفَرَضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ الشُّيْخَانُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَأَحْكَامَ زَكَاةِ الْمَالِ مُفْصَلَةً فِي كِتَابِ الْهَيْفَةِ وَفِي الْأَصْلِ مِنْهَا جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ.

النوع الرابع

فِي ذِكْرِ صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَلامُ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ

القِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَفِيهِ عَشْرَةٌ فُصُولُ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِيمَا كَانَ يَخْصُ بِهِ رَمَضَانَ مِنَ الْعِبَادَاتِ

وَتَضَاعُفِ جُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ

قَدْ كَانَ فَرَضَ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فَتُوفِّي سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ الْجَامِعَةِ لِيُجِوهَ السَّعَادَاتِ وَيَخْصُصُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ بِمَا لَا يَخْصُ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الشُّهُورِ وَكَانَ جُودُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَضَاعَفُ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الشُّيْخَيْنِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ أَيِ الْمُطْلَقَةِ وَقَوَّعَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ وَلَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ. وَقَدْ كَانَ ابْتِدَاءَ نُزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَكَذَا نُزُولُهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً فَكَانَ جِبْرِيلُ يَتَعَاهَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيُعَارِضُهُ بِمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِضَهُ بِهِ

مَرَّتَيْنِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ
الْمُدَارِسَةَ بَيَّنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَّنَ جَبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ يَقُولُ
قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ كُتِبَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ
أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حُرْمِ خَيْرِهَا فَقَدْ حُرِّمَ الْخَيْرُ
الْكَثِيرَ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي
رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَيَلْغُنَا رَمَضَانَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ إِذَا رَأَى هِلَالَ رَمَضَانَ قَالَ هِلَالٌ رُشِدٌ وَخَيْرٌ هِلَالٌ رُشِدٌ وَخَيْرٌ أَمْنٌ بِالَّذِي خَلَقَكَ
رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرُؤِيَةِ الْهِلَالِ

عَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَفَّظُ مِنْ شَعْبَانَ مَا لَا يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ
يَصُومُ لِرُؤْيِيَةِ رَمَضَانَ فَإِنْ غَمَّ عَلَيْهِ عَدَّ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ صَامَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الْفَضْلُ الثَّلَاثُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ تَرَأَى النَّاسَ الْهِلَالَ فَأُخْبِرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ
أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ هِلَالَ رَمَضَانَ فَقَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا بِلَالُ أَدْنُ فِي النَّاسِ
فَلْيَصُومُوا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِيمَا كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَائِمٌ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ وَهُوَ

صَائِمٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا قَالَتْ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِأَزْجِهِ أَيْ لِحَاجَتِهِ تَغْنِي أَنَّهُ كَانَ غَالِبًا لِهَوَاهُ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ النَّبَيْهِيُّ، وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُبًّا مِنْ جِمَاعٍ لَا حُلْمَ لَمْ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَفْضِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَقَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أَعُدُّ وَلَا أَحْصِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِي وَقْتِ إِفْطَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ يَا بِلَالُ انزِلْ فَاجِدْ لَنَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا قَالَ انزِلْ فَاجِدْ لَنَا قَالَ فَتَزَلْ فَجَدَحَ فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَهُنَا وَجَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هَهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَالْجَدْحُ خَلْطُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ وَالْمَرَادُ خَلْطُ السُّوْبِقِ بِالْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ وَالسُّوْبِقُ هُوَ الْقَمْحُ أَوْ الشَّعِيرُ الْمُثْلُو الْمَطْحُونُ.

الْفَضْلُ السَّادِسُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ رُطَبَاتٍ فَتَمْرَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الْفَضْلُ السَّابِعُ

فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ صُؤْمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ السُّنِّيِّ. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَّتِ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَوَاهُ

أَبُو دَاوُدَ وَرَادَ رُزَيْنُ الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ . وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ عَنِ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ .

الْفَضْلُ الثَّامِنُ

فِي وَصَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصِّيَامِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصَلَ فَوَاصَلَ النَّاسُ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَتَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَاصِلُوا قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى . وَعَنْ أَنَسٍ وَاصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَوَاصَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ مُدُّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمِّقَهُمْ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَالْمُتَعَمِّقُونَ الْمُتَشَدِّدُونَ وَالْوِصَالُ فِي الصُّوْمِ أَنْ يَصِلَ صَوْمَ النَّهَارِ بِإِمْسَاكِ اللَّيْلِ مَعَ صَوْمِ الَّذِي بَعْدَهُ .

الْفَضْلُ التَّاسِعُ

فِي سُحُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فَقَالَ إِنَّهَا بَرَكَتٌ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدْعُوهُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ قَالَ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارِكِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ عِنْدَ السُّحُورِ يَا أَنَسُ إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ فَأَطْعِمْنِي شَيْئًا فَأَتَيْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَذَّنَ بِلَالٌ أَيُّ فِي اللَّيْلِ قَالَ يَا أَنَسُ انظُرْ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعِيَ فَدَعَوْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَجَاءَ فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ شُرْبَةَ سَوِيْقٍ وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ فَتَسَحَّرَ مَعَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسُ قُلْتُ كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا قَالَ قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا .

الْفَضْلُ الْعَاشِرُ

فِي إِفْطَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَصَوْمِهِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْعَمِيمِ وَصَامَ النَّاسُ ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ فَقَالَ أَوْلَيْكَ الْعُصَاةُ أَوْلَيْكَ الْعُصَاةُ أَي لِمُخَالَفَتِهِمْ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كُنَّا نَخْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ وَلَا يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي سَرَدِهِ أَيَّامًا مِنَ الشَّهْرِ وَفِطْرِهِ أَيَّامًا

عَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ ثُمَّ يَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ وَكَانَ يَصُومُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ لَا وَاللَّهِ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ لَا وَاللَّهِ لَا يَصُومُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشُورَاءَ

صَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِذْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَ يَوْمٌ

عاشوراءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانَ تَرَكَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ صَوْمَ عَاشُورَاءَ يُكْفَرُ سَنَةً وَأَنَّ صَوْمَ عَرَفَةَ يُكْفَرُ سِتِّينَ .

الْفَضْلُ الثَّلَاثُ

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْبَانَ

عَنْ عَائِشَةَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرِ قَطٍ إِلَّا شَهْرَ رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ ، وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أَرَكُ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَجِبُ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ كَانَ أَكْثَرَ صِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَعْبَانَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَى أَكْثَرَ صِيَامِكَ فِي شَعْبَانَ قَالَ إِنَّ هَذَا الشُّهُرَ يُكْتَبُ فِيهِ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَسْمَاءُ مَنْ يُقْبَضُ فَأَجِبُ أَنْ لَا يُنْسَخَ اسْمِي إِلَّا وَأَنَا صَائِمٌ ، وَأَمَّا صِيَامُ رَجَبٍ فَعَنْ عَطَاءٍ أَنَّ عُرْوَةَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ فِي رَجَبٍ قَالَ نَعَمْ وَيُسْرَفُهُ قَالَهَا ثَلَاثًا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ، وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا لِيُصَوِّمَ رَجَبٍ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ أَبُو قِلَابَةَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ فَلَا يَقُولُهُ إِلَّا عَنْ بَلَاغٍ .

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ

وَالْمُرَادُ بِهَا الْأَيَّامُ التُّسْعَةُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ

عَنْ هُتَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَصَوْمُهَا مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبَابًا شَدِيدًا لَا سِيَّمَا يَوْمَ التَّاسِعِ مِنْهَا وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي هَذِهِ يَغْنِي الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَالصُّومُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ .

الْفَضْلُ الْخَامِسُ فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ فِيهِ وُلْدَتْ وَفِيهِ أَنْزَلَ عَلَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ هَذِهِ الْجُمُعَةِ وَالْإِثْنَيْنِ مِنَ الْمُقْبِلَةِ وَفِي أَوَّلِ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ ثُمَّ الْخَمِيسِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ أَيْ أَنَّهُ تَارَةً يَفْعَلُ هَذَا وَأُخْرَى هَذَا.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَمِنَ الشَّهْرِ الْآخِرِ الثَّلَاثَاءَ وَالْأَرْبَعَاءَ وَالْخَمِيسَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أُرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ أَسْأَلُهَا أَيُّ الْأَيَّامِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَهَا صِيَامًا قَالَتْ السَّبْتُ وَالْأَحَدُ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا عِيدَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْيُ عَنْ إِفْرَادِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِالصَّوْمِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ.

الْفَضْلُ السَّادِسُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْبَيْضِ

وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقَمَرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ وَهِيَ ثَلَاثُ عَشْرَةَ وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفِطِرُ أَيَّامَ الْبَيْضِ فِي حَضْرٍ وَلَا سَفَرٍ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُهُنَّ صِيَامَ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرِ وَأَيَّامَ الْبَيْضِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتَا الْفَجْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْمُرَادُ بِالْعَشْرِ تِسْعُ ذِي الْحِجَّةِ، وَرَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حُرَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ.

النوع الخامس

في ذكر اغتِكَافِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِهَادِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ

مِنْ رَمَضَانَ وَتَحْرِيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِثْرَهُ وَأَخْيَا لَيْلَهُ وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ. وَعَنْهَا كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ رَمَضَانَ قَامَ وَنَامَ فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ وَاغْتَسَلَ بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ وَجَعَلَ الْعِشَاءَ سَحُورًا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ اغْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فِي قُبَّةِ تَرْكِيَّةٍ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ إِنِّي اغْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ اغْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ ثُمَّ أَتَيْتُ فُقَيْلَ لِي إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ فَمَنْ اغْتَكَفَ مَعِي فَلْيَغْتَكِفِ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ فَقَدْ أَرَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وَثْرٍ مِنْهُ قَالَ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَّفَ الْمَسْجِدُ فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثْرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ إِخْدَى وَعِشْرِينَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَالْقُبَّةُ التَّرْكِيَّةُ حَنِمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ لُبُودٍ. وَلِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَامَاتٌ مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ بَنِي الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا صَافِيَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِنَةً لَا حَرَّ فِيهَا وَلَا بَرْدَ وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا وَأَنَّ مِنْ أَمَارَاتِهَا أَنَّ الشَّمْسَ فِي صَبِيحَتِهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَّةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمئِذٍ وَرَوَى النَّبِيهِيُّ أَنَّ الْمِيَاءَ الْمَالِحَةَ تَعْدُبُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

النوع السادس

في ذكر حَجِّهِ وَعُمْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَلَكَ رَاحِلَةً وَزَادَا يُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،

وَقَالَ ابْنُ الْأَيْبَرِ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ مَكَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أُذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَصْنَعُ فَقَالَ اغْتَسِلِي وَاسْتَنْفِرِي أَيَّ اخْتِجِزِي بِتُوبٍ وَأَحْرِمِي فَصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقُضْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَغْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَنَزَلَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فَصَلَّى بِهَا الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ وَكَانَ يَسَاؤُهُ كُلُّهُنَّ مَعَهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ اغْتَسَلَ غُسْلًا ثَانِيًا لِإِحْرَامِهِ غَيْرَ غُسْلِ الْجَمَاعِ الْأَوَّلِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ عَائِشَةَ طَيَّبَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَرِيرَةَ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الطَّيِّبِ يُجْعَلُ فِيهِ الْمِسْكُ قَالَتْ طَيَّبْتُهُ عِنْدَ إِحْرَامِهِ ثُمَّ طَافَ فِي يَسَائِهِ ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا، وَتَبَّتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزْكَعُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ النَّاقَةُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ أَهْلًا أَيْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي حَجِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ هَلْ كَانَ مُفْرِدًا أَوْ قَارِنًا أَوْ مُتَمَتِّعًا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الْأَيْمَنِ وَسَلَّتِ الدَّمَ عَنْهَا وَقَلَدَهَا نَعْلَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا هَدْيٌ وَأَشْعَرَهَا شَقَّهَا، وَكَانَ حَجُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِجْلِ رَثِّ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَلَمَّا مَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي عُسْفَانَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَيُّ وَادٍ هَذَا قَالَ وَادِي عُسْفَانَ قَالَ لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوْدٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَكْرَيْنِ أَحْمَرَيْنِ حُطَامُهُمَا اللَّيْفُ وَأَرْزُهُمَا الْعَبَاءُ وَأَرْدِيَّتُهُمَا النَّمَارُ يُلْبُونَ بِالْحَجِّ يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَالنَّمَارُ جَمْعُ تَمْرَةٍ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الْأَعْرَابُ، وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا مَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِوَادِي الْأَزْرَقِ قَالَ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى مُوسَى هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَاضِعًا إِضْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ مَارًا
بِهَذَا الْوَادِي وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَّةِ، وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَا طَوَى عِنْدَ آبَارِ
الرَّاهِرِ بَاتَ بِهَا بَيْنَ الثَّنِيَّتَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ اغْتَسَلَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي يُنْزَلُ
مِنْهَا إِلَى الْمَغْلَاةِ مَقْبَرَةَ مَكَّةَ وَيُقَالُ لَهَا كَدَاءُ وَالْحُجُجُونَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مَكَّةَ
لِأَزْبَعِ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ضُحَى مِنْ بَابِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَهُوَ بَابُ
بَنِي شَيْبَةَ لِأَنَّ بَابَ الْكَعْبَةِ فِي جِهَةِ ذَلِكَ الْبَابِ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا نَظَرَ الْبَيْتَ قَالَ اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَبِرًّا
وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ شَرَفَهُ وَعَظَّمَهُ مِنْ حَجَّةٍ وَأَعْتَمَرَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَبِرًّا وَمَهَابَةً، وَلَمْ يَزْكَعْ
عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ إِثْمًا بَدَأَ بِالطَّوَافِ لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْبَيْتِ، ثُمَّ اسْتَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِالْمَحَجِّينِ، وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ فَاسْتَلَّمَهُ ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا وَكَانَ
إِذَا اسْتَلَّمَ الرُّكْنَ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَكُلَّمَا أَتَى الْحَجَرَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وَلَمَّا اسْتَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا،
وَلَمَّا فَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الْمَقَامَ فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَالْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٢] ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ الَّذِي
فِيهِ الْحَجَرُ فَاسْتَلَّمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصُّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصُّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأُ بِالصُّفَا فَرَقِي عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ
وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ
ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ أَيَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا حَتَّى إِذَا
انصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي رَمَلَ حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ
يَقُولُونَ هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا مُحَمَّدٌ حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْبُيُوتِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ وَالْمَشْيُ فِي السَّعْيِ أَفْضَلُ هَذَا

لَفُظٌ رِوَايَةٌ مُسْلِمٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدَّةً مُقَامِهِ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ بِالْمُسْلِمِينَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يُقْضَى الصَّلَاةُ فِيهِ وَكَانَتْ مُدَّةً إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى مِتَى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَقَدِيمَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ بِمَ أَهَلَّكَ فَقَالَ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْلَا أَنْ مَعِيَ الْهَدْيِ لَأَخَلَّكَتُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِهِ. وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ وَهُوَ الثَّمَانِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَكَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ضُحَى رَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَجَّهَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مِتَى وَقَدْ أُخْرِمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ فَصَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِتَى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَتَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقَبَّةٍ مِنْ نَعْرِ قَضْرِبَتْ لَهُ بِبَنِمِرَّةٍ مِنْ عَرَفَةَ فَلَمَّا بَلَغَهَا نَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاعَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُضْوَاءِ فَرَجَلَتْ لَهُ فَرَكِبَ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَوَضَعَ أَيُّ اسْقَطَ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِبَاهَا وَأَوْصَى بِالنِّسَاءِ حَيْرًا.

وَقَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِضْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِثُهَا إِلَى النَّاسِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدَّنَ بِلَالًا ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

وَلَمَّا فَرَّغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقُضْوَاءِ إِلَى الصُّخْرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَيْكَ مَا بِي وَلَكَ رَبُّ تَرَائِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَاسَةِ الصُّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرٍ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَّاحُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيْحُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَفَةَ أَيْضًا كَمَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرَى مَكَانِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ وَأَبْتِهَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمَذْنِبِ الدَّلِيلِ وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ مَنْ خَضَعْتَ لَكَ رَقَبَتَهُ وَقَاضَتْ لَكَ عَبْرَتَهُ وَذَلَّ لَكَ جِسْمَهُ وَرَزَعَمَ لَكَ أَنْفَهُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَكُنْ بِي رَوْفًا رَحِيمًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ . وَأَنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ كَيْفَ الْحَجُّ فَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي الْحَجَّ عَرَفَةَ مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعِ أَيِّ قَبْلِ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَذْرَكَ الْحَجَّ أَيَّامٍ مِتَى ثَلَاثَةٌ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَجَمَعَ هِيَ الْمُرْدَلِفَةُ وَلَيْلَتُهَا لَيْلَةُ الْعِيدِ وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ وَقَفْتُ هَهُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَهَهُنَا أَنْزَلَ عَلَيَّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الْآيَةَ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ بِحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حِينَ غَابَ الْفَرَضُ أَفَاضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ خَلْفَهُ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَضْوَاءِ الزَّمَامَ حَتَّى إِذَا رَأَسَهَا لِيُصِيبَ مَوْرِكَ رِجْلِهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ وَكُلَّمَا أَتَى جَبَلًا مِنَ الْجِبَالِ أَرَاخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَضَعَدَ وَأَفَاضَ مِنْ طَرِيقِ الْمَأْرَمِينَ . وَمَعْنَى الْحَبْلِ الثَّلُّ اللَّطِيفُ مِنَ الرَّمْلِ وَطَرِيقِ الْمَأْرَمِينَ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِعَ وَرَاءَهُ رَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا لِلْإِبِلِ فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ يَغْنِي بِالْإِسْرَاعِ وَفِي رِوَايَةِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ كَانَ يَسِيرُ الْعَتَقَ فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةَ نَصَّ . وَالْعَتَقُ سَيْرٌ بَيْنَ الْإِبْطَاءِ وَالْإِسْرَاعِ وَالنَّصُّ فَوْقَ الْعَتَقِ وَالْفَجْوَةُ الْمَكَانُ الْوَاسِعُ .

وَلَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَزَلَ قَبَالَ وَتَوَضَّأَ وَضُوءًا خَفِيفًا فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ أَمَامَكَ فَرَكِبَ حَتَّى أَتَى مُرْدَلِفَةَ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ وَتَرَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ اللَّيْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَنَامَ حَتَّى أَصْبَحَ مَعَ كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَلَكِنَّهُ أَرَاخَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ لِمَا تَقَدَّمَ فِي عَرَفَةَ وَلَمَّا هُوَ بِصَدِيدِهِ يَوْمَ النَّحْرِ

مِنْ كَوْنِهِ نَحَرَ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لِطَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَرَجَعَ إِلَى مَنَى
كَمَا نَبَّ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ تَقْرِيبِ الْأَسَانِيدِ .

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَأَجِيبَ إِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ فَإِنِّي أَخَذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ قَالَ أَيُّ رَبِّ إِنْ
شِئْتَ أُعْطِيتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وَعَفَرْتُ لِلظَّالِمِ فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّتَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ
الدُّعَاءَ فَأَجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ قَالَ فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ تَبَسَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
وَعَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتُ تَضْحَكُ فِيهَا فَمَا الَّذِي
أَضْحَكَكَ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ قَالَ إِنْ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي
وَعَفَرَ لِأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْتُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالتَّوْبِ وَالتُّبُورِ فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ
مِنْ جَزَعِهِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ عَنْ غَيْرِ الْعَبَّاسِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ وَقَفَ
بِعَرَفَةَ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ إِنَّهُ مَحْمُولٌ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ تَابَ وَعَجَزَ عَنْ وَقَائِهِ، وَقَالَ
التِّرْمِذِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَزُقْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ
وَهُوَ مَخْضُوصٌ بِالمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً دُونَ الْعِبَادِ، وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ
صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ غَدَاةَ النَّحْرِ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
رَاجِلَيْهِ هَاتِ الْقُطْبَ لِي فَلَقَطَ حَصِيَّاتٍ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ أَيِ الرَّمْيِ وَالْمُرَادُ الْحَصَى الصَّغَارُ
فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِبَائِكُمْ وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
بِالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ .

ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُضُوءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَرَقِيَ عَلَيْهِ
فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ
تَطْلُعَ الشَّمْسُ . وَفِي حَدِيثٍ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ لَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمُزْدَلِفَةِ غَدَا
فَوَقَفَ عَلَى قُرْحٍ وَأَزْدَفَ الْفَضْلَ ثُمَّ قَالَ هَذَا الْمَوْقِفُ وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ
دَفَعَ . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَسَامَةَ قَالَ كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ
إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ثُمَّ أَزْدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى فَكَلَاهُمَا قَالَ لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْبِي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ رَوَاهُ الشَّيْحَانِ وَعَظِيمُهُمَا . وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ فَلَمَّا أَتَى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَطْنَ مُحَسِّرٍ حَرَكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ قَلِيلًا. وَمُحَسِّرٌ مَوْضِعٌ بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ
وَمِنَى وَهُوَ مَكَانٌ نَزَلَ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ.

ثُمَّ سَلَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى
أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي
وَجَعَلَ النَّبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنَى عَنْ يَمِينِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ وَكَانَ رَمِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ النَّحْرِ ضَعَى كَمَا قَالَه جَابِرٌ فِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَعَیْرِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُمِّ الْحُصَيْنِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ
رَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلَالَ وَأَحَدَهُمَا آخِذًا بِخَطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرَ رَافِعًا
ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ.

وَعَنْ أُمِّ جُنْدُبٍ رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرْمِي الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ رَاكِبٌ
يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ أَيْ مِنَ الْحَرِّ فَسَأَلَتْ عَنِ الرَّجُلِ فَقَالُوا الْفَضْلُ بْنُ
الْعَبَّاسِ وَازْدَحَمَ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
وَإِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ فَازْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ. وَفِي رِوَايَةٍ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ قَالَ
رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رِجْلَيْهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ يَقُولُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَا
أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحْجُبُ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَدَامَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ لَيْسَ صَرْبٌ وَلَا طَرْدٌ وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ انصَرَفَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا فَتَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ
فِي هَدْيِهِ ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قِدْرِ فَطَبِخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ
مَرْقِهَا. قَوْلُهُ فَتَحَرَ مَا غَبَرَ أَيْ مَا بَقِيَ مِنَ الْبَدَنِ وَكَانَتْ مِائَةً.

وَفِي رِوَايَةٍ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ نَحَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ نِسَائِهِ بَقْرَةً، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَزِلَهُ بِمِنَى ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ فَبَدَأَ بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ فَوَزَعَهُ الشُّعْرَةَ
وَالشُّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ بِالْأَيْسَرِ فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ هَهُنَا أَبُو طَلْحَةَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ.
وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَقَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَظْفَارَهُ وَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَالْمُقَصِّرِينَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ قَالَ وَالْمُقَصِّرِينَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَقَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ

بِمِنَى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَفْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ فَقَالَ ادْبَحْ وَلَا حَرْجَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَزِمِي فَقَالَ أَرِمِ وَلَا حَرْجَ قَالَ فَمَا سِئِلٌ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ وَلَا حَرْجَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةَ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ وَقَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَارًا ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ فَوَدَّعَ النَّاسَ. وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذِ التَّمِيمِيِّ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِمِنَى فَفَتَحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا فَطَفِقَ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ فَوَضَعَ إضْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ بِحَصَى الْخَذْفِ ثُمَّ أَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَزَلُّوا فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ أَنْ يَتَزَلُّوا وَرَاءَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ رَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الظُّهْرِ فَأَفَاضَ إِلَى النَّبْتِ فَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ وَالرُّكْنِ وَالصُّدْرِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُ النَّبْتِ كُلَّ لَيْلَةٍ مَا أَقَامَ بِمِنَى الْحَدِيثِ، وَأَتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمْرَمَ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ انزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ فَنَآوَلُوهُ دَلُّوا فَشَرِبَ مِنْهُ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ وَقِيلَ بِمِنَى وَفِي كُلِّ حَدِيثٍ صَحِيحٌ.

ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مِنَى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَزِمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ يَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ فِيهِمَا وَيَتَضَرَّعُ وَيَزِمِي الثَّلَاثَةَ فَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. وَعَنْ ابْنِ عُمرَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ مَشَى إِلَيْهَا ذَاهِبًا وَرَاجِعًا.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَكَانَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجَمْرَتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْوُسْطَى وَيَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

ثُمَّ أَقَاصَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ رَمِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَلَمْ يَتَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى الْمُحَصَّبِ وَهُوَ الْأَبْطَحُ وَحَدُّهُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ فَوَجَدَ مَوْلَاهُ أَبَا رَافِعٍ قَدْ ضَرَبَ قَبْتَهُ هُنَاكَ وَكَانَ عَلَى ثِقَلِهِ، وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصَّبِ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى النَّبِيتِ وَطَافَ بِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَهَذَا هُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ. ثُمَّ ازْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجَ مِنْ كُدَى وَهِيَ عِنْدَ بَابِ شُبَيْكَةَ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا بِالرُّوْحَاءِ فَقَالَ مَنِ الْقَوْمُ فَقَالُوا الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فِي مِحْفَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْهَذَا حَجٌّ قَالَ نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ.

وَلَمَّا وَصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِي الْخُلَيْفَةِ بَاتَ بِهَا لَيْلًا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ لَيْلًا فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ نَهَارًا مِنْ طَرِيقِ الْمُعْرَسِ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ وَالشَّجَرَةُ الَّتِي بَاتَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَهَابِهِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ (أَمَّا عُمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَهِيَ أَرْبَعٌ: فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا كَمْ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَجَّةٌ وَاحِدَةٌ وَاعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ عُمْرَةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةً الْحُدَيْبِيَّةَ وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ وَعُمْرَةً الْجِعْفَرَانَةَ إِذْ قَسَمَ غَنِيمَةَ حُنَيْنٍ وَهَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ.

النوع السابع

فِي ذِكْرِ نُبْدَةٍ مِنْ أَدْعِيَّتِهِ وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ

وَقِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. ، وَالْجَوَامِعُ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَغْرَاهُ الصَّالِحَةَ وَالْمَقَاصِدَ الصَّحِيحَةَ أَوْ

تَجَمُّعُ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَآدَابُ الْمَسْأَلَةِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِزَّةٌ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي
آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ
شَرٍّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا
عَلَّمْتَنِي وَعَلَّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ
النَّارِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَبِّ أَعِنِّي وَلَا
تُعِنْ عَلَيَّ وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَعَى
عَلَيَّ رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا لَكَ ذَاكِرًا لَكَ رَاهِبًا مَطْوَعًا لَكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ أَوَاهَا مُنِيبًا رَبِّ
تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاهْدِ قَلْبِي وَاسْأَلْ
سَخِيمَةَ صَدْرِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَالسَّخِيمَةُ الْحَقْدُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ
لَكَ أَسَلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ لَا تَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالتَّعْفَافَ وَالتَّوْبَةَ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي
وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا
أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رَوَاهُ
الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى . وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ
ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي
وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَبِّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ
التَّلْحِجِّ وَالتَّبَرِّدِ وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَكَانَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَأَقِمْ بِنِي إِيَّاكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِضْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا أَفْضَى عَنِّي الدِّينَ وَأَغْنِيَنِي مِنَ الْفَقْرِ وَأَمْتِغِنِي بِسَمْعِي وَبَصْرِي وَقُوَّتِي وَتَوَفِّي فِي سَبِيلِكَ رَوَاهُ فِي الْمَوْطَأِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَخْيَا وَالْمَمَاتِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ، وَضَلَعِ الدِّينِ ثِقْلُهُ وَشِدَّتُهُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَسْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجْأَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو أَيْضًا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالثَّقَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ عِلْبَةِ الدِّينِ وَعَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي وَمِنَ الْعَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُذْبَرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْعًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَسْرِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعْوَدَاتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّدُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّةٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا هَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَرَبْنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ زَادْ الصَّلَاةَ وَهَادِي الصَّلَاةِ أَنْتَ تَهْدِي مِنَ الصَّلَاةِ ارْزُدْ عَلَيَّ صَلَاتِي بِعِزَّتِكَ وَسُلْطَانِكَ فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو هَكَذَا بِبَاطِنِ كَفْيِهِ وَظَاهِرِهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِينِهِ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَمَسَّ كَفْيَهُ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ وَيَبْسُطُهُمَا وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفْيَهُ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ.

وَلَا يَمَسُّحُ بِهِمَا وَجْهَهُ فِي الْقُنُوتِ فِي الصَّلَاةِ أَمَا خَارِجَهَا فَقَدْ رُوِيَ فِيهِ خَبْرٌ (وَأَمَّا اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ) فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ دَعَا لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطْلِ عُمُرَهُ وَاعْفِرْ لَهُ فَقَدْ دَفَعْتُ مِنْ صُلْبِي مِائَةَ وَائْتَيْنِ وَإِنَّ ثَمَرَتِي لَتَحْمِلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ وَلَقَدْ بَقِيْتُ حَتَّى سَمِعْتُ الْحَيَاةَ وَأَرْجُو الرَّابِعَةَ. وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَالِكِ بْنِ زَيْبَعَةَ السُّلُوبِيِّ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي وَلَدِهِ فَوُلِدَ لَهُ ثَمَانُونَ ذَكَرًا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى عَلِيِّ يَوْمَ حَيْبَرَ وَكَانَ أَرْمَدَ فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ

الْحَرَّ وَالْبَرْدَ قَالَ فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا رَمِدْتُ عَيْنَيَّ .

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ اذُنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبِّتْ لِسَانَهُ قَالَ عَلِيٌّ فَوَاللَّهِ مَا شَكَّكْتُ فِي قَضَائِهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَعَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا مِنْ مَرَضٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْفِهِ اللَّهُمَّ عَافِيهِ ثُمَّ قَالَ قُمْ قَالَ عَلِيٌّ فَمَا عَادَ لِي ذَلِكَ الْوَجَعُ بَعْدُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ ، وَمَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَعَادَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي اذْعُ رَبِّكَ الَّذِي تَعْبُدُ أَنْ يُعَافِيَنِي فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْفِ عَمِّي فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ كَأَنَّمَا نَشِطَ أَيُّ حُلٍّ مِنْ عِقَالٍ فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي إِنَّ رَبِّكَ الَّذِي تَعْبُدُ لِيُطِيعَكَ فَقَالَ وَأَنْتَ يَا عَمَاهُ لَيْسَ أَطَعْتَ اللَّهَ لِيُطِيعَنَّكَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ اللَّهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ رَوَاهُ الْبَعُوثِيُّ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ فَكَانَ حَبْرَ الْأُمَّةِ بَحَرَ الْعِلْمِ رَئِيسَ الْمُفَسِّرِينَ تَرْجُمَانَ الْقُرْآنِ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلثَّابِغَةِ الْجَعْدِيَّ لَمَّا أَنْشَدَهُ ﴿وَلَا حَيْرَ فِي حِلْمِ﴾ الْبَيْتَيْنِ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالِكَ أَيْ لَا يُسْقِطُ اللَّهُ أَسْتَأْنِكَ فَاتَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَسَقَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَمَرُو بَنُ أَخْطَبَ مَاءً فِي قَدَحِ قَوَارِيرَ فَرَأَى فِيهِ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ فَأَخَذَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ فَبَلَغَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً وَمَا فِي لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَرَوَى مَعْمَرٌ أَنَّ يَهُودِيًّا حَلَبَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَةً فَقَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ فَاسْوَدَّ شَعْرُهُ وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَشِبْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ لِابْنِ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيِّ وَقَدْ سَقَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنًا اللَّهُمَّ مَتَّعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً وَلَمْ يَرَ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَجَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ عَلَاهَا الصُّفْرَةُ مِنَ الْجُوعِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُشْبِعَ الْجَاعَةِ لَا تُجِيعَ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ عَلَاهَا الدَّمُ عَلَى الصُّفْرَةِ فِي وَجْهِهَا وَلَقِيْتُهَا بَعْدُ فَقَالَتْ مَا جُعْتُ يَا عِمْرَانُ ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ الْإِسْفَرَائِينِيُّ ، وَدَعَا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لِعُرْوَةَ بِنِ الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ قَالَ فَمَا اشْتَرَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا رِبِخْتُ فِيهِ ، وَقَالَ لِحَبْرٍ وَكَانَ لَا يُثْبِتُ عَلَى الْخَيْلِ وَضْرَبَ فِي صَدْرِهِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا قَالَ فَمَا

وَقَعْتُ عَنْ قَرَسِ بَعْدُ، وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ رَوَاهُ النَّبَيْهِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَدَعَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ قَالَ فَلَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً رَوَاهُ النَّبَيْهِيُّ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُضَرَ فَأَقْحَطُوا حَتَّى أَكَلُوا الْعِلْهَزَ وَهُوَ الدَّمُ بِالْوَبْرِ حَتَّى اسْتَغَطَفْتُهُ قُرَيْشٌ. وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ فَتَقَلَّهَ الْأَسَدُ وَتَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُ فِي الْمَقْصِدِ الثَّانِي. وَعَنْ مَازِنِ الطَّائِبِيِّ وَكَانَ بِأَرْضِ عُمَانَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلَّعٌ بِالطَّرِبِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ وَالْحَتِّ عَلَيْنَا السُّنُونُ فَأَذْهَبِنَ الْأَمْوَالَ وَأَهْرَلِنَ الدَّرَارِي وَالرِّجَالَ وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ عَنِّي مَا أَجِدُ وَيَأْتِينِي بِالْحَيَاةِ أَيْ الْمَطَرِ وَيَهَبْ لِي وَلَدًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالطَّرِبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَبِالْحَرَامِ الْحَلَالَ وَأَيُّهُ بِالْحَيَاةِ وَهَبْ لَهُ وَلَدًا قَالَ مَازِنٌ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّمَا كُنْتُ أَجِدُ وَأَخْصَبَتْ عُمَانٌ وَتَزَوَّجْتُ أَرْبَعَ حَرَائِرَ وَوَهَبَ اللَّهُ لِي حَيَّانَ ابْنِ مَازِنٍ رَوَاهُ النَّبَيْهِيُّ.

وَلَمَّا نَزَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُؤُوكَ صَلَّى إِلَى نَخْلَةٍ فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَعَ صَلَاتِنَا قَطَعَ اللَّهُ أَثْرَهُ فَأُقْعِدْ فَلَمْ يَقُمْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّبَيْهِيُّ، وَأَكَلَ رَجُلٌ عِنْدَهُ بِشِمَالِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ يَعْدُ وَالرَّجُلُ بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعَيْرِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةَ رَدِيفَهُ يَوْمًا فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ مَا بَلَيْتَنِي مِنْكَ قَالَ بَطْنِي قَالَ اللَّهُمَّ اْمَلَأْهُ عِلْمًا وَحِلْمًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي تَرْوَانَ اللَّهُمَّ أَطِلْ شِقَاءَهُ وَبِقَاءَهُ فَأَذْرِكْ شَيْخًا كَبِيرًا شَقِيئًا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ. وَالشَّقَاءُ هُنَا التَّعَبُ وَأَبُو تَرْوَانَ كَانَ رَاعِي إِبِلٍ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْلَهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ لَمَّا هَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فَدَعَا عَلَيْهِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِشَيْءٍ فَلَمْ يُسْتَجَبْ. (وَأَمَّا اسْتِغْفَارُهُ) فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَلَهُ عَنْهُ أَيْضًا إِنْ كُنَّا لِنَعْدُو لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْعَفُورُ مِائَةَ مَرَّةٍ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ.
وَدَعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ وَإِظْهَارٌ لِعِبُودِيَّتِهِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَيِّدُ الْأَسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى
عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي
فَاعْفُزْ لِي قِيَامَهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ
أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةَ هِيَ الْأَفْضَلُ. (وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصِفَتُهَا) فَكَانَتْ
مَدًّا يَمُدُّ بِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ. وَنَعَتَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَقَالَتْ أَيْضًا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ثُمَّ يَقِفُ ثُمَّ يَقُولُ
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢] ثُمَّ يَقِفُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْتَلُّ السُّورَةُ حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ الْبَرَاءُ
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ وَالشَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ
قِرَاءَةً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَنَّى بِقِرَاءَتِهِ
وَيَرْجِعُ صَوْتَهُ أَحْيَانًا كَمَا رَجَعَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَةِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]
وَقَدْ اسْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَوْ
كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا أَيْ حَسَنَتُهُ وَزَيْنَتُهُ بِصَوْتِي تَزِينًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكُلِّ شَيْءٍ جَلِيَّةٌ وَجَلِيَّةُ الْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ.

المقصد العاشر

في إتمامِ اللهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُئِينِ وَتَفْضِيلِهِ فِي الْأَخِرَةِ وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَرْقِيهِ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ.

الفصل الأول

في إتمامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ وَتُقْلِيهِ إِلَى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْلَمَنَّ أَنَّ الْمَوْتَ لَمَّا كَانَ مَكْرُوهًا بِالطَّبِيعِ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى يُخَيَّرَ وَأَوَّلُ مَا أُعْلِمَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِفْتِرَابِ أَجَلِهِ سُورَةُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَقِيلَ عَاشَ بَعْدَهَا أَحَدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الدَّارِمِيِّ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ وَقَالَ نَعَيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي فَبَكَتْ قَالَ لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي فَضَحِكَتْ.

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ نُعِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ فَأَخَذَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ قَطُ اجْتِهَادًا فِي الْأَخِرَةِ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ نَعَيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى، وَرَوَى فِي حَدِيثِ ذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي اللَّطَائِفِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبَّدَ حَتَّى صَارَ كَالشَّنِّ الْبَالِي، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْرِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ عَلَى جِبْرِيلَ مَرَّةً فَعَرَضَهُ ذَلِكَ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ فَاغْتَكِفَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ عِشْرِينَ وَأَكْثَرَ مِنَ الذُّكْرِ وَالْأَسْتِغْفَارِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَأَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَجِيءُ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ تَدْعُو بِدُعَاءٍ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَمًا فِي أُمَّتِي وَأَنِّي إِذَا رَأَيْتُهُ أَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ السُّورَةَ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ، وَرَوَى الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ قَتَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمَوْدَعِ لِلْأَخْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطُ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنْ مَوَّعِدْكُمْ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ انظُرُوا إِلَى هَذَا الشُّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَذَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَمْرَ النَّاسِ عَلَيَّ بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ حَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ حَلِيلًا وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ حَوْحَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا حَوْحَةُ أَبِي بَكْرٍ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَرَجَ كَمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ بِخِرْقَةٍ حَتَّى أَهْوَى إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَعْدَ الْخُطْبَةِ هَبَطَ عَنْهُ فَمَا رُؤِيَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ وَمَا زَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَضُ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ فَإِنَّهُ لَمَّا خَطَبَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ لِلنَّاسِ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ فَلَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا وَطَفِقَ يُودِّعُ النَّاسَ فَقَالُوا هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ فَلَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْمَدِينَةِ جَمَعَ النَّاسَ بِمَاءِ يُدْعَى خُمًا فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فُخِطَبَهُمْ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ ثُمَّ حَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَوَصَّى بِأَهْلِ بَيْتِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ رَجَبٍ وَكَانَ ابْتِدَاءَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ وَكَانَتْ مُدَّةَ مَرَضِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي الْمَشْهُورِ وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِهِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَاخْتَلَفَ فِي مُدَّةِ مَرَضِهِ فَالْأَكْثَرُ أَنَّهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ يَوْمًا، وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا تَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَمْرَضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَحُطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ أَيُّهُ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ دُخُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنَهَا كَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَمَوْتُهُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الَّذِي يَلِيهِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ وَإِرْسَاءَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَأَدْعُو لَكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَائْتَكَلِيَاهُ إِنِّي لَأُظْلِكُ تَحِبُّ مَوْتِي فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَطَلَلْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعْرَسًا يَبْغِضُ أَزْوَاجَكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا وَإِرْسَاءَهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّئُونَ ثُمَّ قُلْتُ يَا أَبَى اللَّهِ وَيَذْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَذْفَعُ اللَّهُ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ. وَقَدْ تَبَيَّنَ كَمَا تَبَّهَ عَلَيْهِ فِي اللَّطَائِفِ أَنَّ أَوَّلَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صُدَاعَ الرَّأْسِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ حُمَى فَإِنَّ الْحُمَى اشْتَدَّتْ بِهِ فِي مَرَضِهِ فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مِخْضَبٍ وَيُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ سَنَبِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْ كَيْتَهُنَّ يَتَبَرَّدُ بِذَلِكَ. وَالْمِخْضَبُ إِذَا يُغْتَسَلُ فِيهِ وَالْأَوْكِيَةُ جَمْعُ وَكَاءٍ وَهُوَ رِبَاطُ الْقِرْبَةِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ أَهْرِيْقُوا عَلَيَّ مِنْ سَنَبِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْ كَيْتَهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ فَأَجْلَسَنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةٌ فَكَانَتْ الْحُمَى تُصِيبُ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهَا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَغَمًّا شَدِيدًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَغَمًّا شَدِيدًا فَقَالَ أَجَلُ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قُلْتُ ذَلِكَ أَنْ لَكَ لِأَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلُ ذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالْوَعَكُ الْحُمَى.

وَأَخْرَجَ الْإِسْنَانِيُّ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ قَالَتْ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسَاءِ

تَعُودُهُ فَإِذَا سَقَاءَ يَقْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَى فَقَالَ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ أَوْ رَكْوَةٌ
فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ
سَكَرَاتٍ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ عُرْوَةَ أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا
أَزَالَ أَجْدُ أَلَمِ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرٍ فَهَذَا أَوْأَنُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ الشَّمِّ.
وَالْأَبْهَرُ عِرْقٌ مُسْتَبِطٌ بِالصُّلْبِ يَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ فَإِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ
وغيره يَرَوْنَ أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا مِنَ الشَّمِّ.

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ
عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْوَذَاتِ وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ طَفَقَتْ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ
بِالْمَعْوَذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَأَمْسَحُ بِبِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ. وَأَمْسَحُ
بِيَدِي رَجَاءَ بَرَكَتِهَا. وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَفِي يَدَيْهِ جَرِيدَةٌ
رَطْبَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً فَأَخَذْتُهَا فَمَضَعْتُ
رَأْسَهَا وَنَفَضْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًَّا ثُمَّ نَازَلِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ
سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَفِي
رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ
إِلَى صَدْرِي.

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهُ لَيَهْوُونَ عَلَيَّ الْمَوْتَ أَنِّي رَأَيْتُ
بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ رَأَيْتُهَا فِي الْجَنَّةِ، وَيُرَوَى أَنَّه كَانَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ سَبْعَةٌ دَنَائِرٍ فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ بِهَا ثُمَّ يُعْمَى عَلَيْهِ فَيَسْتَعْلُونَ بِوَجْعِهِ فَدَعَا
بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ وَقَالَ مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَعِنْدَهُ هَذِهِ ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا كُلَّهَا رَوَاهُ
الْبَيْهَقِيُّ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاها فَسَارَهَا
فَضَحِكَتْ فَسَأَلْنَاها عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ سَارَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجْعِهِ
الَّذِي تُوفِّي فِيهِ فَبَكَتُ ثُمَّ سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتَّبَعُهُ فَضَحِكْتُ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ. وَالِدُّ هَهُنَا السُّكِينَةُ وَالْوَقَارُ

وَحُسْنُ السَّيْرَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَاسْتِقَامَةُ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْبَةُ وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ فَلَمَّا مَرَضَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَكَبَتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ وَفِي رِوَايَةٍ مَسْرُوقٍ أَنَّ ضِحْكَهَا كَانَ لِإِخْبَارِهِ إِيَّاهَا أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا أَوْلُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ .

وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَائِشَةَ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَمَا لِيَوْمَ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُقْسِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُؤْفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسْرَّ إِلَيَّ إِنْ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي وَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ إِنْ جَبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ رِزِيَّةً مِنْكَ فَلَا تَكُونِي أَدْنَى امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَبْرًا .

وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَيَقَعُ وَوَقَعَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ أَوْلَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ حَتَّى مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شِدَّةِ وَجَعِهِ يُغْمَى عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ ثُمَّ يُفِيقُ وَأَعْمَى عَلَيْهِ مَرَّةً فَظَنُّوا أَنَّ وَجَعَهُ ذَاتُ الْجَنْبِ فَلَدُّوهُ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَلْدُوهُ فَقَالُوا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَلَمْ أَنَهَكُمُ أَنْ تَلْدُونِي فَقَالُوا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَقَالَ لَا يَنْقَى أَحَدٌ فِي النَّبِيِّ إِلَّا لَدُّ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَاللَّدُّ وَهُوَ مَا يُجْعَلُ فِي جَانِبِ الْفَمِ مِنَ الدَّوَاءِ فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ فَيُقَالُ لَهُ الْوَجُورُ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَعَاوَدَتْهُ مِثْلَ مَقَالَتِهَا فَقَالَ إِنْ كُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَبُو حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ وَنَقَلَ الدُّمَيْطِيُّ أَنَّ الصَّدِيقَ صَلَّى بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً . وَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي الْفَجْرِ الْمُنِيرِ مِمَّا عَزَاهُ لِسَيِّفِ الدِّينِ بْنِ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفِتْوحِ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْدَادُ وَجَعًا أَطَافُوا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِمَكَانِهِمْ وَإِشْفَائِهِمْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضْلُ فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَذَلِكَ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى

عَلَيْهِ وَالْفَضْلُ وَالْعَبَّاسُ أَمَامَهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمِئْبَرِ وَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَأُخْلِدَ فِيكُمْ أَلَا وَإِنِّي لَأَحِقُّ بِرَبِّي أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَحِقُّونَ بِهِ فَأُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلِينَ خَيْرًا وَأُوصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٢] وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِنْبَاطُ أَمْرِ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةِ أَحَدٍ وَمَنْ غَالَبَ اللَّهُ غَلْبَهُ وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَاعَهُ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] وَأُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ نُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي الثَّمَارِ أَلَمْ يُوسِعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ أَلَمْ يُؤَيِّرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخِصَاصَةُ أَلَا فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيَقْبَلْ مِنْ مَحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنِ مَسِيئَتِهِمْ أَلَا وَلَا تَسْتَأْذِرُوا عَلَيْهِمْ أَلَا وَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَحِقُّونَ بِي أَلَا وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ أَلَا فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَدًا فَلْيَكْفِفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَنْبَغِي يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الذُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ وَتُبَدِّلُ الْقِسَمَ فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ أَيْمَتُهُمْ وَإِذَا فَحَرُوا عَقُوبَهُمْ .

وَذَكَرَ الْوَاجِدِيُّ بِسَنَدِهِ وَصَلَهُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ نَعَى لَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ جَبَّرَكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ اللَّهُ نَصَرَكُمُ اللَّهُ رَفَعَكُمُ اللَّهُ أَوَّكُمُ اللَّهُ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ وَأَحَدَرَكُمُ اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْأُخْرَى نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] وَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى أَجَلُكَ قَالَ دَنَا الْفِرَاقُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يُغْسَلُكَ قَالَ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَذْنَى فَالْأَذْنَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ نُكْفُّكَ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَإِنْ شِئْتُمْ فِي ثِيَابِ بِيضٍ مِصْرَ أَوْ حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ إِذَا أَنْتُمْ غَسَلْتُمُونِي وَكَفَّمْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ ثُمَّ ميكائيلُ ثُمَّ إسرئيلُ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ

وَمَعَهُ جُثُودٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا وَلْيَبْدَأْ
بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ وَاقْرَأُوا السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ غَابَ مِنْ أَصْحَابِي
وَمَنْ تَبِعَنِي عَلَيَّ مِنْ دِينِي مِنْ يَوْمِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يُدْخِلْكَ قَبْرَكَ قَالَ
أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةِ رَبِّي وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَاحِبُ يَقُولُ
إِنَّهُ لَمْ يُبْضِ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضْرَةُ الْقَبْضِ وَرَأْسُهُ
عَلَى فَخْذِي غُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَّصَ بَصْرَهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى فَقُلْتُ إِذَا لَا يَخْتَارُنَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَاحِبُ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا
أَضَعْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْتِنِدٌ إِلَى ظَهْرِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقِيقِي
بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَإِلْحَمْدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوَيْهَةَ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَتْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَالْخُلْدِ ثُمَّ الْجَنَّةِ فَخِيَرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ
رَبِّي وَالْجَنَّةِ فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ .

وَعِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مِنْ مُرْسَلِ طَاوُوسٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُخِّرْتُ بَيْنَ
أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يَفْتَحُ عَلَيَّ أُمَّتِي وَبَيْنَ التَّعْجِيلِ فَاخْتَرْتُ التَّعْجِيلَ ، وَفِي حَدِيثِ مُرْسَلِ
ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنِ الْعَصَبِ
وَالْقَصَبِ وَالْأَتَامِلِ فَأَعِنِّي عَلَيْهِ وَهَوْنُهُ عَلَيَّ ، وَلَمَّا تَغَشَّاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَرْبُ قَالَتْ
فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَكْرَبَ أَبْنَاءَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا لَا كَرْبَ عَلَيَّ أَبِيكَ بَعْدَ
الْيَوْمِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ ذَلِكَ الْأَكْمَ وَالْأَوْجَاعَ زِيَادَةٌ فِي رِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيَّنَّمَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَأَبُو
بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ
فَنظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي ضُفُوفِ الصَّلَاةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَتَكَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبَتِهِ لِيَصِلَ
الْصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسٌ وَهُمْ
الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَيُّمُوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرَخَى السُّنْرَ وَتَوَقَّى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ .

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِحْرَامًا لَكَ وَتَفْضِيلًا لَكَ وَخَاصَّةً لَكَ لَيْسَأَلَّكَ عَمَّا هُوَ أَغْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ أَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَغْمُومًا وَأَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَكْرُوبًا ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ قَالَ ائْتِدْنِ لَهُ فَدَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبْضُهَا وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهَا تَرْكُهَا فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ اشْتَقَّ إِلَيَّ لِقَائِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاْمُضِ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا آخِرُ مَوْطِئِي مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا كُنْتُ حَاجِئِي مِنَ الدُّنْيَا فَاقْبِضْ رُوحَهُ .

فَلَمَّا تُوفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ سَمِعُوا صَوْتًا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ فِي اللَّهِ عِزًّا مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَخَلَقْنَا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَدَرَكًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ فَبِاللَّهِ فَيْثُوهَا وَإِيَّاهُ فَارْجُوا فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ عَلِيُّ أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَاهُ النَّبَهَيْيُّ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ارْجِعْ فَإِنَّا مَشَاغِلُ عَنْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ ادْخُلْ رَاشِدًا فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ إِنَّ رَبِّكَ يُفْرُوكَ السَّلَامَ فَبَلَّغْنِي أَنَّ مَلَكُ الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ قَبْلَهُ وَلَا يُسَلِّمْ بَعْدَهُ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي رَوَاهُ الْبُحَارِيُّ . وَالسُّحْرُ الصُّدْرُ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ عُنُقِهَا وَصَدْرِهَا .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ عِنْدَ حَلِيمَةَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَأَخْرَجُ كَلِمَةً تَكَلَّمَ بِهَا الرَّفِيعُ الْأَعْلَى وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعُ، وَعَنْ

سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَجْزَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ وَقَالَ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَرْبَتُهُ بِسَيْفِي هَذَا قَالَ فَقَالَتِ النَّاسُ يَا سَالِمُ اطْلُبْ لَنَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ أَيْ تَهَيَّأْتُ فَقَالَ يَا سَالِمُ أَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَرْبَتُهُ بِسَيْفِي هَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْجِي فَرَفَعَ الْبُرْدَ عَنْ وَجْهِهِ وَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ ثُمَّ سَجَّاهُ وَالتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ عُمَرُ قَوْلَ اللَّهِ لِكَأَنِّي لَمْ أَثُلْ هُدِيهِ الْآيَاتِ قَطُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ شَمَّهَا .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاشَتِ الْعُقُولُ فَمِنْهُمْ مَنْ خُيِّلَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقِ الْقِيَامَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُخْرِسَ فَلَمْ يُطِقِ الْكَلَامَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَضْيِيَ وَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ خُيِّلَ وَكَانَ عَثْمَانُ مِمَّنْ أُخْرِسَ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَلَا يَسْتَطِيعُ كَلَامًا وَكَانَ عَلِيُّ مِمَّنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يَسْتَطِيعْ حِرَاكًا وَأَضْيِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَمَاتَ كَمَدًا وَكَانَ أَثْبَتُهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ جَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلَانِ وَزَفْرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ وَعُغْصُصُهُ تَتَصَاعَدُ وَتَرْتَفِعُ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَكَشَفَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَعَظُمَتْ عَنِ الصِّفَةِ وَجَلَلَتْ عَنِ الْبُكَاءِ وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالثُّفُوسِ اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ وَلِنُكُنْ مِنْ بَالِكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَانْبِيَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ . قَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَاصْفِيَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ وَاخْلِيلَاهُ . وَلَمَّا تُوفِّيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَعَلَهُ الْفِرْدَوْسَ مَأْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ . وَقَدْ عَاشَتْ

فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَمَا ضَحِكْتَ تِلْكَ الْمُدَّةَ وَحُقَّ لَهَا ذَلِكَ، وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِيًا إِلَى السَّمَاءِ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي وَامْحَمَدَاهُ كُلُّ الْمَصَائِبِ تَهُونَ عِنْدَ هَذِهِ الْمُضِيبَةِ، وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِي بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بَعِيرِي فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي .

وَقَالَ أَبُو الْجَوَزَاءِ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ جَاءَ أَخُوهُ فَصَافَحَهُ وَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأَ حَسَنَةً، وَرُوِيَ أَنَّ بِلَالَ لَمَّا كَانَ يُؤَدُّنُ بَعْدَ وَقَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبَّلَ دَفْنِهِ فَإِذَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ فَلَمَّا دُفِنَ تَرَكَ بِلَالَ الْأَذَانَ . وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ بِلَا خِلَافٍ وَفَتَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ فِي هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الضُّحَاءُ وَدُفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَقِيلَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ وَقِيلَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالسَّبَبُ فِي تَأْخِيرِ دَفْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي مَوْتِهِ وَفِي مَحَلِّ دَفْنِهِ . وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي دُوَيْبِ الْهَدَلِيِّ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيلٌ فَأَوْجَسَ أَهْلُ الْحَيِّ خِيفَةً وَبِثَ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةً حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحْرِ نِمْتُ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَقْعَدِ الْأَطَامِ
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعُيُونُنَا تُبْدِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ
وَتَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَرِعًا فَتَنَظَّرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ أَرَ إِلَّا سَعْدَ الدَّابِيحِ فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلِأَهْلِهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ إِذَا أَهْلُوا بِالإِحْرَامِ فَقُلْتُ مَهْ فَقِيلَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ حَسَانٌ يَقُولُهُ يَزِيدِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

كُنْتُ السُّوَادَ لِنَاطِرِي فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
وَفِي الشُّفَاءِ وَغَيْرِهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مَوْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ لَكَ جِدْعٌ تَخْطُبُ النَّاسَ

عَلَيْهِ فَلَمَّا كَثُرُوا اتَّخَذَتْ مِنْبَرًا لِتُسْمِعَهُمْ فَمَنْ أَلْجَأُ لِفِرَاقِكَ حَتَّى جَعَلْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ فَأَمَّتْكَ أُولَى بِالْحَنِينِ عَلَيْكَ حِينَ فَارَقْتَهُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوْلِيهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الْآيَةَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ فِي أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وَمِنْ عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ مَا رُوِيَ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَا نَذْرِي أَنْجَرْدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَدَقَّتْهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَذْرُونَ مَنْ هُوَ اغْسِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا وَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَضْعُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَذْكُورُهُ بِالْقَمِيصِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ الثُّبُوتِ، وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَرْقَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مِتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَنَعِ قَرِيبٍ مِنْ بَثْرِي بِثَرِ عَرْسٍ.

وَعُسِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ غَسَلَاتٍ الْأُولَى بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَالثَّانِيَّةُ بِالْمَاءِ وَالسُّدْرِِ وَالثَّلَاثَةُ بِالْمَاءِ وَالْكَافُورِ وَغَسَلَهُ عَلِيُّ وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِهِ وَقَتْمٌ وَأَسَامَةُ وَشُقْرَانٌ مَوْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ مِنْ وَرَاءِ الشَّيْرِ لِحَدِيثِ عَلِيِّ لَا يَغْسِلُنِي إِلَّا أَنْتَ فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَحَدًا عَوْرَتِي إِلَّا طُمِسَتْ عَيْنَاهُ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشُّعْبِيِّ قَالَ غَسَلَ عَلِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَغْسِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيْتًا. وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ غَسَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيْتِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيْتًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ وَسَطَعَتْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ قِيلَ وَجَعَلَ عَلِيُّ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ ثُمَّ اغْتَصَرُوا قَمِيصَهُ وَحَنَطُوا مَسَاجِدَهُ وَمَفَاصِلَهُ وَوَضُّوْا مِنْهُ ذِرَاعِيَهُ وَوَجْهَهُ وَكَفْيَهُ وَقَدَمَيْهِ وَجَمْرُوهُ عُوْدًا وَنَدًا. وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ كَانَ الْمَاءُ يَسْتَلْقِعُ فِي جُفُونِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ عَلِيٌّ يَحْسُوهُ أَيْ يَشْرَبُهُ بِفَمِهِ، وَفِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاجٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ أَخْرَجَهُ الْأَيْمَةُ السُّنَّةُ بِزِيَادَةٍ وَتَقْصِيرٍ. وَالسَّحُولِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُولِ قَرْيَةٍ بِالْيَمَنِ وَالْكُرْسُفُ الْقُطْنُ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ لَمَّا فَرَعُوا مِنْ جِهَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا فَرَعُوا دَخَلَ النِّسَاءُ حَتَّى إِذَا فَرَعْنَ دَخَلَ الصَّبِيَّانُ وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ أَفْوَاجًا ثُمَّ أَهْلُ بَيْتِهِ ثُمَّ النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ثُمَّ نِسَاؤُهُ آخِرًا، ثُمَّ قَالُوا أَيْنَ تَدْفِنُونَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا هَلَكَ أَيُّ مَاتَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا يُدْفَنُ حَيْثُ تُقْبَضُ رُوحُهُ وَقَالَ عَلِيٌّ وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُهُ. وَحَفَرَ أَبُو طَلْحَةَ لِحَدِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْضِعٍ فِرَاشِهِ حَيْثُ قُبِضَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيْمَنْ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَحُ مَا رُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَلِيٌّ وَعَمَّهُ الْعَبَّاسُ وَابْنَاهُ الْفَضْلُ وَقُتْمٌ وَكَانَ قُتْمٌ آخِرَ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ بُنِيَ فِي قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ لِبْنَاتٍ وَفُرِشَ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ نَجْرَانِيَّةٌ كَانَتْ يَتَّعَطَّى بِهَا فَرَشَهَا سُفْرَانٌ فِي الْقَبْرِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ وَفِي كِتَابِ تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ثُمَّ أُخْرِجَتْ يَغْنِي الْقَطِيفَةَ مِنَ الْقَبْرِ لَمَّا فَرَعُوا مِنْ وَضْعِ اللَّبْنَاتِ الشُّعْبِ، وَلَمَّا دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَخْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّرَابَ وَأَخَذَتْ مِنْ ثَرَابِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَادَا عَلَى مَنْ شَمَّ ثُرْبَةَ أَحْمَدٍ أَنْ لَا يَسْمَمَ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
ضُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ضُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذْنَ لِيَالِيَا

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ قَالَ أَنْسَ مَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَوْسَوْا مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَيْضًا لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ

فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا، وَمِنْ آيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَا ذُكِرَ مِنْ حُزْنِ حِمَارِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تَرَدَّى فِي بئرٍ وَكَذَا نَاقَتُهُ فَإِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ حَتَّى مَاتَتْ.

قَالَ رَزِينٌ وَرُشٌّ قَبْرُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَشُهُ بِإِلَاءِ بْنِ رَبَاحٍ بِقِرْبَةِ بَدَأَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ حَكَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَجَعَلَ عَلَيْهِ مِنْ حَضَبَاءِ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَرَفَعَ قَبْرَهُ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ لَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِرَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ حُشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ عِيَّاشٍ عَنِ سُفْيَانَ الثَّمَارِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَمًّا أَي مُرْتَفِعًا زَادَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرَجِ وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ كَذَلِكَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّهُ أَكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةَ وَلَا لَاطِئَةَ مَبْطُوحَةٍ يَبْطُحَاءِ الْعَرَضَةِ الْحَمْرَاءِ زَادَ الْحَاكِمُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمًا وَأَبُو بَكْرٍ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا كَانَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ مُسَطَّحَةً ثُمَّ لَمَّا بُنِيَ جِدَارُ الْقُبُورِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَةً، وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ فِي صِفَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عُثَيْمِ بْنِ نِسْطَاسِ الْمَدِينِيِّ قَالَ رَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَأَيْتُهُ مُرْتَفِعًا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ.

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ يَعْنِي حَائِطَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَرَعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ وَاللَّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى الْأَجْرِيُّ قَالَ رَجَاءُ ابْنُ حَيَّوَةَ قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ وَسْطِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَأْسُهُ عِنْدَ وَسْطِهِ وَهَذَا ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ حَدِيثَ الْقَاسِمِ فَإِنْ أَمَكَنَّ الْجَمْعُ وَإِلَّا فَحَدِيثُ الْقَاسِمِ

أَصْحٌ، وَنَقَلَ أَهْلُ السَّيْرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرِ فِي السَّهْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ يُدْفَنُ فِيهَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَكُونُ قَبْرُهُ الرَّابِعَ. وَالسَّهْوَةُ بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الْأَرْضِ قَلِيلًا شَبِيهٌ بِالْمَخْدَعِ وَالْخِرَانَةِ.

وَفِي الْمُنْتَظَمِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي الْأَرْضِ فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ وَيَمُوتُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ مَعِيَ فِي قَبْرِي وَأَقُومُ أَنَا وَعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ قَبْرِ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

الفصل الثاني

فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُئِنِفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمَنَّ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ. وَأَزْجَى الطَّاعَاتِ. وَالسَّبِيلُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. وَمَنْ اعْتَقَدَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ انْحَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ. وَخَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ إِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مُرْعَبٌ فِيهَا فَقَدْ رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تُعْمَلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ شَفِيعًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ السَّكَنِ وَفِي الْإِخْيَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي.

وَأَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ أَنَسِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ ثُمَّ لَمْ يَزُرْنِي إِلَّا وَلَيْسَ لَهُ عُدْرٌ. وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي. وَعَنْ حَاطِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الْأَمِينِ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ. وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ شَفِيعًا لَهُ وَشَهِيدًا رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كَانَ فِي جَوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ أَيْضًا، قَالَ الْعَلَامَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرَاغِي وَتَبْنِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِقَادُ كَوْنِ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْبَةً لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ

وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وَقَدْ اسْتَغْفَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْجَمِيعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فَإِذَا وَجَدَ مَجِيئُهُمْ وَاسْتَغْفَرَهُمْ تَكَمَّلَتْ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الْمَوْجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

وَيَتَّبِعِي لِمَنْ نَوَى زِيَارَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْوِيَ مَعَ ذَلِكَ زِيَارَةَ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ وَالصَّلَاةَ فِيهِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَيْهَا وَهُوَ أَفْضَلُهَا عِنْدَ مَالِكٍ . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يُبْرِدُ الْبَرِيدَ لِلسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَى يُبْرِدُ يُرْسِلُ وَالْبَرِيدُ الرَّسُولُ الْمُسْتَعَجِلُ . وَيَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ زِيَارَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ فَإِذَا وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ فَلْيُرَدِّدِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمَ وَيَسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَتِهِ وَيُسْعِدَهُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ وَلْيَغْتَسِلْ وَلْيَلْبَسِ التَّطِيفَ مِنْ ثِيَابِهِ وَلْيَتَرَجَّلْ مَاثِيًا بَاكِيًا .

وَلَمَّا رَأَى وَقَدْ عَبَدَ الْقَيْسِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُوا أَنفُسَهُمْ عَنْ رَوَاجِلِهِمْ وَلَمْ يُبِيحُواهَا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ فَلَمْ يُنَكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ . وَيَسْتَحَبُّ صَلَاةَ رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الزِّيَارَةِ قِيلَ وَهَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُرُورُهُ مِنْ جِهَةِ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنْ كَانَ اسْتَحَبَّتِ الزِّيَارَةَ قَبْلَ التَّحِيَّةِ، وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مِنَ الْخُشُوعِ مَا أَمَكَّهُ وَلْيَكُنْ مُقْتَصِدًا فِي سَلَامِهِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الطَّائِفِ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا تَرْفَعَانِ أَضْوَاتِكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتِ الْوَتْدِ يُوتَدُ وَالْمِسْمَارِ يُضْرَبُ فِي بَعْضِ الدُّوَرِ الْمُطِيفَةِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُرْسِلُ إِلَيْهِمْ لَا تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالُوا وَمَا عَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِضْرَاعِي دَارِهِ إِلَّا بِالْمَنَاصِحِ اسْمُ مَكَانٍ خَارِجِ الْمَدِينَةِ تَوْقِيًا لِذَلِكَ فَيَجِبُ الْأَدَبُ مَعَهُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَتَّقَدَّمَ إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ رِجْلَيْ الصَّاحِبَيْنِ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْأَدَبِ مِنَ الْإِتْيَانِ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ الْمَكْرُومِ وَيَسْتَنْدِرُ الْقِبْلَةَ وَيَقِفُ قُبَالَةَ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَالِكًَا سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْتَقْبِلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدْعُو أَمْ اسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ

وَأَدْعُو فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيْلَتِكَ وَوَسِيْلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُلَازِمَ الْأَدَبَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّوَضُّعَ غَاضُ الْبَصْرِ فِي مَقَامِ الْهَيْبَةِ كَمَا كَانَ
يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَسْتَحْضِرَ عِلْمَهُ بِوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَاعَهُ لِسَلَامِهِ كَمَا هُوَ فِي حَالِ
حَيَاتِهِ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ فِي مُشَاهَدَتِهِ لِأُمَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِهِمْ
وَخَوَاطِرِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَهُ جَلِيْلِي لَا خَفَاءَ بِهِ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَيْسَ
مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً فَيَعْرِفُهُمْ
بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَلِذَلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ .

وَلِيُمَثِّلَ الزَّائِرُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي ذَهَبِهِ وَيُحْضِرُ قَلْبَهُ جَلَالَ رُتْبَتِهِ
وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمِ حُرْمَتِهِ وَأَنَّ أَكْبَرَ الصَّحْبِ مَا كَانُوا يُخَاطَبُونَهُ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ تَعْظِيمًا لِمَا
عَظَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهِ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ تُكْشِفِي
لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَتْهُ فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ . وَحِكْيِي عَنْ أَبِي
الْفَضَائِلِ الْحَمَوِيِّ أَحَدِ خُدَّامِ الْحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ شَاهَدَ شَخْصًا مِنَ الزُّوَّارِ الشُّيُوخِ أَتَى بَابَ
مَقْصُورَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْعَتَبَةِ فَحَرَّكَوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ
جَنَازَتَهُ .

ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَعَظْضِ طَرْفٍ وَصَوْتٍ وَسُكُونٍ وَإِطْرَاقٍ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَةَ
خَلْقِ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ .
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِدَ الْعَرَبِ الْمُحْجَلِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطُّيْبِينَ الطَّاهِرِينَ .
السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ
أَجْمَعِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . جَزَاكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الدَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ
ذِكْرِكَ الْعَافِلُونَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرُّسَالََةَ وَأَذَيْتَ الْأَمَانَةَ وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ .
وَمَنْ ضَاقَ وَقْتُهُ عَنْ ذَلِكَ أَوْ عَنَ حِفْظِهِ فَلْيَقْتُلْ مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ أَوْ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ .

وَفِي نُحْفَةِ الزَّائِرِ لِابْنِ عَسَاكِرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَعَظِيمَةَ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ وَيُوجِزُونَ

فِي هَذَا جِدًّا فَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ وَنَاهِيكَ بِهِ خِبْرَةٌ بِهَذَا الشَّانِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهَبٍ عَنْهُ يَقُولُ الرَّائِزُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ وَلَا يَتَكَلَّفَ السُّجُوعَ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْإِخْلَالِ بِالْخُشُوعِ.

وَقَدْ حَكَى جَمَاعَةُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنِ الْعُثَيْبِيِّ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ تُوفِّيَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ أَتَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزُرْتُهُ وَجَلَسْتُ بِجِدَائِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَرَاذَهُ ثُمَّ قَالَ يَا خَيْرَ الرُّسُلِ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا صَادِقًا قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاوَوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنْتَ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ قَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتِ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانصَرَفَ فَرَقَدْتُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ
الْحَقِّ الْأَعْرَابِيَّ وَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَخَرَجْتُ بِطَلْبِهِ فَلَمْ
أَجِدْهُ.

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِعِثْقِ الْعَبِيدِ وَهَذَا حَبِيبُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ فَأَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ عَلَى قَبْرِ حَبِيبِكَ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: يَا هَذَا تَسْأَلُ الْعِثْقَ لَكَ وَخَدَكَ هَلَّا سَأَلْتَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ إِذْ هَبَ فَقَدْ أَعْتَقْنَاكَ مِنَ النَّارِ، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ وَقَفَ حَاتِمُ الْأَصَمِ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَبُّ إِنَّا زُرْنَا قَبْرَ نَبِيِّكَ فَلَا تَرُدُّنَا خَائِبِينَ فَنُودِيَ: يَا هَذَا مَا أَذِنَّا لَكَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ حَبِيبِنَا إِلَّا وَقَدْ قَبَلْنَاكَ فَارْجِعْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الزُّوَّارِ مَغْفُورًا لَكُمْ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكَتْ يَقُولُ بَلَّغْنَا أَنَّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَقُولَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْفُطْ لَكَ حَاجَةٌ قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْمَرَاغِي وَعَظِيمُهُ وَالْأُولَى أَنْ يُنَادِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الرِّوَايَةُ يَا مُحَمَّدُ.

فَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِإِبْلَاحِ السَّلَامِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فُلَانٍ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَنَّ رَأْسَهُ بِجَدَاءِ مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيْدِ اللَّهِ بِهِ يَوْمَ الرُّدَّةِ الدِّينَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا اللَّهُمَّ ارْضُ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيْدِ اللَّهِ بِهِ الدِّينَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا اللَّهُمَّ ارْضُ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُحَمِّدُهُ وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَيُجَدِّدُ التَّوْبَةَ فِي حَضْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ وَيَسْأَلُ اللَّهَ بِجَاهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَهَا تَوْبَةً نَصُوحًا وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ حَيْثُ يَسْمَعُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعْتَى رَدُّ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَرُدُّ عَلَيَّ الْمُسْلِمُ السَّلَامَ مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بِلَا شَكٍّ إِقْبَالَ خَاصِّ وَالنِّفَاتِ رُوحَانِي يَخْضُلُ مِنَ الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِذَلِكَ الْمُسْلِمُ وَهَذَا الْإِقْبَالُ يَكُونُ عَامًّا شَامِلًا حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ لَمَحَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ لَوَسِعَهُمْ ذَلِكَ الْإِقْبَالُ النَّبَوِيُّ وَالْإِنْفِاتُ الرُّوحَانِي.

قَالَ صَاحِبُ الْأُضَلِّ الْعَلَامَةُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقَسْطَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَبِّرَ عَنْهُ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ سُئِلَ كَيْفَ يَرُدُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ فَأَنْشَدَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ:

كَالشَّمْسِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ وَنُورِهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
وَلَا رَيْبَ أَنَّ حَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبُرْزَخِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ
هَذَا وَسَيِّدُنَا عِزْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَفْبِضُ مِائَةَ أَلْفِ رُوحٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلَا يَشْغَلُهُ
قَبْضٌ عَنْ قَبْضٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَشْغُولٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُقْبِلٌ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَائِبًا بُلِّغْتُهُ، وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُهَيْمٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أَتَفْقَهُ سَلَامَهُمْ قَالَ نَعَمْ وَأَرَدُ عَلَيْهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا تَعَلَّبَ عَسْكَرُ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لَمْ يُؤَدِّنْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا حَضَرَتْ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الْأَذَانَ فِي الْقَبْرِ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَمِعْتُ الْإِقَامَةَ فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ ثُمَّ مَضَى ذَلِكَ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِي الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْالٍ يَعْنِي لَيْالِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا لِأَكْلِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ شَاةٍ مَسْمُومَةٍ سَمَا قَاتِلًا مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى مَاتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ وَصَارَ بَقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْجَزَةً فَكَانَ أَلَمُ السَّمِّ يَتَعَاهَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ النُّبُوَّةَ وَالشَّهَادَةَ وَقَدْ ثَبَتَتْ حَيَاةُ الشَّهْدَاءِ بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ مِنْ وَجْهَيْنِ وَجْهِ النُّبُوَّةِ وَوَجْهِ الشَّهَادَةِ بَلْ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُ الشَّهْدَاءِ فَحَيَاتُهُ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاتِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُقْبَرُ فِي الثَّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا فَكَانَتْ بِهَذَا ثُرْبَةِ الْمَدِينَةِ أَفْضَلُ الثَّرْبِ كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ فَلِهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ يَتَضَاعَفُ رِيحُ الطَّيْبِ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ قَالَهُ ابْنُ بَطَّالٍ، وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ يُكَيِّرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْأَسْتِعَاثَةِ وَالتَّشْفَعِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّوَجُّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَدِيدٌ بِمَنْ اسْتَشْفَعَ بِهِ أَنْ يُشْفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْأَسْتِعَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشْفَعِ وَالتَّوَجُّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ وَمِضْبَاحِ الظَّلَامِ وَغَيْرِهِمَا وَقَعَ فِي كُلِّ حَالٍ قَبْلَ خَلْقِ وَبَعْدِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي مُدَّةِ الْبَرَزَخِ وَبَعْدَ الْبَعْثِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

فَأَمَّا الْحَالَةُ الْأُولَى فَحَسْبُكَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقْصِدِ الْأَوَّلِ مِنْ اسْتِشْفَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِ لَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَا آدَمُ لَوْ تَشْفَعْتَ لِنَبَاتٍ بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَشَفَعْنَاكَ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَانَ بْنِ حَنِيفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ

فِيحْسِنَ وَضَوْءَهُ وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى اللَّهُمَّ شَفْعُهُ فِيَّ وَصَحْحَهُ النَّبِيَّهَيْ قِي وَزَادَ فَقَامَ وَقَدْ أَبْصَرَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْبُرْزَخِ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَفِي كِتَابِ مِصْبَاحِ الظُّلَامِ فِي الْمُسْتَعِثِّينَ بِخَيْرِ الْأَنْامِ لِلشُّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التُّغْمَانِ طَرَفٌ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ صَاحِبُ الْأَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَقَدْ كَانَ حَصَلَ لِي دَاءٌ أَعْيَا دَوَاؤُهُ الْأَطِبَّاءُ وَأَقَمْتُ بِهِ سِنِينَ فَاسْتَعَثْتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ بِمَكَّةَ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا فَبَيَّنَّا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ قِرْطَاسٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ هَذَا دَوَاءٌ دَاءِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَسْطَلَانِيِّ مِنَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ الْإِذْنِ الشَّرِيفِ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِي وَاللَّهِ شَيْئًا مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ وَحَصَلَ الشِّفَاءُ بِبَرَكَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فَمِمَّا قَامَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي حَدِيثِ الشِّفَاعَةِ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ إِذْرَاكَ السَّعَادَةَ. وَالْمُؤْمَلُ لِحُسْنِ الْحَالِ فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. بِالتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ عَطْفِهِ وَكَرَمِهِ. وَالتَّطَفُّلِ عَلَى مَوَائِدِ نِعَمِهِ. وَالتَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ الشَّرِيفِ. وَالتَّشْفُّعِ بِقَدْرِهِ الْمُنِيفِ. فَهُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاصِ الْمَرَامِ. وَالْمَفْزَعُ يَوْمَ الْجَزَعِ وَالْهَلْعُ لِكَافَةِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ. وَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ فِيمَا نَزَلَ بِكَ مِنَ النَّوَازِلِ. وَإِمَامَكَ فِيمَا تُجَاوِلُ مِنَ الْقُرْبِ وَالْمَنَازِلِ. فَإِنَّكَ تَظْفَرُ مِنَ الْمُرَادِ بِأَقْصَاهُ. وَتُذْرِكُ رِضًا مِنْ أَحْطَا بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَخْصَاهُ. وَاجْتَهِدْ مَا دُمْتَ بِطَبِئَةِ الطَّبِئَةِ حَسَبَ طَاقَتِكَ فِي تَخْصِيلِ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ. وَلَا زِمَ قَرَعَ أَبْوَابِ السَّعَادَةِ بِأَطْفَائِرِ الطَّلِبَاتِ. وَازِقْ فِي مَدَارِجِ الْعِبَادَاتِ. وَلِجْ فِي سُرَادِقِ الْمُرَادَاتِ. وَلَا زِمِ الصَّلَوَاتِ مَكْتُوبَةً وَنَافِلَةً فِي مَسْجِدِهِ الْمَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خُصُوصًا بِالرَّوْضَةِ الَّتِي ثَبَتَ أَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَضَّلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ بِنِسْبَةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ يَكُونُ لَهُ تَفْضِيلٌ عَلَى جَنْسِهِ كَمَا اسْتَشْرَى فِي كُلِّ أَمْرِهِ مِنْ بَدءِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى حِينِ وَقَايَتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فَمِنْهَا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّهِ أَمِنَةً وَمَا نَالَهَا مِنْ بَرَكَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِثْلُ ذَلِكَ مُرْضِعَتُهُ حَلِيمَةُ وَأَتَانُهَا وَالتَّبَعَةُ الَّتِي كَانَتْ تِلْكَ الْأَتَانُ تَمْشِي عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ مَتَى جَعَلْتَ يَدَهَا عَلَى بُقْعَةٍ

اخْضَرْتُ مِنْ جِئْتِهَا وَكَانَتْ تَظْهَرُ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِسًا وَمَعْنَى حَيْثُمَا مَشَى
وَحَيْثُمَا وَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ كَمَا هُوَ مَقُولٌ مَعْرُوفٌ .

وَلَمَّا كَانَ تَرَدُّدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَنْبَرِهِ وَبَيْتِهِ كَثِيرًا فَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ
مِرَارًا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ طَوَّلَ عُمُرِهِ مِنْ وَقْتِ هِجْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ تَضَاعَفَتْ حُرْمَتُهَا عَلَى
غَيْرِهَا وَلَيْسَ لَهَا وَضْفٌ أَعْلَى مِنْ وَضْفِهَا الْمَذْكُورِ وَهُوَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْجَنَّةِ وَتَعُودُ إِلَيْهَا
وَهِيَ الْأَنْ مِنْهَا وَلِلْعَامِلِ فِيهَا مِثْلُهَا لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ رِزْقًا فِي الْجَنَّةِ فَإِنْ قِيلَ
يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلْمَدِينَةِ بِكَمَالِهَا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَطُوفُهَا بِقَدَمِهِ مِرَارًا
فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْمَدِينَةِ تَفْضِيلٌ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهَا مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُرَابَهَا شِفَاءٌ كَمَا أَخْبَرَ
بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الدَّجَالِ وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَا يَشْفَعُ
لِأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْحُمَى رُفِعَ عَنْهَا وَأَنَّ بُورِكَ فِي طَعَامِهَا
وَشَرَابِهَا وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً فَكَانَ التَّفْضِيلُ لَهَا بِسَبَبِ تَرَدُّدِهِ فِيهَا وَتَرَدُّدُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرَ مِنْ تَرَدُّدِهِ
فِي الْمَدِينَةِ وَتَرَدُّدُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْبَيْتِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الْمَسْجِدِ فَالْمَدِينَةُ أَرْفَعُ
الْمُدُنِ وَالْمَسْجِدُ أَرْفَعُ الْمَسَاجِدِ وَالْبُقْعَةُ أَرْفَعُ الْبُقَعِ قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ . وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ
فِي الْوَاضِحَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَجُمُعَةٌ
فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَرَمَضَانُ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ .
وَإِخْتَلَفَ هَلْ الْأَفْضَلُ مَكَّةُ أَوْ الْمَدِينَةُ فَقَالَ بِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ بِقَاعِ
الْأَرْضِ حَتَّى مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَلْ نَقَلَ الثَّاجُ السُّبُكِيُّ عَنِ ابْنِ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ
الْعَرْشِ وَصَرَّحَ الْفَائِكَهَانِيُّ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى السَّمَوَاتِ .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَتَفْضِيلُ مَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِغْتِيَابِ
أَحَدُهُمَا مَا قِيلَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ وَالثَّانِي تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةُ
وَالْبَرَكَاتُ عَلَيْهِ وَإِقْبَالَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ رَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَقْبَضُ النَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمَكِنَةِ إِلَيْهِ وَلَا

شَكَ أَنْ أَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَحَبَّهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى فَإِنْ حُبَّهُ تَابَعَ لِحُبِّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ وَلَا رَبِّبَ أَنْ دُعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ فَضْلَ الدُّعَاءِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الدَّاعِي وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحَبِّبْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَفِي رِوَايَةٍ بَلَّ أَشَدَّ وَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُحْرِكُ ذَابْتَهُ إِذَا رَأَاهَا مِنْ حُبَّهَا.

وَرَوَى الْحَاكِمُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْكَ، وَوَرَدَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ الْمَخْزُومِيِّ أَنْتَ الْقَائِلُ لِمَكَّةَ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هِيَ حَرَمُ اللَّهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ فَقَالَ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا ثُمَّ كَرَّرَ عُمَرُ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَأَعَادَ عَبْدُ اللَّهِ جَوَابَهُ فَأَعَادَ لَهُ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا فَأَشِيرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَانصَرَفَ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ حَدِيثَ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ وَفِيهِ رَأَوْ لَيْسَ بِقَوِيٍّ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ أَيِ الْحَيِّتِ مِنْهُمْ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَّتَ الْحَدِيدِ.

قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَرْوِيُّ فِي الْبُخَارِيِّ لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَبَطَوْهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ يُعْطِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ قَالَ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ حُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِمَدْفَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِقَامَتِهِ بِهَا وَمَسْجِدِهِ فَقَدْ حُصَّتِ مَكَّةَ بِمَسْقِطِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَمَبْعَثِهِ مِنْهَا وَهِيَ قِبْلَتُهُ فَمَطْلَعُ شَمْسِ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ مَكَّةَ وَمَغْرِبُهَا الْمَدِينَةُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَضِيرُ عَلَى لَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا. وَاللَّأَوَاءُ الشُّدَّةُ وَالْجُوعُ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِرُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا أَيْ يَنْقَبِضُ وَيَنْضُمُ وَيَلْتَجِئُ لِأَنَّهَا أَضَلُّ

في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان ليحب في ساكنها عليه الصلاة والسلام. وروى الترمذي وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها. وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون. وفيه عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رغب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان.

قال التوري وغيره إن الطاعون لم يدخل المدينة أصلاً قال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون من المدينة هذه الدهور الطويلة. ومن خصائص المدينة أن عبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه ززين من حديث سعيد. زاد في حديث ابن عمر وعابوتها شفاء من السم. ونقل البعوي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لنبؤنهم في الدنيا حسنة﴾ [النحل: ٤١] أنها المدينة. وذكر ابن النجار عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن، وروى الطبراني عن أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام.

وبالجمل فكل المدينة ترابها وطرفها وفجاجها ودورها وما حولها قد سملته بركته صلى الله عليه وسلم فأنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا أطأ بحافر دابة في عراض كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم. ويتبعني للزائر أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكباً وماشيًا رواه مسلم وفي رواية له يأتي بدل يزور فيصل في ركعتين.

وعنده أيضا أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت. وعند الترمذي عن أسيد بن ظهير الأنصاري وهو غير ابن حضير قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد قباء كعمرة. ويتبعني له بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها التماسا

لِيَرْكَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيَخْرُجُ إِلَى الْبَيْعِ لِزِيَارَةِ مَنْ فِيهِ فَإِنْ أَكْثَرَ الصَّحَابَةَ مِمَّنْ تُوْفِيَ فِي الْمَدِينَةِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مَذْفُونٌ بِالْبَيْعِ وَكَذَلِكَ سَادَاتُ أَهْلِ النَّبِيِّ وَالْتَّابِعِينَ. وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشْرَةٌ آلاَفٍ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ سِوَى خَدِيجَةَ فَإِنَّهَا بِمَكَّةَ وَمَيْمُونَةَ فَإِنَّهَا بِسَرْفٍ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْبَيْعِ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ التَّجَارِ مَرْفُوعًا مَقْبَرَتَانِ مُضَيَّبَتَانِ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضَيِّبُهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا بَقِيْعِ الْعَرَقِدِ وَمَقْبَرَةٌ عَسْقَلَانَ. وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ قَالَ نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ يَعْنِي مَقْبَرَةَ الْمَدِينَةِ كَقَبَةِ مَحْفُوفَةَ بِالنَّخِيلِ مُوَكَّلٌ بِهَا مَلَائِكَةٌ كُلَّمَا امْتَلَأَتْ أَخَذُوهَا فَكَفَّفُوهَا فِي الْجَنَّةِ. وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي الْبَيْعِ فَيُخَشِرُونَ مَعِيَ ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُخَشِرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ. قَالَ الطَّبِيُّ الْحَشْرُ هُنَا الْجَمْعُ.

الفصل الثالث

فِي تَفْضِيلِهِ فِي الْآخِرَةِ بِفَضَائِلِ الْأَوْلِيَّاتِ وَانْفِرَادِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ

بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَرْقِيهِ فِي الْجَنَّاتِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَالِكَ بِشَرَائِفِ الْكِرَامَاتِ

اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَدءِ بِأَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَأَوْلَهُمْ فِي الْإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الدَّرُيَوْمِ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] جَعَلَهُ فِي الْعَوْدِ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشْفَعٍ وَأَوَّلَ مَنْ يُؤَدُّ لَهُ بِالسُّجُودِ وَأَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْخَلْقِ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَيْهِ إِذْ ذَاكَ وَأَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ يُفْضَى بَيْنَ أُمَّتِهِ وَأَوْلَهُمْ إِجَارَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ بِأُمَّتِهِ وَأَوَّلَ دَاخِلٍ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُمَّتُهُ أَوَّلَ الْأُمَّمِ دُخُولًا إِلَيْهَا وَزَادَهُ مِنْ لَطَائِفِ الشَّحْفِ وَنَفَائِسِ الطَّرْفِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُعَدُّ.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُبْعَثُ رَاكِبًا وَتُخَصِّصُ لَهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَلِيَوَاءِ الْحَمْدِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَاخْتِصَاصُهُ أَيْضًا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى أَمَامَ الْعَرْشِ وَمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سُجُودِهِ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْتَحُهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا يَفْتَحُهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ زِيَادَةً فِي

كَرَامَتِهِ وَفَرْبِهِ وَكَلَامُ اللَّهِ لَهُ يَا مُحَمَّدُ اذْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ وَلَا كَرَامَةً فَوْقَ هَذَا إِلَّا النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى . وَمِنْ ذَلِكَ تَكَرُّرُهُ الشَّفَاعَةَ وَسُجُودُهُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَتَجْدِيدُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ يَا مُحَمَّدُ اذْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيَامُهُ عَنِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَشَهَادَتُهُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَّهِمْ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوهُمْ وَسُؤَالُهُمْ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لِيُرِيحَهُمْ مِنْ غَمِّهِمْ وَعَرَقِهِمْ وَطُولِ وَقُوفِهِمْ وَشَفَاعَتُهُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ .

وَمِنْهَا : الْحَوْضُ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْقِفِ أَكْثَرُ أَوَائِي مِنْهُ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ ، وَمِنْهَا : أَنَّهُ يَشْفَعُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ لَا تَبْلُغُهَا أَعْمَالُهُمْ وَهُوَ صَاحِبُ الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ جَلَالَةً وَتَعْظِيمًا وَتَبَجِيلًا وَتَكْرِيمًا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْمَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] فَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَوْلِيَّةِ انْشِقَاقِ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ عَنْهُ فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوْلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرَ وَأَوْلُ شَافِعٍ وَأَوْلُ مُشْفَعٍ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِقَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِقَائِي وَأَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ أَبِي أَهْلُ الْبَقِيْعِ فَيُنْحَشِرُونَ مَعِيَ ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَمَعْنَى نُحْشَرَ نَجْتَمِعُ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ النَّاسُ حِينِ يَضَعُونَ أَوْلُ مَنْ قَامَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَذْرِي أَكَانَ فَيَمْنُ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ يَمْنُ اسْتَنْتَنِي اللَّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالْمُرَادُ بِالصَّعِقِ غَشِيٌّ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتًا أَوْ رَأَى شَيْئًا فَرِعَ مِنْهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بَعُثُوا وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَقَدُوا وَأَنَا خَطِيْبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُجِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا

الكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْتُونٌ أَوْ لَوْلُؤُ مَثُورٌ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ . وَفِي حَدِيثِ رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ حَادِي الْأَزْوَاجِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِلَالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْعَثُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِّ وَأُبْعَثُ عَلَى الْبُرَاقِ وَيُبْعَثُ بِلَالٌ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ مَحْضًا وَبِالشَّهَادَةِ حَقًّا حَتَّى إِذَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا سَمِعَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ وَيُحْشَرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ وَيُحْشَرُ ابْنَا فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَتِي الْعَضْبَاءِ وَالْقَضْوَاءِ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَعْبٌ مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحْفُونَ بِالقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفُونَ بِالقَبْرِ وَيَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ حَتَّى إِذَا انشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُوقِرُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي تَوَادِرِ الْأُصُولِ لِلْحَكِيمِ التُّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَمِينُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَشِمَالُهُ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ هَكَذَا تُنْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي رَوَاهُ التُّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ كَعْبِ حُلَّةٍ خَضْرَاءَ . وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيِّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يُؤْتَى بِبِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَفِيهِ أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ وَرَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شُرْبَةً لَا يَظْمَأُ أَبَدًا وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَرَوَايَاهُ سِوَاهُ طَوَّلُهُ كَعَرْضِهِ وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ وَلَمْ يَسْوَدْ وَجْهَهُ أَبَدًا وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَزُوَ أَبَدًا . وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ عِنْدَ

التُّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرُودًا فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكْرَةِ
ذَهَبَ صَاحِبُ الثُّبُوتِ وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصَّرَاطِ وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَنَّ الْحَوْضَ يَشْحُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ . وَعَنْ
أَنَسٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَنَا فَاعِلٌ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ قُلْتُ فَأَيَّنَ أَطْلُبُكَ قَالَ أَوَّلُ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصَّرَاطِ
قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا
أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مَوَاطِنَ رَوَاهُ التُّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَفْهِمِ مِمَّا يَجِبُ عَلَى
كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ حَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْحَوْضِ الْمَصْرُوحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَخْضُلُ
بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ إِذْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيْفٌ عَلَى
الثَّلَاثِينَ مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعِشْرِينَ وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ كَمَا صَحَّ تَقْلُدهُ
وَاشْتَهَرَتْ رِوَايَتُهُ ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالَهُمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ أضعَافُ
أضعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا وَاجْتَمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السُّلْفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلْفِ .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَرِدُ عَلَيَّ
أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَدُودُ النَّاسِ عَنْهُ كَمَا يَدُودُ الرَّجُلُ عَنْ إِبِلِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَعْرِفُنَا قَالَ
نَعَمْ لَكُمْ سِيمًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . وَفِي حَدِيثِ
أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَوْضِي أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ الْأَوَّلُ بَيْدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَالثَّانِي
بَيْدُ عُمَرَ الْفَارُوقِ وَالثَّلَاثُ بَيْدُ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ وَالرَّابِعُ بَيْدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَمَنْ كَانَ
مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ مُبْغِضًا لِعُمَرَ لَا يَسْقِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِعَلِيِّ مُبْغِضًا لِعُثْمَانَ لَا يَسْقِيهِ
عَلِيٌّ رَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ .

(وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشُّقَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ) فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ عَسَى
مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَقْوَالٍ أَوْلَاهَا وَرَجَّحَهُ الْفَخْرُ
الرَّازِيُّ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ كَمَا قَالَهُ الْوَالِدِيُّ أَنَّهُ مَقَامُ الشُّقَاعَةِ وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ
فِي تَفْهِيمِ هَذَا الْمَعْنَى كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سُبِّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فَقَالَ هُوَ الشُّقَاعَةُ وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنَى أَيِّ جَمَاعَاتٍ كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ لَنَا حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَيَّ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا الدَّعَاءَ الْمَشْهُورُ وَابْتَعَثَهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغِيظُهُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ.

الْقَوْلُ الثَّانِي قَالَ حُذَيْفَةُ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ فَأَوْلُ مَدْعُو مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لِنَبِيِّكَ وَسَعْدَيْنِكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبِّ النَّبِيِّ قَالَ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ قَالَ ابْنُ مَنذُوحٍ حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِهِ وَثِقَةٍ رِجَالِهِ، الْقَوْلُ الثَّلَاثُ مَقَامٌ تُحَمَّدُ عَاقِبَتُهُ. الْقَوْلُ الرَّابِعُ هُوَ إِجْلَاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْعَرْشِ وَقِيلَ عَلَى الْكُرْسِيِّ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ يُفْعِدُ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكُرْسِيِّ.

وَاخْتَلَفَ فِي فَاعِلِ الْحَمْدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فَالْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظِ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ. فَإِنْ قُلْتَ إِذَا قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةَ فَأَيُّ شَفَاعَةٍ هِيَ فَالْجَوَابُ إِنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوْعَانِ: النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْعَامَّةُ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ وَالثَّانِي: فِي الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ لَكِنَّ الَّذِي يَتَّجِهُ رُءُوسُهُ إِلَى الْأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ لَوَاءَ الْحَمْدِ وَثَنَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ وَكَلَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجُلُوسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ فَمِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَ مَجْمُوعُهَا الثَّرَاثُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأُخْرَتِي وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي فِيهِمْ شَفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَسَ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لِأُمَّتِي وَهَذَا مِنْ مَزِيدِ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَحُسْنِ نَصْرِهِ حَيْثُ جَعَلَ دَعْوَتَهُ الْمَجَابَةَ فِي أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِنَا جَزَاءً اللَّهُ عَنَّا

أَحْسَنَ الْجَزَاءِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ قَلْبُهُ . وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَذَرُونَ مِنِّي ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوْلِيَيْنَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَذْنُو الشَّمْسُ مِنِّي جَمَاجِمِ النَّاسِ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَيَّ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَيَّ رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضِ آبَائِكُمْ يَا آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنْتَكَ الْجَنَّةَ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا .

فَقَالَ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحُ فَيَأْتُونَ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَلَا تَرَى إِلَيَّ مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَيَّ مَا بَلَغْنَا أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ .

فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي كُنْتُ كَذِبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فَذَكَرَهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَيَّ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلِمَتُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ أَلَا تَرَى إِلَيَّ مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ .

فَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ

وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ
فِيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ
غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي
تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ
يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ اشْفَعُ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي
فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ
الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ الْحَدِيثِ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ بَعْدَ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الْأُمَّمِ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ فِيهِ السِّيَاقُ حَذَفَ وَفِي مُسْنَدِ
الْبَزَّارِ قَائِلُ يَا رَبِّ عَجَّلْ عَلَيَّ الْخَلْقَ الْحِسَابَ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ حُدَيْفَةَ أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ وَمَعْنَاهُ لَمْ أَكُنْ فِي
التَّقْرِيبِ وَالْإِدْلَالِ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ وَقَوْلُهُ مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِأَنَّهُ حَصَلَتْ لَهُ الرُّؤْيَةُ وَالسَّمَاعُ بِلَا وَاسِطَةٍ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَذَبَاتِ الثَّلَاثِ فَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ
الْحَقُّ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ لِكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ الْكَذِبِ أَشْفَقَ مِنْهَا
اسْتَفْصَارًا لِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِاللَّهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنَزِلَةٌ كَانَ أَعْظَمَ حَوْفًا .
وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عِيْسَى إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ إِنِّي
أَتَّخَذْتُ إِلَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

وَفِي حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي
لِقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي عِنْدَ الصَّرَاطِ إِذْ جَاءَ عِيْسَى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ
لِتَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَّمِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ لِعُظْمِ مَا هُمْ فِيهِ فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرُّوَايَةُ تَعْيِينَ
مَوْقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَئِذٍ وَأَنَّ هَذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلُّهُ
يَقَعُ عِنْدَ نَصْبِ الصَّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَأَنَّ عِيْسَى هُوَ الَّذِي يُخَاطَبُ نَبِيِّنَا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَهُ فِي ذَلِكَ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ يَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْتَ فَتَحَ اللَّهُ
بِكَ وَخَتَمَ بِكَ وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَجِئْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَتَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ
فَقُمْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ أَنَا صَاحِبُكُمْ فَيَجُوسُ النَّاسُ أَيَّ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ

الْجَنَّةَ، وَفِي حَدِيثِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلى رَفَعَهُ فَأَسْجُدَ لَهُ سَعْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي ثُمَّ أَمْتَدَحُهُ بِمِدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ فَأَقُولُ أَيُّ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ أَخْرَجَ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ ثُمَّ حَبَّةٌ خَزْدَلٍ أَيُّ مِنْ إِيْمَانٍ. قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّفَاعَاتُ خُمْسٌ: الْأُولَى: فِي الْإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ. الثَّانِيَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ. الثَّلَاثَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ أَنْ لَا يُعَذَّبُوا. الرَّابِعَةُ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أَدْخَلَ النَّارَ مِنَ الْعُصَاةِ. الْخَامِسَةُ: فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ ا هـ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَدَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدْرَةٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَأَقُومُ وَتَتَّبِعُنِي أُمَّتِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا وَتَقُولُ الْأُمَمُ كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلِّهَا.

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كُنْتُ وَأَقْفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ وَدَعْوَى الرَّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَغْلَمُ قَدَرَ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَتَخَطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوتَبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَزْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالسَّعْدَانُ نَبَاتٌ دُو شَوْكٍ وَيُوتَبِقُ يَهْلِكُ وَيُخَزْدَلُ يُضْرَعُ، وَفِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَنَبِيِّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَفِي حَدِيثِ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فَإِذَا عَصَفَ الصِّرَاطُ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادُوا وَامْحَمِّدَاهُ وَامْحَمِّدَاهُ فَيُبَادِرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مِنْ شِدَّةِ إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِحُجْرَتِهِ وَالْحُجْرَةُ مَعْقَدُ الْإِزَارِ فَيُنَادِي رَافِعًا صَوْتَهُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَلَا فَاطِمَةَ ابْنَتِي وَالْمَلَائِكَةُ قِيَامٌ عَنْ يَمِينِ الصِّرَاطِ وَيَسَارِهِ يُنَادُونَ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَقَدْ عَظُمَتْ

الْأَهْوَالِ وَاشْتَدَّتْ الْأَوْجَالُ وَالْعَصَاةُ يَتَسَاقَطُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشُّمَالِ وَالرَّبَائِيَةَ يَتَلَقَّوْنَهُمْ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَيُنَادُونَهُمْ أَمَا نُهَيْبُكُمْ عَنْ كَسْبِ الْأَوْزَارِ أَمَا أَنْذَرْتُمْ كُلَّ الْإِنْدَارِ أَمَا جَاءَكُمْ
النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ.

وَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا
وَأُمَّةً أُمَّةً وَيُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيُنَادَى أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ فَيَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتَّبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الصُّرَاطِ طَمَسَ اللَّهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ
فَيَتَهَاقَتُونَ فِي النَّارِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيَمْضِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ
فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ عَلَى يَمِينِكَ عَلَى شِمَالِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ
فَيُوضَعُ لَهُ كُرْسِيُّ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يَتَّبَعُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِهِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(وَأَمَّا تَفْصِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا)
فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَبِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتِيحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أَمِرْتُ أَنْ
لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَرَأَى الطَّبْرَانِيُّ فَيَقُومُ الْخَازِنُ وَيَقُولُ لَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ. وَعَنْ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ
وَلَا فَخْرَ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِيَوْمِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ إِلَّا تَحْتَ
لِيَوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ قَالَ فَيَفْرَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَرَاعَاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ
فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ قَالَ أَنَسٌ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَخَذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقْعَقِعُهَا فَيَقَالُ مَنْ هَذَا فَيَقَالُ مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي
وَيُرْحَبُونَ بِي فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا فَأَخْرُ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيَقَالُ ازْفَعْ رَأْسَكَ
الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ.

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فَيَمْنَنُ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ
فِي الدُّخُولِ فَيَقْصِدُونَ آدَمَ ثُمَّ نُوحًا ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ عِيسَى ثُمَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَمَا فَعَلُوا عِنْدَ الْعَرَصَاتِ عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ لِيُظْهَرَ

شَرَفَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قَالَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخَرُ مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَةً تَكْلِيمًا وَقَالَ آخَرُ فَعِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَقَالَ آخَرُ فَأَدَمُ اضْطَفَاهُ اللَّهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى كَلِيمًا وَهُوَ كَذَلِكَ وَعِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَأَدَمُ اضْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِيَوَائِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ خَلْقَ الْجَنَّةِ فَيُنْتَحَى اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيئُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وَقَائِدُهُمْ إِذَا وَقَدُوا وَشَافِعُهُمْ إِذَا حُسِبُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَبَسُوا لِيَوَاءِ الْحَمْدِ بِيَدِي وَمَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّبْهَيْيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

فَهَلِيزِ الْأُمَّةُ أَسْبَقُ الْأُمَّمِ خُرُوجًا مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْمَوْقِفِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى فَضْلِ الْقَضَاءِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ وَهِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَيْنِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ - ٤٠] قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتُمْ ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْتُمْ ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفِي حَدِيثِ بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَّمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي.

وَرَوَى ابْنُ شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا بِي

جَبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي. وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَ بَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ. وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نِعَمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي فَقَالُوا فَكَيْفَ أَنْتَ لِخِيَارِهَا فَقَالَ أَمَّا خِيَارُهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمَّا شِرَارُ أُمَّتِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَشْفَقَهُ عَلَى أُمَّتِهِ.

(وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ بِالْكَوْثَرِ) فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسِ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا قُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ آيَةً سُوْرَةَ فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثُمَّ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا هُوَ الْكَوْثَرُ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثُ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ أَتَيْتُ عَلَى نَهْرِ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَى بِهِ جَبْرِيلُ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرِ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ فَذَهَبَ يَشْمُ ثُرَابَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ قَالَ يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا النَّهْرُ قَالَ الْكَوْثَرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قَالَتْ نَهْرٌ أَعْطِيَهُ نَبِيِّكُمْ فِي الْجَنَّةِ شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَوْلُهُ شَاطِئَاهُ أَيُّ حَافَتَاهُ وَقَوْلُهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ أَيُّ الْقِيَابِ الَّتِي عَلَى جَوَائِبِهِ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِلَفْظٍ قَالَتْ نَهْرٌ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ قُلْتُ وَمَا بَطْنَانُ الْجَنَّةِ قَالَتْ وَسَطُهَا حَافَتَاهُ قُصُورُ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ ثُرَابُهُ الْمِسْكُ وَحَضْبَاؤُهُ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ. وَعَنْ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْمَاءِ يَجْرِي عَلَى اللَّوْلُؤِ وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ يَغْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِيهِ طَيْرٌ أَغْنَاهَا كَأَغْنَاكِ الْبُخْتِ أَوْ أَغْنَاكِ الْجُزْرِ قَالَ عُمَرُ إِنَّهَا لَتَأَعِمَّةٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ وَالبُخْتُ نَوْعٌ مِنَ الإِبِلِ وَالجُزْرُ جَمْعُ جَزُورٍ وَهُوَ البَعِيرُ، وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ قَدْ تَوَاتَرَ يَغْنِي حَدِيثَ الْكَوْثَرِ مِنْ طَرِيقِ تَيْفِيدِ القَطْعِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَيْمَةِ الحَدِيثِ وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الحَوْضِ . (وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالفَضِيلَةِ) فَروى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمْ المُوَذَّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ . قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ الوَسِيلَةُ عَلَّمَ عَلَى أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ أَقْرَبُ أَمْكِنَةِ الْجَنَّةِ إِلَى العَرْشِ . وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ الخَلْقِ عُبودِيَّةً لِرَبِّهِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ مَحَبَّةً كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَقْرَبَ المَنَازِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْأَلُوهَا لَهُ لِيَتَأَلَّوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ الزُّلْفَى وَزِيَادَةَ الإِيمَانِ وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهَا لَهُ بِأسْبَابٍ مِنْهَا دُعَاءُ أُمَّتِهِ لَهُ بِهَا بِمَا نَالُوهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الِهُدَى وَالإِيمَانِ .

وَأَمَّا الفَضِيلَةُ فَهِيَ المَرْتَبَةُ الزَّائِدَةُ عَلى سَائِرِ الخَلَائِقِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَةً أُخْرَى، وَروى ابْنُ مَرْذُوقٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوا لِي الوَسِيلَةَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَسْكُنُ مَعَكَ قَالَ عَلِيُّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ . وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَوْلُوتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ وَالأُخْرَى صَفْرَاءُ فَأَمَّا البَيْضَاءُ فَإِنَّهَا إِلَى بَطْنَانِ العَرْشِ وَالمَقَامِ المَحْمُودِ مِنَ اللُّؤلُؤَةِ البَيْضَاءِ سَبْعُونَ أَلْفَ عُرْفَةٍ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ وَعُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَسْرُتُهَا وَسُكَّانُهَا مِنْ عِزِّي أَيْ أَضَلِّ وَاحِدٍ وَاسْمُهَا الوَسِيلَةُ هِيَ لِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَالصَّفْرَاءُ فِيهَا مِثْلُ ذَلِكَ هِيَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] قَالَ أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرِ فِي كُلِّ قَصْرِ مَا يَبْغِي لَهُ مِنَ الأَرْوَاجِ وَالخَدَمِ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ .

الخاتمة

قَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، رُئِيَتْ امْرَأَةٌ مُسْرِفَةٌ عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا فَقِيلَ لَهَا فَعَلَّ اللَّهُ بِكَ قَالَتْ عَفَرَ لِي قَيْلٌ لَهَا بِمَاذَا قَالَتْ بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْظُرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بِهِمُ﴾ [الرعد: ٢٩] وَطُوبَى اسْمُ شَجَرَةٍ غَرَسَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ أَيُّ قُدْرَتِهِ تُنْبِئُ الْحَلِيَّ وَالْحَلَلَّ وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُتْرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ أَضْلَهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غَضَنٌ فَمَا مِنْ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّاتِ إِلَّا وَفِيهَا مِنْ شَجَرَةٍ طُوبَى لِيَكُونَ سِرٌّ كُلِّ نَعِيمٍ وَنَصِيبٌ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ سِرِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَأَ الْجَنَّةَ فَلَا وَلِيٍّ يَتَنَعَّمُ فِي جَنَّتِهِ إِلَّا وَالرُّسُولُ مُتَنَعِّمٌ بِنِعْمَتِهِ لِأَنَّ الْوَلِيَّ مَا وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِهَذَا كَانَ سِرُّ الثُّبُوتِ قَائِمًا بِهِ فِي تَنَعُّمِهِ وَكَذَلِكَ إِبْلِيسُ مَلَأَ النَّارَ فَلَا عَذَابَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا وَإِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ سِرُّ تَعْدِيْبِهِ وَمُشَارِكُ لَهُ فِيهِ.

وَفِي الْبَحْرِ لِأَبِي حَيَّانَ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] قِيلَ هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَجِّرُ إِلَى دُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ أَغْظَمَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ الْقُوْزِ بِكَرَامَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْجَنَّاتِ وَمَا فِيهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمْرَ أَجَلٌ مِمَّا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ فِي حَيَالٍ وَلَا سِيَّمًا عِنْدَ قُوْزِ الْمُحِبِّينَ فِي رَوْضَةِ الْأَنْسِ وَحَظِيرَةِ الْقُدْسِ بِمَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ

مَطْلُوبِهِمْ فَأَيُّ نَعِيمٍ وَأَيُّ لَذَّةٍ وَأَيُّ قُرَّةِ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوْزٍ يُدَانِي تِلْكَ الْمَعِيَّةَ وَلَدَّتْهَا وَقُرَّةُ الْعَيْنِ بِهَا
وَهَلْ فَوْقَ نَعِيمِ قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَعِيمٌ.

فَلَا شَيْءَ وَاللَّهِ أَجَلٌ وَلَا أَكْمَلٌ وَلَا أَجْمَلٌ وَلَا أَجَلِي وَلَا أَخْلَى وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْلَى مِنْ
حَضْرَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُحِبُّ بِأَخْبَابِهِ فِي مَشْهَدٍ مَشَاهِدِ الْإِكْرَامِ حَيْثُ يَتَجَلَّى لَهُمْ حَبِيبُهُمْ
وَمَعْبُودُهُمْ الْإِلَهُ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ خَلْفَ حِجَابٍ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ اللَّطِيفِ فَيَنْفَهُقُ عَلَيْهِمْ
نُورٌ يَسْرِي فِي دَوَاتِهِمْ فَيَبْهَتُونَ مِنْ جَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَتُشْرِقُ دَوَاتُهُمْ بِنُورِ ذَلِكَ الْجَمَالِ
الْأَقْدَسِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيُخْرُونَ
سُجَّدًا فَيَقُولُ لَهُمْ ازْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ سُجُودِ يَا عِبَادِي مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَّا لَتَتَمَتُّعُوا
بِمُشَاهَدَتِي يَا عِبَادِي قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا فَمَا أَخْلَاهَا مِنْ كَلِمَةٍ وَمَا أَلَدَّهَا
مِنْ بَشَرِي فَعِنْدَهَا يَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَأَحْلَنَّا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٥] ﴿وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾
[الزمر: ٧٤] ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَجْرٌ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

الفهرس

٦٠ أمر الحُدَيْبِيَّة	٣ بسم الله الرحمن الرحيم
٦٣ غزوة خيبر	٨ المقصد الأول
٦٤ غزوة وادي القُرى	٤١ غزوة وَدَّانَ
٦٥ عمرة القضاء	٤١ غزوة بَوَاطِ
٦٩ فتح مكة المُشْرِفة	٤٢ غزوة العُشَيْرَة
٧٥ غزوة حُثَيْن	٤٢ غزوة بدر الأولى
٧٨ غزوة الطائف	٤٢ سرية أمير المؤمنين عبدالله بن جحش
٨١ قصة كعب بن زُهَير مع النبي ﷺ	٤٢ غزوة بدر الكبرى
٨٢ غزوة تبوك	٤٥ غزوة قرقرة الكُذْر
٨٨ المقصد الثاني	٤٥ غزوة بني قينقاع
 الفصل الأول: في ذكر أسمائه	٤٦ غزوة السَّوِيْق
٨٨ الشريفة ﷺ	٤٧ غزوة غطفان
 الفصل الثاني: في ذكر أولاده الكرام	٤٧ غزوة بُحْرَانَ
٩٤ عليه وعليهم الصلاة والسلام	٤٨ غزوة أُحُد
 الفصل الثالث: في ذكر أزواجه	٥١ غزوة حمراء الأسد
٩٦ الطاهرات وسراريه المطهرات ﷺ	٥٢ غزوة بني النضير
 الفصل الرابع: في أعمامه وعماته	٥٣ غزوة ذات الرِّقَاع
١٠٣ وإخوته من الرضاعة وجداته ﷺ	٥٣ غزوة بدر الأخيرة
 الفصل الخامس: في خدمه وحرسه	٥٣ غزوة دُومَة الجَنْدَل
 ومواليه ومن كان على نفقاته	٥٤ غزوة المَرْيَسِيْع
 وخاتمته ونعله وسواكه ومن يأذن	٥٤ غزوة الحَنْدُق
 عليه ومن كان يضرب الأعناق بين	٥٦ غزوة بني قُرَيْظَة
١٠٦ يديه ﷺ	٥٧ غزوة بني لِحْيَان
 الفصل السادس: في أمرائه ورسله	٥٨ غزوة الغابة

وكتابه وكتبه ﷺ إلى الملوك وغيرهم ١٠٧	وكتابه وكتبه ﷺ إلى الملوك وغيرهم ١٠٧
الفصل السابع: في مؤذنيه وحداته وشعرائه وخطيبه ﷺ ١١٣	الفصل السابع: في مؤذنيه وحداته وشعرائه وخطيبه ﷺ ١١٣
الفصل الثامن: في آلات حروبه ﷺ كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه ١١٣	الفصل الثامن: في آلات حروبه ﷺ كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه ١١٣
الفصل التاسع: في ذكر خيله ولقاحه ودوابه ﷺ ١١٤	الفصل التاسع: في ذكر خيله ولقاحه ودوابه ﷺ ١١٤
الفصل العاشر: في ذكر من وفد عليه ﷺ ١١٥	الفصل العاشر: في ذكر من وفد عليه ﷺ ١١٥
المقصد الثالث: فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وأخلاقه الزكية وأوصافه المرضية وما تدعو ضرورة حياته إليه وهو يشتمل على شمائله الشريفة ﷺ ١٢٦	المقصد الثالث: فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وأخلاقه الزكية وأوصافه المرضية وما تدعو ضرورة حياته إليه وهو يشتمل على شمائله الشريفة ﷺ ١٢٦
الفصل الأول: في كمال خلقته وجمال صورته ﷺ ١٢٦	الفصل الأول: في كمال خلقته وجمال صورته ﷺ ١٢٦
الفصل الثاني: فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية ﷺ ١٤٢	الفصل الثاني: فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية ﷺ ١٤٢
الفصل الثالث: فيما تدعو ضرورته إليه ﷺ من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك وفيه أربعة أنواع . ١٥٤	الفصل الثالث: فيما تدعو ضرورته إليه ﷺ من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك وفيه أربعة أنواع . ١٥٤
النوع الأول: في عيشه ﷺ في المأكل والمشرب ١٥٤	النوع الأول: في عيشه ﷺ في المأكل والمشرب ١٥٤
النوع الثاني: في لباسه وفراشه ﷺ .. ١٦٢	النوع الثاني: في لباسه وفراشه ﷺ .. ١٦٢
النوع الثالث: في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه ١٦٨	النوع الثالث: في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه ١٦٨
النوع الرابع: في نومه ﷺ ١٦٩	النوع الرابع: في نومه ﷺ ١٦٩
المقصد الرابع: في معجزاته عليه الصلاة والسلام الدالة على ثبوت	المقصد الرابع: في معجزاته عليه الصلاة والسلام الدالة على ثبوت
نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان ١٧٠	نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان ١٧٠
الفصل الأول: في معجزاته ﷺ ١٧٠	الفصل الأول: في معجزاته ﷺ ١٧٠
الفصل الثاني: فيما خصه الله تعالى به ﷺ من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات اليبينات ١٩٢	الفصل الثاني: فيما خصه الله تعالى به ﷺ من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات اليبينات ١٩٢
المقصد الخامس: في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والإسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة الكبرى ٢١٥	المقصد الخامس: في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والإسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة الكبرى ٢١٥
المقصد السادس ٢٢٩	المقصد السادس ٢٢٩
النوع الأول: في آيات تتضمن عظم قدره ورفعته ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته ﷺ ٢٢٩	النوع الأول: في آيات تتضمن عظم قدره ورفعته ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته ﷺ ٢٢٩
النوع الثاني: في أخذ الميثاق له ﷺ على النبيين ليؤمننّ به إن أدركوه ولينصرنه ٢٣٤	النوع الثاني: في أخذ الميثاق له ﷺ على النبيين ليؤمننّ به إن أدركوه ولينصرنه ٢٣٤
النوع الثالث: في وصفه تعالى عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة ٢٣٥	النوع الثالث: في وصفه تعالى عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة ٢٣٥
النوع الرابع ٢٤١	النوع الرابع ٢٤١
النوع الخامس: في آيات تتضمن إقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما أوحى إليه من آياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وفيه خمسة فصول ٢٤٧	النوع الخامس: في آيات تتضمن إقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما أوحى إليه من آياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وفيه خمسة فصول ٢٤٧
الفصل الأول: في قسمه تعالى على	الفصل الأول: في قسمه تعالى على

٢٧٤	والتسليم عليه ﷺ	٢٤٧	ما خصه به من الخلق العظيم والفضل العميم
	الفصل الثالث: في ذكر محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وآله وقرابته وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين	٢٤٨	الفصل الثاني: في قسمه تعالى على العلي لديه
٢٨٢	المقصد الثامن: في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات	٢٤٨	الفصل الثالث: في قسمه تعالى على تصديقه وتنزيهه عن الهوى في نطقه
٢٨٩	الفصل الأول: في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات	٢٥١	الفصل الرابع: في قسمه تعالى على تحقيق رسالته ﷺ
٢٨٩	النوع الأول: في طبه ﷺ بالأدوية الإلهية	٢٥١	الفصل الخامس: في قسمه بحياته ﷺ وعصره وبلده
٢٩٢	النوع الثاني: في طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية	٢٥١	النوع السادس: في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير
٣٠٠	النوع الثالث: في طبه ﷺ بالأدوية المركبة من الإلهية الطبيعية	٢٥٣	النوع السابع: في آيات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته ﷺ
٣٠٤	الفصل الثاني: في تعبيره ﷺ الرؤيا	٢٥٤	النوع الثامن: فيما يتضمن الأدب معه ﷺ
٣٠٦	الفصل الثاني: في إنبائه ﷺ بالأنباء المغيبات	٢٥٦	النوع التاسع: في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه ﷺ ترفيحاً لشأنه
٣١٠	القسم الثاني: فيما أخبر به من الغيوب سوى ما في القرآن العزيز فكان كما أخبر به في حياته وبعد مماته ﷺ	٢٦٠	النوع العاشر
٣١٣	المقصد التاسع: في فوائد لطيفة من لطائف عباداته ﷺ		المقصد السابع: في وجوب محبته واتباع سنته والافتداء بهديه وفرض محبة آله وأصحابه وحكم الصلاة والتسليم عليه ﷺ وفيه ثلاثة فصول
٣١٩	النوع الثاني: في الطهارة وفيه ستة فصول	٢٦٦	الفصل الأول: في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه
٣١٩	الفصل الأول: في ذكر وضوئه وسواكه ومقدار وضوئه ﷺ	٢٦٦	الفصل الثاني: في حكم الصلاة مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثاً ثلاثاً

٣٢٩ ...	الفرع الثامن: في ذكر ركوعه ﷺ	٣٢٠	الفصل الثالث: في صفة وضوئه ﷺ
	الفرع التاسع: في ذكر مقدار		الفصل الرابع: في مسحه ﷺ على
٣٢٩	ركوعه ﷺ	٣٢١	الخفين
	الفرع العاشر: فيما كان ﷺ يقوله في	٣٢٢	الفصل الخامس: في تيممه ﷺ
٣٢٩	الركوع والرفع منه	٣٢٢	الفصل السادس: في غسله ﷺ
	الفرع الحادي عشر: في ذكر صفة		النوع الثاني: في ذكر صلاته ﷺ وفيه
٣٣٠	سجوده ﷺ وما يقول فيه	٣٢٣	خمسة أقسام
	الفرع الثاني عشر: في ذكر		القسم الأول: في الفرائض وما يتعلق
٣٣١	جلوسه ﷺ للشهد	٣٢٣	بها وفيه خمسة أبواب
	الفرع الثالث عشر: في ذكر		الباب الأول: في الصلوات الخمس
٣٣١	تشهده ﷺ	٣٢٣	وفيه خمسة فصول
	الفرع الرابع عشر: في ذكر	٣٢٣	الفصل الأول: في فروضها
	تسليمه ﷺ من الصلاة ويتبع ذلك		الفصل الثاني: في الأوقات التي صلى
	جملة أحاديث تتعلق بحال	٣٢٤	فيها الصلوات الخمس
٣٣٢	صلاته ﷺ		الفصل الثالث: في كيفية صلاته ﷺ
	الفرع الخامس عشر: في ذكر	٣٢٥	وفيه خمسة عشر فرعاً
٣٣٣ ...	قنوته ﷺ أي دعائه في الصلاة	٣٢٥ ...	الفرع الأول: في صفة افتتاحه ﷺ
	الفصل الرابع: في سجوده ﷺ للسهو		الفرع الثاني: في ذكر قراءته ﷺ
٣٣٣	في الصلاة	٣٢٦	البسملة في أول الفاتحة
	الفصل الخامس: فيما كان ﷺ يقوله		الفرع الثالث: في ذكر قراءته ﷺ
	بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه	٣٢٦	الفاتحة وقوله آمين بعدها
٣٣٤	بعدها وسرعة انفتاله بعدها		الفرع الرابع: في ذكر قراءته ﷺ بعد
	الباب الثاني: في ذكر صلاته ﷺ	٣٢٦	الفاتحة في صلاة الصبح
٣٣٥	الجمعة		الفرع الخامس: في ذكر قراءته ﷺ
٣٣٨	الباب الثالث: في تهجده ﷺ	٣٢٧	في صلاتي الظهر والعصر
٣٤٣ ...	الباب الرابع: في صلاته ﷺ الوتر		الفرع السادس: في ذكر قراءته ﷺ
	الباب الخامس: في ذكر صلاته ﷺ	٣٢٧	في صلاة المغرب
٣٤٤	الضحى		الفرع السابع: في ذكر ما كان ﷺ
	القسم الثاني: في صلاته ﷺ النوافل		يقرؤه في صلاة العشاء ويتبع ذلك
٣٤٤	وأحكامها وفيه بابان		جملة أحاديث تتعلق بقراءته في
	الباب الأول: في النوافل المقرونة	٣٢٨	الصلاة مطلقاً

السفر وفيه أربعة فصول ٣٥٥	بالأوقات وفيه فصلان ٣٤٤
الفصل الأول: في قصره ﷺ الصلاة	الفصل الأول: في رواتب الصلوات
فيه وفيه فرعان ٣٥٥	الخمسة والجمعة وفيه سبعة فروع ٣٤٤
الفرع الأول: في كم كان عليه الصلاة	الفرع الأول: في أحاديث جامعة
والسلام يقصر الصلاة ٣٥٥	لرواتب مشتركة ٣٤٤
الفرع الثاني: في القصر مع الإقامة .. ٣٥٥	الفرع الثاني: في ركعتي الفجر ٣٤٥
الفصل الثاني: في الجمع وفيه فرعان ٣٥٥	الفرع الثالث: في راتبة الظهر ٣٤٥
الفرع الأول: في جمعه ﷺ بين	الفرع الرابع: في سنة العصر ٣٤٦
الظهرين وبين العشاءين ٣٥٥	الفرع الخامس: في راتبة المغرب ٣٤٦
الفرع الثاني: في جمعه ﷺ بجمع أي	الفرع السادس: في راتبة العشاء ٣٤٦
بمزدلفة ٣٥٦	الفرع السابع: في راتبة الجمعة ٣٤٧
الفصل الثالث: في صلاته ﷺ	الفصل الثاني: في صلاته ﷺ
النوافل في السفر ٣٥٦	العديد وفيه سبعة فروع ٣٤٧
الفصل الرابع: في صلاته ﷺ التطوع	الفرع الأول: في عدد الركعات ٣٤٧
في السفر على الدابة ٣٥٦	الفرع الثاني: في عدد التكبير ٣٤٧
القسم الرابع: في ذكر صلاته ﷺ	الفرع الثالث: في الوقت والمكان ... ٣٤٨
صلاة الخوف ٣٥٧	الفرع الرابع: في الأذان والإقامة ٣٤٨
القسم الخامس: في ذكر صلاته ﷺ	الفرع الخامس: في القراءة ٣٤٨
على الجنائز وفيه أربعة فروع ٣٥٧	الفرع السادس: في الخطبة ٣٤٨
الفرع الأول: في عدد التكبيرات ٣٥٧	الفرع السابع: في أكله ﷺ يوم الفطر
الفرع الثاني: في القراءة والدعاء ٣٥٧	قبل خروجه إلى الصلاة ٣٤٩
الفرع الثالث: في صلاته ﷺ على	الباب الثاني: في النوافل المقرونة
القبر ٣٥٨	بالأسباب وفيه أربعة فصول ٣٥٠
الفرع الرابع: في صلاته ﷺ على	الفصل الأول: في صلاته ﷺ
الغائب ٣٥٨	الكسوف ٣٥٠
النوع الثالث: في ذكر سيرته ﷺ في	الفصل الثاني: في صلاته ﷺ صلاة
الزكاة ٣٥٨	الاستسقاء ٣٥١
النوع الرابع: في ذكر صيامه ﷺ	الفصل الثالث: فيه دعاء للاستسقاء .. ٣٥٤
والكلام فيه على قسمين ٣٥٩	الفصل الرابع: في الاستسقاء بقبر
القسم الأول: في صيامه ﷺ شهر	النبي ﷺ ٣٥٤
رمضان وفيه عشرة فصول ٣٥٩	القسم الثالث: في صلاته ﷺ في

ذو الحجة والمراد بها الأيام	الفصل الأول: فيما كان يخص به
التسعة من أول ذي الحجة ٣٦٤	رمضان من العبادات وتضاعف
الفصل الخامس: في صومه ﷺ أيام	جوده ﷺ فيه ٣٥٩
الأسبوع ٣٦٥	الفصل الثاني: في صيامه ﷺ برؤية
الفصل السادس: في صومه ﷺ الأيام	الهلال ٣٦٠
البيض ٣٦٥	الفصل الثالث: في صومه ﷺ بشهادة
النوع الخامس: في ذكر اعتكافه ﷺ	العدل الواحد ٣٦٠
واجتهاده في العشر الأخير من	الفصل الرابع: فيما كان يفعله ﷺ
رمضان وتحريه ليلة القدر ٣٦٦	وهو صائم ٣٦٠
النوع السادس: في ذكر حجه	الفصل الخامس: في وقت إفطاره
وعمره ﷺ ٣٦٦	عليه الصلاة والسلام ٣٦١
النوع السابع: في ذكر نبذة من أديته	الفصل السادس: فيما كان ﷺ يفطر
واستجابة دعائه واستغفاره	عليه ٣٦١
وقراءته ﷺ ٣٧٤	الفصل السابع: فيما كان يقوله ﷺ
المقصد العاشر: ٣٨١	عند الإفطار ٣٦١
الفصل الأول ٣٨١	الفصل الثامن: في وصاله ﷺ للصيام
الفصل الثاني: في زيارة قبره الشريف	الفصل التاسع: في سحوره ﷺ ٣٦٢
ومسجده المنيف ﷺ ٣٩٤	الفصل العاشر: في إفطاره ﷺ في
الفصل الثالث: في تفضيله في الآخرة	السفر وصومه ٣٦٣
بفضائل الأوليات وانفراده	القسم الثاني: في صومه ﷺ غير
بالشفاعة والمقام المحمود بين	شهر رمضان وفيه ستة فصول ٣٦٣
جميع المخلوقات وترقيه في	الفصل الأول: في سرده أيامًا من
الجنان أعلى الدرجات وغير ذلك	الشهر وفطره أيامًا ٣٦٣
من تكريم الله له ﷺ هنالك	الفصل الثاني: في صومه ﷺ
بشرائف الكرامات ٤٠٤	عاشوراء ٣٦٣
الخاتمة ٤١٦	الفصل الثالث: في صيامه ﷺ شعبان
	الفصل الرابع: في صومه ﷺ عشر